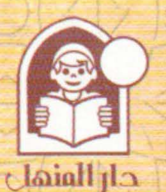


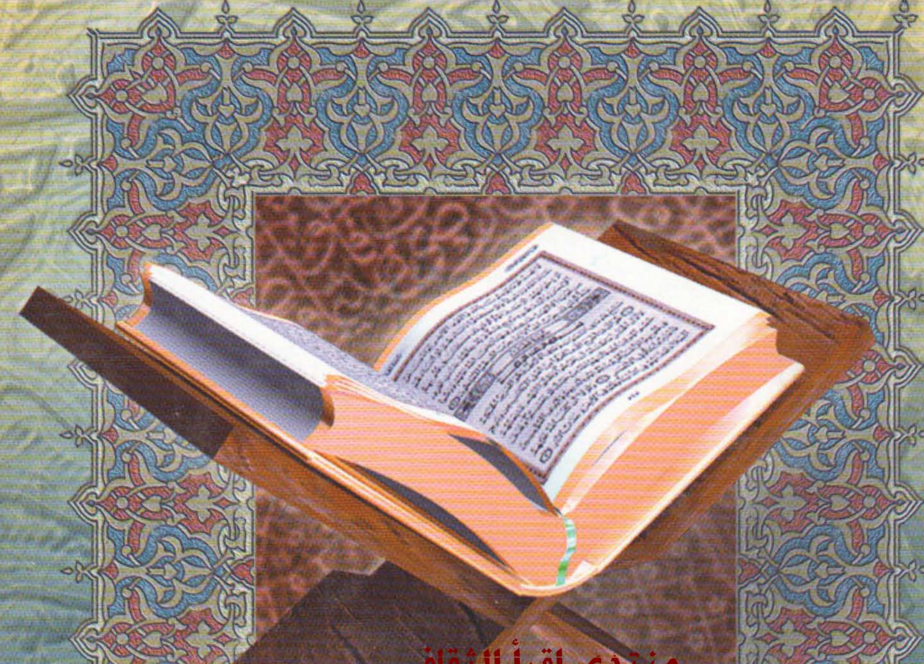



سلسلة تفسير القرآن الكريم

# التفسير المنهجي

## المجلَّدُ السّابِعُ

مِنْ سُورَةِ الفُرْقانِ - نِهايَةِ سُورَةِ السَّجْدَةِ





تأليف

د.صلاح الخالدي


منتدى إقرأ الثقافي
للكتب ( كوردى - عربي - فارسي )
www.iqra.ahlamontada.com







# المجلد السابع

## من سورة الفرقان - نهاية سورة السجدة

تأليف

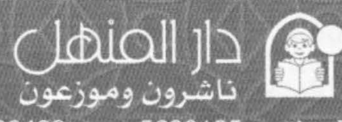
الدكتور صلاح الخالدي

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر




هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

الطبعة الأولى

2005

رقم الإجازة : 2089 / 8 /2004

رقم الإيداع : 2193 / 9 /2004

التصنيف الدولي: 9957-08-427-3




## الجُــزْءُ الأَوَّلُ

### مِنْ سُورَةِ الفُرْقانِ - نِهايَةِ سُورَةِ القَصَصِ

## مؤلفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان

# قائمة المحتويات

## قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيّنا محمدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربِهِ إلى يومِ الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُلُماتِ إلى النّور ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .
وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدَارَسَتِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائِكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمةِ هذا الكِتابِ العزيز ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلّقُ بتبيينِ معاني الآياتِ وتَفْسِيرِهَا ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْرِيسِ في المَدارِسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ معاني المفرداتِ والتراكيب التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث ( ٤٦٣٩ ) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث ( ٤٨٦٧ ) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالِي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىء وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

## الدرس الأول

# سُورَةُ الفُرْقانِ - القِسْمُ الأَوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

### تعريفٌ بالسّورة :

سُورةُ الفُرْقانِ مَكيّةٌ ، وسُمِّيتْ بهذا الاسْمِ لِورودِ كَلِمةِ « الفُرقانِ » في الآيةِ الأُولَىٰ مِنْها . قالَ تَعالَىٰ : ﴿تَبارَكَ الّذي نَزّلَ الفُرْقانَ على عَبْدِهِ لِيَكونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً﴾ .

وَتَتَحدّثُ السّورَةُ عنِ القُرْآنِ ، وعَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وتُقدِّمُ الأدلّةَ علىٰ أنَّ اللهَ واحِدٌ ، وتُبْطِلُ الشِّرْكَ بهِ سُبْحانَهُ ، وتَعْرِضُ مَشاهِدَ لِخِزْيِ الكُفَّارِ يَوْمَ القِيامةِ ، وتَخْتَتِمُ حَديثَها بِذِكْرِ أهَمِّ صِفاتِ عِبادِ الرَّحْمٰنِ .

### معاني المفردات :

تَبارَكَ : فِعْلٌ مَاضٍ مِنَ الْبَرَكَةِ ، بِمَعْنَىٰ : تَعالَىٰ اللهُ وكَثُرَ خَيْرُهُ .

الْفُرْقانَ : الْقُرْآنَ ، الَّذِي يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ . عَلَىٰ عَبْدِه : عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

العالَمينَ : الإِنْسُ والجِنُّ . نَذيراً : رَسُولاً يُنْذِرُ النَّاسَ عَذابَ النّارِ .

فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً : فَأَحْسَنَ اللهُ تَصْميمَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهيَّأَهُ لِما يَصْلُحُ لَهُ .

نُشُوراً : بَعْثاً بَعْدَ الْمَوْتِ يومَ الْقِيامَةِ .



التفسير :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ .

تعالَىٰ اللهُ وَكثُرَ خَيْرُهُ ، وعمَّتْ بَرَكَتُهُ كُلَّ شَيءٍ . . ، ومِنْ مَظَاهِرِ هٰذِهِ البَرَكَةِ العَظِيمَةِ ، إنْزالُهُ القُرآنَ على عَبْدِهِ وَرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ . . وقدْ جَعَلَ اللهُ القُرآنَ فُرْقَاناً ؛ يَفْرُقُ ويَفْصِلُ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ .

وفي هٰذا تَكْرِيمٌ لِلرَّسولِ ﷺ ، الَّذي وَصَفَهُ اللهُ تَعالىٰ بِصِفَةِ العُبودِيَّةِ لهُ ، فهُوَ عَبْدٌ خاضِعٌ للهِ .

ولقدْ أنْزَلَ اللهُ القُرْآنَ علىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، لِيَكونَ رَسولاً لِلْعالَمينَ ، مِنَ الإِنْسِ والجِنِّ أجْمَعينَ . . وَلِيُنْذِرَ النَّاسَ ، ويُخَوِّفَهُمْ عذابَ النَّارِ ، إنْ لَمْ يُؤمِنُوا بِهِ ويَتَّبِعُوهُ . .

وهٰذا يَدُلُّ دَلالَةً واضِحَةً علىٰ عُمومِ رِسالةِ الرَّسولِ ﷺ لِجميعِ العَالَمينَ مِنَ الإِنسِ وَالجِنِّ ، وتَقْريرِ عَالمِيَّتِها .

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ .

اللهُ هُوَ مَالِكُ المُلْكِ ، يَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ فِي السَّمواتِ وفِي الأرضِ .

وبِمَا أَنَّهُ المَالِكُ لِكُلِّ شَيءٍ ، فهوَ قَويٌّ غَنِيٌّ ، لا يَحْتاجُ إلى مُساعِدٍ أو مُعينٍ ؛ في تَدْبيرِ أُمورِ المَخْلوقاتِ ، في السَّمواتِ والأرْضِ ، ولِذٰلِكَ لَمْ يَتَّخِذْ سُبْحانَهُ وتَعالىٰ وَلَداً ، لِيَكونَ مُساعِداً أو وارِثاً لَهُ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ شَريكاً ، يُشارِكُهُ فِي مُلْكِهِ .

واللهُ هُوَ الخالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ في السَّمواتِ والأرْضِ ، وغيرُهُ لَمْ يخلُقْ شَيْئاً ، لأنَّهُ مَخْلوقٌ ضَعيفٌ عَاجِزٌ ، مُحْتاجٌ إلى اللهِ الخَالِقِ القَوِيِّ .

واللهُ أحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ ، وَقَدَّرَهُ فَأَحْسَنَ تَقْديرَهُ ، وَصَوَّرَهُ فأحْسَنَ تَصْويرَهُ ، واخْتارَ لهُ مَا يُناسِبُهُ ، وهيَّأَهُ لِما يَصلُحُ لَهُ ، وَهَداهُ إلىٰ وَظِيفَتِهِ الَّتي خَلَقَهُ اللهُ لَها .

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ ﴾ .

المُشْرِكُونَ لَمْ يُؤمِنوا بِوحدانِيَّةِ اللهِ تَعالىٰ ، وَلَمْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ ، وإنَّما اتَّخذُوا مِنْ دُونهِ آلِهَةً ، وجَعَلوها شُرَكاءَ لَهُ ، وَعَبَدُوها مِنْ دونهِ ، مَعَ أَنَّهُ لا إلٰهَ إلاَّ هُوَ .

هَـٰؤلاءِ الآلِهَةُ مَخلوقونَ ضُعفاءُ ، لا يَخْلُقونَ أيَّ شَيءٍ ، لأنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الخَالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ ، والمَخْلوقُ الضَّعيفُ لا يَكونُ إلَهاً! فَكَيْفَ يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالىٰ ؟

وَهـٰؤلاءِ الآلِهَةُ عاجِزونَ فُقَراءُ ، لا يَسْتَطيعونَ جَلْبَ نَفْعٍ لِلآخَرينَ ، ولا دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهُمْ ، حتَّىٰ إنَّهُمْ لا يَملِكونَ لأنْفُسِهِمْ جَلْبَ نَفْعٍ أوْ دَفْعَ ضَرٍّ ، لأنَّ النَّفْعَ والضُرَّ بيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، والَّذي يَعْجِزُ عنْ ذَلِكَ لاَ يَكونُ إلَهاً! فَكَيْفَ يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالىٰ ؟

وَهـٰؤلاءِ الآلِهَةُ لا يَقْدِرونَ ؛ على إماتَةِ أَحَدٍ ، لأنَّ المَوْتَ بيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، وهُمْ أَنْفُسُهُم يَموتونَ ؛ يُميتُهُمُ اللهُ تَعالىٰ عندَما يَشاءُ .

كَمَا أَنَّهُمْ لا يَقْدِرونَ على إحياءِ أَحَدٍ ، لأنَّ الحَياةَ بيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ المُحْيي والمُميتُ فَكَيْفَ يُعْبَدُ مِنْ دونَ اللهِ ؟

وَهـٰؤلاءِ الآلِهَةُ لا يَقْدِرونَ علىٰ بَعْثِ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ ، لأنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يَبْعَثُهُمْ ويُحْييهِمْ! وَلِذلِكَ هُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعِبادَةِ .

وإذا كانَ الآلِهَةُ المَزْعومونَ بِهَذا الضَّعْفِ والعَجْزِ والفَقْرِ ، فإنَّهُمْ لا يَصْلُحونَ آلِهَةً ، لأنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، فَكَيْفَ جَعَلَهُمُ المُشركونَ آلِهَةً ، وَعَبدوهُم مَعَ اللهِ ؟

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ أسْماءِ القُرآنِ الفُرْقَانُ ، لأنّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الخَيْرِ والشَّرِ والحَقِّ والبَاطِلِ .

٢ـ اللهُ نَزَّلَ القُرْآنَ علىٰ عَبْدِهِ وَرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ أرْسَلَ اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ لِجَميعِ الإِنْسِ والجِنِّ حتَّى قِيامِ السَّاعَةِ .

٤ـ الَّذي يَمْلِكُ السَّمواتِ والأَرْضَ وما فيهما هُوَ اللهُ وَحْدَهُ .

٥ـ اللهُ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ في السَّمواتِ والأرْضِ ، لَيْسَ لهُ وَلَدٌ ولا شَريكٌ .

٦ـ اللهُ وَحْدَهُ الخَالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ ، خَلَقَهُ وَقَدَّرَهُ ، وهيَّأهُ لِمَا خَلَقَهُ لَهُ .

٧ـ المُشْرِكونَ كَافِرونَ خَاسِرونَ ، لأنَّهُمْ أشْرَكُوا باللهِ ، واتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً .

٨ـ الآلِهَةُ المَعْبودةُ بالبَاطِلِ لا تَقْدِرُ على شَيْءٍ ، لأنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا سُمِّيَتْ سورةُ الفُرْقانِ بِهَذا الاسْمِ ؟

٢ـ لِماذا سُمِّيَ القُرْآنُ فُرْقاناً ؟

٣ـ هاتِ دَليلاً مِنَ الآيةِ الأُولَىٰ يَدُلُّ على عُمومِ رِسالةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلنَّاسِ جَميعَاً .

٤ـ ما مَعْنىٰ قَوْله تَعالىٰ : ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرهُ تَقْديراً﴾ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الثالثةِ خَمْسةَ أشياءَ مَنْفِيَّةً عَنِ الآلِهَةِ البَاطِلَةِ ، تَدُلُّ على عَجْزِها وَضَعْفِها .

## نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ فِي دَفْترِكَ الآيَةَ الأُولىٰ مِنْ سُورَةِ الإِسْرَاءِ ، ثُمَّ اذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ الأولى مِنْ هذهِ السّورةِ .

٢ـ سَجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ سورَةَ الإخلاصِ ، ثُمَّ اسْتَخْرِجْ مِنْها جُمْلَتَيْنِ تدلاَّنِ على وَحْدَانيةِ اللهِ تَعالىٰ ، وَثلاثَةَ جُمَلٍ تَنْفي عَنْهُ ما لا يَليقُ بهِ .

٣ـ اكْتُبْ دَرْسَيْنِ آخَرَيْنِ يَظْهَرانِ لَكَ مِنَ الآياتِ .

* * *

## الدَّرسُ الثَّاني

# سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الثَّاني

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | | | |
|---|---|---|---|
| إِفْكٌ | : كَذِبٌ . | افْتَرَاهُ | : نَسَبَهُ إِلَىٰ اللهِ كَذِباً . |
| زُوراً | : كَذِباً عَظِيماً . | أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ | : أَكَاذِيبُ السَّابِقِينَ . |
| اكْتَتَبَها | : طَلَبَ أَنْ تُكْتَبَ لَهُ . | تُمْلَىٰ عَلَيْهِ | : تُنْقَلُ لَهُ . |
| بُكْرَةً وَأَصيلاً | : أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ . | يَعْلَمُ السِّرَّ | : يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَغِيبُ وَيَخْفَى . |

### التَّفسيرُ :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ .

لمَّا سَمِعَ الكُفَّارُ القُرآنَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ كَفرُوا وكذَّبُوا بِهِ ، ولَمْ يَعْتَرِفوا أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، أَوْحَىٰ بِهِ إِلى رَسولِهِ ﷺ .

وأَطْلَقُوا شُبُهاتٍ وأَكاذيبَ حَوْلَ القُرْآنِ ، فَقَالُوا : هَـٰذَا الَّذِي نَسْمَعُهُ كَذِبٌ ، افْتَراهُ مُحَمَّدٌ ، وَنَسَبَهُ إِلَىٰ اللهِ ، وَاسْتَعَانَ عَلَىٰ تَأْليفِهِ بِأُناسٍ آخَرينَ .

وَهَـٰذا القَوْلُ مِنْهُمْ ظُلْمٌ وَعُدْوانٌ .

كَمَا أَنَّهُ زُورٌ وَكَذِبٌ ، وَصَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ بابِ العِنادِ والتَّكَبُّرِ ، وإِلاَّ فإِنَّهُمْ يَعْرِفونَ أَنَّ القُرْآنَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ مِنْ كَلامِ بَشَرٍ . كَمَا أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ صِدْقَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَقَدْ كَانُوا يَصِفونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِأَنَّهُ الصَّادِقُ الأَمينُ ، والَّذي لَمْ يَكْذِبْ عَلَيْهِمْ لا يُعْقَلُ أَنْ يَكْذِبَ علىٰ اللهِ .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ .

وَهَـٰذِهِ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ شُبُهاتِ الكُفَّارِ حَوْلَ القُرْآنِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا الآياتِ الَّتي تَتَحَدَّثُ عَنْ قَصَصِ السَّابِقينَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِها ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوها دَليلاً علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، واتَّخَذوا مِنْها شُبْهَةً أُخْرَىٰ يُطْلِقونَها حَوْلَ القرآنِ .

قَالوا : هَـٰذِهِ القَصَصُ والأَخْبارُ في القُرْآنِ ﴿أَساطيرُ الأَوَّلينَ﴾ مَأْخُوذَةٌ عَنِ الأَقْوامِ السَّابِقينَ ، كاليَهودِ والنَّصارىٰ والفُرْسِ والهُنودِ ، سَمِعَها مُحَمَّدٌ مِنَ الآخَرِينَ ، وطَلَبَ أَنْ تُكْتَبَ لَهُ! فَكَتَبَها الكَاتِبونَ ، وأَمْلَوْها عَلَيْهِ في الصَّباحِ والمَساءِ! وَلَمَّا حَفِظَها تَلاها على النَّاسِ ، وَزَعَمَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ أَوْحىٰ بِها إِليهِ!

فالقُرْآنُ في نَظَرِ الكُفَّارِ إِفْكٌ مُفْتَرَىً ، أَلَّفَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرونَ ، وَمَا في القُرْآنِ مِنْ أَخْبارٍ وقَصَصٍ مَنْقولَةٍ عَنْ كُتُبِ السَّابِقينَ ، كُتِبَتْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وتُلِيَتْ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا حَفِظَها زَعَمَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ .

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ .

هـٰذَا رَدٌّ علىٰ اتِّهامِ الكُفَّارِ لِلرَّسولِ ﷺ ، وإِبْطالٌ لِلشُّبُهاتِ الَّتي أَثارُوها ضِدَّهُ ، فَالقُرْآنُ لَيْسَ إِفْكاً مُفْتَرىً ، وليسَ أَساطيرَ الأَوَّلينَ ، وإِنَّما هُوَ كَلامُ اللهِ ، أَنْزَلَهُ على رَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وهُنا يَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَقولَ لِلْكُفَّارِ : اللهُ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيَّ هـٰذا القُرْآنَ ، وأَمَرَني أَنْ أُبَلِّغَكُمْ إِيَّاهُ ، وأَدْعوكُم إِلىٰ الإِيمانِ بِهِ .

وَاللهُ الَّذي نَزَّلَ القُرْآنَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيءٍ ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شيءٌ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ ما كانَ ظَاهِراً عَلَنِيّاً ، ويَعْلَمُ ما كانَ سِرّاً مَخْفِيّاً ، وما كَانَ حاضِراً ، وما كانَ غَائِباً . قالَ تعالىٰ : ﴿وإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فإِنَّهُ يَعْلَمُ السِرَّ وَأَخْفَى . .﴾ [طه : ٧] .

واللهُ العَالِمُ بِكُلِّ شَيءٍ غَفورٌ رَحِيمٌ ، يَغْفِرُ لِلْمُذْنِبينَ ذُنوبَهُمْ ، ويَعْفُو عنْهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ .

وهـٰذِهِ دَعْوَةٌ لِلْكُفَّارِ المُكَذِّبينَ إِلَىٰ التَّخلِّي عَنِ الكُفرِ والتَّكْذيبِ ، ولِلدُّخولِ في الإِسْلامِ ، ولاتِّباعِ النَّبيِّ ﷺ ، فإِنْ فَعَلوا ذَلِكَ فإِنَّ اللهَ سيغفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ ويعفُو عَنْهُم ، وَيَتوبُ عَلَيْهِمْ لأَنَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافِرونَ مُتَكبِّرونَ مُعانِدونَ لِلْحَقِّ ، يَفْتَرونَ علىٰ اللهِ الكَذِبَ ، ويُكَذِّبونَ رَسولَ اللهِ ﷺ .

٢ـ القُرآنُ كَلامُ اللهِ ، أَنْزَلَهُ علىٰ رَسولهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ الكافِرونَ يُحارِبونَ الحَقَّ ، ومِنْ وَسَائِلِهِمْ في ذَلِكَ إثارَةُ الشُّبُهاتِ ضِدَّ رَسولِ اللهِ ﷺ وَضِدَّ القُرْآنِ .

٤ـ اللهُ أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ عِلْماً ، يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ .

٥ـ يدعُو اللهُ الكافِرينَ والمُذْنِبينَ إلىٰ الإنابةِ والتَّوْبَةِ والاسْتِغْفارِ ، لأنَّهُ غفورٌ رَحيمٌ .

٦ـ يُبْطِلُ اللهُ مَزاعِمَ الكُفَّارِ وشُبُهاتِهِمْ ، ويُعلِّمُنا الحُجَّةَ الَّتي نُقيمُها عَلَيْهِمْ .

## التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ذَكَرَتْ آياتُ الدَّرْسِ شُبَهَ الكَافِرينَ ، وَرَدَّتْ عَلَيْها . اسْتَخْرِجْ مِنْها ثَلاثَ شُبُهاتٍ لهُم ، وَكَيْفَ رَدَّتِ الآياتُ عَلَيْها ؟

٢ـ مَا مَعْنَى ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ؟ ولِماذَا وصَفَ الكَافِرونَ القُرآنَ بِذلكَ ؟

٣ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ البُكْرَةِ والأصيلِ ؟

٤ـ ما المُرَادُ بِالسِّرِّ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، الَّذي يَعْلَمُهُ اللهُ ؟

٥ـ لماذا أخْبَرَ اللهُ الكُفَّارَ بِأَنَّهُ غفورٌ رَحيمٌ ؟

## نَشاطٌ :

سَجِّلِ الآيَةَ الخامِسَةَ مِنْ سورةِ الأَنْبياءِ . واذْكُرِ الشَّبَهَ بَيْنَها وَبَيْنَ الآيَتَيْنِ الرابعةِ والخامسةِ مِنْ سُورةِ الفُرْقانِ ، ثُمَّ اسْتَخْرِجْ منْها ثَلاثَ شُبُهاتٍ أَثارَها الكُفَّارُ ضِدَّ رسولِ اللهِ ﷺ .

* * *

## الدَّرسُ الثَّالِثُ

# سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| لَوْلا | : هَلاَّ . |
| يُلْقىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ | : يُنْزَلُ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ . |
| جَنَّةٌ | : بُسْتَانٌ فِيهِ مُخْتَلَفُ الزُّروعِ وَالثِّمارِ . |
| رَجُلاً مَسْحُوراً | : رَجُلاً أُصِيبَ بِالسِّحْرِ فَذَهَبَ عَقْلُهُ . |
| ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثالَ | : أَثَارُوا حَوْلَكَ الشُّبُهاتِ وَالاتِّهاماتِ . |
| فَضَلُّوا | : فَابْتَعَدُوا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَىٰ . |
| فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً | : فَلاَ يَسِيرُونَ فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ بَعْدَ اخْتِيارِهِمُ الْكُفْرَ . |

### التَّفْسيرُ :

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ .

بَعدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآياتُ شُبهاتِ الكُفَّارِ حَوْلَ القُرْآنِ ، وأَبْطَلَتْها ، بَيَّنَتْ اعْتِراضاتِهِمْ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ .

فَقَدِ اعْتَرَضوا عَلَىٰ بَشَرِيَّةِ الرَّسولِ ﷺ ، واسْتَبْعَدُوا أَنْ يَخْتارَ اللهُ رَسولاً مِنَ البَشَرِ ، لأنَّهُم كانُوا يَظنُّونَ أَنَّ الرَّسولَ لابُدَّ وأَنْ يكونَ مَلَكاً . قالَ الله تعالىٰ : ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنوا إِذْ جاءَهُمُ الهُدَى إلاَّ أَنْ قالوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسولاً﴾ [الإسراء : ٩٥] .

لَمْ يُعْجِبْ كُفَّارَ قريشٍ أَنْ يكونَ الرَّسولُ واحِداً مِنْهُمْ ، يَعْرِفُونَ أَهْلَهُ وَعَشيرَتَهُ ، وَيَسيرُ بَيْنَهُمْ ، ويَعيشُ مَعَهُمْ ، يأْكُلُ الطَّعامَ كَما يَأكُلونَ ، ويَشْرَبُ الماءَ كَما يَشْرَبونَ ، ويَمْشِي في الأسْواقِ ، لِذَلِكَ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ قَائِلينَ : لِماذَا هـٰذا الرَّسولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ مِثْلَنا ؟ ولِماذَا يَمشِي في الأَسْواقِ مَعَنا ؟

﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ .

تَذْكُرُ الآيةُ ثَلاثَةَ أُمُورٍ اقْتَرَحَ الكَافِرونَ أَنْ تَكونَ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وَتَمَنَّوْا لَوْ أَعْطاها اللهُ لَهُ ، إِنْ كَانَ رَسولاً حَقّاً .

١ـ تَمَنَّوْا أَنْ يُنْزِلَ اللهُ إِلى رَسولِهِ ﷺ مَلَكاً مِنَ المَلائِكَةِ ، يَسيرُ مَعَهُ ، ويُصَدِّقُهُ عِنْدَما يَتَكَلَّمُ ، وَيَكونُ مَعَهُ نَذيراً يُشارِكُهُ في الإِنْذَارِ .

٢ـ وتَمَنَّوْا أَنْ يُلقِيَ اللهُ إِلىٰ رَسولِهِ كَنْزاً مِنَ المالِ ، لِيُنْفِقَ مِنْهُ .

٣ـ وتَمَنَّوْا أَنْ يَكونَ لِلرَّسولِ ﷺ بُسْتانٌ كَبيرٌ ، فيهِ العُيونُ ، وَمُخْتَلَفُ أَنْواعِ الزُّرُوعِ والثِّمارِ ، لِيأْكُلَ مِنْها ، وَيَسْتَمْتِعَ بِها .

وهـٰذهِ الأشْياءُ الَّتي اقْتَرَحُوها وتَمَنَّوْها تَدُلُّ علىٰ تَفاهَةِ تَفْكيرِهِمْ ، وَعِنادِهِمْ واسْتِكْبارِهِمْ .

وهُمْ يَقيسونَ الرَّسولَ ﷺ بالمَقاييسِ المَادِيَّةِ الصَّغيرَةِ التَّافِهَةِ ، مِنَ الطَّعامِ والشَّرَابِ ، والمَالِ والمَتاعِ .

وَتَمادى الكَافِرونَ في عِنادِهِمْ وظُلْمِهِمْ فقالُوا لِلْمُسْلِمينَ : الَّذِي تُؤمِنونَ بهِ ، وتَتَّبِعُونَهُ لَيْسَ رَسولاً مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مَسْحورٌ ، سَيْطَرَ عَلَيْهِ السِّحْرُ ، فَظَنَّ نَفْسَهُ رَسولاً ، وأَنْتُمْ لا تَتَّبِعونَ رَسولاً ، إِنَّما تَتَّبِعونَ رَجُلاً مَسْحوراً .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

يَدْعُو اللهُ رَسولَهُ ﷺ إِلىٰ أَنْ يَنظُرَ نَظْرَةَ تعَجُّبٍ واسْتِغْرابٍ ، فمَا اقْتَرَحَهُ الكافِرونَ لَهُ واتَّهموهُ بِهِ يَدْعُو لِلْعَجَبِ أَيْضاً .

إِنَّهُمْ يَضْرِبونَ لَهُ الأَمْثالَ ، ويَتَّهِمونَهُ بالاتِّهاماتِ ، ويُثيرونَ حَوْلَهُ الشُّبُهاتِ ، وهـٰذا يَدُلُّ علىٰ سَفَهِهِمْ وعِنادِهِمْ ، ويقودُهُمْ إِلَى الكُفْرِ بهِ ، وإِنْكارِ نُبُوَّتِهِ ، وبِذَلِكَ يَقعونَ في الضَّلالِ ، والابْتِعادِ

عَنِ الحَقِّ ، فلا يُؤْمِنونَ ولا يَهْتدونَ ، لأنَّهُمُ اخْتاروا الكُفْرَ والضَّلالَ .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

يَرُدُّ اللهُ علىٰ اقْتِراحَاتِ الكُفَّارِ السَّابِقَةِ ، ويُبْطِلُ اتِّهامَاتِهِمْ لِرَسولِهِ ﷺ ، فَلَوْ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَ رَسولَهُ ﷺ ما تَمَنَّاهُ الكُفَّارُ لَهُ لأعْطاهُ ، لأنَّهُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ رَزَّاقٌ ، تَبارَكَ عَطَاؤُهُ ، وكَثُرَ خَيْرُهُ ، وَعَمَّ فَضْلُهُ .

لَقدِ اقْتَرَحَ الكُفَّارُ أنْ يُعْطِيَ اللهُ رَسولَهُ قَليلاً مِنْ مَتَاعِ الدُّنيا ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْطَىٰ رَسولَهُ خَيْراً مِمَّا طَلَبُوا ، وأكْثَرَ مِمَّا اقْتَرَحُوا . لَوْ شَاءَ لأعْطَاهُ جَنَّاتٍ وبَسَاتِينَ كَثيرَةً ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ ، وجَعَلَ لَهُ قُصوراً فَخْمَةً مُتَعَدِّدَةً ، لأنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ الرَّسولُ بَشَرٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنامُ ويَتزوَّجُ ، واخْتصَّهُ الله بِالْوَحْيِ .

٢ ـ الكُفَّارُ يُنْكِرونَ كَوْنَ الرَّسولِ ﷺ بَشَراً مِثْلَهُمْ .

٣ ـ نَظْرَةُ الكُفَّار لِلرَّسولِ مَاديَّةٌ ، وَميزانُهُمُ الَّذي يَزِنونَ بِهِ دُنْيَوِيٌّ .

٤ ـ تَكْذيبُ الكُفَّارِ لِلرَّسولِ ﷺ أَوْقَعَهُمْ في الضَّلالِ وأَبْعَدَهُمْ عَنِ الهُدَىٰ .

٥ ـ ما عِنْدَ اللهِ لِرسولِهِ ﷺ مِنَ الخَيْرِ أَعْظَمُ مِمَّا يَتصَوَّرُهُ الكُفَّارُ أَوْ يَطْلُبونَهُ لَهُ .

٦ ـ الكُفَّارُ مُعانِدونَ مُسْتَكْبِرونَ ، واقْتِرَاحاتُهُم تَدُلُّ علىٰ تَفاهَةِ تَفْكيرِهِمْ وَسَخافَةِ عُقولِهِمْ .

## التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثَلاثةً مِنَ الأَشْياءِ الَّتي اقْتَرَحَها الكُفَّارُ لِرَسولِ اللهِ ﷺ .

٢ ـ بِماذَا اتَّهَمَ الكُفَّارُ رَسولَ اللهِ ﷺ ؟ وما مَعْنى ذَلِكَ الاتِّهامُ ؟

٣ ـ ما سَبَبُ وُقوعِ الكُفَّارِ في الضَّلالِ ؟

٤ ـ على مَاذا تَدُلُّ مَطَالِبُ الكُفَّارِ الَّتي ذَكَرَتْها الآياتُ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيَتَيْنِ ٨ـ٩ مِنْ سُورَةِ الأنْعامِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُمَا طَلَباتِ المُشْرِكينَ ورَدَّ القُرْآنِ عَلَيْها .

٢ـ قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿وَقالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعاً أَوْ تَكونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهارَ خِلالَها تَفْجيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ باللهِ والمَلائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى في السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبحانَ ربِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً . .﴾ [الإسراء : ٩٠ـ٩٣] .

اسْتَخْرِجْ مِنْ هٰذِهِ الآياتِ سِتَّةً مِنْ طَلَباتِ الكُفَّارِ الَّتِي طَلَبُوها مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَرَدَّ القُرْآنِ عَلَيْها .

* * *

# الدرس الرابع

## سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

### معاني المُفْرداتِ :

كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ : أَنْكَرُوا مَجيءَ يَوْمِ القِيامَةِ .

أَعْتَدْنا : هَيَّأْنا وَجَهَّزْنا .

سَعيراً : ناراً عَظِيمةً شَديدَةَ الاشْتِعالِ .

تَغَيُّظاً وَزَفيراً : صَوْتَ اشْتِعالِ النَّارِ .

مُقَرَّنينَ : مَرْبُوطةً أَيْدِيهِمْ إِلَىٰ أَعْناقِهِمْ بِالأَغْلالِ .

وَعْداً مَسْؤُولاً : وَعْداً مُتَحَقِّقاً لابُدَّ وأَنْ يَقَعَ .

### التفسير :

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ .

كَذَّبَ الكُفَّارُ النَّبيَّ ﷺ ، وكفرُوا بهِ ، وطَلَبوا طلباتٍ مُتَعَدِّدةً مِنْهُ ، مِنْ بابِ العِنادِ وَالاسْتِكبارِ . وتُبيِّنُ هٰذهِ الآيةُ سَبَبَ ذَلكَ الكُفْرَ والعِنادَ ؛ إنَّهُ تَكْذيبُهُمْ بِالسَّاعَةِ .

لَقَدْ كَذَّبَ الكُفَّارُ بالسَّاعةِ ، وأَنْكَرُوا مَجيءَ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَقالوا : إِنَّما هِيَ حَيَاتُنا الدُّنيا ، وإِذا مِتْنا لاَ نُبْعَثُ مَرَّةً ثَانِيةً .

ونَتيجَةً لِهذا الكُفْرِ والتَّكْذيبِ ، هَيَّأَ اللهُ لَهُمْ مَا لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنْ أَهْوالِ يوم القِيامةِ ، وأَعَدَّ لَهُمُ النَّارَ العَظيمةَ المُشْتَعِلَةَ المُسْتَعِرةَ ، الَّتي لا تُطاقُ حَرارَتُها .

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

عِندمَا يكونُ الكُفَّارُ وَاقِفينَ بَيْنَ يَدَي اللهِ لِلْحِساب ، تَراهُم جَهَنَّمُ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ ، وتُخْرِجُ أَصْوَاتاً شَديدةً عالِيَةً مُخيفَةً ، فَتتغيَّظُ وَتزْفُرُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِها عَلَيْهِمْ .

ويَسْمَعُ الكُفَّارُ صَوْتَ تغيُّظِها وَزَفيرِها ، فَيُسَيْطِرُ الخَوْفُ والهَلَعُ على قُلوبِهِمْ ، وهٰذا قَبْلَ إِدْخالِهِمْ فيها ، واحْتِراقِهِمْ بنارِها .

﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ خَوْفِ الكُفَّارِ الشَّديدِ مِنْ سَماعِهِمْ لِصَوْتِ جهنَّمَ وهِيَ تتغيَّظُ وتَزْفُرُ ، تَسوقُهُمُ الزَّبانِيَةُ إِليها سَوْقاً ، بالرَّغمِ عَنْهُمْ . ثُمَّ تُلقيهِمْ فيها إِلقاءً ، وتَطْرَحُهُمْ فيها طَرْحاً .

ويُحْشَرونَ فيها في مَكانٍ ضَيِّقٍ ، كأَنَّهُ « زِنْزانةٌ » ضَيِّقَةٌ في سِجْنٍ رَهيبٍ ، وَيكونونَ مُقَيَّدينَ بالقُيودِ والأَغْلالِ ، تُرْبَطُ أَيْديهِمْ إِلىٰ أعناقِهِمْ . وَتَقْييدُهُمْ لَيْسَ لِمَنْعِهِمْ مِن الهَرَبِ ، فأَنَّىٰ لهُمْ أَنْ يَهْرُبوا مِن جهنَّمَ! إِنَّما ذَلكَ مُبالَغَةٌ فِي إِذْلالِهِمْ وإِهانَتِهِمْ .

عندَ ذَلِكَ يَيْأَسونَ مِنَ الخَلاصِ والفَرَجِ ، فلا يَجِدونَ أَمامَهُمْ إِلاّ أَنْ يَدْعُوا علىٰ أَنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ والهَلاكِ .

﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

عِنْدَما يَدعوا الكُفَّارُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بالهَلاكِ والمَوْتِ يَسْمَعُهُمْ زَبانِيةُ العَذابِ ، فَيردُّونَ عَلَيْهِمْ بِسُخْرِيَةٍ واسْتِهزاءٍ ، وَيقولونَ لَهُمْ : لا تَدْعُوا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ مَرَّةً واحدةً بِثُبورٍ واحِدٍ ، ولَكِنِ ادْعُوا علىٰ أَنْفُسِكُم باسْتِمرارٍ ، وَتَمَنَّوْا ثُبوراً كَثيراً!! ومَهْما دَعْوتُمْ وتمنَّيْتُمْ فإِنَّ اللهَ لَنْ يَسْتَجيبَ لَكُمْ ، وسَتبقَوْنَ مُخَلَّدينَ في جَهَنَّمَ ، لا مَوْتٌ لكُمْ فيها ولا حَياةٌ ، وإِنَّما عَذابٌ دائِمٌ .

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

بعدَ أَنْ عَرَضَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ مَشْهَداً مُرْعِباً لِعَذابِ الكُفَّارِ فِي النَّارِ ، تُبيِّنُ هٰذهِ الآيةُ صِفَةَ الجَنَّةِ الَّتي وَعَدَ اللهُ بها المؤْمنينَ .

فَاللهُ تعالىٰ يأْمُرُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَقولَ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ : أَيُّهما خَيْرٌ ؟ عَذابُ الكُفَّارِ فِي النَّارِ

كمَا ذكَرَتْهُ الآياتُ السَّابقةُ ، أوْ نَعيمُ المُتَّقينَ في الجَنَّةِ ؟

لَقَدْ وَعَدَ اللهُ المُتقينَ أَنْ يُدْخِلَهُمْ جَنَّةَ الخُلْدِ ، وأنْ يَجْعَلَهُمْ مُخلَّدينَ فيها ، جَزاءَ إيمانِهِمْ واسْتِقامَتِهِمْ في الدُّنيا .

﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

يُؤْتِي اللهُ المُتَّقينَ فِي الجنَّةِ كُلَّ مَا يُشاءُونَ ، مِنَ المَآكِلِ والمَشارِبِ والمَلابِسِ ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ فيها ما لا عَيْنٌ رَأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، وَهُمْ خَالِدونَ في ذَلكَ النَّعيم .

رَوَىٰ البُخَاريُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قَالَ : قالَ تَبارَكَ وتَعَالَىٰ : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالحينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولاَ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَؤا إنْ شِئْتُمْ قَولَهُ تعالىٰ : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانوا يَعْمَلونَ﴾[1] [السجدة : ١٧] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ مِنْها :

١ـ تَكْذيبُ الكُفَّارِ بيوم القِيامَةِ يَقودُهُمْ إلى مَزيدٍ مِنَ الكُفْرِ والفَسادِ .

٢ـ يُحْشَرُ الكُفَّارُ إِلَى جَهنَّمَ مُقيَّدينَ ، ويُلقَوْنَ فِي مَكانٍ ضَيِّقٍ فيها لإذلالِهِمْ وإهانَتِهِمْ .

٣ـ لا يُسْتَجَابُ لِدُعاءِ الكُفَّارِ فِي الآخِرَةِ .

٤ـ يُدْخِلُ اللهُ المُؤْمِنينَ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، جَزاءً لَهُم على حُسْنِ طَاعَتِهِم فِي الدُّنيا .

٥ـ يُسْتَحبُّ لِلْمُؤْمنِ أنْ يَدعوَ اللهَ طالِباً مِنْهُ الجَنَّةَ .

(١) أخرجه البخاري : كتاب التفسير باب ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾ حديث رقم : ٤٧٧٩ . ومسلم : كتاب الجنة . باب : صِفَةُ الجنة : حديث رقم : ٢٨٢٤ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذَا سُمِّيَتْ جَهَنَّمُ سَعِيراً ؟

٢ـ ماذا يَسْمَعُ الكُفَّارُ مِنْ جهنَّمَ عِنْدَما تَراهُم مِنْ مَكانٍ بعيدٍ ؟

٣ـ كَيْفَ يُلقَى الكُفَّارُ في جَهَنَّمَ ؟ ولِماذا ؟

٤ـ أينَ يُلقَىٰ الكُفَّارُ فِي جَهَنَّمَ ؟ وَمَا أَثَرُ ذلكَ فيهِمْ ؟

٥ـ مَا الَّذي يَدعوهُ الكُفَّارُ وَهُمْ فِي النَّارِ ؟ وَمَا مَعْنَاهُ ؟

٦ـ لِماذَا وَصَفَتِ الآياتُ أَهْلَ الجَنَّةِ بصفةِ « المُتَّقِينَ » ؟

٧ـ اذْكُرِ الحَدِيثَ الصَّحيحَ الَّذِي تُفَسِّرُ بِهِ قَوْلَهُ تعالىٰ : ﴿لَهُم فيها مَا يَشاؤونَ خَالِدينَ﴾ .

## اقرأْ وتدبَّرْ :

قالَ التَّابعيُّ أبو وَائِلٍ : خَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ فِي الكُوفَةِ ، وَمَعَنا الرَّبيعُ بْنُ خَيْثَمٍ ، فَمَرَرْنَا علىٰ حَدَّادٍ يَصْهَرُ الحَديدَ فِي النَّارِ ، فَوَقَفَ ابنُ مَسْعودٍ ـ رضِيَ اللهُ عنهُ ـ يَنْظُرُ إِلىٰ حَديدةٍ فِي النَّارِ وهِيَ حَمْراءُ ، ونَظَرَ إِليها الربيعُ بنُ خَيثمٍ ، فأَوْشَكَ أنْ يَسْقُطَ . . ثم مَرَرْنَا على فُرْنٍ مُشْتَعِلٍ ناراً على شَاطِىءِ نَهرِ الفُراتِ ، فقرأَ ابنُ مَسْعودٍ قولَهُ تعالىٰ : ﴿وإِذا رأَتْهُم مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ سَمِعوا لَها تَغَيُّظاً وزَفيراً . .﴾ ولمَّا رأىٰ الرَّبيعُ النَّارَ وسَمعَ الآيَةَ أُغمِيَ عليهِ وصُعِقَ ، فَحملوهُ إِلى بَيْتِهِ ، وذَلِكَ لِخوْفِهِ مِنَ النَّارِ .

## نَشاطٌ :

١ـ مِنْ أسْماءِ جَهنَّمَ « سَعِيرٌ » اذْكُرْ خَمْسةَ أسْماءٍ أُخْرَىٰ لِجَهنَّمَ وَرَدَتْ فِي آياتِ القُرْآنِ واكتُبَها في دفْتَرِكَ .

٢ـ بِمَا أَنَّ المُؤْمِنَ يَنالُ في الجَنَّةِ كُلَّ مَا يشَاءُ . سَجِّلْ فِي دفْتَرِكَ عَشْرَةَ أَشْياءَ تَتَمَنَّىٰ الحُصولَ عَلَيْها في الجَنَّةِ .

* * *

## الدرس الخامس

# سُورَةُ الفُرْقانِ - القِسْمُ الخامِسُ

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

## معاني المُفْرَدات :

يَحْشُرُهُمْ : يَسُوقُهُمْ إِلَى أَرْضِ الْمَوْقِفِ لِلْحِسابِ .

ضَلُّوا السَّبيلا : ابْتَعَدُوا عَنْ طَريقِ الْحَقِّ .

سُبْحَانَكَ : تَنْزِيهاً لَكَ عَمَّا لا يَليقُ .

مَتَّعْتَهُمْ : أَطَلْتَ أَعْمارَهُمْ مِنْ إِنْعَامِكَ عَلَيْهِمْ .

نَسُوا الذِّكْرَ : تَرَكوا الْحَقَّ .

قَوْماً بُوراً : قَوْماً هالِكينَ .

فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً : فَتَعْجِزُونَ عَنْ دَفْعِ الْعَذابِ عَنْكُمْ أَوْ إِخْراجِ أَنْفُسِكُمْ .

فِتْنَةً : ابْتِلاءً وَامْتِحاناً .

## التفسيرُ :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

بعدَ عَرْضِ مَشْهَدٍ لِتعْذيبِ الكُفَّارِ بِالنَّارِ ، تَعْرِضُ هذهِ الآيةُ مَشْهَدَ وُقوفِ العابِدينَ والمَعْبودينَ بَيْنَ يديِّ اللهِ لِلحِساب .

فَبَعْدَ أنْ يَبْعَثَ اللهُ النَّاسَ جَميعاً يَوْمَ القِيامةِ ، يَسُوقُهُمْ إِلى ساحةِ العَرْضِ ، حَيْثُ يُوقَفون فيها لِلْحِسَابِ ، ويَسْأَلُ اللهُ الَّذينَ عُبِدُوا مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ دُونِ رِضاهُمْ ، مثلَ الملائكةِ وعُزَيْرَ وعيسى عَلَيْهِ السَّلامُ : هلْ أنتمْ أضْلَلْتُمْ هَؤلاءِ الكُفَّارَ الَّذينَ عَبَدُوكُمْ ؟ وهلْ طَلَبْتُمْ مِنْهُم أنْ يَعبدوكُمْ ؟ أَمْ هُمْ عَبَدوكُم مِنْ دونِ رِضاً مِنْكُم ، وابتعدُوا عَنْ طَريقِ الحَقِّ ؟

يَسْأَلُهُمُ اللهُ هٰذا السُّؤالَ لِيَسْمعَ الكافِرونَ الجَوابَ ، فَيَشْعُرون بالحَسْرَةِ والخِزيِ ، عِنْدما يَتَبرَّأُ المَعْبودونَ مِنْهُم .

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

يُجيبُ المَعْبودونَ علىٰ السُّؤالِ بالمُسارَعَةِ إلى تَسْبيحِ اللهِ وتَنْزيهِهِ ، ويَقولونَ : سُبْحانَكَ ، نَحْنُ مُوحِّدونَ لَكَ ، مُعْتَمِدونَ عَلَيْكَ ، ولا يُمْكِنُ أنْ نَتَّخِذَ أَولياءَ مِنْ دُونِكَ ، ولا أَنْ نَطْلُبَ مِنَ النَّاسِ عِبادَتَنا مِنْ دونِكَ ، وإذا كَانوا عَبَدُونا وجَعَلونَا آلِهَةً فهٰذا مِنْ دُونِ طَلَبٍ ولا رِضاً مِنَّا .

وبَعْدَ أَنْ تبرأَ المَعْبودونَ مِن عابِدِيهِمُ الكُفَّارِ بيَّنُوا أَنَّ أُولئكَ الكُفَّارَ اغترُّوا بما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم ، وأَلْهَتْهُمْ مُتَعُ الدُّنيا ، حتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ الَّذي جاءَهُمْ علىٰ أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وتَرَكُوا ما فِيهِ مِنَ الحَقِّ ، فأَشْرَكُوا باللهِ ، وعَبَدُوا غَيْرَهُ ، وبذٰلِكَ انتهَوْا إِلىٰ البَوارِ ، وصاروا كالأَرْضِ البُورِ ، الَّتي لا زَرْعَ فِيها ولا ثَمَرَ!

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ .

ويُفاجَأُ الكافِرونَ بِبَراءَةِ المَعْبودينَ الصَّالِحينَ مِنْهُمْ ، فيُصابونَ بالحَسْرَةِ والنَّدامةِ ، ويَقولُ اللهُ لَهُمْ : هٰؤلاءِ الَّذين عَبدتُموهُمْ كذَّبُوكُمْ بِمَا تَقولونَ عَنْهُمْ ، وتَبَرَّأوا مِنْكُمْ ، وها أَنْتُمْ عاجِزونَ ، لا تَقْدِرونَ علىٰ دَفْعِ العَذابِ عنْكُمْ ، أَوْ تَحقيقِ النَّصْرِ لَكُمْ ، أَوْ إِخراجِ أَنْفُسِكُمْ مِنَ العَذابِ ،

وسَنُعَذِّبُكُمْ العَذابَ الكَبيرَ ، لأنَّكمْ ظَلَمْتُمْ أنفُسَكُمْ بِكُفْرِكُمْ ، وهٰذا جزاءُ مَنْ ظَلَمَ وكَفَرَ باللهِ ربِّ العَالَمينَ .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ .

بَيّنتِ الآياتُ السَّابِقةُ النِّهايَةَ البَائِسةَ لِلْكُفَّارِ الَّذينَ أثارُوا الاعْتِراضاتِ علىٰ بَشَرِيةِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَقَدِ انتَهَوْا إلىٰ الخُلودِ في نارِ جَهَنَّمَ .

وهُنا يُواسِي اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ ويُسَلِّيهِ ، علَىٰ ما كَانَ يَجِدُ مِنْ أَذى الكُفَّارِ وإعراضِهِمْ ، ويَذْكُرُ لَهُ سُنَّتَهُ الدَّائِمَةَ في المُرْسَلينَ جميعاً .

كُلُّ المُرْسَلينَ الَّذينَ أرْسَلَهمُ اللهُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ كانُوا بَشَراً مِثْلَهُ ، وكانُوا يأْكُلونَ الطَّعامَ ، وَيَمْشونَ في الأَسْواقِ . واعْتِراضُ الكُفَّارِ عَلَيْهِ هُوَ اعْتِراضٌ على سُنَّةِ اللهِ في الحَقيقةِ .

ثُمَّ بيَّنَ اللهُ لِرَسولِهِ ﷺ أَنَّهُ جَعَلَ بَعْضَ النَّاسِ فِتْنةً لِغيرِهِمْ ، يَفتِنونَهُمْ عَنْ دينِهِمْ ، وَيصدّونَهُمْ عنِ الإيمانِ ، وفي هٰذا ابْتِلاءٌ واختِبارٌ ، فمَنْ صَبَرَ علىٰ اتِّباعِ الحَقِّ ، ولمْ يَلْتَفِتْ إلىٰ أَهْلِ الضَّلالِ ، فقدْ فازَ وأَفْلَحَ ، واللهُ تعالىٰ بَصيرٌ بعبادِهِ ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ .

فالَّذينَ كَفرُوا لا يُدْرِكونَ حَقيقةَ اللهِ في ذَلِكَ ، ولا يَرْضَوْنَ بِقَدَرِهِ بلْ يَعْتَرِضونَ ويُنكِرونَ ، أمَّا المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ فإِنَّهُمْ يُوقِنونَ بِحِكْمَةِ اللهِ في التَّفاوُتِ والاخْتِلافِ بَيْنَ النَّاسِ ، ويَرْضَوْنَ بِقَدَرِ اللهِ ، ويَصْبِرونَ على مَا يُصيبُهُمْ مِنهُ .

واللهُ بَصيرٌ بِطبائعِ النَّاسِ وقُلوبِهِمْ ، يَعْلَمُ مَنْ يَعْتَرِضونَ ، ويَعْلَمُ مَنْ يَصْبِرونَ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿وَكَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولوا أَهؤلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرينَ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كلُّ مَنِ اعتمدَ علىٰ غَيْرِ اللهِ فَهُوَ خَاسِرٌ ، ومَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللهِ فهُوَ هالِكٌ .

٢ـ الانْشِغالُ بالمَتاعِ والشَّهواتِ يُؤدّي إلى تَرْكِ الحَقِّ والتَّقصيرِ بالواجباتِ .

٣ـ يَتبرَّأُ الصَّالِحونَ المُعْبودونَ مِنْ عَابدِيهِم الكافرِينَ يَوْمَ القِيامةِ .

٤ـ كلُّ الرُّسُلِ الّذينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ هُمْ مِنَ البَشَرِ الّذينَ يَتَّصِفونَ بِخصائصِ البَشَرِ .

٥ـ جَعَلَ اللهُ التَّفاوُتَ والاخْتِلافَ بَيْنَ النَّاسِ فِتنةً واخْتِباراً لَهُمْ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا يَسْأَلُ اللهُ المَعْبودينَ عَنْ عِبادةِ الكَافرينَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامةِ ؟

٢ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أَسْماءٍ لِمُؤْمِنينَ صَالِحينَ عَبدَهُمُ الكَافِرونَ مِنْ دُونِ رِضاً مِنْهُمْ .

٣ـ ما مَعنَىٰ قولهِ تعالىٰ : ﴿وكانوا قَوْماً بُوراً﴾ ؟

٤ـ لِماذا يَعْجَزُ الكُفَّارُ يَوْمَ القِيامةِ عَنْ دَفْعِ العَذابِ عَنْ أَنْفُسِهِم ؟

٥ـ اذْكُرِ السُّنَّةَ الرَّبانيَّةَ الَّتي ذَكَرَتْها الآياتُ بالنِّسبةِ لِلمُرْسَلينَ جميعاً .

٦ـ كَيْفَ يَجْعَلُ اللهُ بَعْضَ النَّاسِ فِتنةً لِبَعْضٍ ؟ وما مَوْقِفُ المُؤْمِنينَ مِنْ تلكَ الفِتنةِ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ يَتبرأُ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّنْ أَلَّهُوهُ وَعَبَدُوهُ . سَجِّلِ الآيتينِ : ١١٦ـ١١٧ مِنْ سورةِ المَائِدةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهُمَا بَراءَتَه مِنهُمْ .

٢ـ مَاذا تَقولُ عِنْدَمَا ترىٰ رَجُلاً أَعْلَمَ مِنْكَ ، وَعِنْدمَا تَرىٰ رَجُلاً غَنياً يُنْفِقُ مِنْ مالهِ في سبيلِ اللهِ ؟ سجِّلْ ذلِكَ في دفْتَرِكَ ، مُسْتَفيداً مِنْ تَوجيهِ الآيةِ رقم (٢٠) .

* * *

## الدَّرْسُ السَّادِسُ

# سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

لاَ يَرْجونَ لِقاءَنا : لاَ يَنْتَظِرُونَ لِقاءَ اللهِ لإِنْكارِهِمُ الْبَعْثَ .

عَتَوْا عُتُوّاً كَبيراً : تَجاوَزوا الْحَدَّ فِي الطُّغْيانِ .

لاَ بُشْرىٰ يَوْمئذٍ لِلْمُجْرِمينَ : لاَ يَسْتَبْشِرُونَ بِخَيْرٍ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمَلاَئِكَةِ .

جَعَلْناها هَباءً مَنْثُوراً : جَعَلْناها كَالْغُبارِ الْمُتَناثِرِ فِي الْهَواءِ ، لَيْسَ لَهُ وَزْنٌ وَلاَ قيمَةٌ .

أَحْسَنُ مَقيلاً : أَحْسَنُ إِقامَةً .

تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ : تَتَفَتَّحُ السَّماءُ وَيَخْرُجُ مِنْها السَّحابُ الأَبْيَضُ الرَّقيقُ .

عسيراً : شَديداً صَعْباً .

### التَّفْسيرُ :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقةُ بَعْضَ اعْتِراضاتِ الكُفَّارِ علىٰ رسُولِ اللهِ ﷺ . وتَذْكُرُ هٰذهِ الآيَةُ بَعْضَ

المطالِبِ الَّتي طَلبُوها ، إمْعاناً في الكُفْرِ والتَّعنُّتِ .

وَوَصفتْهُمُ الآيةُ بأَنَّهُمْ لا يَنْتَظِرونَ لِقاءَ اللهِ فِي الآخِرَةِ ، لأنَّهُم يُنْكِرونَ البَعْثَ ، ولاَ يَحْسِبونَ حِساباً لِيومِ القِيامَةِ ، وهـٰذا يَجْعَلُهُم يَقْتَرِحُونَ اقتراحاتٍ عَجيبةً سَخيفَةً .

ومِمَّا طَلبوهُ : أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ مِنَ السَّماءِ ، فَيروْها بِعيونِهِمْ ، ويَسْمَعوا كلامَها . وأنْ يروا اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ بعيونِهِمْ ، ويَسْمعُوا كَلامَهُ!

والسَّبَبُ الَّذي دَفعَهُمْ إلىٰ هـٰذيْنِ الطَّلَبيْنِ هُوَ الاسْتِكْبارُ والتَّمرُّدُ . فالقَوْمُ اسْتَكبرُوا في أنفسِهِمْ ، ورَأَوْها كبيرَةً مُؤَهَّلَةً لاسْتِقْبالِ المَلائِكَةِ ورُؤْيَةِ اللهِ ، وهُمْ عتَوْا وتمرَّدُوا ، وأفْسَدُوا وطَغَوْا وبَغَوْا .

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

ثُمْ تَرُدَّ الآيةُ علىٰ طَلَبِ الكُفَّارِ رُؤْيَةَ اللهِ ، لأنَّ اللهَ لا يُمْكِنُ أنْ يُرى في الدُّنيا ، وَبيَّنتِ الآيةُ أَنَّهُمْ لا يُسَرُّونَ ولا يَستبشِرونَ بالخَيْرِ عِندَما يُنْزِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةَ ، لأنَّها تَنْزِلُ بالعَذابِ ، وتَقولُ لَهُم : أيُّها الكافِرونَ المُجْرِمونَ : لا بُشرىٰ اليَوْمَ لكُمْ ، ومُحَرَّمٌ عَلَيْكُمُ الفلاحُ ، وأَنْتُمْ مَحْرومونَ مِنَ الخَيْرِ .

والمَلائِكَةُ تَنْزِلُ علىٰ الكُفَّارِ بالعَذابِ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً عِنْدَ احْتِضارِهم ، إذْ تَنْزِلُ لِتَتوفَّاهُمْ وتَقْبِضُ أرواحَهُمْ ، فَتَضْرِبُ وُجوهَهُمْ وأَدْبارَهُم . والمَرَّةَ الثَّانيةَ عِنْدَما تَسوقُهُمْ إلى عَذابِ جهنَّمَ يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

المَلائِكَةُ تَقولُ لِلكُفَّارِ : لا بُشرىٰ لكُمْ ، والفَلاحُ مُحرَّمٌ عَلَيْكُمْ ، وأعْمَالُ الكُفَّارِ ضَائِعةٌ ذاهِبَةٌ ، فَمَنْ يَعْمَدُ إليْها يَوْمَ القِيامةِ ، فَيُبَدِّدُها ويَذْرُوها ، ويَجْعَلُها هَباءً منثوراً ذاهِباً في الهَواءِ ، فلا يستفيدونَ مِنها شَيْئاً ، بَلْ تكونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً .

والهَباءُ المَنْثورُ هُو ما يُرىٰ مِنْ ذَرّاتٍ مُتناثِرَةٍ في شُعاعِ الشَّمسِ عِنْدَما يَدْخُلُ مِنَ النَّافِذَةِ ، فإذَا قَبَضَ الإنسانُ عَلَيْهِ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً . وهُوَ مِثالٌ لِلشيءِ التَّافِهِ الحَقيرِ ، الَّذي لا يَقْدِرُ صَاحِبُهُ عَلىٰ شيءٍ مِنْهُ .

ولَمْ يَقْبَلِ اللهُ أعْمالَ الكُفَّارِ ، لأنَّها فَقَدتِ الشَّرْطَيْنِ الأَساسيَّيْنِ لِقَبولِها ، وهُما : الإخلاصُ للهِ ، والتِزامُ طَريقِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

بينَما يَعيشُ الكُفَّارُ أهوالَ يومِ القيامةِ ، ويُعَذَّبونَ فِي النَّارِ ، وتُرَدُّ عليهم أعمالُهُمْ ، يَكونُ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ آمِنينَ مُطْمَئِنِّينَ في الجَنَّةِ .

وفَرْقٌ بيْنَ وُجودِ الكُفَّارِ السَّيىءِ في جَهَنَّمَ ، الَّتي قالَ اللهُ عنْها : ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان : ٦٦] وبيْنَ اسْتِقْرارِ المُؤْمِنينَ الآمِنِ في الجَنَّةِ ، فإنَّها خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وأحْسَنُ مَقيلاً .

قالَ ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : مَا هِيَ إلا سَاعةٌ لِلحِسابِ ، فيُقْبِلُ أولياءُ اللهِ على الأَسِرَّةِ ، مَعَ الحُورِ العينِ ، ويُقْبِلُ أَعْداءُ اللهِ مَعَ الشَّياطينِ مُقرَّنينَ[1] .

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ عنْ بعضِ الأحْداثِ العَظيمةِ الَّتِي تكونُ يَوْمَ القِيامةِ ، فالسَّماءُ تَتشقَّقُ وَتَتفتَّحُ ، وَيَخْرُجُ مِنْ شُقوقِها السَّحابُ الأبيضُ الرَّقيقُ ، الَّذي يَكونُ غَماماً يُغطِّي الجَوَّ . وتَنْزِلُ المَلائِكةُ على الجِنِّ والإنسِ المَوْقوفينَ لِلْحِسابِ فَتُحيطُ بِهِمْ . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والمَلائِكة وَقُضِيَ الأَمْرُ وإلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمورُ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ .

المُلْكُ كُلُّهُ يَوْمَ القيامةِ للهِ وَحْدَهُ ، لا يُشارِكُهُ فيهِ أَحَدٌ ، فَهُوَ مَالِكُ يومِ الدِّينِ .

رَوَىٰ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ عنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيامةِ » وَيطوي السَّماءَ بِيَمينِهِ ، ثُمَّ يَقولُ : « أنَا المَلِكُ ، أينَ مُلوكُ الأرضِ ؟ »[2] .

ويومَ القيامةِ عَسيرٌ شَديدٌ شَاقٌّ صَعْبٌ على الكُفَّارِ ، لأنَّ اللهَ يُحاسِبُهُمْ عَلى جرائِمِهِمْ ، ويَجزيهِمْ بها سوءَ العَذابِ في النَّارِ . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقورِ فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسيرٌ على الكافِرينَ غَيْرُ يَسيرٍ﴾ [المدثر : ٨ـ١٠] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٣٠٤ .

(٢) أخرجه البخاري . كتاب الرقاق . باب : يقبض الله الأرض يوم القيامة . برقم : ٦٥١٩ . ومسلم . كتاب صفة القيامة والجنة والنار . برقم : ٢٧٨٧ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ عِنادُ الكُفَّارِ واسْتِكبارُهُم قادَهُم إلى العُتُوِّ والظُّلْمِ والفَسادِ .

٢ـ المَلائكةُ لا تَنْزِلُ علىٰ الكُفَّارِ إلاَّ بالعَذابِ .

٣ـ أعْمَالُ الكُفَّارِ ضَائِعةٌ لا تنفعُهُمْ وذاهِبَةٌ لا تُقْبَلُ مِنْهُمْ ، بسبَبِ كُفْرِهِمْ .

٤ـ يَوْمُ القِيامةِ عَسيرٌ شاقٌّ علَى الكُفَّارِ ، ولابدَّ مِنْ أنْ يخافَهُ المُؤمِنُ .

٥ـ المُؤمِنونَ مُنعَّمونَ في الجَنَّةِ ، والكُفَّارُ مُعذَّبونَ في النَّارِ .

## التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ تَنْزِلُ المَلائِكةُ علىٰ الكُفَّارِ بالعَذابِ مَرَّتيْنِ . اذكرْهُما .

٢ـ مَا مَعنَىٰ قولهِ تعالىٰ : ﴿وَيَقولونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ ؟

٣ـ اذْكُرِ الشَّرْطَيْنِ لِقَبولِ الأَعْمالِ عِنْدَ اللهِ . ولماذَا لمْ يقبلِ اللهُ أعْمَالَ الكُفَّارِ ؟

٤ـ متىٰ وكيفَ تَتشقَّقُ السَّماءُ بالغَمامِ ؟ وما المُرادُ بالغَمامِ الَّذي تتشقَّقُ بِهِ ؟

٥ـ لِماذا يَكونُ يَوْمُ القِيامةِ شَديداً علىٰ الكُفَّارِ ؟

٦ـ مَاذا طلبَ المُشْرِكونَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟

٧ـ قَارِنْ بَيْنَ ما يكونُ عليهِ المُؤْمِنونَ والكافِرونَ يَوْمَ القيامةِ .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك الآيَةَ ( ٥ ) مِنْ سورةِ الأَنْفالِ ، واسْتَخْرِجْ مِنها ما تَقولُهُ المَلائِكةُ لِلكُفَّارِ وما تفعَلُهُ بِهِمْ عِنْدَ قَبْضِ أَرْواحِهِمْ .

٢ـ سَجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ الآيَةَ الأخيرةَ مِنْ سورةِ الكَهْفِ ، واسْتَخرِجْ مِنْها الشَّرْطَيْنِ الشَّرعيَّيْنِ لِقَبولِ الأعمالِ عِنْدَ اللهِ .

* * *

## الدَّرسُ السَّابِعُ

# سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

سَبيلاً : طَريقاً إِلَىٰ الإِيمانِ .

خَليلاً : صاحِباً وصَديقاً .

خَذولاً : يَخْذِلُ الإِنْسانَ ويَصْرِفُهُ عَنِ الإِيمانِ .

مَهْجوراً : مَتْروكاً .



### التَّفسيرُ :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يَوْمُ القِيامةِ عَسيرٌ شاقٌّ عَلَىٰ الكافِرينَ ، لِما فيهِ مِنْ عذابٍ شَديدٍ لَهُمْ ، وكلُّ كافِرٍ ظالِمٍ مِنْهُمْ يَتحسَّرُ حَسْرَةً شَديدةً ، ويَنْدَمُ نَدماً بالِغاً ، لِمايَرىٰ ما يَنْتَظِرُهُ مِنَ العَذابِ ، مُقابلَ نَجاةِ المُؤْمِنينَ .

هذا الظَّالِمُ النادِمُ يَعَضُّ علىٰ يَدَيْهِ ، وهُوَ يُعْلِنُ نَدَمَهُ وأسَفَهُ ، ويُصرِّحُ بِحُزنِهِ وأَساهُ .

يقولُ : يا لَيتَنِي آمَنْتُ ، واتَّبَعْتُ الرَّسولَ ﷺ ، وسِرْتُ مَعَهُ في طريقِ الهُدَىٰ ، ولو فَعَلْتُ ذٰلِكَ فِي الدُّنيَا لَنَجَوْتُ اليَوْمَ ، ودَخلْتُ الجَنَّةَ مَعَ المُؤْمِنينَ .

﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ويُتابعُ الظَّالِمُ إعلانَ نَدَمِهِ وَحَسْرَتِهِ ، فبَعْدَما تَمنَّىٰ لوْ كانَ آمَنَ وتابعَ الرَّسولَ ﷺ ، يَتمنَىٰ لوْ لَمْ يُصادِقْ صَاحِبَهُ الكَافِرَ في الدُّنيا ، ولوْ لَمْ يتخذْهُ خَليلاً رَفيقاً .

وصَاحِبُهُ الَّذي أضَلَّهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً أكيدةً ، لأنَّهُ اتَّخذَهُ خَليلاً وَرَفيقاً ، لٰكنَّهُ يُعبِّرُ عنهُ بالنَّكِرَةِ ﴿لَيْتني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَليلاً﴾ وهٰذا التَّنْكِيرُ لِلتَّحقيرِ ، بِسَبَبِ ما جَرَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الخَسارةِ .

﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

وَيَعْتَرِفُ الظَّالِمُ النَّادِمُ أَنَّ خَليلَهُ دَعاهُ إلىٰ الكُفْرِ فاسْتَجابَ لَهُ ، وبذٰلِكَ أضَلَّهُ عَنِ القُرْآنِ ، وأبْعَدَهُ عَنِ الإيمانِ ، فَصارَتْ صُحْبَتُهُ لَهُ خَسارَةً وصَدّاً عَنْ سبيلِ اللهِ .

وخَليلُهُ الكافِرُ شَيْطانٌ ، لِذٰلكَ خَذَلَهُ عَنِ الإيمانِ ، وكلُّ شَيطانٍ خَذولٌ لِلإنسانِ ، سَواءٌ أكانَ مِنْ شَياطينِ الإنْسِ أمْ مِنْ شَياطينِ الجنِّ ، يَصْرِفُهُ عَنِ الحَقِّ ، ويُبْعِدُهُ عنِ الهُدَىٰ ، ويُوقِعُهُ في الكُفْرِ والضَّلالِ ، ولا يَكْتَشِفُ خِذلانَهُ إلاَّ يَوْمَ القِيامةِ ، فيَنْدَمُ نَدامةً شَديدةً . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرينٌ وإنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبيلِ وَيَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ حتَّى إذا جاءنا قَالَ يا لَيْتَ بَيْني وَبَيْنَك بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرينُ﴾ [الزخرف : ٣٦ـ٣٨] .

وهٰذهِ الآياتُ نازِلةٌ في عُقْبةَ بنِ أَبي مُعَيْطٍ حينَ أَوْشَكَ أنْ يُسْلِمَ ، لكنَّ خَليلَهُ أُمَيَّةَ بنَ خلفٍ نَهاهُ عَنْ ذٰلِكَ فاسْتَجابَ لَهُ ، وهِيَ لَيْسَتْ خاصَّةً بهِ ، وإنَّما هِيَ عامَّةٌ ، تَنْطَبِقُ علىٰ كُلِّ ظالِمٍ كافرٍ متَّبِعٍ لِلشيطانِ .

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ .

يَشكُو رَسولُ اللهِ ﷺ إِلَى ربِّهِ هَجْرَ قَوْمِهِ لِلقرآنِ ، وانْصِرافَهُم عَنْهُ ، مَعَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ إِلَيْهِم نوراً وهُدىً وَرَحْمَةً .

وهَجْرُ القُرآنِ لَهُ صورٌ :

١ـ فمِنْ هَجْرِ القُرآنِ الكفرُ بهِ وإنكارُ أَنْ يكونَ كلامَ اللهِ ، وهٰذا مِنْ فِعْلِ الكُفَّارِ .

٢ـ ومِنْ هَجْرِ القُرآنِ عَدَمُ تلاوتِهِ وتَدبُّرِهِ وفَهْمِهِ ، وهٰذا قدْ يَصْدُرُ عَنْ بَعْضِ المُسْلِمينَ .

٣ـ ومِنْ هَجْرِ القُرآنِ عدمُ العَمَلِ بأحْكَامِهِ ، والتزامِ أوامرِهِ ، واجْتِنابِ نَواهيهِ .

٤ـ ومِنْ هَجْرِ القُرآنِ عَدَمُ جَعْلِهِ مِنهاجاً لِحياةِ المُسْلِمينَ ودُسْتوراً لِلدَّولةِ ، ومَصْدَرَ تَشْريعاتِها .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ ﴾ .

بعد أنْ شَكا الرَّسولُ ﷺ إِلَىٰ اللهِ هَجْرَ قومِهِ الكُفَّارِ لِلقُرآنِ وتَكْذيبَهُمْ لَهُ ، واساهُ اللهُ سُبحانَهُ

وَتعالَىٰ ، وبيَّنَ لَهُ أنَّهُ لَيسَ وَحْدَهُ الَّذي يُواجِهُ الأَعْداءَ المُجْرِمينَ ، فكَما جَعَلَ اللهُ لَهُ أعداءً مُجْرِمينَ ، كذٰلِكَ جعَلَ لِكُلِّ نبيٍّ قَبْلَهُ أعداءً مُجْرِمينَ ، فَهـٰذهِ سُنَّةُ اللهِ المُطَّرِدَةُ فِي جَميعِ الرُّسلِ والرِّسالاتِ .

والَّذينَ يُعادونَ الرُّسُلَ مُجْرِمونَ شَياطينُ . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبيٍّ عَدُوّاً شَياطينَ الإِنْسِ والجِنِّ . .﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وطَمْأَنَ اللهُ رسولَهُ ﷺ بأَنَّ أعداءَهُ المُجْرِمينَ لَنْ يضرُّوهُ شَيْئاً ، لأنَّ اللهَ مَعَهُ ، يَهديهِ وَيُوَفقُهُ ، وينصرُهُ ويَحْفَظُهُ ، وكفَىٰ باللهِ هادِياً ونَصيراً .

وسُنَّةُ اللهِ في الدَّعَواتِ أَنَّ أصْحابَها الدُّعاةَ لابدَّ وأنْ يُواجَهُوا بِالأعْداءِ المُجْرِمينَ ، ولكنَّ اللهَ مَعَهُمْ ، وعَلَيْهِمْ أنْ يَقْتَدُوا بالرُّسُلِ ، فَيَصْبِروا ويثبُتوا ، وَيتوكَّلوا علَىٰ اللهِ ، وَينتظِروا النَّصْرَ مِنَ اللهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كُلُّ كافِرٍ يَنْدَمُ يَوْمَ القيامةِ .

٢ـ علَى المُسْلمِ أنْ يُحْسِنَ اختيارَ رَفيقهِ ، وأنْ لا يُصادِقَ سَيِّئاً لِئَلا يُضِلَّهُ .

٣ـ المُسْلِمُ يَحْذَرُ الشَّيْطانَ ، ولا يَستجيبُ لِوساوسِهِ لأنَّهُ خَذولٌ .

٤ـ يَحْرِصُ المُسْلِمُ علَىٰ عَدَمِ هَجْرِ القُرآنِ ، فيُكْثِرُ مِنْ تِلاوَتِهِ وتَدبُّرِهِ ، وتَطبيقِ أحْكامِهِ .

٥ـ لابدَّ لِلصَّالِحينَ مِنْ أعْداءٍ ظَالِحينَ .

## التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا يَعَضُّ الظَّالِمُ علَىٰ يَديهِ يَوْمَ القِيامةِ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ أُمنيَّتَيْنِ يَتمنَّاهُما كُلُّ ظالِمٍ يَوْمَ القِيامةِ .

٣ـ مَنِ الَّذي نَزَلَتْ فيهِ آياتُ الدَّرسِ ؟

٤ـ اذْكُرْ أَرْبَعَ صُوَرٍ مِنْ هَجْرِ المُسلمينَ لِلقُرآنِ .

٥ـ ما سُنَّةُ اللهِ في الدَّعَواتِ ؟ وكَيْفَ يَتعامَلُ الدُّعاةُ مَعَها لِينتصِروا ؟

## تَعَلَّمْ :

ذَكَرَ ابنُ أبي حاتِمٍ في تَفسيرِهِ عَنْ قتادةَ ، في سَببِ نُزولِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ..﴾ قالَ : كانَ عُقْبَةُ بنُ أبي مُعيْطٍ يأتِي إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فَلَقِيَهُ أميةُ بنُ خلفٍ ، وكانَ لهُ صَدِيقاً . فلَمْ يَزَلْ أُميةُ بهِ حتَّىٰ صَرَفَهُ وصدَّهُ عَنِ المَجيءِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، فأَنْزَلَ اللهُ فيهما قَوْلَهُ تعالىٰ : ﴿ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدْيهِ يَقولُ يَا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسولِ سَبيلاً يا وَيْلَتا لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً﴾ ( تفسير ابن أبي حاتم : ٨ : ٢٦٨٤ ) .

## نَشاطٌ :

١ـ الأخِلاَّءُ يومَ القِيامةِ نَوعانِ : أعْداءٌ وأحْبابٌ : بيِّنْ متَىٰ يَكونونَ أعْداءً ، ومتىٰ يكونونَ أحباباً ؟ واستعِنْ في إجابتِكَ بالآيةِ ( ٦٧ ) منْ سورةِ الزُّخرُفِ واكتبِ الإجابةَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ ماذا تَفْعَلُ حتَّىٰ لا تَكونَ هاجِراً لِلْقُرآنِ الكَريمِ ؟ اكتُبِ الإجابةَ فِي دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدرس الثامن

## سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

جُمْلَةً وَاحِدَةً : دُفْعَةً وَاحِدَةً فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ .

لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ : لِنُثَبِّتَكَ عَلَىٰ الحَقِّ .

رَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً : بَيَّنَاهُ وَفَصَّلْنَاهُ .

لاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ : لاَ يُقَدِّمُونَ شُبْهَةً أَوْ اعْتِراضاً .

يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجوهِهِمْ : يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجوهِهِم .

شَرٌّ مَكاناً : مَكَانُهُم شَرٌّ ، لأَنَّهُ نارُ جَهَنَّمَ .

### التفسير :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ هَجَرُوا القُرآنَ وكَفَروا بهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَثاروا حَوْلَهُ شُبهاتٍ ، واعْتَرَضوا علَيْهِ اعْتِراضاتٍ ، لم يُعجِبْهُمْ إنزالُ القُرآنِ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ مُفَرَّقاً ، حَسَبَ الحَوادِثِ والحاجاتِ .

ومِنَ المَعْلومِ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ الكُتُبَ السَّابِقَةَ علَىٰ رُسُلِهِ دُفْعَةً واحِدَةً ، بينَما أَنْزَلَ القُرآنَ علىٰ رَسولِهِ

مُحمَّدٍ ﷺ مُنجَّماً ، واستَمرَّ نزولُهُ ثلاثَ عشْرَةَ سَنةً في مَكَّةَ ، وعَشْرَ سَنواتٍ في المَدينةِ .

اقترَحوا أنْ يكونَ نزولُ القُرآنِ جُملةً واحِدةً ، وقالُوا : هَلاَّ أُنزِلَ القُرآنُ عَلَىٰ مُحمَّدٍ ﷺ دُفْعَةً واحِدةً ، كَمَا أُنْزِلَتِ الكُتبُ السَّابِقةُ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

هـٰذا ردٌّ علَىٰ اعْتِراضِ الكُفَّارِ السَّابقِ ، فاللهُ أنزَلَ القُرآنَ مُفرَّقاً ، لِيُثبِّتَ به قَلْبَ النَّبيِّ ﷺ علَىٰ الحَقِّ ، فيزدادَ ثِقةً ويَقيناً وهِمَّةً وعَزيمةً .

وقَدْ رَتَّلَ اللهُ القُرآنَ تَرْتيلاً ، تَتوالَىٰ آياتُهُ ، وتَتابَعُ سُوَرُهُ ، فَجاءَ مُفصَّلاً مُبيَّناً ، مُيَسَّراً لِلتلاوةِ والحِفْظِ ، والتَّطبيقِ والتَّنفيذِ ، فتربَّىٰ الصَّحابةُ عَليْهِ ، ونفَّذوا أَحْكامَهُ .

قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ : كانَ يَنْزِلُ علَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ الآيةُ والآيتانِ والآياتُ ، إذا سَأَلَهُ المُشْرِكونَ عَنْ شَيءٍ ، أنْزَلَ اللهُ الجَوابَ لهُمْ ، وإنْ تَكلّموا علَىٰ النَّبيِّ ﷺ أنْزَلَ الرَّدَّ عَليْهِم .

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

كانَ الكُفَّارُ يُثيرونَ الشُّبُهاتِ والاعْتِراضَاتِ على القُرْآنِ والرِّسالةِ ﷺ ، بِهَدَفِ صَرْفِ النَّاسِ عَنِ الحَقِّ .

وَاللهُ يُطَمْئِنُ رَسولَهُ ﷺ أَنَّهُ مَعَهُ ، يُقدِّمُ لَهُ الحُجَّةَ البالِغَةَ ، الَّتي يُبْطِلُ بِها شُبُهاتِ الكُفَّارِ واعْتِراضاتِهم .

والكُفَّارُ يُجادِلونَ بالباطِلِ ، أمَّا اللهُ ـ سُبحَانَهُ وتَعالَىٰ ـ فإنَّهُ يَمُدُّ رَسولَهُ ﷺ بالحَقِّ الواضِحِ ، والحُجَّةِ البالِغةِ ، والتَّوجيهِ السَّليمِ ، والتَّفْسيرِ الأحْسَنِ .

قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ في معنَىٰ الآيةِ : « لا يَأْتونَكَ بحُجةٍ وشُبْهَةٍ ولا يَقولونَ قَوْلاً يُعارِضونَ بهِ الحقَّ ، إلاَّ أَجَبْناهُمْ بِمَا هُوَ الحَقُّ في الأمرِ نَفْسِهِ ، وهُوَ أبْيَنُ وأوْضَحُ وأفصحُ مِنْ مَقالتِهم » .

﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾ .

أثارَ الكُفَّارُ الاعْتِراضاتِ علىٰ القُرآنِ ، وألغَوْا عُقولَهُم فَلَمْ يُؤمِنوا بهِ ، ولم يَسْتَجيبُوا لِمنطِقهِ القَويِّ المُقنعِ ، وجَادَلوا بالباطِلِ لِيُبطِلوا بهِ الحقَّ .

وَبذلكَ اسْتَحقُّوا أنْ يُحْشَروا يومَ القِيامةِ علَىٰ صُورةٍ عَجيبةٍ ؛ فبينَما يُساقُ النَّاسُ ويُحشرونَ وهم يَمشونَ علَىٰ أقدامِهم ، يُحشَرُ هـٰؤلاءِ وهُمْ يَمْشونَ علَىٰ وُجوهِهِمْ!

أنتَ ترَىٰ النَّاسَ فِي الدُّنيا يَمْشونَ علَى أَرْجُلِهِمْ ، وقَدْ يَمشِي بعضُهُم علَىٰ أيديهِمْ ، كما يَحْصُلُ

في الرِّياضةِ والاسْتِعْراضِ و« السِّيركِ » ، ولا ترَىٰ إِنْساناً في الدُّنيا يَمشِي علَىٰ وَجْهِهِ!

أمَّا هـٰذَا الصِّنْفُ مِنَ الكُفَّارِ فإِنَّهُم يُحْشَرونَ يَوْمَ القِيامةِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، وَيَمْشُونَ عَلَىٰ وُجوهِهِمْ فِي طريقِهِمْ إِلَيْها! وذٰلِكَ لِلْمُبالَغةِ في إِهانَتِهِمْ وإِذلالِهِمْ وتَحْقيرِهِمْ .

لِماذا حَشْرُهُم عَلىٰ وجوهِهِم ؟

لأنَّهُم انْقلَبوا في الدُّنيا عَنْ مَنْطِقِ الحَقِّ القَوِيِّ ، واتَّبعُوا الباطِلَ ، فناسَبَ أنْ ينقلِبوا يَوْمَ القِيامةِ ، فَيسيرُوا عَلَىٰ وُجوهِهِمْ! ولقدِ اسْتَكْبَروا في الدُّنْيا ، ورَفضُوا أنْ يُخضِعُوا وُجوهَهَم للهِ ، فناسَبَ أنْ يُحْشَروا علَىٰ وُجوهِهِمْ ، لِتَذِلَّ وتُهانَ تِلكَ الوُجوهُ المُتكبِّرةُ القَبيحةُ .

وهـٰؤلاءِ الأَذِلاَّءُ المَحْشورُونَ علَىٰ وُجوهِهِمْ كانُوا فِي الدُّنيا هُمُ الأضَلَّ سبيلاً ، والأَكْثَرَ ابتعاداً عنِ الحَقِّ ، فصارُوا في الآخِرَةِ شرّاً مَكاناً ، لأنَّهم ذاهِبونَ إِلىٰ جَهنَّمَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ مِنْ عِنادِ الكُفَّارِ كَثْرةُ اعْتِراضاتِهِمْ علَىٰ القُرآنِ ، مِنْها طَلَبُهُمْ إنزالَ القُرْآنِ جُمْلَةً واحِدةً .

٢ ـ مِن حِكَمِ إِنزالِ القُرآنِ مُنَجَّماً تَثْبيتُ فُؤادِ النَّبيِّ ﷺ والمُؤْمنينَ .

٣ ـ الحُجَّةُ القُرآنيَّةُ قويَّةٌ بالِغَةٌ تُبطِلُ شُبْهَةَ البَاطِلِ وتَدْحَضها .

٤ ـ اللهُ مَعَ رَسولهِ ﷺ يمدُّهُ بالحُجَّةِ التي يَغلِبُ بِها الكُفَّارَ .

٥ ـ بَعْضُ الكُفَّارِ يُحْشَرونَ يَوْمَ القِيامةِ علَىٰ وُجوهِهِمْ إلى النَّارِ إِذْلالاً وتَحْقيراً لَهُمْ .

## التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ ـ اذْكُرْ حِكْمَتَيْنِ لإِنزالِ القُرآنِ مُنجَّماً .

٢ ـ كَيْفَ يُثَبَّتُ فؤادُ النَّبيِّ ﷺ بالآياتِ القُرآنيةِ الجديدةِ النَّازلةِ ؟

٣ ـ لِماذا لا يَقِفُ البَاطِلُ أمامَ قُوّةِ الحَقِّ ؟

٤ ـ لِماذَا يُحْشَرُ الكُفَّارُ علَىٰ وُجوهِهِم إلىٰ جَهنَّمَ ؟

٥ ـ هاتِ آيةً أُخرَىٰ صَريحَةً في حَشْرِ الكُفَّارِ على وُجوهِهِم .

## اقرأْ وتدبَّرْ :

رَوىٰ البُخَارِيُّ ومسلمٌ عَنْ قَتادَةَ قالَ : حَدَّثَنا أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يا نَبِيَّ اللهِ : كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ علىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَىٰ الرِّجْلَينِ فِي الدُّنْيَا قَادِراً عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ »

قَالَ قَتَادَةُ : بَلَىٰ ، وَعِزَّةِ رَبِّنَا[1] .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفترِكَ الآيَةَ رقم ( ١٠٦ ) من سورةِ الإسراءِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها حِكْمَةً أُخرَىٰ لِنُزولِ القُرآنِ مُنَجَّماً .

٢ـ في آخرِ سورةِ الإسراءِ آيةٌ صَريحَةٌ في حَشْرِ الكُفَّارِ علىٰ وُجوهِهِم عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً . سَجِّلْها فِي دفتَرِك ، ثُمَّ اذكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٣٤) .

* * *

(١) أخرجه البخاري . كتاب التفسير . تفسير سورة الفرقان . حديث رقم : ٤٧٦٠ . ومسلم . كتاب صفات المنافقين . باب حشر الكافر على وجهه . حديث رقم : ٢٨٠٦ .

# الدرس التاسع

## سورة الفرقان ـ القسم التاسع

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

### معاني المفردات :

وَزيراً : مُعاوِناً وَمُساعِداً .

فَدَمَّرْناهُمْ : فَأَهْلَكْناهُمْ .

آيةً : عِبْرَةً وَمَوْعِظَةً .

أَعْتَدْنا : أَعْدَدْنا وَهيَّأْنا .

أَصْحابَ الرَّسِّ : أَصْحابَ الْبِئْرِ .

قُرُوناً : أُمَماً وَجماعاتٍ .

تَبَّرْنا تَتْبِيراً : أَهْلَكْنا إِهْلاكاً عَجيباً .

الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ : قَرْيَةِ قوم لُوطٍ أَهْلَكَها اللهُ بِإِنْزالِ الْحِجارَةِ عَلَيْها مِنَ السماءِ كَالْمَطَرِ .

لاَ يَرْجونَ نُشوراً : لاَ يَنْتَظِرُونَ بَعْثاً بَعْدَ الْمَوْتِ .

### التفسير :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ القُرآنَ لِيُثَبِّتَ قَلْبَ رَسولِ اللهِ ﷺ وذَكَرَتْ هذهِ الآياتُ أَخْبارَ الأنبياءِ السَّابِقينَ ، ومَا لاَقَوْهُ مِنْ أَقْوامِهِم ، لِتَسلِيَةِ الرَّسولِ ﷺ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

إذَا كَانَ الكُفَّارُ قَدِ اعْتَرَضُوا علىٰ القُرآنِ ، فإنَّ القُرْآنَ لَيْسَ كِتابَ اللهِ الوَحيدَ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ قَبْلَهُ كُتُباً علىٰ رُسُلِهِ .

فموسىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بعثَهُ اللهُ رسولاً ، وأنْزَلَ عَلَيْهِ كِتابَهُ التَّوراةَ ، وجَعَلَ معَهُ أخاهُ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَبيّاً ، وأمَرَهُ أنْ يَكونَ وَزيراً مَعَهُ ، ومُسَاعِداً ومُعاوِناً لَهُ .

وكانَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قدْ طَلَبَ مِنَ اللهِ أنْ يَجْعَلَ هارونَ وَزيراً لَهُ وَيَبْعَثَهُ معَهُ إلىٰ فِرعونَ . قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿واجْعَلْ لي وَزِيراً مِنْ أَهْلي هارونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْهُ في أَمْرِي . . ﴾ [طه : ٢٩ـ٣١] .

وأَمَرَ اللهُ مُوسَىٰ وهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ بالذَّهابِ إلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، وقدْ كَانوا ظالِمينَ كافِرينَ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْ مُوسىٰ وهارونَ دَعْوَتَهُما ، وكذَّبوا بآياتِ اللهِ ، وزادوا مِنَ اضْطِهادِ بَنِي إسرائيلَ .

ولمَّا أَمَرَ اللهُ موسىٰ ـ عليهِ السلامُ ـ بالخُروجِ بِبني إسرائيلَ مِنْ مِصْرَ ، لَحِقَهُمْ فِرْعَوْنُ وجُنودُهُ ، لِيَقْضُوا عَلَيْهِمْ ، ولـٰكِنَّ اللهَ أنجىٰ بَنِي إسرائيلَ ، وأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وقَوْمَهُ ، ودمَّرَهُمْ تَدميراً .

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

كَما أَهْلَكَ اللهُ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ ، أَهْلَكَ قَوْمَ نوحٍ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وقدْ كانُوا كافِرينَ ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُمْ نوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ نبيّاً ، ولكنَّهُمْ كَفرُوا بهِ وكذَّبُوهُ ، ولمَّا جاءَهُمْ عَذابُ اللهِ أنجىٰ اللهُ نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والَّذينَ آمنُوا مَعَهُ بالسَّفينَةِ ، وأغْرَقَ الكَافِرينَ بالطُّوفانِ ، وجَعَلَ اللهُ ذٰلِكَ آيةً وعِبْرَةً لِلنَّاسِ ، كُلَّما تَذكَّروها اعتبروا واتَّعظُوا ، وأَقبَلُوا علىٰ الإيمانِ ، وتخلَّوْا عَنِ العِصْيانِ .

والطُّوفانُ هُوَ عَذابُ قَوْمِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في الدُّنيا ، وأمَّا عَذابُهُمْ في الآخِرَةِ فإنَّهم سَوْفَ يَخْلُدُونَ في نارِ جهنَّمَ .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

بعدَ إهلاكِ قَوْمِ نوحٍ بالطُّوفانِ ، جاءَ اللهُ بِقَوْمِ عَادٍ ، ولمَّا كَفَروا بَعَثَ اللهُ لَهُمْ أخاهُمْ هوداً نبيّاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فكذَّبُوهُ فأوقعَ اللهُ بهِمُ الهَلاكَ والدَّمارَ . وجاءَ بقومِ ثَمودَ بعدَهُمْ ، ولمَّا كفروا بَعَثَ لَهُم أخاهُم صالِحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فكذَّبُوهُ فأَوْقَعَ اللهُ بِهِمُ العَذَابَ .

ومِنَ الأَقْوامِ الكُفَّارِ الَّذينَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ أَصْحابُ الرَّسِّ ، والرَّسُّ البِئْرُ المَطويَّةُ بالحِجارَةِ ، ولمَّا

بعثَ اللهُ لَهُم رَسولاً كذَّبوهُ وكَفروا بهِ فأهلَكَهُم اللهُ .

ولَمْ يُخبرْنَا اللهُ عَنْ تفاصيلِ قِصَّةِ أصحابِ الرَّسِّ ، فلا نَعرِفُ عنْهُم إلاَّ هٰذهِ الإشارةَ القُرآنية : ﴿وعاداً وَثَمودَ وأصْحابَ الرَّسِّ . .﴾ .

وقَدْ أهْلَكَ اللهُ أقواماً وأُمَماً وجَماعاتٍ كثيرةً ، كانُوا بعدَ عادٍ وثَمودَ ، بعدَ كُفْرِهِمْ بهِ ، وتكذيبِهِمْ لِرُسُلِهِ ، وهٰذا مَصيرُ كُلِّ مَنْ كفرَ باللهِ وكذَّبَ رُسُلَهُ .

﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ .

الأقوامُ الكافِرونَ السَّابِقونَ لَمْ يُهلِكْهُمُ اللهُ إلاَّ بَعدَمَا بَعَثَ لهُمُ الرُّسُلَ ، وضَرَبَ لَهُمُ الأمْثالَ ، وأَقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَجَ ، فلمَّا رَفَضُوا قَبولَ الحَقِّ وأصرُّوا علىٰ الكُفْرِ ، أَوْقَعَ اللهُ بِهِمْ عَذابَهُ ، فدمَّرَهُمْ تَدْميراً .

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .

ومِنَ الأقْوامِ الّذينَ أهلَكَهُمُ اللهُ لِكُفْرِهِمْ قَومُ لوطٍ ، واللهُ يُذَكِّرُ قُرَيْشاً بِتَدْميرِهِ لِقَرْيَتِهِمْ ، إذْ أمْطَرَ اللهُ عَلَيْها حِجارةً مِنْ سِجِّيلٍ ، وجَعَلَ عَالِيَها سافِلَها ، وقَضَىٰ عَلَىٰ أهْلِها ، وأبقَىٰ آثارَهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

ولقدْ كَانَ كُفَّارُ قُريشٍ يَمرُّونَ علَىٰ قَرْيةِ قَوْمِ لوطٍ المُدمَّرةِ ، ويَروْنَ آثارَها ، وذلكَ في أثناءِ سَفَرِهِمْ لِلتِّجارَةِ إلَىٰ بلادِ الشَّام .

ولكنَّهُمْ لَمْ يعتَبِروا مِمَّا يُشاهِدونَ ، لأنَّهُم كانُوا يُنكِرونَ البَعْثَ ، ولاَ يَرْجونَ لِقاءَ اللهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الحَقُّ يَحْتَاجُ إلى أعْوانٍ وأنْصارٍ كما جَعَلَ اللهُ لِموسى أَخاهُ هارونَ نَصيراً وَوَزيراً .

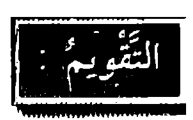
٢ـ تَكْذيبُ الرُّسُلِ ورَفْضُ الحَقِّ يَقودُ إلَىٰ عَذابِ اللهِ .

٣ـ لَمْ يُهلِكِ اللهُ قَوْماً مِنَ الكافِرينَ إلاَّ بَعْدَ إقامةِ الحُجَّةِ عَليهِمْ .

٤ـ يَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ لِبيانِ الحَقِّ والبَاطِلِ وتَفْقيهِ النَّاسِ بِهِما .

٥ـ مُشاهدةُ آثارِ المُعذَّبينَ تُحَقِّقُ العِبْرَةَ والعِظَةَ .

٦ـ عَدَمُ الإيمانِ بالآخِرَةِ يُؤدِّي إلَىٰ قَسْوَةِ القَلْبِ وعَدَمِ الاتِّعاظِ .



## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الحِكْمةُ مِنْ ذِكْرِ أَخْبارِ الأُمَمِ السَّابقةِ فِي القُرآنِ ؟

٢ـ ما معنَىٰ الوزيرِ ؟ وكيفَ كانَ هارونُ وَزيراً لِموسى ـ علَيْهِما السَّلامُ ـ ؟

٣ـ ما العِبْرَةُ التي تَخْرُجُ بِها مِنْ إِهلاكِ الكُفَّارِ السَّابِقينَ ؟

٤ـ ما معنىٰ : « الرَّسِّ » ؟ ومَنْ هُمْ أَصْحابُ الرَّسِّ ؟

٥ـ متَىٰ كانَ اللهُ يُهْلِكُ الكُفَّارَ السَّابقينَ ؟ ولِماذا ؟

٦ـ ما القَرْيةُ التي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ؟ ومتىٰ كانَ كُفَّارُ قُريشٍ يَمرُّونَ عَلَيْها ؟

٧ـ اذْكُرْ ثَلاثَةَ أَقْوامٍ ذَكَرَتْهُمُ الآياتُ الكَريمةُ ، أَهلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ .

## اقرأْ وتدبَّرْ :

مِن لَطائِفِ التَّعبيرِ القُرآنيِّ أَنَّ القُرآنَ أَخبَرَ عَنْ تكذيبِ قَوْمِ نوحٍ لِرَسولِهِمْ بالجَمْعِ ، فقالَ : ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبوا الرُّسُلَ أَهْلَكْناهُمْ﴾ مَعَ أَنَّ اللهَ بَعَثَ لَهُم رَسولاً واحداً هُوَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

والحِكْمَةُ مِنَ التَّعبيرِ بالجَمْعِ أَنَّ مَنْ كذَّبَ رَسولاً واحِداً فقدْ كذَّبَ جَميعَ الرُّسُلِ ، لأَنَّهُ لا فَرْقَ بينَ رَسولٍ ورَسولٍ ، والكُفْرُ بواحِدٍ كُفْرٌ بالجميعِ ، ولَوْ بعثَ اللهُ إِلىٰ قومِ نوحٍ رَسولاً آخرَ غيرَ نوحٍ لكذَّبوهُ ، وهـٰذا يَدُلُّ علىٰ وحدةِ الرِّسالاتِ ، لأَنَّ رسالاتِهِمْ في حقيقتِها واحدةٌ .

## نَشاطٌ :

١ـ اقرأْ آياتِ سورةِ يُونُسَ الَّتِي تَحدَّثَتْ عنْ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، وسجِّلْ مِنها كَيْفيَّةَ هَلاكِ فِرْعَوْنَ ، وماذا قالَ ومَاذَا قيلَ لَهُ فِي اللَّحظاتِ الأخيرةِ مِن حَياتِهِ .

٢ـ اقرأْ آياتِ سورةِ الصَّافاتِ الَّتي تَحدَّثَتْ عنْ إِهلاكِ قومِ لوطٍ ، واسْتَخرِجْ مِنْها وقتَ مُرورِ قُريشٍ عَلَىٰ آثارِهِمْ واكتبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدَّرسُ العاشِرُ

## سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

هُزُواً : اسْتِهْزاءً وَسُخْرِيَةً .

إنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا : يُريدُ أنْ يُبْعِدَنا عَنْ آلِهَتِنا ويَصْرِفَنا عَنْها .

اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ : اتَّبَعَ هَواهُ وَجعلَهُ مَعْبُوداً لَهُ .

وَكِيلاً : حَفيظاً عَلَيْهِ تَمْنَعُهُ مِنَ اتِّباعِ هَواهُ .

هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً : هُمْ أَحَطُّ مِنَ الْبَهائِمِ لِابْتِعادِهِمْ عَنِ الْهُدَىٰ .

### التَّفسيرُ :

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ .

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ اعْتِراضِ الكُفَّارِ علَىٰ القُرْآنِ ، وأَخْبَرَتْ هٰذِهِ الآيَةُ عَنِ اسْتِهزائِهِمْ بِرسولِ اللهِ ﷺ .

يُخْبِرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أَنَّ الكُفَّارَ عِندَما كانُوا يَسْتَهزِئونَ بِهِ ، ويَقولونَ : هلْ هذا الشَّخصُ هُوَ الَّذي اخْتارَهُ اللهُ ، وبَعَثَهُ لَنا رَسولاً ؟

يَقولونَ ذٰلكَ عنْهُ لأنَّهُ فَقيرٌ يَتيمٌ ، والرَّسولُ في نَظَرِهِمْ لابدَّ وأنْ يَكونَ رَجُلاً غَنياً عَظيماً زَعيماً .

يَقولونَ هٰذا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الوَقْتِ الَّذي كانُوا يَجْعلونَهُ قَبْلَ البعْثَةِ فِي أعلَىٰ مَكانةٍ ، وَيصفُونَهُ برجاحَةِ العَقْلِ ، وحُسْنِ الرَّأيِ ، ويُلقِّبونَهُ بالصَّادِقِ الأَمينِ ، ويُشاوِرونَهُ في قَضاياهُمْ ، وَيَأْخُذُونَ بحُكْمِهِ فِي حَلِّ مُشْكِلاتِهِمْ .

فاسْتِهزاؤُهُمْ بِهِ واعْتِراضُهُمْ عليهِ بَعْدَ النُّبوَّةِ مِنْ بابِ حَرْبِهِمْ لِدَعْوَتِهِ ، والوقوفِ أَمامَ دِينهِ!

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

لمْ يَستهزِىء الكُفَّارُ بِالرَّسولِ ﷺ وإنَّما اعْتَبروهُ ضَالاً ، يُريدُ إِضلالَهُمْ وإبعادَهُمْ عنْ عِبادةِ آلِهتِهِمْ .

وهٰذا مِنْ سوءِ نَظَرِ الكُفَّارِ ، فالدَّعْوةُ إِلىٰ تَوْحيدِ اللهِ في نَظَرِهِمْ ضَلالٌ ، وعِبادَةُ الأَصْنام هُدَىً ، والرَّسولُ ﷺ في نَظَرِهِمْ دَاعيةٌ إِلىٰ الضَّلالِ ، ورَفْضُ الحَقِّ فَضيلَةٌ ، والإصرارُ علىٰ الكُفْرِ باللهِ صَبْرٌ مَحْمودٌ!

وهمْ يَعْتَرِفونَ بأَنَّهُمْ بَذَلُوا جُهْدَاً كبيراً في حَرْبِ الرَّسولِ ﷺ ، وصَبْرِهِمْ علَىٰ ما هُمْ عَليْهِ مِنَ الباطِلِ ، وهٰذا بِسَبَبِ قُوّةِ تَأْثيرِ دَعْوَةِ الرَّسولِ ﷺ ، لأنَّها حَقٌّ .

ويُهدِّدُ اللهُ الكُفَّارَ بِالعَذابِ يَوْمَ القِيامةِ ، فإذا كانوا قدْ اعْتَبروا الرَّسولَ ﷺ ضَالاً ، فَسَوْفَ يَعْلَمونَ يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ هُوَ الضَّالُّ ، وذٰلِكَ عِنْدَمَا يَرَوْنَ العَذابَ ، ويُسَاقونَ إِليْهِ ، ويَخْلُدونَ فيهِ ، بَيْنما رَسولُ اللهِ ﷺ مُخَلَّدٌ في النَّعيمِ في الجَنَّةِ .

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

يُواسِي اللهُ رَسولَهُ ﷺ علَىٰ ما يَجِدُهُ مِنَ الكُفَّارِ ، مِنْ عِنادٍ واتِّهامٍ واسْتِهزاءٍ .

إِنَّهُ لَمْ يُقصِّرْ في دَعْوتِهِمْ ونُصْحِهِمْ ، ولكنَّ العِلَّةَ فيهِم ، فَهُم قدِ اتَّخذَوا هَواهُمْ ومِزاجَهم إِلٰهاً يَخْضَعونَ لَهُ ، يُنَفِّذونَ كُلَّ ما يَقْبَلُهُ ويَرْضَاهُ ، ولو كانَ هٰذا الشَّيءُ باطِلاً ، وهَواهُم هُوَ الَّذي دَعاهُمْ إِلىٰ العِنادِ وتَكْذيبِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

ومَنِ اتَّخذَ هَواهُ إِلٰهاً ، فإنَّهُ لاَ يَقْبَلُ حَقّاً ، ولا تَنْفَعُ مَعَهُ دَعْوَةٌ ، وعلَىٰ الدَّاعيةِ أنْ يَدْعوهُ لِيُقيمَ عَليْهِ الحُجَّةَ ، وبهذَا يُؤدِّي واجِبَهُ ، وهُوَ لَيْسَ وَكيلاً عَليْهِ ، ولا يَجِبُ عَليْهِ قَذْفُ الإيمانِ فِي قَلْبِهِ ، ولا يُمْكِنُ أنْ يسوقَهُ إِلىٰ الإيمانِ سَوْقاً .

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

هٰذا اسْتِمْرارٌ في مُواساةِ الرَّسولِ ﷺ وبَيانُ صِفاتِ أعْدائِهِ القَبيحةِ ، يُخْبِرُهُ اللهُ أَنَّ أَكْثَرَ أعْدائِه

لا يَسْمعونَ بآذانِهِمْ سَماعَ تَدَبُّرٍ واتِّعاظٍ واسْتِفادةٍ ، وإِنَّما يَسْمَعونَ أصْواتاً مُجَرَّدةً ، ولِذٰلِكَ يَرْفُضونَ الحَقَّ . وهُمْ أَيْضاً لا يَعْقِلونَ ولا يَتَفكَّرونَ وهُمْ كالأنْعامِ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ ، لأنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعوا بما مَنَحَهُمُ اللهُ مِنْ سَمْعٍ وبَصَرٍ وعَقْلٍ وقَلْبٍ .

وهُمْ أضَلُّ سَبيلاً مِنَ الأنعامِ ، وأَحَطُّ مِنها مَنْزِلةً ، لأنَّ الأنْعامَ تَهتَدِي إلى فِطْرَتِها الَّتي فَطَرَها اللهُ علَيْها ، وتؤدِّي ما ألهَمَها اللهُ إيَّاهُ ، بينمَا يُعمِي الكُفَّارَ عَنِ الحقِّ ، ولا يُؤدُّونَ واجِبَهُمْ في تَوْحيدِ اللهِ وعِبادَتِهِ .

وفي تَشْبيهِهِمْ بالأنْعامِ ، واعتبارِهِمْ أضلَّ منْها تَحْقيرٌ وإِهانَةٌ لَهُمْ ، فمَاذا يَبْقى مِنْ إِنْسانٍ يُعتَبَرُ أَضَلَّ مِنَ الدَّوابِّ والبَهائِمِ ؟!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الحَقائِقُ مَقْلوبةٌ عِنْدَ الكُفَّارِ ، فهُمْ يَعتبرونَ الهُدىٰ ضَلالاً ، والإصْرارَ علىٰ الكُفْرِ صَبْراً مَحْموداً .

٢ـ كلُّ مُتكبِّرٍ معانِدٌ يَستهزىءُ بصاحبِ الحَقِّ ويوجِّهُ لهُ الاتِّهامَاتِ .

٣ـ اتِّباعُ الهَوىٰ يَصُدُّ الإنسانَ عَنِ الهُدَىٰ ، والكافِرُ يتَّخِذُ إلـٰهَهُ هَواهُ .

٤ـ الكُفَّارُ يُعطِّلونَ وَسائِلَ المَعْرِفةِ والاهتداءِ ، فلا يَسْمَعونَ ولا يَعْقِلونَ ، فَهُم أَضَلُّ مِنَ الأَنْعامِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بِمَاذَا كَانَ الكُفَّارُ يَصِفُونَ رَسولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ النُّبوَّةِ ؟ وماذَا قالُوا عَنْهُ بَعْدَ النُّبوَّةِ ؟

٢ـ بِماذا تُسمِّي اتِّهامَ الكُفَّارِ لِلرَّسولِ ﷺ بالضَّلالِ ؟

٣ـ متى يَعْلَمُ الكُفَّارُ أَنَّهُم أضلُّ سَبيلاً ؟ وهَلْ ينفعُهُمْ ذٰلِكَ العِلْمُ ؟

٤ـ كيفَ يتَّخِذُ الإنسانُ إلـٰهَهُ هَواهُ ؟ وَمَا نَتيجَةُ ذٰلِكَ ؟

٥ـ كيفَ تُوَفِّقُ بينَ نفِي السَّماعِ عَنِ الكُفَّارِ وسَماعِهِمُ الأَصْواتَ ؟

٦ـ ما وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الكُفَّارِ وَالأَنْعَامِ ؟ ولِمَاذَا هُمْ أضلُّ سَبيلاً مِنْها ؟

## نَشاطٌ

١ـ سجِّلِ الآيتينِ ( ٣١ـ٣٢ ) مِنْ سورةِ الزُّخْرُفِ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَهُما وبَيْنَ هـٰذِهِ الآيةِ (٤١) .

٢ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ الجاثيةِ تَتحدَّثُ عَنْ مَنْ اتَّخذَ إِلـٰهَهُ هَواهُ ، واذكرْ وجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٤٣) .

٣ـ تُخْبِرُ سورةُ الأَعْرافِ أَنَّ الكُفَّارَ أَضَلُّ مِنَ الأنْعَامِ ، لأَنَّهُم عَطَّلوا ثَلاثةَ وَسائِلَ لِلمَعرفَةِ والهُدَىٰ . سَجِّلِ الآيةَ الَّتي تُخْبِرُ بِذٰلِكَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الأَدَواتِ الثَّلاثةَ المُعطَّلَةَ .

* * *

# الدرس الحادي عشر

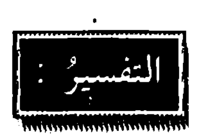
## سورة الفرقان - القسم الحادي عشر

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

### معاني المُفْرَدات :

| | |
|---|---|
| مَدَّ الظِّلَّ | : بَسَطَهُ وَطَوَّلَهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ . |
| قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسيراً | : قَصَرْناهُ بِلُطْفٍ عِنْدَ الظُّهْرِ . |
| اللَّيلَ لِباساً | : اللَّيْلَ سَاتِراً يَسْتُرُ النَّاسَ بِظَلامِهِ . |
| النَّوْمَ سُباتاً | : النَّوْمَ سُكوناً ، تَتَوَقَّفُونَ فِيهِ عَنِ الْحَرَكَةِ . |
| النَّهارَ نُشوراً | : تُبْعَثُونَ فِي النَّهارِ لِلْعَمَلِ وَالسَّعْيِ . |
| الرِّياحَ بُشْراً | : الرِّياحَ مُبَشِّرَاتٍ لِما تَسُوقُ مِنَ السَّحابِ وَالْغَيْثِ . |
| أَناسِيَّ كَثيراً | : كَثيراً مِنَ النَّاسِ . |
| صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ | : أَنْزَلْنا الْماءَ عَلَىٰ مُخْتَلَفِ البِقاعِ بِحِكْمَتِنا . |
| كُفُوراً | : جُحوداً وإِنكاراً . |

| | |
|---|---|
| مَرَجَ البَحْرَيْنِ | : أَجْرَىٰ الْمَاءَيْنِ : الْعَذْبَ وَالْمالحَ ، كُلٌّ فِي مَجْرَاهُ . |
| عَذْبٌ فُراتٌ | : حُلْوٌ سائِغٌ شَرَابُهُ . |
| مِلْحٌ أُجاجٌ | : مَالِحٌ شَديدُ الْمُلوحَةِ . |
| بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً | : حاجِزاً يَمْنَعُ اخْتِلاطَ الْمَاءَيْنِ . |
| نَسَباً وَصِهْراً | : ذُكوراً يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ ، وَإِناثاً يُصاهَرُ بِهِنَّ . |




بَعْدَ أَنْ تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عنْ تَكْذيبِ المُشْرِكينَ لِرسولِ اللهِ ﷺ تَتَحَدَّثُ هـٰذهِ الآياتُ عَنْ أدلةٍ كَوْنيةٍ دالَّةٍ علَىٰ وُجودِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وَوحدَانِيَّتِهِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يعْقِلُونَ ، ولاَ يَلْتَفِتُونَ لآياتِ اللهِ الكَثِيرَةِ المَوْجودَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، ومِنْ هـٰذِهِ الآياتِ الظِّلُّ وحَرَكَتُهُ فِي بدايةِ النَّهارِ وآخِرِهِ .

ويَدْعونَا اللهُ إِلَى مُلاحَظَةِ الظِّلِّ وحَرَكَتِهِ اللَّطِيفةِ والأُنْسِ والاسْتِرْواحِ بِها . والظِّلُّ هُوَ الظَّلامُ الخَفيفُ ، والفَيْءُ اللَّطيفُ الَّذي يُوجَدُ عندَما يَحْجُبُ شَيءٌ ماديٌّ كالبَيْتِ أَوِ الجَبَلِ أوِ الشَّجرةِ أَشعَّةَ الشَّمْسِ!

اللهُ هُوَ الَّذي يَمُدُّ الظِّلَّ ويطوِّلُهُ فِي الصَّباحِ عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ ، فَيكونُ ظِلُّ الشيءِ طَويلاً مُمْتَدّاً ، ثُمَّ يتقاصَرُ هذا الظِّلُّ شيئاً فَشَيْئاً . ورَبَطَ اللهُ الظِّلَّ بِحَرَكةِ الشَّمْسِ ، فهُوَ يَتحرَّكُ بِحَرَكَتِها ، وهِيَ الدَّليلُ عَلَيْهِ ، وعندَمَا تغيبُ الشَّمْسُ يَذْهَبُ هـٰذا الظِّلُّ مَعَها .

ولو شَاءَ اللهُ لَجَعَلَ هـٰذَ الظِّلَّ سَاكِناً ، ولَوْ كانتِ الأَرْضُ ثابتةً لَكانَ الظِّلُّ فَوْقَها ساكِناً لا يَطولُ ولا يَقْصُرُ ، ولا يَمْتَدُّ ولا يُقْبَضُ ، ولكنَّ اللهَ شاءَ جَعْلَ الظِّلِّ مُتَحَرِكاً ، وحَرَكَتَهُ مُرْتَبِطَةً بِحَرَكةِ الشَّمْسِ .

فِي الصَّباحِ يكونُ الظِّلُّ طويلاً ، وكلَّما ارْتَفعَتِ الشَّمسُ فِي السَّماءِ تَقاصَرَ الظِّلُّ ، وكُلَّما سارَتِ الشَّمْسُ فِي السَّماءِ سارَ الظِّلُّ بسَيْرِها ، واللهُ هُوَ الَّذي يَقْبِضُهُ قَبْضاً يَسيراً بَطيئاً . وعِنْدَ الظَّهيرةِ تَكونُ الشَّمْسُ في وَسَطِ السَّماءِ ، فيتلاشَىٰ الظِّلُّ شَيْئاً فَشَيْئاً ، فلا يَكادُ يُرىٰ لِلشيءِ ظِلٌّ . . وعِنْدَما تتحوَّلُ الشَّمْسُ إِلىٰ جِهَةِ الغَرْبِ يَمُدُّ اللهُ الظِّلَّ شَيْئاً فَشَيْئاً ، وكلَّما سارَتِ الشَّمْسُ نَحْوَ الغربِ زادَ الظِّلُّ

طولاً ، وعِنْدما تَقْتَرِبُ الشَّمسُ مِنَ المَغِيبِ يَكونُ الظِّلُّ أطْوَلَ شَيْءٍ . وعِنْدَما يَختفِي قُرْصُ الشَّمْسِ يتوارىٰ الظِّلُّ مَعَهُ!

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنِ الظِّلِّ إِلَىٰ الحَديثِ عَنِ النَّوْمِ واللَّيلِ والنَّهارِ ، وتُذَكِّرُ النَّاسَ بنعمةِ اللهِ عَلَيْهِم في اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ ، لِتَستقيمَ وتَصْلُحَ حياتُهُمْ .

جعَلَ اللهُ اللَّيلَ لِباساً ، يَنْتَشِرُ ظلامُهُ ، فَيَسْتُرُ الأَشْياءَ والأَحْياءَ ، وَيَسْتُرُ النَّاسَ كَما تَستُرُهُمْ وتُغطِّيهِمْ مَلابِسُهُمْ ، فَيَأْوونَ إِلىٰ النَّومِ ، ويَتوقَّفونَ عنِ الحَرَكَةِ ، وبذٰلِكَ تَسْتَريحُ أَجْسَامُهُمْ وأَعْصابُهُمْ ومَشاعِرُهُمْ . وفي الصَّباحِ يَبْعَثُهُمُ اللهُ مِنْ نَوْمِهِمْ ، فَيَسْتَيْقِظونَ وقدْ تَجدَّدتْ هِمَمُهُمْ وعَزائِمُهُمْ ، فَيَنْشَطونَ ويَتحرَّكونَ ويَعْمَلونَ ، وَيَبْتَغونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾

ومِنْ آياتِ اللهِ الباهِرَةِ ، ونِعَمِهِ الغامِرَةِ ، الرِّياحُ التي يُرْسِلُها مُبشِّراتٍ ، تَسْبِقُ رَحْمَتَهُ بإِنزالِ الغَيْثِ علىٰ النَّاسِ ، فإِذا رَأَوْها فَرِحُوا واسْتَبْشَرُوا .

واللهُ يُنْزِلُ مِنَ السَّحابِ ماءً مُبارَكاً طَهُوراً ، فَيُحيي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، إِذْ تَكونُ هامِدةً لا نَباتَ فيها ، وبَعْدَ إِنزالِ الغيْثِ عَلَيْها تَهْتَزُّ وتَرْبُو وتُنبتُ مُخْتَلَفَ أنْواعِ النَّباتِ ، فهٰذِهِ حياتُها . قالَ الله تعالىٰ : ﴿وَتَرى الأَرْضَ هامِدَةً فإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْها المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ﴾ [الحج : ٥] .

وماءُ الغَيْثِ لَيْسَ حَياةً لِلأرضِ فَقطْ ، بَلْ هُوَ ضَروريٌّ لِلأَحْياءِ كُلِّها علَىٰ وجهِ الأَرْضِ ، لأنَّ حَياتَهُمْ تَتوقَّفُ عَلَيْهِ ، واللهُ يسقي بِهِ الأَنْعامَ والدَّوابَّ والبَهائِمَ ، كما يَسْقي بِهِ النَّاسَ الكَثيرينَ ، المُنْتَشِرينَ على الأَرْضِ .

ويُصَرِّفُ اللهُ هٰذا الماءَ الطَّهورَ النَّازلَ مِنَ السَّماءِ بحِكْمَتهِ ، فَيوزِّعُهُ على مُخْتَلَفِ بِقاعِ الأَرْضِ ، ويَسوقُ السَّحابَةَ المُمْطِرَةَ إِلى بُقْعةٍ أُخرىٰ ، وقَدْ تَمرُّ السَّحابةُ بالأرضِ فلا يَنْزِلُ مِنْها قَطْرةُ ماءٍ ، وتَتجاوزُها إِلى الأرضِ الأُخْرىٰ فَتُنْزِلُ عَليها الغَيْثَ غَدَقاً ، وهذا بأَمْرِ اللهِ وحِكْمَتهِ .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا : لَيْسَ عامٌ بأكثرَ مَطَراً مِنْ عامٍ آخَرَ ، ولكنْ يَصْرِفُ المَطَرَةَ كيْفَ يَشاءُ . ثم قرأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْناه بَيْنَهُم لِيَذَّكَّروا . .﴾ .

ومُعْظَمُ النَّاسِ لا يَتذكرونَ فَضْلَ اللهِ عليهِمْ بالغَيْثِ ، ولا يَشْكرونَهُ عَلَيْهِ ، وإِنَّما يَجْحَدونَ نِعْمَتَهُ ويَكْفُرونَها ، ويَنْسِبونَها لِغَيْرِه .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ ﴾

الحديثُ عَنِ الماءِ الطَّهورِ الَّذي يُحيي اللهُ بِهِ الأَرْضَ والبِلادَ والعِبادَ مُناسِبٌ للإشارةِ إِلَىٰ القُرآنِ الكَريمِ ، الَّذي يُحْيي اللهُ بِهِ الأَرْواحَ والقُلوبَ .

ولوْ شاءَ اللهُ لَبَعثَ في كُلِّ قَرْيَةٍ نَذيراً ، وأَرْسَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً ، ولكنَّهُ شاءَ أنْ يَخْتِمَ الأَنْبياءَ والمُرْسَلينَ جَميعاً بالرَّسولِ الخَاتِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وأنْ يَجْعَلَهُ لِلعَالَمينَ نَذيراً .

وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ القُرآنَ، وَصَرَّفَهُ لِلنَّاسِ ، وعَرَضَهُ عليْهِم في أساليبَ عِدَّةٍ مِنَ البيانِ والجِدالِ والاحْتِجَاجِ . ويَهتدِي المُؤمِنونَ بالقُرآنِ ، فَتحيا قُلوبُهُمْ وأرْواحُهُمْ ، ويُعْرِضُ عَنْهُ الكافِرونَ فَيَخْسَرونَ . والرَّسولُ ﷺ مُطَالَبٌ أنْ لا يُطيعَ هَؤلاءِ الكَافِرينَ ، وإِنَّما يُجاهِدُهُمْ بالقُرآنِ جِهاداً كَبيراً .

﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ الباهِرَةِ ونِعَمِهِ الغامِرَةِ الماءُ الَّذي في البحارِ والأنْهارِ ، فَقدْ خَلَقَ اللهُ نَوْعَيْنِ مِنَ الماءِ ، أحدَهُمَا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ ، والآخَرُ مِلْحٌ أُجاجٌ شَديدُ المُلوحَةِ ، وجَعَلَ بَيْنَهُما حاجِزاً مَعْنويّاً ، يَمْنَعُ اخْتِلاطَهُما ، فعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُما مُتَجاوِرانِ إلاَّ أَنَّهُما لا يَتداخَلانِ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ ﴾

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنْ ماءِ السَّماءِ وماءِ البَحْرِ والنَّهْرِ إِلىٰ مَاءِ النُّطْفَةِ الَّذي خَلَقَ اللهُ مِنْهُ الإنسانَ البَشَرَ ، وهٰذا دَليلٌ آخَرُ مِنَ الأَدِلَّةِ الشَّاهِدَةِ علىٰ قُدْرةِ اللهِ وَوَحْدانيَّتِهِ .

فقدْ خَلَقَ اللهُ مِنْ مَاءِ النُّطْفَةِ البَشَرَ ، وجَعَلَهُم ذُكوراً وإناثاً ، وجَعَلَ الذَّكَرَ نَسَباً يَنْتَسِبُ إِليهِ أَوْلادُهُ ، وجَعَلَ البِنْتَ صِهْراً يُصاهَرُ بِها ، إذْ يأْتي رَجُلٌ يتزوَّجُها ، ويتَّصِلُ بأَهْلِها عنْ طَريقِها .

واللهُ قَديرٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ، يَفْعَلُ ما يشاءُ . بِقُدْرَتِهِ خَلَقَ المَخْلوقاتِ ، وجَعَلَها آياتٍ باهِرَةً دالَّةً علىٰ وَحْدانِيتِه .

## دروس وعبر

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تأمُّلُ حَرَكَةِ الظِّلِّ اللَّطيفةِ يُقوِّي الإيمانَ باللهِ تعالىٰ وَيَزيدُهُ .

٢ـ المُؤْمِنُ يَشْكُرُ اللهَ علىٰ نِعْمَةِ النَّومِ ونِعْمَةِ الاسْتيقاظِ والسَّعْيِ ، فَهُوَ شاكِرٌ لَيْلاً ونَهاراً .

٣ـ يَسْتَبْشِرُ المُؤْمِنُ بالسَّحابِ الماطِرِ ، ويَجْعَلُ إنْزالَ الغَيْثِ رَحْمةً وفَضْلاً مِنَ اللهِ .

٤ـ إذا أكَلَ المُؤْمِنُ أَوْ شَرِبَ حَمِدَ اللهَ وشَكَرَهُ ، واعْتَرفَ بالمِنَّةِ والفَضلِ لَهُ وحْدَهُ .

٥ـ القُرآنُ كِتابُ جِهادٍ ، والمُؤْمِنُ يُجاهِدُ بِهِ الكُفَّارَ تنفيذاً لأَمْرِ اللهِ .




أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ يَمُدُّ اللهُ الظِّلَّ ويَقْبِضُهُ قَبْلَ الظُّهْرِ وَبَعْدَهُ ، وضِّحْ كَيْفِيَّةَ ذٰلِكَ .

٢ـ لِماذا تَفْرَحُ عندمَا ترىٰ السَّحابَ المُمْطِرَ ؟ واستخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثلاثةَ آثارٍ لِلْمَطَرِ .

٣ـ كيفَ يُجاهِدُ المُؤْمِنُ الأَعْداءَ بالقُرآنِ ؟

٤ـ جَعَلَ اللهُ نَوْعَينِ مِنَ الماءِ . اذْكُرْهُما ، واذكُرِ الحاجِزَ بَيْنَهُما .

٥ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ النَّسَبِ والصِّهْرِ ؟

٦ـ هاتِ ثلاثةَ أدلَّةٍ كَوْنيَّةٍ مُشاهَدَةٍ تَدُلُّ علىٰ قُدْرةِ اللهِ .

٧ـ مَاذا يَجِبُ عَلَيْنَا تِجاهَ هٰذهِ الآياتِ الكَوْنِيَّةِ المُشاهَدَةِ ؟




١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ التَّحريمِ يأْمُرُ اللهُ فيها رَسولَهُ ﷺ بِجهادِ الكُفَّارِ والمُنافِقينَ . وبَيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَينَها وبَيْنَ الآيةِ ( ٥٢ ) .

٢ـ سَجِّلْ في دفْتَرِكَ الآيتينِ ( ٢٩ـ٣٠ ) مِنْ سُورةِ الرَّحمـٰنِ ، واكتُبْ تَفْسيرَهُما في سَطْرينِ ، مُبيِّناً الشَّبَهَ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ ( ٥٣ ) .

٣ـ راجِعْ كِتاباً مِنْ كُتُبِ الأَذْكارِ ، وانْقُلْ مِنهُ دُعاءَ النَّومِ ودُعاءَ الاسْتيقاظِ ، واحْرِصْ علَىٰ أنْ تدعُوَ بِهِما .

* * *

# الدرس الثاني عشر

## سُورَةُ الفُرْقانِ - القِسمُ الثّاني عشَرَ

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

ظهيراً : مُعيناً ومُساعِداً .

أنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبيلاً : أَنْ يَخْتارَ طَريقَ الإيمانِ .

سَبِّحْ بِحَمْدِهِ : نزِّهِ اللهَ عَنِ النَّقائِصِ مُثْنِياً عَلَيْهِ .

زادَهُمْ نُفوراً : زادَهُمْ ابْتِعاداً عَنِ الإيمانِ .

بُروجاً : مَنازِلَ لِلْكَواكِبِ السَّيارةِ .

خِلْفَةً : يَتعاقَبانِ بِحَيْثُ يَخْلُفُ أَحَدُهما الآخَرَ وَيأْتي بَعْدَهُ .

### التَّفسيرُ :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ .

الكُفّارُ لا يَلْتَفِتونَ إِلَىٰ آياتِ اللهِ الَّتي حَوْلَهُمْ ، ولاَ يَهْتدونَ بِها إِلَىٰ تَوْحيدِ اللهِ ، ولِذٰلِكَ يُشْرِكونَ

باللهِ ، ويَجْعَلونَ مَعَهُ آلِهَةً مِنَ الأصْنام ، مَعَ أَنَّها جَماداتٌ لاَ حَياةَ فِيها ، ولا تُوقِعُ بِهِمْ ضَرّاً ، ولا تَجْلِبُ لَهُم نَفْعاً ، ومَعَ ذٰلِكَ يَعْبُدونَها مِنْ دُونِ اللهِ ، مَعَ أَنَّ العِبَادَةَ لا تَكُونُ إِلاَّ للهِ وَحْدَهُ ، لأَنَّهُ هُوَ المُسْتَحِقُ لِلعِبادَةِ ، وهُوَ الَّذي يَقْدِرُ على الضَّرِّ والنَّفْعِ .

وكلُّ كَافِرٍ ظَهيرٌ علَىٰ رَبِّهِ ، يُعاوِنُ الشَّيْطانَ ، ويُساعِدُ أعْداءَ اللهِ ، ويُشارِكُ فِي الذَّنْبِ والمَعْصِيةِ ، يَكْرَهُ الحَقَّ ، ويَنْصُرُ الباطِلَ ، ويُحارِبُ أَوْلياءَ اللهِ . وهُوَ الخَاسِرُ بِذٰلِكَ ، لأَنَّهُ لاَ يَنْجَحُ أَحَدٌ فِي حَرْبِهِ للهِ ودِينهِ!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦)﴾

يُحَدِّدُ اللهُ مَهَمَّةَ رَسولهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بأَنَّها التَّبْشيرُ والإنذارُ ، وهُو مُبَشِّرٌ لِمَن آمَنَ بِهِ واتَّبَعَهُ وأطاعَهُ ، يُبَشِّرُهُ بالجَنَّةِ ، وهُو نَذيرٌ لِمَنْ كفَرَ بِهِ وكذَّبَهُ ، يُنذِرُهُ العَذاب .

وهوَ مُبَشِّرٌ ونذيرٌ لِلنَّاسِ جَميعاً حتَّىٰ قِيام السَّاعةِ ، لأَنَّهُ خَاتِمُ الأنْبياءِ والمُرْسَلينَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿يا أَيُّها النَّبيُّ إِنَّا أَرْسَلْناك شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً وَداعِياً إِلى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنيراً﴾ [الأحزاب : ٤٥ـ٤٦] .

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧)﴾

بما أَنَّ مُهِمَّةَ الرَّسولِ ﷺ مَحْصورةٌ بالتَّبْشيرِ والإِنْذارِ ، إِلاَّ أَنَّهُ لا يَطْمَعُ فِي أَنْ يَأْخُذَ أَجْراً مِنَ الَّذينَ يُبَشِّرُهُمْ أو يُنذِرُهُمْ ، فَهُوَ مُتجرِّدٌ في دَعْوَتِهِ للهِ ، وزَاهِدٌ في الدُّنيا ، لا يَنْظُرُ إِلَىٰ ما فِي أيدِي النَّاسِ .

واللهُ يَأْمُرُ رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُصارِحَ النَّاسَ بهذِهِ الحَقيقةِ ، وأَنْ يقولَ لَهُمْ : لا أَسْأَلُكُمْ أَجْراً ، ولا أَطْلُبُ مِنكُمْ مالاً مُقابِلَ دَعْوتِي لَكُمْ ، لأَنِّي أَنتظِرُ الأَجْرَ علىٰ ذٰلِكَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، هُو الَّذي يَمْنَحُ الأَجْرَ الجَزيلَ الجَميلَ الدائِمَ .

الَّذي أُريدُهُ مِنْكُم شَيءٌ واحدٌ ، هوَ أَنْ تَقْبَلوا دَعْوتِي ، وتَتجاوَبوا مَعَ تَبْشيري وإِنذاري ، وتَسيروا مَعيَ فِي طَريقِ الإِيمانِ باللهِ وعِبادَتهِ وطاعَتهِ ، وبذٰلِكَ تُنْقِذونَ أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، وتَفوزونَ بالجَنَّةِ .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨)﴾ .

بعدَ إعلانِ تجرُدِ رَسولِ اللهِ ﷺ وطَلَبِهِ الأَجْرَ مِنَ اللهِ ، يأْتِي تَوْجيهُهُ إِلَىٰ التَوكُّلِ عَلَىٰ رَبِّهِ ، بأَنْ يَكونَ مُعْتَمِداً عَلَيْهِ وَحْدَهُ ، وأَنْ يُوجِّهَ طَلَباتِهِ وحاجاتِهِ إِليهِ ، وأَنْ يُسَلِّمَ أَمرَهُ إِليهِ ، وأَنْ يَثِقَ بِهِ ويَرْضى بِما يختارُهُ لَهُ .

التوكُّلُ عَلَىٰ اللهِ واجِبٌ ، واللهُ وحْدَهُ هُوَ الحَيُّ الَّذي لا يَموتُ ، وغيرُهُ سَيموتُ ، والتوكُّلُ علَىٰ الأَحْياءِ الَّذِينَ سَيموتونَ خَيْبَةٌ وخَسارةٌ ، أَمَّا التوكُّلُ على اللهِ الحَيِّ الَّذي لا يَموتُ فهوَ الفَوْزُ ،

لأنَّ اللهَ قويٌّ قادرٌ ، يكفِي مَنْ توكَّلَ عَليْهِ ، وكفَىٰ باللهِ وَكيلاً .

والمُؤْمِنُ في حالِ تَوَكُّلِهِ علىٰ رَبِّهِ يَذْكُرُهُ ، مُسَبِّحاً وحَامِداً ، فيُنَزِهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، ويَصِفُهُ بكلِّ كمالٍ ، ويَشْكُرُهُ علىٰ ما يَمْنَحُهُ إيَّاهُ .

واللهُ خبيرٌ بكلِّ شيءٍ ، مُطَّلِعٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ، وكفَىٰ بِهِ عالِماً خَبيراً بِذُنوبِ عِبادِهِ ، يُعذِّبُهُمْ بِها إِنْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْها .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذِي يَتوكَّلُ عَليْهِ المُؤْمِنُ وَحْدَهُ ، الخَبيرُ بِكُلِّ شيءٍ ، الخَالِقُ لِكُلِّ شيءٍ ، فقدْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وما بينَهُما في سِتَّةِ أيام ، قَبْلَ خَلْقِهِ للإنسانِ ، وهـٰذِهِ الأيامُ السِّتةُ غَيْبٌ ، لا نَعْرِفُ مِقْدارَ كلِّ يوم منْها ، وخَلَقَ اللهُ عَرْشَهُ ، الَّذي لا نَعْرِفُ شَكْلَهُ ولا كَيْفيتَهُ ، واسْتَوى سُبحانَهُ على عَرْشِهِ استواءً يَليقُ بِجلالِهِ وعَظَمَتِهِ ، ولا نَعْرِفُ كَيْفيَّةَ اسْتوائِهِ ، وعَلَيْنا أَنْ نُؤْمِنَ بما ذَكَرَهُ اللهُ تعالىٰ عَنْ نَفْسِهِ .

واللهُ هُو الرَّحمـٰنُ ، رَحْمَتُهُ وسِعَتْ كلَّ شيءٍ ، يَرْحَمُ عِبادَهُ ويُعطِيهِمْ ، ويُحبُّ الرَّاحِمينَ مِنْهُمْ .

وقدْ أخْبَرَنَا اللهُ عَنْ صِفاتهِ وأَفْعالِهِ في القُرآنِ ، وأَعْلَمُ النَّاسِ باللهِ وصِفاتهِ هُوَ رسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ لأنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أخْبَرَهُ بذٰلِكَ ، وَمَا قَالَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ فهُو الحَقُّ ، وما أخْبَرَ بهِ فهُوَ الصِّدقُ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

ومَعَ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّحمـٰنُ ، يَرْحَمُ عبادَهُ ، ويَدعُوهُمْ لِعبادَتهِ وَحْدَهُ ، إلاَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَرْفُضونَ ذٰلِكَ ، فإذا قِيلَ لَهُم : اسجُدُوا للهِ الرَّحْمـٰنِ وَحْدَهُ ، رَفضُوا هـٰذِهِ الدَّعْوَةَ ، وقَابلُوها باسْتِخْفافٍ واسْتِنْكارٍ ، وتَساءَلوا : ما الرَّحمـٰنُ ؟ إنَّنَا لاَ نَعْتَرِفُ بهِ . وخاطَبُوا النبيَّ ﷺ قائِلينَ : أنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا ؟ إنَّنا لَنْ نُنَفِّذَ أمْرَكَ ، ولنْ نَسْجُدَ لِمُجَردِ قولِكَ !

ويَزيدُهُمُ الأَمْرُ بالسُّجودِ لِلرَّحْمـٰنِ وَحْدَهُ نُفوراً ، وإعْراضاً عَنِ الإسْلامِ ، وهـٰذا مِنْ عِنادِهِمْ واسْتِكْبارِهِمْ ، بينَما يُسارِعُ المُؤْمِنونَ في السُّجودِ للرَّحْمـٰنِ وَحْدَهُ ، وَيَسْتَمْتِعونَ بِذٰلِكَ .

واللهُ هُوَ الرَّحْمـٰنُ ، ومَنْ دَعاهُ قَائِلاً : يا رَحْمنُ ، فكأنَّما قالَ : يا اللهُ . قالَ تعالىٰ : ﴿قُلِ ادْعوا اللهَ أَوِ ادْعوا الرَّحْمَن أَيَّاً ما تَدْعو فَلَهُ الأَسْماء الحُسْنى﴾ [الإسراء : ١١٠] .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذِي يَرْفُضُ الكُفَّارُ السُجودَ لَهُ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلتَّعظيمِ والتَّمجيدِ ، تَبارَكَ وتعالَىٰ وتَقدَّسَ ، وعَمَّتْ مَظاهِرُ بَرَكتِهِ كُلَّ شَيْءٍ .

وهُوَ الَّذي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُروجاً ، وهِيَ مَنازِلُ الكواكبِ السَّيارةِ ومَداراتُها الهائِلَةُ فِي هٰذَا الفضاءِ الواسعِ .

وجَعَلَ اللهُ فِي السَّماءِ سِراجاً وهَّاجاً ، هُوَ الشَّمْسُ ، كما جَعَلَ فيها القَمَرَ مُنيراً .

ومِنْ لَطَائِفِ التَّعبيرِ القُرآنيِّ أَنَّهُ وَصفَ الشَّمسَ بأَنَّها سِراجٌ ، بَيْنَما وَصفَ القَمَرَ بأَنَّهُ مُنيرٌ ، وفِي هٰذَا إشارةٌ إلىٰ حقيقةٍ عِلميَّةٍ فَلَكيَّةٍ ، وُرودُها في القُرآنِ يَدُلُّ علىٰ أَنَّهُ كلامُ اللهِ ، فَمِنَ المَعْلومِ أَنَّ السِّراجَ ضِياؤُهُ ذاتيٌّ مِنْ داخلِهِ ، بَيْنَما النُّورُ قَدْ يَكونُ انعكاساً لِضياءٍ آخَرَ! والشَّمْسُ ذاتيةُ الاشْتعالِ والطَّاقةِ والضِّياءِ ، أَمَّا القَمَرُ فإِنَّ النُّورَ الَّذي يُرىٰ فيهِ منْ بعيدٍ هُوَ انْعكاسُ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ ، وإلاَّ فَهُوَ مُظْلِمٌ بَارِدٌ لا اشْتَعالَ فيهِ ؟

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ والقَمَرَ فِي السَّماءِ ، وهُوَ الَّذي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ يَتعاقبانِ علَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ ، يَخْلُفُ أَحَدُهُما الآخَرَ ويَأْتي بَعْدَهُ ، فإِذَا ذَهَبَ اللَّيلُ جاءَ النَّهارُ ، وإِذَا جاءَ اللَّيلُ ذَهَبَ النَّهارُ ، لاَ يفْتُرانِ ولا يتوقَّفانِ .

وتعاقبُهُما ضَروريٌّ لِحياةِ النَّاسِ علَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ ، يَعْرِفونَ بهما مَواقيتَهُمْ ومَصالِحَهُمْ ، ويَعْرِفُ المُؤْمِنونَ أَوْقاتَ صَلواتِهِمْ وعِباداتِهِمْ ، فَيَعْبُدونَ اللهَ ويَذْكُرونَهُ ، ويَشْكُرونَهُ ويَحْمَدونَهُ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كلُّ مَنْ عَبَدَ غيرَ اللهِ أَوْ تَوَكَّلَ عليهِ خاسِرٌ .

٢ـ عَلَىٰ المُؤْمِنِ الدَّاعيةِ أَنْ لاَ يَطْلُبَ علَىٰ دَعْوَتِهِ أَجْراً ، وأَنْ يَزْهَدَ فيمَا عِنْدَ النَّاسِ ، لأَنَّ أَجْرَهُ عِنْدَ اللهِ .

٣ـ مِنَ العقَائِدِ الّتي يَجبُ الإيمانُ بها الثَّابتةِ في القُرْآنِ والسُّنَّةِ : اسْتواءُ اللهِ على العَرْشِ .

٤ـ المُؤْمِنُ يَتوكَّلُ علىٰ اللهِ وَحْدَهُ ، وعِنْدَما يذكُرُهُ يجمعُ بَيْنَ تسبيحِهِ وحَمْدِه .

٥ـ عِزَّةُ المُؤْمِنِ في سُجودِه للهِ وإِحْسانِ عِبادتِهِ لَهُ ، فَيُسارِعُ إِلَىٰ ذٰلكَ بِهِمَّةٍ ونَشاطٍ .

٦ـ يَتذكَّرُ المُؤْمِنُ مِنْ تعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ العباداتِ والطَّاعاتِ ، فيبقَىٰ ذاكِراً للهِ فِي اللَّيلِ والنَّهارِ .

٧ـ مِنَ أَسْماءِ اللهِ الحُسْنىٰ ـ التي أَنْكَرَ مُشرِكو العَرَبِ تَسَمِّي اللهَ بها ـ الرّحمنُ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بِمَاذَا حَصَرَتْ آياتُ الدَّرْسِ مَهَمةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟

٢ـ لِمَاذَا وَصَفتِ الآيةُ الداعيةَ إِلىٰ التوكُّلِ علىٰ اللهِ بأَنَّهُ سُبحانهُ الحَيُّ الَّذي لا يَموتُ ؟

٣ـ مَا المُرادُ بِالأَيَّامِ السِّتَّةِ الَّتي خَلَقَ اللهُ بِها السَّمواتِ والأَرْضَ ؟ وَمَا مَعْنىٰ اسْتِوائِهِ علىٰ العَرْشِ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثلاثَ فَوائِدَ تأخُذُها أنْتَ مِنْ تَعاقُبِ اللَّيلِ والنَّهارِ .

٥ـ ما المُرادُ بكلٍّ ممَّا يَلي : البرُوجِ ، السِّراجِ ، القمرِ المُنيرِ ؟

## نشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ الآيةَ رقمَ ( ٤٧ ) مِنْ سورةِ سَبأ . وبيِّنْ ما أضافَتْهُ علَىٰ الآيةِ (٥٧) ، وَلِماذا يُؤكِّدُ الرَّسولُ ﷺ عَلَىٰ عدَمِ طلبهِ الأَجْرَ مِنْهُمْ .

٢ـ فِي هٰذِهِ الآيةِ سَجْدَةُ تِلاوةٍ باتفاقِ العُلماءِ . اذكُرْ شُروطَ سَجْدةِ التِّلاوةِ وكَيْفِيَّتَها واكْتُبْها فِي دَفترِكَ .

٣ـ سجِّلْ فِي دَفْترِكَ الآيةَ رَقْمَ ( ٥ ) مِنْ سُورةِ يونُسَ ، وبيِّنْ وجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٦١) ، ولاحِظِ الفرقَ بَيْنَ حَديثِ كلٍّ مِنْهُما عَنِ الشَّمسِ وَعَنِ القَمَرِ .

٤ـ انظرْ في المُعْجَمِ المُفَهْرِسِ لأَلْفاظِ القُرآنِ لمحمد فؤادِ عبدِ الباقِي ، في كَلِمَةِ « سِتَّةٍ » ، وسجِّلِ الآياتِ الَّتي أخْبرَتْ عَنْ خَلْقِ اللهِ السَّمواتِ والأرْضِ في سِتَّةِ أيَّامٍ .

* * *

# الدَّرسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

## سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

هَوْناً : بِسَكِينَةٍ وَتَواضُعٍ وَوَقارٍ .

قالوا سَلاَماً : قَالُوا كلاماً طَيِّباً .

كانَ غَراماً : كَانَ لاَزِماً دائِماً .

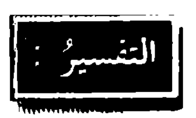
مُقاماً : مَكانَ إِقامَةٍ دائِمَةٍ .

لَمْ يَقْتُروا : لَمْ يُضَيِّقُوا وَيَبْخَلُوا .

قَواماً : وَسَطاً مُعْتَدِلاً .

يَلْقَ أثاماً : يَلْقَ عِقاباً وَعَذاباً .

مَتاباً : تَوْبَةً خالِصَةً .



التفسيرُ :

اختتَمَ اللهُ هـٰذِهِ السُّورةَ بِبَيانِ أهمِّ صِفاتِ عِبادِ الرَّحمـٰنِ .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

إذا كَانَ الكُفَّارُ يَرْفُضونَ أنْ يَسْجُدوا لِلرَّحمـٰنِ ، وأنْ يَكونُوا عِباداً خاضِعينَ لَهُ ، فإنَّ المُؤْمِنينَ يَخْضَعونَ لَهُ ، ويَسْعدُونَ بأنْ يَكونُوا عِباداً لَهُ .

وهـٰذهِ الآياتُ تَعْرِضُ أهمَّ صِفاتِ عِبادِ الرَّحْمـٰنِ ، الَّتِي تَزيدُهُمْ إيماناً وهُدَىً وتَقْوَىٰ .

عِبَادُ الرَّحْمـٰنِ يَمْشونَ عَلَىٰ الأرْضِ مِشْيَةً سَهْلَةً هيِّنةً ، بِسَكينةٍ وَوقارٍ وتَواضُعٍ ، مِنْ غَيْرِ تَكَبُّرٍ أوْ بَطَرٍ ، وَلاَ تعنِي هـٰذهِ المِشْيَةُ البُطْءَ الشَّديدَ والتَّماوتَ ، وتَنكيسَ الرَّأْسِ ، فهـٰذِهِ المِشْيَةُ مَنْهيٌّ عنْها .

ولقَدْ كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَمشِي وعَلَيْهِ السَّكينةُ والوَقارُ .

جَدِّيَّةُ عِبادِ الرَّحمـٰنِ وَوَقارُهُمْ لا تكونُ في مِشْيَتِهِمْ فقطْ ، وإنَّما تَكونُ فِي مَوْقِفِهِمْ مِنْ سَفَهِ السُّفَهاءِ وأذىٰ الجَاهِلينَ ، فعندَما يُخاطِبُهُمُ الجاهِلونَ بِسَفَهٍ وحُمْقٍ وطَيْشٍ يَترَفَّعُونَ عنْهُمْ ، ولا يَنْزِلونَ لِمُستواهُمْ ، ويقولونَ لَهُمْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتغِي الجاهِلينَ .

وهـٰذا المَوْقِفُ منْهُمْ لَيْسَ عَنْ ضَعْفٍ أَوْ عَجْزٍ ، إنَّما هُوَ تَرَفُّعٌ وإكْرامٌ لأَنْفُسِهِمْ ، وصِيانةٌ لأوقاتِهِمْ وجُهودِهِمْ ، فلا يُنفِقونَها فيما لا يَليقُ .

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ﴾ .

عِبادُ الرَّحْمـٰنِ في نَهارِهِمْ يَتعامَلُونَ مَعَ النَّاسِ بكرامةٍ وَوَقارٍ ، أمَّا فِي لَيْلِهِمْ فهُمْ فِي صَلاةٍ وقِيامٍ ورُكوعٍ وسُجودٍ ، ويتمتَّعونَ بِمُناجاةِ اللهِ وعِبادَتِهِ ، يَنامُ النَّاسُ نَوْماً مُريحاً لَذيذاً ، وهُمْ مَشْغولونَ عَنْهُ بِمَا هُوَ أَمْتَعُ وألذُّ مِنْهُ ، فهُمْ قائِمونَ ساجِدُونَ للهِ . قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿كانوا قَليلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعونَ وَبالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾ [الذاريات : ١٧-١٨] .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ .

يَدعُو عِبادُ الرَّحمـٰنِ ربَّهُم في قِيامِهِمْ وسجودِهِمْ ، ويَرْجونَ رَحْمَتَهُ ، ويَخافونَ عَذابَهُ ، ويَتذكَّرونَ جَهنَّمَ ، فَيعوذونَ باللهِ مِنْها ، ويَسْأَلونَهُ أنْ يَصْرِفَ ويُبْعِدَ عذَابَها ، لأنَّ عَذابَها غَرامٌ مُلازِمٌ لِصاحِبِهِ ، لا يُفارِقُهُ ولا يَبتعِدُ عنهُ ، فهو كالغريمِ المُلازِمِ لِغَريمِه .

والكافِرُ مُخَلَّدٌ في جهنَّمَ ، مُعَذَّبٌ بِعَذابِها المُمْتَدِّ ، وجَهنَّمُ ساءَتْ مُسْتَقرّاً لهُ يَستَقِرُّ فِيها مُخَلَّداً ، وساءتْ مُقاماً لَهُ ، يَجْعَلُها دَارَ إِقامةٍ مُؤَبَّدَةٍ ، وكَيْفَ يَكونُ الاسْتِقْرارُ والإِقامةُ فِي نارٍ مُسْتَعِرةٍ وعذابٍ دائِمٍ ! !

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

تُتابعُ الآياتُ عَرْضَ صِفاتِ عبادِ الرَّحمٰنِ ، فتُخبرُ هٰذِهِ الآيةُ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ في إِنفاقِ أموالِهم ، فَهُم في النَّفقةِ لَمْ يُسرِفُوا ويُبَذِّرُوا ، ولم يَبْخَلُوا ويُقَتِّرُوا ، وإِنَّما تَكونُ نَفَقَتُهُمْ قَواماً وسَطاً ، وقَصْداً مُعْتَدِلاً ، فلا يَبْخَلونَ عنْ واجِبٍ ، ولا يُقصِّرونَ في مَطلوبٍ ، ولا يُنْفِقونَ فيما لا خَيْرَ فيهِ .

قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ : « أيْ : هُمْ لَيسوا بِمُبذِّرينَ في إِنفاقِهِمْ ، فَيَصْرِفُونَ فَوْقَ الحاجَةِ ، ولا بُخَلاءَ على أَهْلِهِمْ ، فَيُقصِّرونَ في حَقِّهِمْ ولا يَكْفونَهُمْ ، بلْ عَدْلاً خِياراً ، وخَيْرُ الأُمورِ أَوْسَطُها ، لا هٰذا ولا هٰذا . . »[1] .

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرتِ الآياتُ السَّابِقَةُ الصِّفاتِ الإيجابيَّةَ لِعبادِ الرَّحْمٰنِ ، ذَكَرَتْ هٰذهِ الآيةُ ابتعادَهُمْ عنْ ثلاثةِ ذُنوبٍ ، هيَ مِنْ أكبرِ الكَبائرِ الَّتي حَرَّمَها اللهُ .

إِنَّهُم لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ ، ولا يُشْرِكُونَ بهِ أحَداً ، ولا يَقْتُلونَ أيَّ إِنسانٍ حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهُ ، إِلاَّ بالحَقِّ ، ولا يَرْتَكِبونَ جَريمةَ الزِّنَا .

رَوىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : لاَ يَحِلُّ دمُ امرىءٍ مُسْلمٍ يَشْهَدُ أنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وأَنِّي رَسولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحدَىٰ ثلاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، والنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، والتَّارِكُ لِدينِهِ المُفارِقُ لِلجَماعةِ[2] .

فَأَنزلَ اللهُ تَصْدِيقَها : ﴿والَّذينَ لا يَدْعونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ ولا يَقْتُلونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاّ بِالْحَقِّ ولا يَزْنونَ﴾[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٣١٤ .

(٢) أخرجه البخاري . كتاب الديات . باب قول الله : « أن النفس بالنفس » . حديث رقم : ٦٨٧٨ . ومسلم في كتابه القسامة . باب ما يباح به دم المسلم . حديث رقم : ٤٣٩٠ .

(٣) أخرجه البخاري . كتاب التفسير . تفسير سورة الفرقان . حديث رقم ٤٧٦١ . ومسلم . كتاب الإيمان . باب بيان الشرك أقبح الذنوب . رقم : ٨٦ .

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

عِبادُ الرَّحْمـٰنِ يَبتعدونَ عَنِ الكَبائرِ الثَّلاثةِ المَذْكورةِ وغَيْرِها ، أمَّا الَّذينَ يَفْعَلونَها ، أو يَرْتَكِبونَ واحِدةً منْها ، فإنَّ اللهَ يُهدِّدُهُمْ بالعَذابِ يومَ القِيامةِ ، وهـٰذا العَذابُ مُضاعَفٌ لَهُم ، لأنَّهم يَسْتَحِقُّونَ ذٰلِكَ بِسَببِ جَرائِمِهِمْ ، ويَخلُدونَ فِي ذٰلِكَ العَذابِ مُهانينَ أذلاَّءَ .

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

بعدَ التَّهديدِ والتَّرهيبِ تَذْكُرُ الآياتُ التَّرْغيبَ والتَّبْشيرَ ، وتَفْتَحُ لِلكافِرينَ والمُذْنِبينَ بابَ التَّوْبَةِ والإصلاحِ ، فَمَهْما ارْتكبَ أحَدُهُمْ مِن مَعاصٍ وذُنوبٍ ، ثم تابَ إِلَىٰ اللهِ ، وتَخلَّىٰ عنْها ، وغيَّرَ طَريقَةَ حَياتِه ، فإنَّ اللهَ يَتوبُ عَلَيْهِ .

ولا تَكونُ تَوْبَتُهُ صَحيحَةً مَقْبولةً إلاَّ بإيمانِهِ إنْ كانَ كافِراً ، ثُمَّ إكثارِهِ مِن الأعمالِ الصَّالحةِ ، عِنْدَ ذٰلِكَ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ ، وهو الغَفورُ الرَّحيمُ ، ويَمُنُّ عَلَيْهِ بمِنَّةٍ أُخرَىٰ وهي أنْ يُبَدِّلَ سيئاتِهِ السَّابقةَ حَسَناتٍ ، مَهْمَا كثُرَتْ وتعدَّدَتْ! وهـٰذا كَرَمٌ غامِرٌ مِنَ اللهِ ، وفَوْزٌ مُبينٌ لِهذا التَّائِبِ المُسْتَقيمِ .

وبابُ التَّوْبَةِ مَفْتوحٌ لِكُلِّ مُذْنِبٍ ، يَسْتطيعُ أنْ يَتوبَ تَوْبةً صادِقةً نَصوحاً ، ويُتبِعَها بالعَمَلِ الصَّالِحِ ، وعِندَما يَفْعَلُ ذٰلكَ يَكونُ قدْ تابَ إِلَىٰ اللهِ مَتاباً!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ شخصيَّةُ المُسْلمِ الصَّالِحِ جادَّةٌ إيجابيَّةٌ ، تتَّصِفُ بِالصِّفَاتِ الحميدةِ الَّتِي حثَّ القُرآنُ علَيْها .

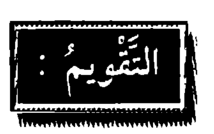
٢ـ عَلَىٰ المُسْلِمِ الإكثارُ مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ والطَّاعَاتِ وذِكْرِ اللهِ والتَّضرُّعِ إليهِ .

٣ـ المُسْلِمُ يَحْذَرُ مِنَ الذُّنوبِ والمَعاصِي ، ويَكونُ أكثَرَ حَذَراً مِنَ الكَبائرِ .

٤ـ اللهُ كَريمٌ رَحيمٌ ، ولِذٰلِكَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ التَّائِبينَ ، ويُبدِّلُ ذَنوبَهُمْ السَّابقةَ حَسناتٍ .

٥ـ مِنْ ثَمَراتِ التَّوبةِ الصَّادِقةِ تَغْييرُ مَسارِ الحَياةِ ، والإكثارُ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ .

٦ـ أظْهَرَتْ هذهِ الآياتُ النَّموذَجَ الخَيِّرَ لِلبَشَرِيَّةِ وهُمْ عِبادُ الرَّحمنِ كي يُجاهِدَ العَبْدُ نَفسَهُ أنْ يكونَ مِنْهُمْ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما مَعنَى مَشْي المُؤْمِنِ علَىٰ الأرْضِ هَوْناً ؟ وكيفَ كانَ يَمشِي رَسولُ اللهِ ﷺ ؟

٢ـ بِمَاذَا وَصَفَ عِبادُ الرَّحمٰنِ جهنَّمَ عندمَا استعاذوا بِاللهِ مِنْها ؟ وَمَا مَعنَىٰ ذٰلِكَ الوَصفِ ؟

٣ـ كَيْفَ تَكونُ نَفَقَةُ المُسْلِمِ الَّتي يَرضَى عنْهَا اللهُ ؟

٤ـ رَتَّبتِ الآياتُ الكَبائِرَ الثَّلاثةَ ، اذْكُرْهَا علَىٰ ذٰلِكَ التَّرتيبِ ، واسْتَشهِدْ عَلَيْهَا بحديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٥ـ مَاذَا يَفْعَلُ اللهُ بسيئاتِ التَّائِبِ بَعْدَ إِحسانِ تَوْبَتِهِ ؟ وَعَلَىٰ مَاذَا يَدُلُّ ذٰلِكَ ؟

٦ـ مَا المَطلوبُ مِنَ التَّائِبِ بعدَ تَوْبَتِهِ ؟ ولِماذا ؟

٧ـ اذْكُرْ صِفاتِ عِبادِ الرَّحْمٰنِ الَّتي وَرَدَتْ فِي آياتِ الدَّرْسِ مُرتَّبَةً حَسَبَ وُرودِها فِي الآياتِ .

**نَشاطٌ :**

١ـ سجِّلِ الآيةَ ( ٥٥ ) مِنْ سورَةِ القَصَصِ ، واذكرِ الشَّبَهَ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٦٣) .

٢ـ الآياتُ الَّتِي تُرغِّبُ بالتَّوْبةِ النَّصوحِ وتَذْكُرُ شُروطَها كَثيرةٌ . سَجِّلِ الآياتِ ( ٥٣ـ٥٥ ) مِنْ سُورةِ الزُّمَرِ ، واذكُرْ ما تَطلُبُه الآياتُ مِنَ التَّائِبينَ لِتَصِحَّ توبتُهُمْ .

* * *

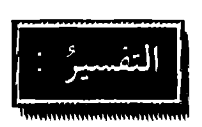
# الدَّرسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

## سُورَةُ الفُرْقانِ ـ القِسْمُ الرَّابعَ عَشَرَ

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| لَايَشْهَدونَ الزُّورَ | : لا يُؤَدُّونَ شَهادَةً كَاذِبَةً ، ولا يَحْضُرُونَ الْمَجَالِسَ الباطِلَةَ . |
| مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً | : أَكْرَمُوا أَنْفُسَهُم عِنْدَ مُرورِهِم بِمَجَالِسِ الباطِلِ بِالإِعْرَاضِ عَنْها . |
| لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمّاً وَعُمْياناً | : لَمْ يُعْرِضُوا عَنْ آياتِ اللهِ كَالصُّمِ وَالْعُمْيِ . |
| قُرَّةَ أَعْيُنٍ | : فَرَحاً وَسُرُوراً . |
| إماماً | : قُدْوَةً . |
| يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ | : الغُرْفَة أَعْلَىٰ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ وأَفْضَلُها ثَواباً مِنَ اللهِ . |
| يُلَقَّوْنَ فِيها | : يُقَابَلُونَ فِيها . |
| مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي | : لاَ يُبالِي وَلاَ يَكْتَرِثُ بِكُمْ رَبِّي . |
| سَوْفَ يَكُونُ لِزاماً | : سَوفَ يَكُونُ عَذَاباً مُلازِماً لَكُمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ . |



التفسير :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

ومِنْ صِفَاتِ عبادِ الرَّحْمـٰنِ أَنَّهُم لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ ، ولاَ يَشْغلونَ أنفسَهُم باللَّغْوِ .

والزُّورُ هُوَ كُلُّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ ، ومِنْهُ تقديمُ شَهاداتٍ كاذِبةٍ لأكْلِ حَقٍّ أو نُصْرةِ باطلٍ ، وشهاداتُ الزُّورِ الكاذبةُ معروفةٌ ، يَبتعِدُ عنْها عِبادُ الرَّحمـٰنِ ، وهِيَ مِنْ أكبرِ الكبائِرِ .

رَوَىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ عَنْ أَبي بَكرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عن رسولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « ألاَ أُنبئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبائِرِ ؟ الإشراكُ باللهِ ، وعُقوقُ الوالدينِ ، وشهادةُ الزُّورِ ، أو قولُ الزُّورِ » . وكانَ رسُولُ اللهِ ﷺ مُتّكِئاً ، فَجَلَسَ ، وَمَا زالَ يُكَرِّرُها حتَّىٰ قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ[1] .

وعبادُ الرَّحْمـٰنِ لا يكتفونَ بعدمِ شَهادةِ الزُّورِ ، وإنَّما لا يَحضُرونَ مَجالسَ الباطِلِ ، الَّتي تكونُ فيهَا الأقوالُ والأفْعالُ المَنْهيُّ عَنْها ، ولا يَشْهَدُونَها ، ويُقاطِعونَها ويَبتعدُونَ عنها .

وإذَا مرُّوا بمجالسِ اللَّغوِ في طريقِهم لمْ يُشاركُوا فيها ، ولمْ يُلوِّثُوا أنْفُسَهم بِها ، وأكرَمُوا أنْفُسَهُم بِصيانَتِها عَنْها ، لأنَّهُمْ في شُغْلٍ شاغِلٍ ، بأداءِ ما أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

ابتعادُ عِبادِ الرَّحمـٰنِ عن الزُّورِ واللَّغْوِ ، وإقبالُهُمْ علىٰ عِبادةِ اللهِ ، جَعَلَهُم سَرِيعي التَّذكُّرِ ، قَرِيبي الاعتِبارِ ، في يَقَظةٍ وَوعْيٍ وانتباهٍ ، وعِنْدما يُذَكَّرونَ بآياتِ ربِّهِمْ ، يَتَذَكَّرونَ وَيفْهَمونَ ، ويتعاملونَ مَعَها ببصيرةٍ وفِقهٍ ، ولَمْ يُعرِضوا عَنْها كالصُّمِ العُمْيِ من الكُفَّارِ ، الَّذين لا يَفهمونَ ولا يَسْمعونَ ولا يُبصرونَ!

قالَ قتادةُ : لم يَصُمُّوا عَنِ الحقِّ ، ولم يَعموا فيهِ ، هُمْ واللهِ قومٌ عَقَلُوا عَنِ اللهِ ، وانْتَفَعُوا بِما سَمِعُوا مِنْ كِتابِ اللهِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

مِنَ اهتمامِ عبادِ الرَّحْمـنِ بأزواجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَتَكْثيرِ الصَّالِحينَ أَنَّهُمْ يُعلِّمونَهُمْ ويُربّونَهُمْ ، ويَسْأَلونَ اللهَ أَنْ يُوفِّقَهُمْ للإيمانِ والعَمَلِ الصَّالحِ ، لِتَقرَّ بِهِمْ أعينُهُمْ ، ويَفْرَحونَ بصلاحِهِمْ ، وبِذلكَ يَكونونَ مَعَهُمْ في الجَنَّةِ .

---

(١) أخرجه البخاريُّ كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور . حديث رقم : ٢٥١١ . ومسلم كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها . حديث رقم : ٨٧ .

كما أنَّهُمْ يَسألونَ اللهَ أنْ يَجعَلَهُمْ أئِمةَ هُدىً لِلمُتَّقِينَ ، يَقتدونَ بِهِمْ ويَسيرونَ علىٰ طَريقِهِمْ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾ .

بعدَ الحَديثِ عَنْ صِفاتِ عِبادِ الرَّحمـٰنِ بيَّنَ اللهُ جزاءَهُمْ ، فهو يُثيبُهُمْ على ما اتَّصَفوا بهِ مِنَ الصِّفاتِ الفَاضِلَةِ ، وجاهدُوا بهِ أنفُسَهُمْ ، وصَبَروا على التَّكاليفِ ، وثوابُهُمْ هو دُخولُهُمُ الغُرْفَةَ في أعلىٰ مَنازِلِ الجَنَّةِ وأفضلِها وأكرَمِها .

وليْسَتِ الغُرْفةُ في الجنَّةِ غُرْفةً واحِدَةً ، ولـٰكنَّها غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مبنيَّةٌ ، وهُمْ آمِنونَ مُنعَّمونَ في تِلْكَ الغُرُفاتِ ، فِي أعلىٰ الجَنَّاتِ ، خَالِدونَ في ذٰلِكَ النَّعيمِ المُقيم ، شاكِرونَ للهِ عَلَىٰ ما أكْرَمَهُم بهِ ، مِنْ مُقام كَريمٍ ، واسْتِقْرارٍ آمِنٍ ، وتَتلقَّاهُمُ المَلائِكَةُ بالتَّحيَّةِ والتكريم ، وتَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ ، تَقولُ لَهُمْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ بما صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ .

﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يُصارِحَ الكُفَّارَ قائِلاً : اللهُ لا يَعْبأُ ولا يُبالِي ولا يَكْتَرِثُ بِكُمْ إذَا لَمْ تُؤْمِنوا بهِ وتَعبُدوهُ وتَدْعوهُ مُتَضرِّعينَ لهُ .

كما يَأْمُرُهُ أنْ يهدِّدَهُمْ بالعذابِ إنِ استمرُّوا علىٰ الكُفْرِ والتَّكْذيبِ ، لأنَّ العَذابَ مُلازِمٌ لِكُلِّ كافِرٍ مُكذِّبٍ ، لا يُفارِقُهُ ولا يتوقَّفُ عنهُ ، فهُوَ مُخلَّدٌ فِي نارِ جهنَّمَ ، لاَ يَموتُ فيها ولا يَخرُجُ منها!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ شَهادةُ الزُّورِ مِنْ أكبرِ الكَبائرِ ، لا يَفْعَلُها المُؤمِنُ .

٢ـ المُؤْمِنُ يُكْرِمُ نفسَهُ ، فلا يَحْضُرُ مَجالِسَ البَاطِلِ ، ولا يُشارِكُ فيها ، ويَبتعِدُ عَنْ أصحابِها .

٣ـ المُؤمِنُ يَتَفاعَلُ معَ آياتِ القُرآنِ ويَعيها وَيَتَدبَّرُها ، وَتَزيدُهُ إيماناً وطاعةً وتقوَى .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَحْرَصَ على تَربيةِ أهْلِهِ وذُرِّيَتِهِ ، لِيَكُونُوا قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ ، وأنْ يكونَ إماماً قُدوةً في الخَيْرِ .

٥ـ هوانُ الكُفَّارِ علىٰ اللهِ ، فلا يُبالِي بِهِمْ ، ولا يَضرُّونَهُ شَيْئاً ، والعَذابُ المُلازِمُ يَنتظِرُهُمْ .

٦ـ الإيمانُ والاسْتقامةُ والدُّعاءُ والإنابةُ أساسُ التَّكريمِ عِنْدَ اللهِ .

٧ـ أهميةُ دُعاءِ اللهِ وعِبادَتِهِ ، فَمِنْ أجْلِ العِبادةِ والدُّعاءِ خُلِقْنا .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أ ـ كيفَ تكونُ شهادةُ الزُّورِ ؟

ب ـ ولِماذا سُمِّيتْ بِذٰلِكَ ؟

ج ـ اذكرْ حديثَ رَسولِ اللهِ ﷺ في النَّهي عنها .

٢ـ اذكُرْ مَعْنيينِ لِقولهِ تعالىٰ : ﴿والَّذينَ لاَ يَشْهَدونَ الزُّورَ﴾ .

٣ـ كيفَ تَحْتَفِظُ بكَرامَتِكَ عندَما تمرُّ بمجالِسِ اللَّغوِ ؟

٤ـ مَاذا تَفْعَلُ عِندَما تَسمعُ آياتِ القُرآنِ أو تُذكَّرُ بها ؟

٥ـ مَاذا يَفْعَلُ المُؤْمِنُ بأَهْلِهِ وذُرِّيَّتِهِ لِيكُونُوا قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ ؟

٦ـ هَلْ المُؤْمِنُ في غُرْفَةٍ أو غُرَفٍ في الجَنَّةِ ؟ وكَيفَ تُوَفِّقُ بينَهُما ؟

٧ـ اسْتَخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ قاعِدَتينِ أَساسيتينِ وحَقيقيَّتينِ قرآنيتَينِ .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيتيْنِ ( ١٢٤ـ١٢٥ ) مِنْ سورةِ التَّوْبةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الأَثَرَ الإِيجابيَّ بسَماعِ القُرآنِ علىٰ المؤمنينَ ، وأَثرَهُ السَّلبيَّ علَىٰ المُنافِقينَ والكافِرينَ .

٢ـ أخبرَ اللهُ أَنَّ المُؤْمِنينَ في الجَنَّةِ ، فِي غُرفةٍ ، وفي غُرُفاتٍ ، وفي غُرَفٍ . اسْتَخرجْ مِنَ المُعجمِ المُفهرِسِ لألفاظِ القُرآنِ لمحمد فؤاد عبد الباقي آيةً عَنْ كلِّ واحِدةٍ ، ثم اجْمَعْ بينَ الآياتِ الثَّلاثِ .

* * *

## الدَّرسُ الخامسَ عَشَرَ

# سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الأَوّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

### تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ الشُّعَراءِ مَكيَّةٌ ، وآياتُها مائتانِ وسَبْعٌ وعِشرون آيَةً . وسُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لِورودِ كَلِمَةِ الشُّعراءِ فيها . قالَ تعالىٰ : ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوون﴾ .

مَوْضوعُ السُّورَةِ هُوَ تقريرُ حقائقِ العَقيدةِ ، مِنَ الإيمانِ باللهِ وتَوْحيدِهِ ، ونَفْيِ الشِّرْكِ ، وإثباتِ نُبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وتَهْديدِالمُشْرِكينَ ، وإِنذارِهِمْ بالعَذابِ .

والقَصَصُ هُوَ الغالِبُ علىٰ السُّورةِ ، فَذَكرتْ قَصَصَ مَجموعةٍ مِنَ الأنبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ وهُم : مُوسَىٰ ، وإِبراهيمُ ، ونوحٌ ، وهودٌ ، وصالحٌ ، ولوطٌ ، وشُعَيْبٌ ـ عليْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| لَعَلَّكَ | : للاسْتِفْهامِ الإِنْكاريّ . أيْ : هَلْ أَنتَ باخِعٌ نَفْسَكَ . |
| باخِعٌ نَفْسَكَ | : مُهْلِكٌ نَفْسَكَ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ . |
| آيَةً | : مُعْجِزَةً خارِقَةً . |

| | |
|---|---|
| فَظَلَّتْ | : فَبَقِيَتْ . |
| خاضِعِينَ | : مُسْتَسْلِمينَ . |
| ذِكْرٍ | : مَوْعِظَةٍ وَتَذْكِيرٍ . |
| مُحْدَثٍ | : التَّذْكيرِ فِيهِ مُتَجَدِّدٍ مُتَكَرِّرٍ . |



## التفسيرُ :

﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾ .

هذهِ ثلاثةُ أحْرُفٍ افْتَتحَ اللهُ بِهَا هٰذِهِ السورةَ : طا . سِينْ . مِيمْ .

والمُرادُ بهٰذِهِ الأحْرُفِ وأمْثالِها الّتِي افْتُتِحَتْ بها بَعْضُ السُّوَرِ ، تنبيهُ الكُفَّارِ إلىٰ أَنَّ القُرآنَ مُكَوَّنٌ مِنْ هٰذِهِ الأحْرُفِ ، الَّتِي تتركَّبُ مِنها لُغَتُهُمْ ، فإِنْ لَمْ يُؤمِنُوا أَنَّهُ كلامُ اللهِ ، فليأْتُوا بِسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وهَا هِيَ الأحْرُفُ بَيْنَ أيديهِمْ! وقَدْ عَجَزوا عَنِ المُعارَضَةِ والإتيانِ بالمَطْلوبِ مِنهُمْ .

وَمِمَّا يَدُلُّ علىٰ أَنَّ هٰذا هُوَ المُرادُ مِنَ الأحْرُفِ المُقطَّعَةِ ، الحَديثُ عَنِ القُرآنِ بعدَها مُباشَرَةً ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ أي : هٰذِهِ هيَ آياتُ القُرآنِ .

والقرآنُ كتابٌ مُبينٌ واضِحٌ ، يَفْصِلُ بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ ، والهُدىٰ والضَّلالِ .

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ .

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ حَريصاً علىٰ إسْلامِ قومِهِ ، ولمَّا كفروا بِهِ وكذَّبُوهُ حَزِنَ حُزْناً شَديداً مِنْ أجلِهِمْ ، لأنَّهُمْ بكُفْرِهِمْ حَرَمُوا أنفسَهُمْ مِنَ الخَيْرِ ، ولوْ اسْتَمرَّ حُزْنُهُ الشديدُ عليهِمْ فقدْ يقودُهُ إلىٰ القضاءِ على نَفْسِهِ وإهلاكِها .

فيواسِي اللهُ رَسولَهُ ﷺ ويُسلِّيهِ ، ويُهوِّنُ عليْهِ الأمْرَ . يقولُ لَهُ : هلْ تُهْلِكُ نَفْسَكَ وتَقْضِي عَلَيْهَا ، حُزْناً وهَمّاً وغَمّاً ، لأنَّهُمْ كَذَّبوكَ ولمْ يُؤمِنوا بكَ ؟ هوِّنْ عَلَيْكَ ، وَخَفِّفْ مِنْ حُزنِكَ . وهٰذا كقولِهِ تعالىٰ : ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾ [فاطر : ٨] .

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ ﴾ .

علىٰ الرَّسولِ ﷺ ألاَّ يُهلِكَ نَفْسَهُ حُزْناً علىٰ الكُفَّارِ ، لِعَدَمِ إيمانِهِمْ ، فَلَوْ شاءَ اللهُ أنْ يُجبرَهُمْ علىٰ الإيمانِ ، ويَقْسِرَهُمْ عَلَيْهِ قَسْراً ، لأَنزَلَ عليْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيةً مادِّيةً مُدْهِشَةً ، تَلوي أعْناقَهُمْ لِغَرابَتِها وعِظَمِها ، ولكنَّ اللهَ اخْتارَ أنْ تكونَ آيةُ هذا الرَّسولِ القرآنَ الّذي يُخاطِبُ القُلوبَ والعُقولَ لِيَكونَ

إيمانُهُم عَنْ قَناعةٍ واختيارٍ ، وليْسَ عنْ إكراهٍ وإجبارٍ . قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرْضِ كُلُّهُمْ جَميعاً﴾ [يونس : ٩٩] .

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ ﴾ .

لَمْ يشأْ اللهُ أَنْ يُنزِلَ علىٰ الكُفَّارِ آيةً مادِيَّةً قاهِرَةً ، وأنْزَلَ لَهُمُ القُرآنَ ، وجَعَلَهُ الآيَةَ الواضِحة لِرسولِ اللهِ ﷺ .

وهٰذا القُرآنُ ذِكْرٌ مِنَ اللهِ ، فيهِ مَوْعِظةٌ وتَذكيرٌ ، وإرْشادٌ وبيانٌ ، ومِنْهاجُ حياةٍ كاملٌ . وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُ بِهِ الكُفَّارَ ، ويَنصَحُهُمْ ويَعِظُهُمْ ، ويستمرُّ علىٰ ذَلِكَ .

والتَّذكيرُ في القُرآنِ مُحْدَثٌ مُتَجَدِّدٌ . والمَوْعِظَةُ مُتَكَرِّرَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، لِيتأثَّرَ النَّاسُ بِذلكَ ويفكِّرُوا فيهِ ، فَيُؤْمِنوا ويَهتَدُوا .

ولكنَّ الكُفَّارَ تَعامَلوا مَعَ القُرآنِ بِعِنادٍ واسْتِكْبارٍ ، فأصَرُّوا علَىٰ كُفْرِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ ، وكلَّما جدَّدَ اللهُ لَهُمْ فِي القُرآنِ مَوْعِظةً وتذكيراً ، ازدادوا إعْراضاً وتكْذيباً ، لأنَّهُ مَطْموسٌ علىٰ قُلوبِهِمْ .

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ ﴾ .

لم يَقْبَلِ الكُفَّارُ مَا فِي القُرآنِ مِنْ تَذكيرٍ مُتَجَدِّدٍ ، وأعرَضُوا عَنْهُ ، وكذَّبُوا بِهِ ، واسْتَحقُّوا بِذلكَ العِقابَ والعَذابَ . ويُهدِّدُهُمُ اللهُ ويتوعَّدُهُمْ إنِ اسْتَمَرّوا ، علىٰ ما هُمْ فيهِ من تكذيبٍ واسْتِهزاءٍ .

لقدْ قامَ الكُفَّارُ بُخطواتٍ ثلاثٍ قَبيحةٍ ، اسْتحقُّوا بِهَا العِقابَ :

١ـ الإعْراضُ عنِ القُرآنِ ، وما فيهِ مِنْ ذِكْرٍ مُحْدَثٍ .

٢ـ التَّكْذيبُ بالقُرآنِ ، ونَفْيُ أنْ يكونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

٣ـ الاسْتِهزاءُ بِالقُرآنِ ، وما فيهِ مِنْ حقائقَ حَوْلَ البَعْثِ والحِسابِ والجَزاءِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ ﴾ .

لَمْ يُعْرِضِ الكُفَّارُ عنِ آياتِ القُرآنِ فقطْ ، وإنَّما أعْرَضوا عَنْ آياتِ اللهِ البَاهِرَةِ ، الَّتي يُشاهِدونَها مِنْ حَوْلِهِمْ . ولقدْ لَفَتَ اللهُ أنظارَهُمْ إلىٰ هٰذهِ الآياتِ الكَوْنيةِ : فهذهِ الأَرْضُ أمامَهُمْ ، أَلَمْ يَنْظُروا إلىٰ ما فيها مِن آياتٍ ؟ لَقدْ أنبَتَ اللهُ فيها أصْنافاً وأنْواعاً كَثيرةً مِنَ النَّباتِ والزُّروعِ والثِّمارِ ، وهُمْ يَنْتَفِعونَ بهذهِ الأصْنافِ ، ويأْكُلونَ مِمَّا تُنْتِجُهُ مِنْ ثِمارٍ . فَعَلَيْهِمْ أنْ يَتفكَّروا في هٰذهِ الآياتِ ، ويَستدِلُّوا بهَا علىٰ وَحْدانيةِ اللهِ وعَظَمَتِهِ ، ويَقوموا بِذكْرِهِ وشُكْرِهِ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ ﴾ .

فِي أصنافِ النَّباتِ المُتَنوِّعةِ الكَريمةِ آيةٌ دَالَّةٌ علىٰ وَحدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، ولكنَّ الكُفَّارَ أعرَضُوا

عنْها ، وكَفرُوا بِاللهِ الَّذِي خَلقَها ، وسَيُعاقِبُهُمُ اللهُ على كُفْرِهِمْ ، وهُوَ عزيزٌ قاهِرٌ غالِبٌ ، يَفْعَلُ ما يُرِيدُ . وهو رَحيمٌ بِعبادهِ المُؤْمِنينَ ، يُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَته .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القُرآنُ كِتابٌ مُبينٌ مُعْجزٌ ، ومَواعِظُهُ مُتَجَدِّدَةٌ مُتكرِّرةٌ مُسْتَمِرَّةٌ .

٢ـ مُعْجزَةُ الرَّسولِ ﷺ آيةٌ تُخاطِبُ العُقولَ وتَبْقى على مَرِّ الدُّهورِ واللهُ قادِرٌ على إنزالِ الآياتِ الحِسِّيَّةِ ، ولكنها تُدْهِشُ الرَّائي ثم تَزولُ .

٣ـ عَدَمُ المُبالغةِ في الحُزْنِ على إعراضِ المُنْكِرينَ ، لِئلاً يقودَ ذَلكَ إلىٰ الهَلاكِ ، فإنَّ الإكْثارَ مِنَ الحُزْنِ والألَمِ النَّفسيِّ يقضِي على الإنسانِ .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ تعالىٰ في النَّاسِ أنْ لا يُجبَروا ولا يُكْرَهوا على الإيمانِ ، لأنَّهُ لا إكراهَ فِي الدِّينِ .

٥ـ الكُفَّارُ مُعانِدُونَ ، يُعْرِضُونَ عَنِ الآياتِ عِناداً ، بعدَ مَا قامتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ .

٦ـ القُرآنُ يَلْفِتُ أنظارَنا إلىٰ الآياتِ والعِبَرِ الَّتي حَوْلَنا ، في الأرْضِ والآفاقِ ، لِتَزيدَ صِلَتَنا باللهِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما حِكْمَةُ افتتاحِ السُّورةِ بالحُروفِ المُقطَّعَةِ ﴿طسم﴾ ؟ ولِماذَا سُمِّيَتْ بهذاالاسْمِ ؟

٢ـ لِماذا كانَ الرَّسُولُ ﷺ يَحزَنُ علىٰ الكُفَّارِ ؟ وَمَا مَعْنَى قولهِ تعالىٰ : ﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ ؟

٣ـ لِمَاذَا لَمْ يُنَزِّلِ اللهُ علىٰ الكُفَّارِ آيةً مَاديَّةً قاهرةً ؟

٤ـ مَا مَعْنىٰ وَصْفُ القُرآنِ بأَنَّهُ : ﴿ذِكْرٍ مُحْدَثٍ﴾ ؟

٥ـ قامَ الكُفَّارُ بثلاثِ خُطُواتٍ قَبيحةٍ ، استخرِجْها مِنَ الآياتِ .

٦ـ مَا مَعْنىٰ وَصْفِ النَّباتِ بأَنَّهُ ﴿زَوجٍ كَريمٍ﴾ ؟

٧ـ لِمَاذَا لَمْ يُؤمِنِ الكُفَّارُ بآياتِ اللهِ المُنتَشِرَةِ مِنْ حَوْلِهم ؟

## اقرأ واستنتج :

قالَ الشاعرُ عَنْ آياتِ اللهِ في النَّباتِ والوُرودِ :

تأملْ في رياضِ الوردِ وانظرْ ... إلى آثارِ مَا صنعَ المَلِيكُ
عيونٌ من لُجينٍ شاخصاتٌ ... علىٰ أهدابِها ذهبٌ سَبيكُ
علىٰ قُضبِ الزَّبَرْجَدِ شاهداتٌ ... بأَنَّ اللهَ ليسَ لَهُ شَرِيكُ




١ـ هناكَ سُوَرٌ مُفتتحةٌ بِالطَّاءِ والسِّين ، أو الطَّاءِ والسِّينِ والميمِ . انظرْها في المُصْحَفِ وسجِّلْ أسماءَها . وسَجِّلِ الآيةَ الَّتي بَعْدَ هٰذهِ الأَحْرُفِ .

٢ـ وُصِفَ زَوْجُ النَّباتِ في سُورةِ ( ق ) بأَنَّهُ بهيجٌ . سجِّلِ الآيةَ التي ذَكَرَتْ ذٰلِكَ ، وما الفَرْقُ بَيْنَ الزَّوجِ الكريمِ والزَّوجِ البَهيجِ ؟

* * *

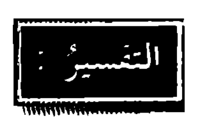
# الدرس السادس عشر

## سورة الشعراء - القسم الثاني

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

### معاني المُفْردات :

| | |
|---|---|
| نادىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ | : خاطَبَهُ لَيْلَةَ رَأَىٰ النَّارَ فِي الْوَادِي . |
| يَضيقُ صَدْرِي | : يُصيبُنِي الْغَمُّ بِسَبَبِ تَكْذيبِهم لِي . |
| لاَ يَنْطَلِقُ لِساني | : يَتَعَثَّرُ لِساني بِسَبَبِ ضيقِ الصَّدْرِ . |
| لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ | : قَتَلْتُ مِنْهُمُ الرَّجُلَ القِبْطِيَّ . |
| فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ | : قَتَلْتَ أَحَدَ رِجالِنا . |
| وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرينَ | : جَحَدْتَ نِعْمَتَنا عِنْدَما قَتَلْتَ الرَّجُلَ . |
| وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ | : قَتَلْتُ الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ يُؤْتِيَنِي اللهُ النُّبُوَّةَ . |
| تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ | : أَنْتَ تَمْتَنُّ عَلَيَّ بِتَرْبِيَتِكُمْ لِي . |
| عَبَّدْتَ بَني إِسْرائِيلَ | : جَعَلْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ عَبيداً لَكَ . |



التفسير :

تَتحدَّثُ آياتُ الدَّرْسِ عَنْ قِصَّةِ مُوسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرعونَ ، وهِيَ مُرْتبطةٌ مَعَ الآياتِ السَّابقةِ ، فقدْ تحدثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ تَكذيبِ المُشرِكينَ لِرسولِ اللهِ ﷺ ، وتَحدَّثَتْ هٰذِهِ الآياتُ ـ وَمَا بَعْدَها ـ عَنْ تَكذيبِ فِرْعَونَ وقومِهِ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بهدفِ مُواساةِ الرَّسولِ ﷺ ، فهُوَ ليسَ أَوّلَ نَبيٍّ كذَّبَهُ قومُهُ .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

تبدأُ قِصَّةُ مُوسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هُنا مِنْ بَدْءِ بَعثتِهِ ، فَعِنْدَما كانَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عائِداً بأَهْلِهِ مِنْ مَدينَ إِلَىٰ مِصْرَ ، رأىٰ ناراً مِنْ جَانبِ جَبَلِ الطُّورِ ، فلمَّا أَتاها ناداهُ اللهُ وكَلَّمَهُ ، وأَخْبَرَهُ أَنَّهُ اصْطَفاهُ ، وجَعَلَهُ نبيّاً رَسولاً ، وأَمَرَهُ أنْ يَذْهَبَ إِلىٰ فِرْعَونَ وقوْمِهِ ، وَوَصَفَهُمْ بالظُّلْمِ ، فَهُمْ ظالِمونَ كافِرونَ ، لِذٰلِكَ كفرُوا باللهِ ، واعتدَوْا علىٰ بني إسرائيلَ ، واضْطهَدوهُمْ واسْتَعبدُوهُمْ .

أَلاَ يَتَّقي فِرْعَونُ وقَوْمُهُ الظَّالِمُونَ ربَّهُمْ ، فَيُؤمِنونَ بهِ ، ويَتوقَّفونَ عَنْ ظُلْمِهِمْ ؟

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

إنَّ أمْرَ فِرْعَونَ وقومِهِ ليسَ جَديداً علىٰ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَهُوَ يَعْرِفُ مِقْدارَ ظُلْمِهِمْ وبَغْيِهِمْ وعُدوانِهِمْ ، وَلِذٰلِكَ لمَّا سَمِعَ النِّداءَ والتَّكليفَ عَرَفَ المُهِمَّةَ العَظيمةَ الَّتي كلَّفَهُ اللهُ بها ، فذكَرَ ما فيهِ من ضَعْفٍ ، وقالَ لِرَبِّهِ : إِنِّي أخشىٰ تَكذيبَ فِرْعَونَ وقَوْمِهِ لي ، فَأَحْزَنُ وَيضيقُ صَدْري بسَبَبِ ذلكَ ، وعندَ ذَلكَ لا يَنْطَلِقُ لِساني بِمَا يجبُ عَليَّ مِنْ تبليغِ الرِّسالةِ ، وهذهِ الحَالُ تُصيبُ بَعْضَ النَّاسِ عندما يُخاطَبونَ بما تَضيقُ بهِ الصُّدورُ. ولم يَكُنْ هارونُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ هذا الصِّنْفِ ، ولِذلكَ دَعا موسى عَلَيْه السَّلامُ رَبَّهُ أنْ يُرْسِلَهُ مَعَهُ لِيُعينَهُ بِفَصاحَتِهِ وبيَانِهِ، ويتحمَّلُ مَعَهُ مَهامَّ الدَّعْوَةِ والرِّسالةِ.

﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

وذَكَرَ موسى في دُعائِهِ ربَّهُ تَخوُّفَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ بأن يَقتلوهُ لأنَّهُ كانَ قَدْ قَتَل مِنْهُم رَجُلاً قَبْلَ عَشْرِ سَنَواتٍ ، عِنْدما كانَ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، قَبْلَ ذَهابِهِ إِلىٰ مَدْيَنَ ، فهُوَ يَخافُ عندَما يَذْهَبُ إِليهِمْ أنْ يَقْتُلوهُ بِسببِ ذٰلِكَ .

﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

طَمأَنَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علَىٰ تخوُّفِهِ السَّابقِ ، وقالَ لَهُ : كَلاَّ ، لنْ يَضيقَ صَدْرُكَ

ويَحْتَبِسَ لِسَانُكَ ، ولنْ يَقتلوكَ ، واسْتَجابَ لِطَلَبِهِ ، فأرْسَلَ مَعَهُ هَارونَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ .

وكلَّفَ اللهُ موسَىٰ وهارونَ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ بالذَّهَابِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ، وأَيَّدَهُمَا بِالمُعْجِزَتيْنِ : العَصا واليَدِ ، وأخبرَهُما أَنَّهُ مَعَهُما ، يَسْمعُ ويرىٰ ويحفظُهُما مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وأذاهُ . قالَ تعالىٰ : ﴿قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطغَى * قَالَ لا تَخافا إِنَّني مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى﴾ [طه : ٤٥ـ٤٦] .

ومُهِمَّتُهُما عندَ فِرْعَوْنَ مُحَدَّدَةٌ ، أنْ يُخْبِراهُ أَنَّ اللهَ جَعَلَهُما نبيَّيْنِ ، وأَرسَلَهُما لَهُ ، يَطلبانِ منهُ الإِيمانَ باللهِ ، ورَفْعَ الظُّلْمِ عنْ بَنِي إسرائيلَ ، والسَّماحَ لَهُمْ بالخُروجِ مَعَهُما مِن مِصْرَ .

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

تابعَ موسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ سَيْرَهُ ، ودَخَلَ مِصْرَ ، والتقَىٰ مَعَ أخيهِ هارونَ ، وذَهبا معاً إِلىٰ فِرْعَوْنَ ، وخَاطبَهُ موسَىٰ بِما أَمَرَهُ اللهُ بِهِ ، ولكنَّ فِرْعَوْنَ الظالمَ لَمْ يستَجِبْ لهُ ، ولمْ يَقْبَلْ رِسَالتَهُ .

وكلَّمَ فِرْعَوْنُ موسىٰ باحْتِقارٍ ، وذَكَّرَهُ بنشأتهِ عِنْدَهُمْ ، وقالَ لَهُ : أنتَ الَّذي أَحْسَنَّا إِليكَ ، فربَّيْناكَ في بُيوتِنا مُنْذُ أنْ كُنْتَ ولَداً صَغِيراً ، ونَشَأْتَ عِنْدَنا حتَّىٰ كُنْتَ شابّاً ، وأمضيْتَ فِي رِعايَتِنا سنواتٍ مُتعدِّدَةً ؟!

ثُمَّ أنَّبَهُ علَىٰ قَتْلِ القِبْطِيِّ ، وقالَ لَهُ : قابلتَ إِحسانَنَا إليكَ بالإِساءَةِ ، وإِنعامَنا بالجُحودِ ، وارْتَكَبْتَ جَريمةً كُبرَىٰ ، عندَما فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ وقَتلْتَ أحَدَ رِجالِنا! والآنَ تأتِينا وتزْعمُ أَنَّكَ نبيٌّ رَسولٌ!!

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

ردَّ موسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ علىٰ لَوْمِ فِرعونَ لَهُ بسَببِ قَتْلِهِ القِبْطِيَّ ، فقالَ لهُ : نعَمْ قتلتُهُ! ولكنَّ قتلِي لَهُ كَانَ فِي مَرْحلةٍ سَابقةٍ مِنْ حياتِي ، كُنتُ فيها مِنَ الجاهِلينَ الضَّالِّينَ ، وليسَ علىٰ شريعةٍ مِنَ اللهِ ، وخِفْتُ أنْ تقتُلوني ، فَفَرتُ مِنْكُمْ ، وذَهَبْتُ إِلىٰ مَدْينَ ، وأَقَمْتُ فيها ، وعِنْدما عُدْتُ إِليكُمْ وَهَبَ لِي ربِّي حُكْماً وعِلْماً وفَهْماً ، وجَعلَني نبيّاً ورَسولاً ، وأَمرَنِي بالمَجيءِ إِليكَ وتَبليغِكَ الدَّعْوةَ .

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

هـٰذا ردٌّ آخَرَ مِنْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَدَّ بهِ علىٰ امتنانِ فِرْعَوْنَ عَلَيْهِ ، في تنشئَتِهِمْ لهُ ، فإِنْ كانَ

أحْسَنَ إليهِ وأنْعَمَ عليهِ ، فقدْ أساءَ لِقومِهِ بني إسرائيلَ . حَيْثُ عبَّدَهُم لَهُ ، وجَعلَهُمْ عَبيداً وخَدَماً عِنْدَهُ .

وكأنَّهُ يقولُ لَهُ : ماذا يُساوِي إنعامُكَ عليَّ في مُقابلِ اسْتعبادِكَ لِقومِي ؟ إنَّ هـٰذا لا يُساوِي شيئاً! فلاَ تَمنُنْ عليَّ بهِ ، لأنَّكَ لَمْ تُحسِنْ إليَّ في الحَقيقَةِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أرْسَلَ اللهُ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى فِرْعَوْنَ لِيُنْذِرَهُ ويُعْذِرَهُ ، وتَقومَ عَلَيْهِ الحُجَّةُ بِذٰلِكَ ، ولِيُخَلِّصَ بني إسرائيلَ مِنْ ظُلْمِهِ .

٢ـ عَلى المُؤْمنِ أنْ يَتَّقيَ اللهَ ، ويَتْرُكَ ما نَهاهُ اللهُ عنهُ ، ويُفكِّرَ في المُسْتقْبَلِ لِيُنقِذَ نفسَهُ مِنَ الخَطَرِ .

٣ـ الحَذَرُ مَطلوبٌ ، والاحْتِياطُ واجِبٌ ، عِنْدَ القيامِ بالأعمالِ الكبيرَةِ ، بِشرْطِ أنْ لا يَقْعُدَ بِصاحبِهِ عنْ أداءِ الواجبِ .

٤ـ وُجودُ المُساعِدِ المُعاوِنِ ضَروريٌّ ، يُعينُ الرَّجُلَ على أداءِ مَهمتِهِ ويُساعِدُهُ ويؤازِرُهُ .

٥ـ على الدَّاعِيَةِ أنْ يَكونَ شُجاعاً جَريئاً في مُواجَهةِ أصْحابِ الباطِلِ ، فلا يَخافُ مِنْهمْ ، ولا يَجْبُنُ أمامَهُمْ .

٦ـ اللهُ مَعَ جُنودِهِ وأوْلِيائهِ ـ مِنَ الرُّسلِ والدُّعاةِ ـ بالتَّأييدِ والحِفْظِ والتَّثبيتِ ، وهـٰذا يَدْفَعُهُمْ إلىٰ أداءِ واجبِ التَّبليغِ بهِمَّةٍ أكبرَ .

٧ـ الإحسانُ إلىٰ الإِنسانِ والإنعامُ عَليْهِ لا يُبرِّرُ اسْتِعْبادَهُ أَوِ اسْتِخْدامَ ذلكَ وَسيلةً للإساءَةِ إليهِ أو إلىٰ قَومِهِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا وجْهُ الارْتباطِ بيْنَ قصةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المَذْكورَةِ في هـٰذا الدَّرْسِ وبيْنَ الآياتِ السَّابقةِ ؟

٢ـ ما الأَمْرانِ اللَّذانِ خَافَهُما موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِندَ مُواجَهَتِهِ فِرْعونَ .

٣ـ مَا المعنَىٰ الصَّوابُ لِقولِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : ﴿ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ ؟

٤ـ لِماذَا طَلَبَ موسَىٰ مِنْ ربِّهِ أنْ يُرْسِلَ إلىٰ أخيهِ هَارونَ ؟

٥ـ بِماذَا امتَنَّ فِرْعَوْنُ علىٰ مُوسَىٰ ؟ وما الَّذي لاَمَهُ عَلَيْهِ ؟

٦ـ كيفَ رَدَّ موسَىٰ علَىٰ امتِنانِ فِرعونَ لَهُ ؟

٧ـ سجِّلْ مَعْنَىٰ الآيةِ الأخيرةِ ( ٢٢ ) منْ هـٰذا الدَّرسِ ، واسْتَخرِجْ منها دَلالةً هامَّةً .

## فائدةٌ :

قالَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِفرْعَوْنَ عَنْ قتلِهِ لِلقبطيِّ : ﴿ففَررْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ مُعبِّراً بضميرِ الجَمْعِ ﴿مِنْكُم﴾ و﴿خِفْتُكم﴾ بينما خاطَبَهُ بضميرِ المُفْرَدِ في قولِهِ : ﴿تَمُنُّها عليَّ أَنْ عَبَّدتَ بَني إسْرائِيلَ﴾! المُتمثِّلِ في الفَاعِلِ لِفعلَي ﴿تَمُنُّها﴾ و﴿عَبَّدتَ﴾ .

والحِكمةُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يَخَفْ مِنْ فِرْعونَ وحْدَهُ ، ولَمْ يَفِرَّ مِنْهُ وَحْدَهُ ، إنَّمَا خَافَ مِنْهُ وَمِنْ مَلَئِهِ وَرِجَالِهِ ، ففرَّ منهُ ومنْ رجالِهِ .

أمَّا المِنَّةُ ﴿تَمُنُّها عَليَّ﴾ فهيَ صادِرَةٌ مِن فِرعونَ نفْسِهِ ، لأَنَّهُ عاشَ في قَصْرِهِ وتحتَ رِعايَتِهِ . وكذٰلِكَ تَعْبيدُ بنِي إسْرائيلَ ، فقَدْ عبَّدَهُم لَهُ وحدَهُ ، لأَنَّهُ هُوَ الحاكِمُ ، وقدْ ادَّعَىٰ الأُلُوهِيَّةَ!!

## نشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفترِكَ آيتَي سورةِ طـٰه ( ٢٧ـ٢٨ ) وبيِّنْ وجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبينَ الآيةِ (١٣) .

٢ـ اقرأ الآياتِ ( ٧ـ٢٢ ) مِنْ سُورةِ القَصَصِ ، واسْتَخلِصْ منْها نشأةَ موسَىٰ ـ عليهِ السلاَّمُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وقَتْلِهِ للقبطيِّ ، وسَجِّلْ هذهِ الخُلاصَةَ في دفترِكَ ، بِمَا لاَ يزيدُ علىٰ عَشْرَةِ أسْطرٍ .

* * *

## الدَّرسُ السَّابعَ عَشَرَ

# سُورَةُ الشَّعَراءِ - القِسْمُ الثَّالِثُ

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| مُوقِنينَ | : مُعْتَقِدينَ مُصَدِّقينَ . |
| أَلاَ تَسْتَمِعُونَ | : ألاَ تتعجَّبونَ مِنْ كَلامِه . |
| بِشَيْءٍ مُبِينٍ | : بِبُرْهانٍ ظاهِرٍ بَيِّنٍ . |
| ثُعْبانٌ مُبِينٌ | : ثُعبانٌ حَقيقيٌّ ، ولَيْسَ تَخْييلاً كَمَا يَفْعَلُ السَّحَرَةُ . |
| نَزَعَ يَدَهُ | : أَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ جَيْبِهِ . |
| قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ | : قَالَ فِرْعَوْنُ لِلأَشْرافِ والقادَةِ المَوْجودِينَ حَوْلَهُ . |
| أَرْجِهْ وَأَخاهُ | : أَخِّرِ البَتَّ في أَمْرِ مُوسى وأَخِيهِ هارونَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ . |
| وَابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرينَ | : اطْلُبْ مِنْ رِجالِكَ في مُدُنِ مَمْلَكَتِكَ جَمْعَ السَّحَرَةِ وإحضارَهُمْ إليكَ . |

## التفسيرُ :

في الآياتِ السَّابقةِ بيَّنَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ ردَّ فِرْعَوْنَ علىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وذكَّرَهُ بِنشْأَتِهِ في قَصْرِهِ ، وبِقَتْلِهِ لِلقبطيِّ ، وردَّ موسَىٰ علىٰ ذٰلِكَ .

وفِي هٰذِهِ الآياتِ انْتقلَ فِرْعَوْنُ لِلاعتِراضِ عَلَىٰ دَعوىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ورِسالتِهِ ، فوجَّهَ إليهِ أسئلتَهُ حَوْلَها ، وأجابَهُ موسَىٰ علَيْهَا .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

قالَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِفِرْعَوْنَ : إِنَّنِي أَنَا وأخِي هَارونَ رَسولانِ مِنْ ربِّ العالَمين أَرْسَلَنا إِليكَ . سألَهُ فِرعونُ بِاستهزاءٍ : مَا رَبُّ العالَمينَ الَّذي أرْسَلَكَ ؟ أيْ عرِّفْنَا بهذا الرَّبِ الَّذي أرْسَلَكَ .

أجابَهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُعَرِّفاً بالرَّبِّ الذي أَرْسَلهُ : رَبُّ العالَمينَ هُوَ رَبُّ السَّمواتِ والأرْضِ ، ومَا فيهِمَا وَمَا بينَهُما ، هُوَ الخالِقُ لِذٰلِكَ كُلِّهِ ، والمُلْكُ لهُ ، والمتصرِّفُ فيهِ وَحْدَهُ ، وكلُّ مَا فِي الكَوْنِ خاضِعٌ لَهُ وَحْدَهُ .

ثُمَّ الْتَفَتَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلَىٰ المَلأِ حَوْلَ فِرْعَوْنَ ، وقالَ لَهُم : إِنْ كنتُم مُوقِنينَ أي مُسْتَيْقِنينَ أَنَّهُ لا رَبَّ لَهُ إِلاَّ اللهُ ، ولا معبودٌ سِواهُ .

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

لمْ يُعْجِبْ جَوابُ موسَىٰ فِرعونَ ، ولِذلكَ الْتفتَ إِلىٰ الملأِ حَوْلَهُ ، وقالَ لهُمْ بتهكُّمٍ واسْتِهْزاءٍ : ألاَ تَسْتَمِعُونَ إِلىٰ مَا يَقُولُهُ مُوسَىٰ ، وزعَمِهِ أَنَّ هُناكَ إِلهاً وربّاً غيري ؟ ألا تَتعجَّبونَ مِنْ تَخويفِهِ .

فخاطبَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الملأَ بِذِكْرِ صِفةٍ أُخرَىٰ تُعرِّفُ باللهِ ربِّ العالَمينَ ، هِيَ رُبوبيَّتُهُ سُبحانَهُ لِلنَّاسِ جميعاً علىٰ اختلافِ الزَّمانِ والمَكانِ . قالَ لَهُم : اللهُ ربُّ العالَمينَ هُوَ ربُّكُمْ أنتُمْ ، وربُّ آبائِكُمْ السَّابقينَ المُتقدِمينَ .

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

لَجأَ فِرْعَوْنُ إِلىٰ اتِّهام موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي عَقْلِهِ ، فقالَ لِلملأِ مُتهكِّماً : هٰذا الَّذي يَزْعمُ أَنَّهُ أُرْسِلَ إِليكُمْ مَجنونٌ! فَتابَع موسى التَّعريفَ بربِّ العالَمينَ ، فَذَكَرَ صِفةً ثالِثةً للهِ ربِّ العالَمينَ ، هِيَ رُبوبيَّتُهُ لِلزَّمانِ والمَكانِ . قالَ لَهُمْ : اللهُ ربُّ العالَمينَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ تُشرقُ مِنَ المَشْرِقِ فِي

بدايةِ النَّهارِ ، وتَغرُبُ مِنَ المَغرِبِ فِي نهايةِ النَّهارِ ، وَهُوَ الَّذِي جعَلَ المَشْرِقَ مَشْرِقاً ، والمَغْرِبَ مَغْرِباً ، ويُدبِّرُ الكَوْنَ ومَا فِيهِ ، إن كُنْتُمْ تَعْقِلونَ ، أيْ إنْ كانت لَكُمْ عُقولٌ تَعْقِلونَ بها ، وفي ذلكَ تَعريضٌ بِهِمْ ، أنَّهُمْ إنْ لَمْ يُؤمِنوا بذلكَ فَهُمْ لا يَعْقِلونَ .

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

لمَّا غلَبَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بحُجَجِهِ وإجاباتِهِ فِرعوْنَ لَجَأ إلىٰ سِلاحِ التَّهديدِ والوَعيدِ ، وهُوَ سلاحُ الطُّغاةِ الجبَّارينَ ؛ عِندمَا يَنْهزِمونَ أمامَ حُجَّةِ أصْحابِ الحقِّ . فقالَ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : لَئِنْ آمنتَ بإلـهٍ غيري ، واتَّخَذْتَهُ وَحْدَهُ مَعْبوداً ، لأُعاقِبنَّكَ عِقاباً شَديداً ، بِوَضْعِكَ فِي السِّجْنِ مَعَ المَسْجونينَ الآخَرينَ .

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

لمْ يَخَفْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ تَهديدِ فِرْعَوْنَ لَهُ بالسِّجْنِ ، وعَلِمَ أَنَّ الأدلَّةَ العقليَّةَ لمْ تَنْفَعْ مَعَ فِرْعَوْنَ لِعنادِهِ ، فلَجَأَ إلىٰ إقامَةِ الحُجَّةِ على فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ يَعْرِضُ المُعجزاتِ التي أُرْسِلَ بها ، التي تَدُلُّ بمُجَردِ مُشاهَدَتِها أنَّها فِعْلُ الإلهِ الخالقِ ، وهِيَ دَليلٌ أيضاً على صِحَّةِ نُبُوَّةِ موسىٰ وهارونَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ وصِدْقِهِما فقالَ لِفرعونَ : إذَا جِئتُكَ بشيءٍ ظاهِرٍ ، ودَليلٍ ماديٍّ مَحسوسٍ ، يَدُلُّ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وصِدْقِي فِي دَعوىٰ النُّبوَّةِ ، هلْ تُعانِدُ ولا تُؤْمِنُ ، وتَبقَى مُصِرّاً علىٰ إدخالي السِّجْنَ ، والكُفْرِ بِمَا جِئتُكُمْ بِهِ ؟

عندَ ذٰلكَ اضطرَ فِرْعَوْنُ إلىٰ التَّراجُعِ ، وقَبولِ ما عندَ موسَىٰ ، فقالَ لَهُ : إنْ كنتَ صادِقاً في دَعواكَ النُّبوَّةَ وكانَ مَعَكَ دَليلٌ ماديٌّ واضِحٌ يَشْهَدُ لَكَ ، فَأْتِ بِهِ واعْرِضْهُ أمَامَنا .

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ وافقَ فِرْعَوْنُ علىٰ أنْ يُقدِّمَ موسَىٰ دَليلَهُ ، كانَ موسَىٰ يَحْمِلُ عصاهُ ، فألْقَاها أمامَ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ ، ونظرُوا إليها ، فإذا هِيَ ثُعْبانٌ حَقيقيٌّ ظَاهِرٌ واضِحٌ ، وليْسَ تَخْييلاً أوْ تَمْويهاً وخِداعا .

وبينَما كانَ فِرْعَوْنُ ومَلَؤهُ مَشْدوهينَ منْ هَوْلِ المُفاجأةِ قَدَّمَ لهُم موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الدَّليلَ الثَّانِي ، فقدْ كَانتْ يَدُهُ سَمْرَاءَ ، لأنَّهُ أسْمرُ اللَّونِ ، وأدْخلَها في جَيْبِهِ وهيَ سَمراءُ ، وهُمْ يَنْظُرون إليْهَا ، ثُمَّ أخْرَجَها مِنْ جَيْبِهِ ، فإذَا هِيَ بَيضاءُ لِلنَّاظِرينَ ، يَرَوْنَ بَياضَها مُنيراً مُشعّاً .

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

لمْ يتفاعَلْ فِرْعَوْنُ مَعَ الدَّليلِ الَّذِي قدَّمَهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِسَببِ عِنادِهِ واسْتِكبارِهِ ، وَبادَرَ إلىٰ اتِّهامِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالسِّحْرِ ، وخاطَبَ حَاشِيَتَهُ ورجالَ دَوْلتِهِ قائلاً : مُوسَىٰ ليسَ نبيّاً ،

وَلكنَّهُ ساحِرٌ عَليمٌ ، بارِعٌ فِي السِّحْرِ ، وما قدَّمَهُ ليسَ مُعْجزةً ، وإِنَّما هُوَ سِحْرٌ كَبيرٌ .

ثُمَّ هيَّجَ فِرْعَوْنُ الملأَ علىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عندَما وجَّهَ لَهُ اتِّهاماً آخَرَ ، فقالَ لَهُمْ : هـٰذا السَّاحِرُ ضِدَّ وَطَنِكُمْ ، وهُوَ يُريدُ أنْ يتآمَرَ عَلَيْكُمْ ، ويُخْرِجَكُمْ مِنْ أرضِكُمْ بسحرِهِ ، إِنَّهُ عدوٌّ لَكُمْ ، وأنتُم أَصْحابُ الأمْرِ ، أَشيرُوا عليَّ ماذا أَصْنَعُ بِهِ ، وسَأُنفِّذُ ما تَقولونَهُ وتأمُرونَ بهِ .

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

أجابَ الملأُ المُستَشارونَ لِفرْعَوْنَ قَائِلينَ : أَخِّرْ وأَرْجِىءِ البَتَّ فِي أَمْرِ مُوسَىٰ وأخيهِ هارونَ ، ولا تتعجَّلْ فِي عِقابِهِما ، وابْعَثْ أوامِرَكَ إِلَى الحُكَّامِ والوُلاةِ فِي جَميعِ البِلادِ ، واطلبْ مِنْهُم أنْ يَجمعُوا كلَّ سحَّارٍ عليمٍ مُبْدعٍ بارِعٍ فِي السِّحْرِ ، وأنْ يُوجِّهُوا هَؤلاءِ السَّحرَةَ إِليكَ ، ليتوَلَّوْا هُمْ مُواجهةَ مُوسىٰ السَّاحِرِ .

واللهُ هُوَ الَّذِي أَلْهَمَ المَلأَ أنْ يُشيروا علَىٰ فِرْعَوْنَ بهذا الرأيِ ، لِيَجْتَمِعَ النَّاسُ فِي مَكانٍ وَاحِدٍ ، وتظهَرَ آياتُ اللهِ علىٰ يديْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أمامَهُمْ!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ التَّعريفُ باللهِ ، فاللهُ هُوَ رَبُّ العَالَمينَ ، رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما ، رَبُّنا وربُّ آبائِناالأَوْلينَ ، وهُوَ رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ .

٢ـ الطُّغاةُ الكُفَّارُ مُتكبِّرونَ مُعانِدونَ يَرْفُضونَ الإقْرارَ بأُلوهيَّةِ اللهِ ورُبوبيَّتِهِ والخُضوعِ لَهُ .

٣ـ علىٰ صَاحِبِ الحَقِّ أنْ يُحْسِنَ مُخاطَبَةَ الآخَرينَ ومُحاوَرَتَهُمْ ، وإقامةَ الأدلَّةِ أمامَهُمْ .

٤ـ يَقومُ أصْحابُ الباطِلِ بِالسُّخْرِيةِ مِنْ أصْحابِ الحقِّ ، والتَّهَكُّمِ عَلَيْهِم ، واتِّهامِهِمْ في عُقولِهِمْ وأفكارِهِمْ .

٥ـ عِنْدَمَا يَنْهَزِمُ الطُّغاةُ فِي مَجالِ الفِكْرِ والجِدالِ يلجأونَ إِلىٰ سِلاحِ التَّهديدِ والوعيدِ .

٦ـ أصْحَابُ الحقِّ لا يَخافونَ مِنَ الطُّغاةِ ، ولا يُؤَثِّرُ فيهِمْ تَهدِيدٌ أو وَعيدٌ ، لأَنَّهُمْ يُوقِنونَ أَنَّ اللهَ مَعَهُمْ .

٧ـ يتَّهِمُ الطُّغَاةُ أصْحابَ الحَقِّ بأَنَّهُمْ ضِدَّ الوَطَنِ والأرْضِ والبِلادِ ، ويُهَيِّجونَ الآخَرينَ عَلَيْهِمْ .

٨ـ أيَّدَ اللهُ رُسُلَهُ بالمُعْجزاتِ ، ومِنْ ذَلكَ عَصا موسى ، وإضاءَةُ يَدِهِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ .

٩ـ الطُّغاةُ يَسْتَكْبِرونَ عَنِ الإيمانِ مَعَ وُضوحِ الدَّلائِلِ الدَّالَةِ عَلَيْهِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الصِّفاتُ الثلاثُ الَّتِي ذَكَرَهَا مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِربِّ العَالَمينَ جَواباً على أسئلةِ فِرعونَ ؟

٢ـ لِمَاذا هدَّدَ فِرعونُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالسِّجْنِ ؟ ولِماذَا لَمْ يَخَفْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ ذٰلِكَ التَّهديدِ ؟

٣ـ ما الآيتانِ اللَّتانِ قدَّمَهُما مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِفِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ دَليلاً علىٰ صِدْقِ نُبوَّتِهِ ؟

٤ـ بَعْدَما رأىٰ فِرْعَوْنُ الآيتينِ ، اتَّهمَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِتُهْمَتَيْنِ . مَا هُما ؟

٥ـ بِمَاذَا أشارَ المَلأُ علَىٰ فِرْعَوْنَ بشأنِ مُوسَىٰ وأَخيهِ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ ؟

## تَعَلَّمْ :

قالَ الملأُ لِفِرعونَ : ﴿أَرْجِهْ وأَخَاهُ وابْعَثْ في المَدائِنِ حاشِرينَ﴾ . و﴿أَرْجِهْ﴾ فِعْلُ أمرٍ . الماضِي منهُ « أَرْجَأَ » يُقالُ : أَرْجَأَ يُرْجِىءُ ، أَرْجِىءْ . أي أَخَّرَ ، يُؤَخِّرُ ، أَخِّرْ .

وأَصْلُ الفِعلِ هُنَا « أَرْجِئْهُ » . فَحُذِفتِ الهَمْزَةُ لِلتَّسهيلِ والتَّخفيفِ ، وَوُضِعَتْ حَرَكَتُهَا ـ السُّكُونُ ـ عَلَىٰ الهاءِ ، فصارَتْ « أَرْجِهْ » . والفاعِلُ ضَميرٌ مُسْتترٌ تقديرهُ « أنتَ » والهاءُ في مَحَلِ نَصْبِ مَفعولٍ بِهِ . أيْ : أَخِّرْ موسَىٰ وأخَاهُ هارونَ . وتُقرأُ الكَلِمَةُ بِتسْكينِ الهاءِ « أَرْجِهْ » .

## نَشَاطٌ :

١ـ ادَّعىٰ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ إِلـٰهٌ لِقَوْمِهِ وَربٌّ لَهُم . سَجِّلْ آيَةَ سورةِ القَصَصِ الَّتِي تُخبرُ عنْ ادِّعَائِهِ الأُلوهيَّةَ ، وآيةَ سورةِ النَّازعاتِ الَّتِي تُخبرُ عنْ ادِّعاءِ الرُّبُوبيَّةِ .

٢ـ اتَّهمَ فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالسِّحْرِ والجُنونِ وهـٰذهِ هِيَ التُّهْمَةُ الَّتِي تُوجَّهُ لِكُلِّ رَسُولٍ . اسْتَخْرِجْ مِنْ سُورةِ الذَّارياتِ الآياتِ الَّتِي تَتحدَّثُ عَنْ ذٰلِكَ ، واكتبْهَا فِي دَفترِكَ .

* * *

# الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

## سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

لِميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُوم : لِمَوْعِدٍ مُحَدَّدٍ فِي يوم مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ .

أَلْقوا ما أَنْتُمْ مُلْقونَ : اطْرَحوا ما تُريدونَ إِلْقاءَهُ مِنْ حِبالٍ وَعِصِيٍّ .

قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ : أَقْسَموا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ وَقُوَّتِهِ .

تَلْقَفُ : تَبْتَلِعُ .

يَأْفِكونَ : يَأْتونَ بِهِ مِنَ السِّحْرِ وَيَقْلِبونَهُ عَنْ وَجْهِهِ .

مِنْ خِلافٍ : المُخالَفَةِ فِي القَطْعِ ، بِقَطْعِ اليَدِ اليُمْنَىٰ والرِّجْلِ اليُسْرَىٰ .

لاَ ضَيْرَ : لاَ ضَرَرَ عَلَيْنا مِمَّا هَدَّدْتَنا بِهِ .

مُنْقَلِبونَ : راجِعونَ .

نَطْمعُ : نَرْجو وَنَأْمَلُ .

تَحدثتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنِ المُواجَهَةِ بَيْنَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرعَونَ ، واتِّهامِ فِرعونَ لَهُ بأنَّهُ ساحِرٌ ، وأَخْذِهِ بِمَشورةِ المَلأِ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ كُلَّ سَحَّارٍ عَليمٍ مِنْ مُخْتَلفِ مُدُنِ مِصْرَ .

وتتحدَّثُ هٰذِهِ الآياتُ عَنِ المُباراةِ الكَبيرةِ بَيْنَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبَيْنَ السَّحَرَةِ .

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

جُمِعَ السَّحرَةُ مِنْ مُدُنِ مِصرَ المتعَدِّدةِ ، وجيءَ بِهم إلىٰ العاصِمَةِ ، لِيَقِفوا أمامَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

ومِنْ كَيْدِ فِرْعَوْنَ ومَكْرِهِ ، واعْتدادِهِ بِنَفْسهِ ، أَنَّهُ طَلَبَ مِنْ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تحديدَ يَوْم المُباراةِ مَعَ السَّحرةِ ، لأنَّهُ واثِقٌ مِنْ غلبَتِهم وفَوْزِهم ، فحدَّدَ موسَىٰ ذٰلِكَ بأَنَّهُ ضُحىٰ يوم العيدِ . قالَ تعالىٰ : ﴿قالَ أَجِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ ولا أَنْتَ مَكَاناً سُوى قالَ مَوْعِدُكُمْ يَومُ الزِّينةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى﴾ [طه : ٥٧ـ٥٩] .

ولـمَّا حَانَ مَوْعِدُ المُباراةِ ، طَلَبَ فِرْعَوْنُ مِنَ النَّاسِ الحُضورَ فِي الوَقْتِ المُحَدَّدِ ، وهُوَ ضُحَىٰ يوم الزِّينةِ ، لِيَشهدُوا المُباراةَ ، ويُشاهِدُوا غَلَبَةَ السَّحرةِ وانتصارَهُمْ ، وهَزيمةَ موسَىٰ وأخيهِ! لقدْ كانَ فِرعونُ واثِقاً مِنَ الانْتِصارِ ، ولِذٰلِكَ طَلَبَ مِنَ النَّاسِ الحُضورَ!

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

وقُبَيْلَ مَوْعِدِ المُباراةِ جاءَ السَّحرَةُ إلىٰ قَصْرِ فِرعونَ ، واجْتَمَعُوا بِهِ ، وقالُوا لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ غَلَبْنا موسَىٰ وهزمناهُ ، فهلْ تُعطينا أَجْراً ومالاً ؟

وقَدْ كانَ فِرْعَوْنُ بحاجةٍ لَهُم ، ولِذٰلِكَ أجابَهم علَىٰ سُؤالِهم قائلاً : نَعَمْ ، سَأُعْطِيكُمْ ما تَطْلُبونَ مِنَ الأجْرِ ، وأزيدُكُمْ علىٰ ذٰلِكَ بِأَنْ أَجْعَلَكُم مِنْ خاصَّةِ جُلسائِي وحاشيَتِي ، المُقرَّبِينَ عِنْدِي .

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وجاءَ يومُ الزِّينةِ ، واجْتَمَعَ النَّاسُ وقْتَ الضُّحَىٰ لِيشْهَدُوا المُباراةَ ، وحَضَرَ فِرْعَوْنُ ومَلَؤهُ وحَاشِيَتُهُ ، وأتىٰ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَحْمِلُ عَصاهُ ، وجاءَ السَّحَرَةُ يَحْمِلونَ الحِبالَ والعِصيَّ .

وكانَ السَّحَرَةُ واثِقينَ مِنَ النَّصْرِ ، ولهٰذا خَيَّروا مُوسَىٰ أَيُلْقونَ هُم أَوَّلاً أَوْ يُلقِي هُوَ قَبلَهُم .

ولٰكِنَّ مُوسَىٰ كَانَ أكثرَ مِنْهُم ثِقَةً بالفَوْزِ ، لأنَّهُ مُعتَمِدٌ علىٰ رَبِّهِ ، مُوقِنٌ أَنَّ اللهَ مَعَهُ بنصرِهِ وتأييدِهِ ، ولذٰلكَ دعاهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُلْقوا هُمْ أَوَّلاً . قالَ تعالىٰ : ﴿قالوا يا موسى إِمَّا أَنْ نُلقِيَ وإِمَّا أَنْ تَكونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه : ٦٥ـ٦٦] .

أَلقىٰ السَّحَرَةُ مَا أَحضَرُوْهُ مِنْ حِبالٍ وَعِصِيٍّ ، وكانُوا مُعْتَزِّينَ بِفِرعوْنَ ، مُعتَمِدينَ عليهِ ، وقالوا : نحنُ الغَالِبونَ لِموسَىٰ ، لأنَّنا مَعَ فِرْعَوْنَ ، وقُوَّتُهُ لاَ تُغلَبُ ، وعِزتُهُ لاَ تُقْهَرُ!!

وكانتْ حبالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ كَثيرةً ، وكانَ السِّحْرُ الَّذِي قدَّموهُ عَظيماً ، يَعتمدُونَ فيهِ علىٰ التَّخييلِ والتَّمْويهِ والخِداعِ ، وبذٰلِكَ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ، وأوهَموهُمْ أَنَّ مَا يُشَاهِدُونَهُ لَيْسَ حِبالاً وَعِصِيّاً ، وإِنَّما هُوَ أفاعِي وثَعابينُ ضَخْمَةٌ ، لأنَّهُم كانُوا ماهِرينَ بارِعينَ فِي السِّحْرِ .

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

لمَّا رأىٰ موسَىٰ حِبالَهم وعِصِيَّهُمْ ، وخُيِّلَ إِليهِ أَنَّهَا تسعَىٰ ، أَوْجَسَ فِي نفسِهِ خِيفةً ، فأدرَكَهُ اللهُ بالتَّثبيتِ ، قَالَ تعالىٰ : ﴿فَأَوْجَسَ في نَفْسِهِ خِيفةً مُوسى قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلى وأَلْقِ ما في يَمينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا﴾ [طه : ٦٧ـ٦٩] .

ونفَّذَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أمْرَ اللهِ ، وألقَىٰ عصَاهُ ، فجَعَلَها اللهُ حيَّةً حقيقيةً ، تسعَىٰ وتتحرَّكُ أمامَ المُشاهِدِينَ ، وتأتِي علَىٰ ما أَلقاهُ السَّحَرَةُ مِنْ حِبالٍ وعِصِيٍّ ، تلقفُهُ وتَأْخُذُهُ وتَبتلِعُهُ!! وسَطَ دَهْشَةِ المَوْجودِينَ ، ومُفاجأةِ السَّحَرةِ البارعينَ!! وما هِيَ إلاَّ لَحْظةٌ حتَّىٰ خلا ميدانُ المُباراةِ مِنْ كُلِّ مَا افتراهُ السَّحَرَةُ مِنْ حِبالٍ وعِصِيٍّ ، لأَنَّهُ كانَ فِي جَوْفِ الحَيَّةِ ، ولمْ يبقَ إِلاَّ تِلكَ الحيَّةُ تَسْعَىٰ أمامَهم! قالَ اللهُ : ﴿فوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يَعْمَلونَ﴾ [الأعراف : ١١٨] .

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

بعدَمَا شاهَدَ السَّحَرَةُ عصَا مُوسَىٰ تتحوَّلُ أفعىٰ حَقيقيَّةً حيَّةً ، وتَبْتَلِعُ حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ عَرفوا أَنَّ موسَىٰ ليسَ ساحِراً ، وأَنَّ مَا مَعَهُ ليسَ سِحْراً ، وليسَ مِنْ فعلِ البَشَرِ ، وإِنَّمَا هُو مِنَ اللهِ رَبِّ العالمينَ ، وبذٰلِكَ قامَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ ، وأدْرَكوا صِدْقَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

حينئذٍ خَرُّوا ساجدينَ للهِ ، وأعْلَنُوا إِيمانَهُمْ بهِ إِعْلاناً عالِياً صَريحاً ، وقالُوا : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمينَ رَبِّ مُوسَى وَهارونَ﴾ .

وبذٰلِكَ أَلغَوْا رُبوبيَّةَ فِرْعَوْنَ ، واسْتَهانوا بعزتِهِ وقُوَّتِهِ . . وهٰكذَا تَحَوَّلوا مِنْ سَحَرةٍ مأْجورينَ ، إِلىٰ مُؤْمِنينَ صَالِحينَ ، وهٰكذَا انتصَرَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أمامَ النَّاسِ المُجْتَمِعينَ ، وغُلِبَ فِرعَوْنُ ومَلأُهُ وانْقَلَبوا صاغِرينَ أذلاَّءَ .

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

فوجِىءَ فِرْعَوْنُ بِإيمانِ سَحَرَتِهِ ، فَلَجأَ إلىٰ التَّهديدِ والوَعيدِ ، شَأْنُهُ شأنُ الطُّغاةِ الظَّالِمينَ ، الَّذينَ يَلْجأونَ إلىٰ العُنْفِ والاسْتبدادِ ، عِنْدَما يَنْهزمونَ أمامَ الحُجَّةِ والبُرْهانِ .

أنكرَ علىٰ السَحَرةِ إيمانَهُمْ بموسَىٰ قبلَ أنْ يأْذنَ هُوَ لهُم! وكأنَّ الإيمانَ يَحتاجُ إلىٰ إذْنٍ من الطَّاغيةِ! ﴿قال آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذنَ لَكُمْ﴾ ؟

ثُمَّ اتَّهمَهُمْ بالتآمُرِ مَعَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والتَّتَلْمُذِ على يَديْهِ : ﴿إنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ ثم هَدَّدهُمْ بالتعذيبِ الشَّديدِ ، عِقاباً لهُم علىٰ إيمانِهِمْ ، وذٰلك بأنْ يقْطعَ يدَ أحدِهِمْ اليُمنَىٰ ، ورِجْلَهُ اليُسرىٰ ، ويَقْطعَ بعدَ ذلك يَدَهُ اليُسرَىٰ ، ورِجْلَهُ اليُمنَىٰ ، ثُمَّ يُصَلِّبَهُ علىٰ النَّخلةِ حتَّىٰ يَموتَ .

﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

كانَ إيمانُ السَّحرةِ قويّاً ، ولهٰذا لمْ يُبالوا بتَهْديدِ فِرْعَوْنَ بالقَتْلِ والمَوْتِ ، ولمْ يَتَخَلَّوْا عن إيمانِهِمْ ، وردُّوا عَلَيْهِ قَائِلينَ : لا حَرَجَ ولا ضَيْرَ ، ولا ضَرَرَ عَلَيْنا مِنْ تَهْديدِكَ ، حتَّى لو نفَّذتَهُ وقَتَلْتَنا ، فالمَوْتُ حَقٌّ علىٰ كُلِّ إنسانٍ ، المُهِمُّ أنْ نموتَ علىٰ الإيمانِ ، لأنَّنا سَنَرْجِعُ إلىٰ اللهِ يَوْمَ القيامةِ ، وسَوْفَ يُحاسِبُنا علىٰ أعْمالِنا ، ونحنُ بإيمانِنا نَأْمُلُ ونرجُو أنْ يَغْفرَ لَنا رَبُّنا خطايانا وذُنوبَنا ، ومنْها ما أكرَهْتَنا عليهِ مِنَ السِّحْرِ .

وهٰكَذَا ثَبَتَ السَّحَرةُ المُؤْمِنونَ علىٰ الحَقِّ ، وصَبرُوا علَىٰ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، وكانُوا أوَّلَ المُؤْمِنينَ بموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهٰذا يَجْعَلُهُمْ مُقرَّبينَ عندَ اللهِ .

### دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ صَاحِبُ الحَقِّ يَحْرِصُ علىٰ إيصالِ دَعْوَتِهِ إلىٰ أكْبرِ عَدَدٍ مُمْكِنٍ ، لِيُقيمَ عَليهِمُ الحُجَّةَ .

٢ـ عِندَمَا تكونُ المُواجَهَةُ بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ يَحْشُدُ أصْحابُ الباطلِ كُلَّ مَا عِندَهُمْ ، ويَدْخلُ صاحِبُ الحَقِّ التَّحدِّي مُتوكِّلاً علىٰ اللهِ .

٣ـ لا يَصْمُدُ الباطلُ أمامَ الحَقِّ في المُواجَهةِ ، لأنَّ الحَقَّ يَدْمَغُهُ ويُزْهِقُهُ .

٤ـ كلُّ مَنِ اعتَمدَ علىٰ غيرِ اللهِ ، واعتزَّ بغيرِ اللهِ ، فهُوَ خاسِرٌ ذليلٌ مَهْزومٌ .

٥ـ المُرتزقَةُ المَأْجورونَ ليسُوا أصْحابَ رِسالاتٍ ومَبادِىءَ ، وإنَّما جامِعُو أموالٍ ودُنيا .

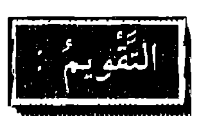
٦ـ إذا دَخَلَ الإيمانُ القَلْبَ أنارَهُ ، وغيَّرَ حياةَ صَاحِبِهِ ، وجَعَلَهُ أثبتَ مِنَ الجبَالِ .

٧ـ يَحْرِصُ الطُّغاةُ علَىٰ تَلفيقِ التُّهَمِ للدُّعاةِ وإلصاقِها بِهِمْ ، وتَعذيبِهِمْ وقَتْلِهِمْ لِلقضاءِ علىٰ دعوتِهِمْ .

٨ـ الرُّوادُ السَّابقونَ إلىٰ الإيمانِ يَدْفعونَ ثَمَنَ ذٰلِكَ غالِياً فِي الدُّنيا ، لكنَّهُمْ مُقرَّبُونَ عِنْدَ اللهِ .

٩ـ كانَ السِّحْرُ والسَّحرَةُ جُنودَ الطُّغاةِ في الأيامِ الخَاليةِ .

١٠ـ أقامَ اللهُ الحُجَّةَ علىٰ أهلِ مِصْرَ جَميعاً حيثُ رأوْا الآياتِ عَياناً ، وأقرَّ أهلُ الخِبْرةِ والعِلْمِ بِصِحَّةِ الآياتِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ حَدِّدْ وقْتَ المُبارَاةِ وَزَمانَها بَيْنَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والسَّحرةِ ، ذاكِراً دَليلَكَ مِنَ القُرآنِ .

٢ـ أ ـ مَاذَا طَلَبَ السَّحرَةُ مِنْ فِرعَونَ ؟ ب ـ ومَاذَا كَانَ رَدُّهُ عليهِم ؟ ج ـ وعَلَىٰ مَاذَا يَدُلُّ ذٰلِكَ ؟

٣ـ أ ـ مَاذَا قَالَ السَّحرَةُ عندَما ألقَوْا حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ . ب ـ وماذَا كانَتْ نَتيجةُ ذٰلِكَ القَوْلِ علَىٰ المُباراةِ ؟

٤ـ أ ـ بِمَاذَا تُفسِّرُ سُجودَ السَّحرةِ وإيمانَهُمْ بربِّ العَالَمينَ ؟ ب ـ وبماذا اتَّهمَهُمْ فِرْعَوْنُ ؟

٥ـ ماذَا قَالَ السَّحرةُ لِفرْعَوْنَ ردّاً علىٰ تَهدِيدهِ لَهُمْ ؟ ب ـ وماذَا كَانُوا يَرجونَ مُقابِلَ ذٰلِك ؟

## نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفترِكَ سَبَبَ اختيارِ يومِ العيدِ ووقتِ الضُّحىٰ لملاقاةِ فِرعونَ والسَّحَرَةِ .

٢ـ سجِّلْ الآيةَ ( ١١٦ ) منْ سورةِ الأعرافِ . والآيَةَ ( ٦٦ ) مِنْ سورةِ طَهَ ، واستخرجْ مِنْهُما أنَّ سِحْرَهُم كانَ تخييلاً وخِداعاً للأَعْيُنِ .

٣ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيتينِ ( ٧٢ـ٧٣ ) منْ سورةِ طَهَ ، واسْتخلِصْ مِنها رَدَّ السَّحرةِ المُؤمِنينَ علىٰ تَهديدِ فِرْعَوْنَ ، وقارِنْ بينَها وبَيْنَ الآيتين : ( ٥٠ـ٥١ ) .

## الدَّرسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

# سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

## مَعاني المُفْرَداتِ :

أَسْرِ بِعِبادِي : سِرْ بِهِمْ فِي اللَّيْلِ ، والسُّرى السَّيْرُ لَيْلاً .

إِنَّكُم مُتَّبَعُونَ : يَتَّبِعُكُم فِرْعَونُ وَجُنُودُهُ وَيَلْحَقون بِكُمْ .

حاشِرِينَ : جَامِعِينَ الْجُنُودَ مِنْ مُخْتَلَفِ المُدُنِ .

شِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ : طائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ قَلِيلَةُ العَدَدِ .

لَغائِظُونَ : لَفاعِلُونَ ما يَغِيظُنا وَيُغْضِبُنا .

حاذِرُونَ : مُسْتَعِدُّونَ مُتَنَبِهونَ ، نَحْذَرُ وَنَحْزِمُ الأَمْرَ .

مَقام كَرِيم : قُصورٍ وَمَنازِلَ طَيِّبَةِ الإِقامَةِ .

مُشْرِقِينَ : عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ .

تَراءَىٰ الْجَمْعانِ : تَقارَبَ الفَرِيقانِ ، بِحَيْثُ رَأَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما الآخَرَ .

إِنَّا لَمُدْرَكونَ : سَيُدْرِكُنا وَيَلْحَقُ بِنا جُنُودُ فِرْعَونَ .

| | |
|---|---|
| ٱنْفَلَقَ | : انْشَقَّ الْبَحْرُ إِلَىٰ شِقَّيْنِ . |
| كُلُّ فِرْقٍ | : كُلُّ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ بَعْدَ فَلْقِهِ وَشَقِّهِ . |
| كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ | : كَالْجَبَلِ الْعالِي . |
| أَزْلَفْنَا | : قَرَّبْنَا مِنَ الْجِهَةِ الأُخْرَىٰ . |
| ثَمَّ | : اسْمُ إِشارَةٍ بِمَعْنَىٰ هُناكَ . |
| آيَةً | : عِبْرَةً وَعِظَةً . |

## التفسير :

أخْبَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ انتِصارِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَلَىٰ السَّحَرَةِ ، وإعْلانِهِمُ الإيمانَ باللهِ ، وثباتِهِمْ علىٰ الحَقِّ . وأقامَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بعدَ ذلكَ فِي مِصْرَ يُرَبِّي مَنْ استجابَ لَهُ مِنْ بَنِي إسرائيلَ ، ويقدِّمُ لِفرْعَوْنَ ومَلَئِهِ الآياتِ ، ولكنَّهُم أصَرُّوا علَىٰ كُفْرِهِمْ وتَهْديدِهِمْ فلمْ يَبْقَ إلاَّ أنْ يَخرُجَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ببَنِي إسرائيلَ مِنْ مِصْرَ .

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

لمَّا حانَ وَقْتُ خُروجِ بنِي إسرائيلَ مِنْ مِصْرَ ، وَفْقَ عِلْمِ اللهِ ، أَوحَىٰ إِلىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَسيرَ ببنِي إسْرائيلَ في اللَّيلِ ، ويتوجَّهَ بِهِمْ نَحْوَ البَحْرِ ، تِجاهَ البلادِ المُقدَّسةِ وأنْ يُسرِعوا في السَّيْرِ ، مُسْتَفيدينَ مِنْ ظلامِ اللَّيلِ . وأَخْبَرَهُ أَنَّ فِرْعَونَ وقَوْمَهُ سَيتَّبِعونَهم ويَلْحَقُونَ بهِمْ ، وبذٰلِكَ يكُونونَ قدْ سَبقوهُم إلىٰ البَحْرِ .

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

عَلِمَ فِرْعَوْنُ بِخُروجِ بني إسرائيلَ في اللَّيلِ ، فازدادَ غَضَبُهُ عَلَيْهِم ، وأَمَرَ بالتَّعبئةِ العامَّةِ في دَوْلَتِهِ ، فأرْسَلَ إلىٰ حُكَّامِ المَدائنِ المُخْتَلِفَةِ ، يَطْلُبُ منهُمْ جَمْعَ الجُنودِ وحَشْرَهُمْ وإرْسالَهُمْ إليهِ ، لِيَلْحَقَ بالإسْرائيليينَ ويُبيدَهُمْ .

وهـٰذهِ هِيَ المرَّةُ الثانيةُ الَّتِي يأمرُ فيها بالتَّجميعِ والحَشْرِ مِنَ المَدائِنِ ، فَقَدْ سَبَقَ أنْ أمرَ بحَشْرِ السَّحَرَةِ مِنَ المَدائِنِ لِمُواجهةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ولكنَّ السَّحرةَ آمَنوا ، وهَا هُوَ الآنَ يأمُرُ بحَشْرِ الجُنودِ لِيقضِيَ علَىٰ موسىٰ وأتباعِهِ .

وحرَّضَ فِرْعَوْنُ قومَهُ علىٰ بنِي إسرائيلَ ، فَوَصفَهُم بأَنَّهُمْ شِرْذِمَةٌ قَليلةُ العَدَدِ ، ولِذٰلِكَ يَسْهُلُ

اللحاقُ بهِمْ والقَضاءُ عَليْهِمْ ، وهُمْ يَغيظونَ المِصْريينَ دائِماً ، وتَصْدُرُ عنهُمُ المُخالفاتُ المُخِلَّةُ بالأمْنِ ، ويَقومونَ بالشَّغَبِ فِي البِلادِ ، وهَا هُمْ أخذُوا الأمْوالَ والحَلْيَ وخرَجوا بِها!

وأعْلَنَ فِرْعَوْنُ أنَّهُ هُوَ وجُنودَهُ حاذِرونَ مُتيقِّظونَ مُنْتَبِهونَ ، مُدْرِكونَ خطَرَ بنِي إسرائيلَ ، مُمْسِكونَ بزِمامِ الأُمورِ .

﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

حُشِرَ لِفرعوْنَ الجُنودُ مِنَ المَدائِنِ ، وخرَجَ بِهِمْ لإدراكِ بَنِي إسرائيلَ والقَضاءِ عَلَيْهِمْ ، واقتفَوْا آثارَهُمْ ولَحِقُوا بِهِمْ ، وكانَ هـٰذا هُوَ الخُروجُ الأَخيرُ لِفرعونَ وجُنودِهِ! أخْرَجَهُمُ اللهُ مِمَّا كانوا فيهِ مِنَ النَّعيمِ ، وتَرَكوا الجِنانَ والبَساتينَ ، ومَا فِيها مِنَ العُيونِ والثِّمارِ ، كَما تَركوا الأمْوالَ المَكْنوزَةَ ، والقُصورَ العالِيةَ ، والمُلْكَ الكبيرَ ، والإقامةَ الكَريمةَ ، وأتَوْا إلىٰ حَتْفِهِمْ وهَلاكِهِمْ .

وأوْرَثَ اللهُ بَنِي إسرائيلَ جَنَّاتٍ وعُيوناً وكُنوزاً ومَقاماً كَريماً ، عِنْدمَا دَخلوا الأَرْضَ المُقدَّسةَ ، وبذٰلِكَ تحوَّلوا مِنَ الاسْتعبادِ إلىٰ العِزَّةِ والكَرامةِ .

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

واصَلَ فِرْعَوْنُ السَيْرَ السَّريعَ بجنودِهِ الكَثيرينَ ، وكانَ بَنُو إسْرائيلَ قدْ سَبقُوهُمْ باتِّجاهِ البَحْرِ . وعِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ في الصَّباحِ وصَلَ فِرعونُ إلىٰ بَنِي إسْرائيلَ .

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

عندَ شُروقِ الشَّمْسِ نَظَرَ بنو إسْرائيلَ خَلْفَهُمْ ، فرأَوْا فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ مُسْرِعينَ إليْهِمْ ، وبذٰلِكَ تَراءىٰ الجَمْعانِ ، واقترَبَ الفَريقانِ ، ورأىٰ كلٌّ منهُما الآخَرَ .

وخافَ بنُو إسْرائيلَ خَوْفاً شَديداً ، وأيْقنُوا بالهَلاكِ ، فهَا هُوَ البَحْرُ أمامَهُمْ ، ولَيْسَ مَعَهُمْ سُفُنٌ لِخَوْضِهِ ، وهَا هُمُ الجُنودُ خَلفَهُمْ ، وسارَعُوا بِمُخاطَبَةِ موسَىٰ قائِلينَ ، إنَّ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ سَيُدْرِكُونَنا ويَقتُلونَنا ويَقْضونَ عَلَيْنا!

ولكنَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كانَ آمِناً مُطمئِنّاً ، واثِقاً باللهِ ، فَلَمْ يَخَفْ ولَمْ يَقْلَقْ ، وطَمْأَنَ قَوْمَهُ قائِلاً : كلاَّ . لنْ يُدْرِكَكُمْ فِرعوْنُ وجُنودُهُ ، ولنْ يقتلُوكُمْ! إنَّ ربِّي هُوَ الَّذي أَمَرَني أنْ أخْرُجَ بِكُمْ ، وهُوَ مَعِيَ بحفظِهِ ورعايتهِ ، وسَيُنْقِذُنا مِمَّا نحنُ فيهِ ، وسَيَهْديني إلىٰ التَّصرُّفِ المُناسِبِ ويُرشِدُني إلىٰ طريقِ الخَلاصِ والنَّجاةِ مِنهُمْ .

لقدْ كانَ يَقينُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ باللهِ كَبيراً ، وَتَوَكُّلُهُ واعتِمادُهُ عَلَيْهِ كامِلاً .

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

أرْشَدَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأجرى علىٰ يديْهِ آيتَهُ العُظمَىٰ ، حيثُ انْشَقَّ البَحْرُ وانفلَقَ ، ونَشأَ وسَطَهُ طَريقٌ مُمَهَّدٌ يَبَسٌ صالِحٌ للسَّيْرِ عَلَيْهِ ، وأوْقَفَ اللهُ الماءَ علَىٰ جانبيِّ الطَّريقِ ، وكانَ الماءُ فِي كُلِّ جانبٍ كالجَبَلِ العالِي الآمِنِ . قَالَ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنا إلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً ولا تَخْشى﴾ [طه : ٧٧] .

وأمرَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَدْخُلَ ببنِي إسرائيلَ ذٰلِكَ الطَّريقَ اليَبَسَ الآمِنَ ، فَقطعُوهُ إلىٰ الجانبِ الآخَرِ ، وأنْجاهُمُ اللهُ أجْمَعينَ إكراماً لَهُم ؛ بِسبَبِ إيمانِهِمْ وصَبرِهِمْ .

وَوَقفَ فِرْعَوْنُ بجنودِهِ مَشْدوهاً ، ورأىٰ سَيْرَ بَنِي إسرائيلَ وسَطَ الماءِ بأمانٍ . وبجهلِهِ وعِنادِهِ لأَمْرٍ قَدَّرهُ اللهُ دَخلَ البَحْرَ بجنودِهِ ، فلمَّا كانُوا جَميعاً في البَحْرِ وسَطَ البَحْرِ ، أَمَرَ اللهُ الماءَ أنْ يعودَ كَما كانَ ، فانْطَبَقَ عَلَيهِمْ! وأغْرَقَهُمْ أجْمَعين ، وهَلَكَ فِرْعَوْنُ وقومُهُ الكافرونَ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

هـٰذا تعقيبٌ علىٰ مشاهِدَ وحَلَقاتِ أحداثِ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المَذْكُورَةِ في الآياتِ السَّابقَةِ ، ففِي تِلْكَ الأَحْداثِ المُتَتابِعَةِ المُثِيرةِ آيةٌ وعِبْرَةٌ وعِظَةٌ ، تَدُلُّ علىٰ قُدْرةِ اللهِ وقوَّتِهِ ، وحِفْظِهِ لِعبادِهِ المُؤمِنينَ ، وإهْلاكِهِ لأَعْدائِهِمُ الكافِرينَ .

ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَلتفتونَ إلىٰ هـٰذِهِ الآيةِ ، ولاَ يَعتبرونَ بها ، ويُصِرُّونَ علىٰ كُفْرِهِمْ وعِنادِهِمْ . واللهُ عزيزٌ يَنصُرُ أَوْلياءَهُ ، ويُهْلِكُ أعداءَهُ ، وهُوَ رَحيمٌ يَرْحَمُ المُؤمِنينَ ويُنعِمُ عليهِمْ .

وفِي هـٰذا تَسْليةٌ ومُواساةٌ لِرسولِ اللهِ ﷺ علَىٰ ما يَجِدُهُ مِنْ أذىٰ قومِهِ وتَكْذيبِهِمْ ، ولَهُم بموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أُسْوةٌ ، ويَنْصُرُهُ اللهُ كما نَصَرَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يُنْجي اللهُ عِبادَهُ المُؤمنينَ ، ويُنْقِذُهُمْ مِنْ مكائِدِ أعدائِهِمُ الكافرينَ .

٢ـ الطُّغاةُ الظَّالِمونَ يَتكبَّرونَ ويَنتَفِشونَ ، ويَسْتَهينونَ بأصْحابِ الحقِّ ويحتقرونَهُمْ .

٣ـ اللهُ مَعَ جُنودِهِ وعِبادِهِ الصَّالحينَ بالحِفْظِ والرِّعايةِ والتَّوفيقِ ، لا يَخْذُلُهُمْ ولا يُسْلِمُهُمْ إلىٰ أعدائِهِمْ ، ومَا عَلَيْنَا إلاَّ التوكُّلُ علىٰ اللهِ ، والاطْمئنانُ لِنصرِهِ .

٤ـ علىٰ القَادةِ والمَسْؤولينَ المُؤمنينَ أنْ يكونُوا مُتوكِّلينَ علىٰ اللهِ مُطمئِنينَ إليهِ .

٥ـ يُجري اللهُ لِجنودهِ الآياتِ والخوارقَ ، يُكرِمُهُم بها ، ويُخلِّصُهُمْ مِنَ المَصائبِ والمُشكِلاتِ ، ويَمْكُرُ اللهُ بأعْدائهِ ، ويُوقِعُ بِهم عاقبةَ بَغيِهِمْ وعُدوانِهِمْ .

٦ـ المُؤْمِنُ يَعتبرُ ويتَّعِظُ بما يرىٰ أوْ يَسْمَعُ مِنَ الآياتِ والأحداثِ ، أمَّا الكافِرُ فإنَّهُ مَختومٌ علىٰ قَلْبِهِ ، لا يَعْتَبِرُ ولا يَتأثَّرُ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ متَى خَرَجَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ببني إسرائيلَ ؟ ب ـ ومتَى لَحِقَ بِهم فِرْعَوْنُ بجنودِهِ ؟

٢ـ أمَرَ فِرعونُ بحَشْرِ مَنْ فِي المَدائنِ مَرَّتيْنِ أـ مَا أسبابُ الحَشْرِ في كلِّ مرةٍ ؟ ب ـ ومَنِ الَّذي تَمَّ حَشْرُهم في كلِّ مرَّةٍ ؟

٣ـ أـ مَاذا قالَ أصْحابُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ جُنودَ فِرْعونَ ؟ ب ـ وبِماذا ردَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَليْهِمْ ؟

٤ـ مَا مَعنَى الجُملِ الثَّلاثِ الَّتي قالَها فِرْعَوْنُ في تَحريضِ قَوْمِه علىٰ بَنِي إسرائيلَ ؟

٥ـ أـ كيفَ أنجَىٰ اللهُ موسَىٰ ومَنْ معَهُ ؟ ب ـ وكَيْفَ أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ ؟

٦ـ اسْتَخْلِصْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ خَمْسةً مِنَ الدُّروسِ والعِبَرِ ، وسَجِّلْها في دفترِكَ .

## نَشاطٌ :

١ـ وَعَدَ اللهُ فِي سورَةِ القَصَصِ أنْ يمُنَّ علىٰ بنِي إسْرائيلَ ويَجْعَلَهُمُ الوارِثينَ . اذْكُرِ الآيةَ الَّتي وَعدَتْ بذٰلِكَ ، واسْتَخرِجْ منهَا ذٰلِكَ الوَعْدَ ، واكتُبْهَا فِي دَفْترِكَ .

٢ـ مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ في أثناءِ هِجْرَتِه بحادثةٍ قريبةٍ مِنْ ذٰلِكَ ، وطَمْأَنَ صاحِبَهُ الصِّدِّيقَ فيها . تذكَّرْ تِلكَ الحَادِثةَ ولخِّصْهَا فِي دَفْترِكَ فِي أسطرٍ عدةٍ .

٣ـ اكتُبْ مَوْضوعاً عنْ صِفاتِ الماءِ وخَصائِصِهِ ، وبيِّنْ قُدْرَةَ اللهِ علىٰ التَّحكُّمِ بهٰذا الماءِ ، كَما مَرَّ فِي آياتِ الدَّرْسِ .

* * *

## الدرس العشرون

# سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

### معاني المفردات :

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبْراهِيمَ : وَاذْكُرْ لِقَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرَ إبْراهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

فَنَظَلُّ لَها عَاكِفِينَ : فَنُداوِمُ عَلَىٰ عِبادَتِهَا ، ونَبْقَىٰ مُسْتَمِرِّينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ .

إِذْ تَدْعُونَ : حِينَ تَدْعونَهُمْ وَتَطْلُبونَ مِنْهُمْ .

آبَاؤُكُمُ ٱلأَقْدَمُونَ : آبَاؤُكُمُ السَّابِقونَ المُتَقَدِّمُونَ .

أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطيئَتِي : يُسَامِحَني عَلَىٰ مَا أَفْعَلُهُ مِمَّا يَكونُ خِلافَ الأَوْلَىٰ .

هَبْ لِي حُكْماً : امْنَحْني عِلْماً وَفَهْماً وَعَمَلاً .

لِسانَ صِدْقٍ : ثَنَاءً حَسَناً وَذِكْراً طَيِّباً .

فِي ٱلآخِرِينَ : فِي النَّاسِ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ .

لاَ تُخْزِني يَوْمَ يُبْعَثُونَ : لاَ تَفْضَحْني يَوْمَ الْقِيامَةِ .

بِقَلْبٍ سَليمٍ : بِقَلْبٍ مُؤْمِنٍ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفاقِ .



تَنْتَقِلُ آياتُ السُّورةِ ـ فِي مواساتِها وتَسْلِيتِها لِرَسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وما فِيها مِنْ بُشرىٰ لِلْمُؤْمِنينَ بِالنَّصرِ علَىٰ الكافرينَ ، إِلىٰ قِصةِ إِبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

يأمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يتلُوَ علَىٰ قومِهِ خبرَ إبراهيمَ ـ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وأنْ يُخْبِرَهُم بِمَا جَرَىٰ بَيْنَهُ وبَيْنَ أبيهِ وقومِهِ الكافِرينَ ، لِيعْرِفَ الكَافِرونَ مِنْ قُرَيشٍ أَنَّهُم ليسوا عَنْ دِينِهِ بسببِ شِرْكِهِمْ بِاللهِ وعِبادَتِهِمُ الأَصْنامَ ، ولِيتَّخِذَهُ المُؤمِنونَ قُدوةً فِي الإِيمانِ والإِخلاصِ فِي الدَّعوةِ .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

كَانَ والِدُ إِبراهيمَ وقومُهُ يُشْرِكونَ باللهِ ، وأَنْكَرَ عليهِمْ إِبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هـٰذا الشِرْكَ ، وقالَ لهُم : مَا تَعبدونَ ؟ لِيَلْفِتَ نظرَهُمْ إِلىٰ أَنَّ ما يَعبدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَستحِقُّ العِبادةَ .

وكانُوا مُفتَخِرينَ بعبادةِ الأَصْنامِ والتَّماثيلِ ، لِذٰلِكَ أجابُوهُ علىٰ سُؤالِهِ الإِنكاريِّ قائلينَ : إِنَّنا نَعْبُدُ هـٰذهِ الأَصْنامَ ، ونعتزُّ بذٰلِكَ ، ونداومُ علىٰ عِبادَتِها ، ونَستمِرُّ علىٰ ذٰلِكَ ولا نَتْرُكُهُ أبداً .

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ أقرَّ القَوْمُ مُفْتَخِرينَ بعبادةِ الأَصْنامِ أرادَ إِبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أن يُبيِّنَ لهُمْ فسادَ عَقيدتِهِمْ ، وَسُوءَ فِعْلِهِمْ فسَأَلَهُمْ سؤالاً هُمْ يَعلمونَ جَوابَهُ ، وقالَ لَهُم : عندَما تَدْعونَ هـٰذهِ الأَصْنامَ وتَطْلبونَ منْها : هلْ تَسْمعُ دُعاءَكُمْ وكلامَكُمْ ؟ وهلْ تفْهَمُ طَلباتِكُمْ ؟ وهَلْ تَجْلِبُ لَكُمْ نَفْعاً أَوْ تَدْفَعُ عنكُمْ ضُرّاً ؟

وهُمْ يَعْلَمونَ جَوابَ هـٰذهِ الأَسئلةِ ، وإِبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَعْرِفُ أَنَّهُم يَعْلَمونَ ، ولوْ أجابوهُ لقالوا : إِنَّها لا تَسمعُ دُعاءَنا ولا تَنْفَعُنا ولا تَضُرُّنا ومَعَ ذٰلِكَ نَعْبُدُها .

إِذنْ ما الفائِدةُ مِنْ عبادتِكم لَها ؟

لمْ يَجِدِ القَوْمُ أمامَ حُجَّةِ إِبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المُقنعةِ ، إِلاَّ أَنْ يَعْتَرِفوا بِتَقْليدِهِمْ لآبائِهِمْ مِن دُونِ تفكيرٍ ، فقالُوا لهُ : وجَدْنَا آباءَنا يعبدُونَها ، فَقلَّدْناهُمْ وعَبدْناهُمْ ، ولا نُخالِفُ ما وَجَدْنا عليهِ آباءَنا ! !

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

بعدَما اعترفَ القَوْمُ بأَنَّهُمْ يَعبدونَ أصْناماً تَقليداً لآبائِهِمْ صارَحَهُمْ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ببراءَتِهِ مِنْهُمْ ، ومِنْ آبائِهِمُ المُتقدِّمينَ ، ومِنْ كُلِّ ما يعبدونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ . كَمَا أعْلَنَ لَهُم بُغضَهُ وكراهيتَهُ لِتلكَ المعْبوداتِ ومُعاداتَهِ لَها .

إنَّهُ بهذهِ البَراءَةِ والمُصارَحَةِ يتحَدَّىٰ مَعبوداتِهِمْ ، ويقولُ لَهُمْ : إنْ كانَ لِهذهِ الأَصْنامِ قُوَّةٌ وتأثيرٌ فَلْتقدِّمْ لِيَ الإساءَةَ والأذَىٰ ، فإنِّي لا أُبالي بِها ولا أخافُ مِنْها .

وإبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُقْتَدٍ بالرُّسُلِ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِ فِي هـٰذا المَوْقفِ ، فهَا هُوَ هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يقولُ لِقومِهِ مَا أخبرَنا اللهُ عنهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿إنِّي أُشْهِدُ اللهَ واشْهَدوا أنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكيدوني جَميعاً ثُمَّ لا تُنْظِرونَ﴾ [هود : ٥٤ـ٥٥] .

وبعدَ إعلانِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ البَراءَةَ مِنْ مَعبوداتِهِمْ عَرَّفَهُمْ بالإلهِ الَّذي يَعْبُدُهُ وحْدَهُ مِنْ بَيْنِ الآلهةِ الَّتي يَعْبُدُهَا النَّاسُ ، كَمَا بَيَّنَ وَجْهَ اسْتحقاقِهِ العِبادَةَ دُونَ غيْرِهِ مِنَ الآلِهَةِ .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

بيَّنَ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِقَوْمِهِ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، لأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ يَخْتَصُّ بأشياءَ خَمْسَةٍ تتعلَّقُ بحياةِ كُلِّ إنْسانٍ ، لاَ يُشارِكُهُ فيهَا أحدٌ مِنَ البَشَرِ :

١ـ قالَ لَهُم : اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الخالقُ ، خَلَقَني وصوَّرَني ، وهوَ وحْدَهُ الَّذي يَهديني هِدايةً ربّانيَّةً مُتجدِّدَةً ، إلىٰ كُلِّ ما يَهمُّني مِنْ أمْرِ الدُّنيَا والآخرةِ .

٢ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وحدَهُ هُوَ الرَّازِقُ ، يسَّرَ لِي أَسْبابَ الرِّزقِ ، وأخْرَجَ لِي الزُّروعَ والثِّمارَ ، أَتناولُ مِنْها الطَّعامَ ، وأَنْزَلَ لِيَ المَاءَ مِنَ السَّماءِ ، آخُذُ مِنهُ حَاجَتِي مِنَ الشَّرابِ ، فهُوَ الَّذي يُطعِمُني ويَسقِيني .

٣ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وحدَهُ هُوَ الشَّافِي ، فإذا أُصِبْتُ بالمِرَضِ ، فإنَّهُ وَحْدَهُ الَّذي يُنعِمُ عليَّ بالشِّفاءِ ، بِمَا يُقدِّرُ مِنَ الأسْبابِ الَّتي تُحقِّقُ ذٰلِكَ .

٤ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وَحْدَهُ هُوَ المُحْيي والمُميتُ ، لا يَقْدِرُ علىٰ ذٰلِكَ أَحَدٌ سِواهُ ، أحياني ورَعاني في هَـٰذهِ الدُّنيا ، وهُوَ الَّذي سَيُمِيتُني عِنْدَ انتهاءِ أَجَلي ، وهُوَ الَّذي سَيبْعَثُني حَيّاً يَوْمَ القِيامةِ .

٥ـ وقالَ لَهُم : اللهُ وحْدَهُ هُوَ الغَفورُ لِلذُّنوبِ ، لا يَغْفِرُها إلاَّ هُوَ ، وأَنَا أرجو أنْ يَغْفِرَ لِي خَطيئَتي ويَسْتَرَها يَوْمَ القِيامةِ .

وإبراهيمُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يرتَكِبْ ذَنْباً ، لأنَّ الأَنْبِياءَ مَعْصومونَ عَنِ الذُّنوبِ مُنَزَّهونَ عن الخطايا،وأرادَ بذَلِكَ الأعْمالَ والأقْوالَ الّتي صَدَرَتْ عَنْهُ ، وكانتْ خِلافَ الأولى فَمَعْ أنَّها لَيْسَتْ خَطايا إلاّ أنَّها كانَتْ خِلافَ الأَولى .

٦ـ وهَكذا يَجْمَعُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في هٰذهِ الجُمَلِ الخَمْسِ عَناصرَ العَقيدةِ الصَّحيحةِ : تَوحيدَ اللهِ رَبِّ العالَمينَ ، الخَالِقَ الهادي الرَّازِقَ ، الشَّافِي ، المُحيي المُميتَ ، الغَفورَ .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

بعدما أثنىٰ إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ اللهِ فِي الآياتِ السَّابقةِ ، تَوَجَّهَ فِي هٰذهِ الآياتِ بالدُّعاءِ والطَّلَبِ والمسألةِ ؛ فماذا سَأَلَ رَبَّهُ :

١ـ سألَ رَبَّهُ أنْ يُلْحِقَهُ بِعبادهِ الصَّالِحينَ ، وذَلكَ بِأَنْ يُوفِّقَهُ لِطاعتِهِ ، ويَحْفَظَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ .

٢ـ وسأَلَ ربَّهُ أنْ يَجْعَلَ لَهُ لِسانَ صِدْقٍ في الآخِرينَ ، وذٰلِكَ بِأَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْراً جَميلاً طيِّباً فِي الدُّنيا ، يَذْكُرهُ بهِ الصَّالِحُونَ مِنْ بَعْدهِ ، ويَقْتَدونَ بهِ .

وقَدِ اسْتَجابَ اللهُ دُعاء إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَجَعَلَهُ مِنْ عبادِهِ الصَّالِحينَ . قالَ تعالىٰ : ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

كَما اسْتجابَ لَهُ فجعَلَ لَهُ لِسانَ صِدْقٍ فِي الّذينَ مِنْ بعدِهِ ، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ تدَّعي مَحبَّتَهُ وأنَّها علىٰ مِلَّتِهِ ، وهُوَ أبو الأُمَّةِ المُسْلِمَةِ . قالَ تعالىٰ : ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ [الصافات : ١٠٨] .

ـ ثُمَّ سألَ ربَّهُ نَعيمَ الجنَّةِ ، بأنْ يجعلَهُ مِنْ أهْلِها ، الَّذينَ يَتمتَّعونَ بخيراتِها .

وسَأَلَ إبراهيمُ ربَّهُ أنْ يَغْفِرَ لأبيهِ ، الَّذي كانَ ضالاً عَنْ طريقِ الهُدىٰ ؛ كافِراً باللهِ ؛ رافِضاً دَعْوَةَ ابنهِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ . وهوَ لنْ يغفرَ لَهُ إلاَّ إذَا أسْلَمَ ، وكأَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ ربِّهِ أنْ يُوفِّقَ أباهُ للإسلامِ والتَّوبَةِ ، فإنْ أسْلَمَ اسْتغفَرَ اللهَ لِذنوبهِ ، فيغفرُ اللهُ لَهُ .

ولكنَّ أباهُ لمْ يُسْلِمْ ، وأَصرَّ علىٰ كُفْرِه ، فَتَبرَّأَ إبراهيمُ منْهُ بعدَ ذٰلِكَ .

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

طَلَبَ إبْراهيمُ مِنْ رَبِّهِ السَّتْرَ التَّامَّ فِي الآخِرَةِ ، بأنْ لا يَفْضَحَهُ ولا يُخزِيَه ، وذَكَرَ صِفةً مِنْ أهمِّ صِفاتِ ذٰلِكَ اليَوْمِ ، وهيَ أَنَّهُ لا يَنْفَعُ أيَّ إنسانٍ فيهِ مالُهُ ، مَهْما كَانَ كَثِيراً ، فلَو افتدَىٰ نفسَهُ بملءِ الأرضِ ذهباً ما قُبِلَ مِنْهُ ، كمَا أَنَّهُ لا ينفعُهُ أَولادُهُ ولا أَهْلُ الأرْضِ جَميعاً .

لا ينجو يَوْمَ القِيامةِ إلاَّ مَنْ كانَ مُؤْمِناً مُخْلِصاً للهِ ، سَليمَ القَلْبِ مِنَ الشِّرْكِ والنِّفَاقِ ، والمَفاسِدِ والرذائِلِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وُجوبُ تَقديمِ الدَّعْوَةِ إلىٰ أقْرَبِ النَّاسِ ، والإنكارُ عَلَيْهِمْ مُخالفاتِهِمْ ، والبراءةُ مِنْهُم إنْ أصرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ومُخالفاتِهِم .

٢ـ كانَ إبْراهيمُ مُحاوِراً قديراً على بَيانِ الحَقِّ وفَضْحِ البَاطِلِ .

٣ـ تَوْحيدُ اللهِ لُبُّ دَعْوَةِ الرُّسُلِ ومِحْوَرُها .

٤ـ الأدلَّةُ على عَدمِ اسْتِحْقاقِ الأصْنامِ العِبادةَ .

٥ـ لا يَجوزُ دُعاءُ غيرِ اللهِ ، بلْ يَجبُ تَوْحيدُهُ بالدُّعاءِ .

٦ـ خُطورةُ تقليدِ الآباءِ واتِّباعِهِمْ علىٰ مَا هُمْ فيهِ مِنْ باطلٍ ، وأخْطَرُ ما يكونُ هٰذا في العَقيدةِ .

٧ـ الأَدبُ مَعَ اللهِ ، وفِي الكلامِ عنِ اللهِ ـ سُبحانَهُ ـ فلاَ يُنْسَبُ الشَّرُ إلىٰ اللهِ ، مَعَ أنَّهُ الخالِقُ لِكلِّ شيءٍ .

٨ـ طَلَبُ المُؤْمِنِ لِلثَّناءِ الحَسَنِ مِنْ بَعْدِهِ لا يَتعارَضُ مَعَ إخلاصِهِ للهِ ، ولا مانِعَ فيهِ .

٩ـ المُؤمِنُ يَخافُ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ ، ولِذٰلِكَ يَطْلُبُ مِنَ اللهِ السَّتْرَ فيهِ .

## التَّقْويمُ :

١ـ لِماذَا عَبَدَ قومُ إبْراهيمَ الأَصْنامَ مَعَ عِلْمِهِم أنَّها لا تَنْفَعُ ولا تَضرُّ ؟

٢ـ ما الأفْعالُ الخَمْسَةُ الَّتي اخْتصَّ اللهُ نَفْسَهُ بِهَا ، وذَكَرتْهَا آياتُ الدَّرسِ ؟

٣ـ ما حِكْمةُ إسْنادِ المَرَضِ إلىٰ إبراهيمَ والشِّفاءِ إلىٰ اللهِ ؟ وَمَا الدَّرْسُ الَّذي تَأْخُذُهُ مِنْ ذٰلِكَ ؟

٤ـ بِمَ تُوجِّهُ اسْتِغْفارَ إبراهيمَ لأبيهِ ؟ ومَاذا كانَتْ نِهايةُ صِلَتِهِ بِهِ ؟ وَمَا دَليلُكَ علىٰ ذٰلِكَ ؟

٥ـ كيفَ يأتِي الإنسانُ يَوْمَ القيامةِ بقلْبٍ سَليمٍ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ أنتَ ترَىٰ أَنَّ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَسَبَ المَرَضَ إلىٰ نَفْسِهِ والشِّفاءَ إلىٰ اللهِ . بيِّنْ حِكْمَةَ ذٰلِكَ ، واكْتُبِ الإجابةَ فِي دَفترِكَ .

٢ـ تَتحدَّثُ إحْدىٰ آياتِ سورةِ التَّوْبةِ عنْ سببِ اسْتِغْفارِ إبراهيمَ لأبيهِ ، ثُمَّ تُحدِّدُ خاتِمةَ الصِّلةِ بَيْنَهُ وبيْنَ أبيهِ . سجِّلِ الآيةَ فِي دَفترِكَ .

## الدرس الحادي والعشرون

# سورة الشعراء ـ القسم السابع

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ : قُرِّبَتِ ٱلْجَنَّةُ .

بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ : أُظْهِرَتِ ٱلْجَحِيمُ بِحَيْثُ تُرى أَهْوالُها .

لِلْغاوِينَ : لِلْكافِرِينَ الَّذينَ ضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ .

كُبْكِبوا فِيها : أُلْقوا عَلَىٰ وُجوهِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِهانَةً لَهُم .

يَخْتَصِمونَ : يَتَجادَلونَ وَيَتَلاوَمونَ .

إِنْ كُنَّا لَفي ضَلالٍ مُبينٍ : إِن كُنَّا لَفِي الدُّنْيا مُخْطِئينَ .

إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمينَ : إِذْ جَعَلْناكُم مُساوِينَ للهِ فِي اسْتِحْقاقِ الْعِبادَةِ .

ما لَنا مِن شافِعِينَ : لاَ نَجِدُ يَومَ القِيامَةِ مَنْ يُدافِعُ عَنَّا .

وَلاَ صَديقٍ حَميمٍ : لاَ نَجِدُ أَحَداً صادِقاً فِي مَحَبَّتِهِ يُهِمُّهُ أَمْرُنا .

كَرَّةً : عَوْدَةً وَرُجوعاً إِلَىٰ الدُّنْيا .



التفسيرُ :

أخبَرتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ دُعاءِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ربَّهُ ألاّ يُخزيَه يومَ القِيامَةِ ، حَيْثُ لا يَنْفعُ الإنسانَ فِي ذلكَ اليَوْمِ مالٌ ولا بَنونٌ ، ولا يَنْجو فيهِ إلاَّ المُؤْمِنُ .

وفِي هٰذهِ الآياتِ عَرْضٌ لِمَشْهَدِ حَسْرةِ الكُفَّارِ ونَدامَتِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، حَيْثُ يَلومُ المُشْرِكونَ مَعْبودِيهِمْ ، ويَتمنَّوْنَ العَوْدةَ إلىٰ الدُّنْيا لِيُؤْمِنوا .

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

عِنْدمَا يَحْشُرُ اللهُ النَّاسَ جَميعاً لِلحِسابِ يَوْمَ القِيامةِ ، يُبشِّرُ المُؤْمِنينَ ويُفْرِحُهُمْ ، فيقرِّبُ لَهُمُ الجَنَّةَ ويُدْنِيها مِنْهُمْ ، ويَرَوْنَها مِنْ قَريبٍ مُزَيَّنَةً مُزَخْرَفَةً ، فَيزْدادونَ شَوْقاً إلَيْها .

ويُوقِعُ بالكافِرينَ الخَوْفَ والفَزَعَ ، فيُبرِزُ لهُم جهنَّمَ ، ويُظْهِرُها أمَامَهُمْ ، ويَرونَها مِنْ قَريبٍ ، وهِيَ تَشْتَعِلُ ناراً ، فَيزْدادونَ رُعْباً!

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

بينمَا الكافِرونَ الغاوونَ في فَزَعِهِمْ ورُعْبِهِمْ ، يُوجَّهُ لهُمْ سؤالٌ كَبيرٌ زِيادَةً في ذمِّهِمْ وتَوْبيخِهِمْ ، يُقالُ لَهُمْ : لقدْ عَبَدْتُمْ مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً فِي الدُّنْيا ، فأينَ هذهِ الآلِهَةُ المَعْبودةُ الآنَ ؟ هَلْ يَنفعونَكُمْ ويَنْصُرونَكم ؟ وهَلْ يَدفعونَ عَنْكُمُ العَذابَ ؟ وعلىٰ الأقَلِّ هلْ يَقْدِرونَ علىٰ نَصْرِ أنْفُسِهِمْ ودَفْعِ العَذابِ عَنْها ؟ إنَّهُمْ عاجِزونَ عن نَصْرِكُمْ أو نَصْرِ أنفسِهِمْ ، فَكيْفَ جَعَلْتُموهُمْ آلِهَةً وعَبَدْتُموهُمْ ؟

ولا يُجيبُ الكُفَّارُ عَنِ السُّؤالِ ؟ لأنَّ الجَوابَ يَدُلُّ عَلَيْهِ حالُ هذهِ الآلِهَةِ البَاطِلَةِ ، ولَو تكلَّمُوا لَقالُوا : هَا هُمْ عاجِزونَ لا يَنصُرونَنا ، ولا يَنصُرونَ أنْفُسَهُمْ .

﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

وَبَينَما الكافِرونَ ومَنْ عَبدُوهُمْ مِنْ دُون اللهِ في حالةِ رُعْبٍ وخَوْفٍ وفَزَعٍ مِمَّا يُشاهِدُونَ ، وفي خِزيٍ ممَّا يَسْمعونَ ، يُؤخَذُ بِهم إلىٰ جهنَّمَ ، ويُلقَوْنَ فِيهَا إلقاءً ، ويُكبْكَبونَ فيها كَبْكَبةً ، فيَتَدافَعونَ ويَتساقَطونَ فيهَا ، مِنْ دونِ عِنايةٍ ولا نِظامٍ ، احْتِقاراً وإذْلالاً لَهُمْ .

﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

ما أنْ يُدْخَلَ الكُفَّارُ ومَنْ عَبَدُوهُمْ مِنْ إبليسَ وجُنودِهِ النَّارَ ، حتَّىٰ يَقَعَ بينَهُمْ تخاصُمٌ وتَلاعُنٌ .

ينظرُ المُشرِكونَ إلىٰ أنفُسِهِمْ فِي النَّارِ ، فَيتعرَّفونَ مِقْدارَ خسارَتِهِمْ ، ويَروْنَ بجانبِهِم آلِهَتَهُمُ الَّذينَ عَبَدُوهُمْ فِي الدُّنْيا ، مُعذَّبينَ عاجِزينَ مِثْلَهُمْ .

فيقولونَ لَهُم : نحنُ المُخْطِئونَ عندَما عَبَدْناكُمْ في الدُّنْيا ، واللهِ لَقَدْ كُنَّا بذٰلِكَ ضالِّينَ ضَلالاً مُبيناً ، ومُخْطِئينَ خَطَأً كَبيراً ، عِنْدَما ساوَيْناكُم باللهِ ربِّ العَالَمينَ في العِبادةِ والطَّاعةِ والخُضوعِ .

ثُمَّ يُلقي المُشْرِكونَ بالتَّبِعَةِ والمَسْؤوليةِ علىٰ زُعَمائِهِم المُجْرِمينَ ، لأنَّهُمْ هُمُ الَّذينَ أَغْوَوهُمْ وأضَلوهُمْ ، عندَما دَعَوْهُم إلىٰ تأليهِهِمْ وعِبادَتِهِمْ .

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

بعدَ لَوْمِ المُشْرِكينَ لِمَعْبودِيهِمْ ، واعترافِهِمْ بِخَطَئِهِمْ وضَلالِهِمْ ، يُعْلِنونَ نَدَمَهُمْ وحَسْرَتَهُمْ ، ويأسَهُمْ مِنَ النَّجاةِ أَوِ الخُروجِ مِنَ النَّارِ .

يَقولُونَ هٰذا فِي جهنَّمَ ، بعدَما كَانُوا فِي الدُّنْيا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَعْبودِيهِمْ سَيشْفَعونَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ . قالَ تعالىٰ : ﴿وَيَعْبدونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ وَيَقولونَ هَؤلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس : ١٨] .

وإِذَا كَانَ المُشْرِكونَ قدْ فَقدُوا الشُّفَعاءَ والأَصْدِقاءَ في الآخِرَةِ ، فإِنَّ المُؤْمنينَ يَجِدُونَ مَنْ يشفعُ لَهُمْ ، مِثْلَ المَلائكةِ والأَنبياءِ والعُلَماءِ والشُّهَداءِ .

﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

بعدَ إعلانِ الكُفَّارِ لِحَسْرَتِهِمْ ونَدَمِهِمْ ، يَتَمَنَّوْنَ العَوْدَةَ والرُّجوعَ إلىٰ الدُّنْيا ، لِيُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ ، وهٰذه العَوْدةُ مُسْتَحيلَةٌ ، لانتِهاءِ الحَياةِ الدُّنْيا! ولَوْ أعادَهُمُ اللهُ إلىٰ الدُّنْيا لعادُوا إلىٰ الكُفْرِ مَرَّةً ثانيةً! قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفوا على النَّارِ فَقالوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا ونَكونَ مِنَ المُؤْمِنينَ بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَو رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهوا عَنْهُ﴾ [الأنعام : ٢٧ـ٢٨] .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

فِي ذِكْرِ أَحْداثِ يَوْمِ القِيامةِ فِي القُرْآنِ عِبْرَةٌ وعِظَةٌ ، يَسْمَعُها المُؤْمِنونَ فَيخافونَ مِنَ العَذابِ ، ويَرْجونَ الجَنَّةَ والنَّعيمَ ، ولكنَّ الكُفَّارَ لا يَتَّعِظونَ ، لأنَّهُ مَطْموسٌ علىٰ قُلوبِهِمْ . واللهُ عَزيزٌ قَويٌّ في انْتِقامِهِ مِنْ أَعْدائِهِ وهُوَ غفورٌ رَحيمٌ لأَوْلِيائِهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علَى المُؤْمِنِ أَنْ يَتذكَّرَ أحْداثَ يَوْمِ القِيامةِ باسْتِمْرارٍ ، لِيَسْتَقيمَ علىٰ طَاعةِ اللهِ .

٢ـ يَلقَىٰ الكُفَّارُ الإهْمالَ والإذلالَ في جَهَنَّمَ ، حتَّىٰ إنَّهُمْ يُكَبْكَبونَ فِيها كَبْكَبَةً .

٣ـ يَعْتَرِفُ الكُفَّارُ فِي الآخِرَةِ بِخَطَئِهِمْ وضَلالِهِمْ، بينَما كانُوا يَرْفضُونَ الاعْتِرافَ بِذٰلِكَ فِي الدُّنْيا .

٤ـ لا يَجِدُ الكُفَّارُ شُفعاءَ ولا أَصْدِقاءَ يومَ القِيامةِ ، فَيَزْدادونَ حَسْرَةً ونَدامَةً .

٥ـ إضْلالُ المُجْرِمِ وإغْواؤُهُ لِلآخَرينَ ، لا يَعفيهِمْ مِنَ المَسْؤُوليةِ والعَذَابِ يَوْمَ القِيامةِ .

٦ـ يتمنَّىٰ الكُفَّارُ العَوْدَةَ للدُّنيا لِيؤمِنوا ، لِشُعورِهِمْ بالحَسْرةِ والخَسارةِ فِي الآخِرَةِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ تُزْلَفُ الجَنَّةُ وتُبْرَزُ جهنَّمُ ؟ ومتَىٰ يَكونُ ذٰلِكَ ؟

٢ـ كيفَ يُلقَىٰ الكُفَّارُ فِي جَهَنَّمَ ؟ وَعَلَىٰ مَاذَا يَدُلُّ ذَلِكَ ؟

٣ـ مَا الَّذي يَقُولُهُ العَابِدُونَ لِمعبودِيهِم فِي جَهنَّمَ ؟ وبِمَاذَا يَعْترِفُونَ ؟

٤ـ مَا الَّذِي يتَمنَّاهُ الكُفَّارُ وَهُمْ فِي النَّارِ ؟ ولِماذا ؟ وهَلْ يَنالونَهُ أَمْ لا ؟

## نَشاطٌ :

١ـ انظرِ الآياتِ ( ٢٢ـ٢٤ ) مِنْ سورةِ الأَنْعامِ ، ولاحِظْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وَبَيْنَ الآياتِ (٩٢ـ٩٣) ، وسَجِّلْ ذٰلِكَ فِي دَفترِكَ .

٢ـ تَحدَّثَتْ سورٌ كثيرةٌ عن التَّلاومِ والتَّخاصُمِ بينَ العابِدينَ والمَعْبودينَ فِي النَّارِ . سجِّلِ الآياتِ الَّتي تحدَّثَتْ عنْ ذٰلِكَ فِي سورةِ الأعرافِ .

٣ـ اكتبْ مَوْضوعاً عَنْ خَطَرِ اتِّباعِ أَهْلِ الضَّلالِ فِي حُدودِ صَفْحَةٍ ، وضَعْهُ علىٰ مَجلَّةِ الحائِطِ فِي مدرستِكَ .

# الدرس الثاني والعشرون

## سُورَةُ الشُّعراءِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

### معاني المفردات :

أَلا تَتَّقونَ : حَثٌّ لَهُمْ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ .

مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ : لاَ أُرِيدُ مِنْكُمْ أُجْرَةً وَلاَ مالاً مُقَابِلَ الدَّعْوَةِ .

اتَّبَعَكَ الأَرْذَلونَ : آمَنَ بِكَ السَّفَلَةُ الَّذينَ هُمْ أَقَلُّ النَّاسِ مالاً وَجاهاً وَمَنْزِلَةً .

نَذيرٌ مُبينٌ : أَنا رَسُولٌ مَهَمَّتِي تَبْلِيغُكُمُ الدَّعْوَةَ وَإِنْذارُكُمْ وَتَخْويفُكُمْ .

لَتَكونَنَّ مِنَ الْمَرْجومِينَ : سَوْفَ نَرْميكَ بِالحِجارَةِ ، وَنَرْجُمُكَ بِها .

فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً : رَبِّ احْكُمْ بَيْنِي وبَيْنَ قَوْمِيَ الكافِرينَ حُكْماً قاطِعاً فاصِلاً .

الفُلْكِ المَشْحونِ : سَفِينَةِ نُوحٍ الَّتي كَانَتْ مَمْلُوءَةً بِالرُّكَّابِ .

## التفسيرُ :

تحدثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قصةِ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، وهـٰذِهِ الآياتُ عَرَضَتْ قِصةَ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، وكَيْفَ انتُهتْ أحْداثُ القِصَّةِ بإغراقِ القَوْمِ الكافِرينَ ، وإنجاءِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمنينَ . وذَلكَ لِتَسْلِيةِ النَّبيِّ ﷺ ومُواساتِهِ فِيما يَلقىٰ مِنْ أذىً وتكذيبٍ مِنَ المُشْرِكينَ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

أوَّلُ مَا ظَهرَ الشِّرْكُ في قَوْمِ نوحٍ . فَقدْ كانَ النَّاسُ قَبْلَهُمْ مُؤْمِنينَ مُوَحِّدينَ ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُم نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نبيّاً رَسولاً ، وهُوَ واحِدٌ مِنْهُمْ ، فدعاهُمْ إلَىٰ الإيمانِ بِاللهِ وعِبادَتِهِ وَحْدَهُ ، وعَدمِ الشِّرْكِ بِهِ ، ولكنَّهُمْ لمْ يَستجيبُوا لَهُ ، وكذَّبوهُ وكفروا بِهِ .

وعدَّتِ الآيةُ تكذيبَهُمْ لأخيهِمْ نوحٍ تَكْذيباً لِجَميعِ الرُّسُلِ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلينَ﴾ وهـٰذا يَدُلُّ علىٰ وِحْدةِ الرِّسالةِ ، ووُجوبِ الإيمانِ بِجَميعِ الرُّسُلِ ، ومَنْ كَذَّبَ رَسولاً واحِداً فَقدْ كذَّبَ جَميعَ الرُّسُلِ .

وقدْ حَثَّ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ علىٰ تقوىٰ اللهِ ، لأنَّهم إنِ اتَّقوا اللهَ أدُّوا ما أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ ، وترَكوا ما حَرَّمَهُ عليهِمْ ، وأطاعُوا رَسولَهُ فيمَا يَدْعُوهُمْ إليهِ .

وقدَّمَ نفسَهُ لَهُم علىٰ أَنَّهُ رَسولٌ بَعَثَهُ اللهُ لَهُمْ، وهوَ أَمينٌ علىٰ تَبْليغِ الرِّسالَةِ، مِنْ دونِ زِيادةٍ أو نَقْصٍ.

وأخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ مُخْلِصاً للهِ ، ولا يَطْلُبُ مِنهُمْ مُقَابلَ دَعْوَتِهِ ونُصْحِهِ أُجْرَةً ولا مالاً ولا شَيْئاً ، لأنَّ اللهَ الكَريمَ هُوَ الَّذِي يُعطيهِ الأَجْرَ والثَّوابَ .

وقدْ كرَّرَ لَهُمُ الأمْرَ بتقوىٰ اللهِ ، وطاعَتِهِ هُوَ فِي مَا يَدْعُوهُم إليهِ ، لأَنَّهُ جَعَلَ الأَمْرَ الأوَّلَ عِلَّةً لِكَوْنِهِ رَسولاً أميناً ، وجَعَلَ هذا الأَمْرَ عِلَّةً لِعدمِ طَلَبِهِ الأَجْرَ مِنْهُمْ .

﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

بعدَما أقامَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ قومِهِ الحُجَّةَ ، علىٰ أَنَّهُ رَسولٌ مُبينٌ ، علَّلوا عَدَمَ إيمانِهم بِهِ بِسَببِ أَتْباعِهِ ، فَقَدِ اعترَضُوا عَلَيْهِمْ بأَنَّهُمُ الأَرْذلونَ الضُّعفاءُ الفُقراءُ .

قالوا لَهُ : كَيْفَ نُؤْمِنُ بكَ ونتَّبِعُكَ ، والَّذينَ اتَّبَعوكَ هُمُ الأَراذِلُ الفُقَراءُ الضُّعَفاءُ ؟ ونحنُ السَّادَةُ أَهْلُ الجاهِ والثَّرْوَةِ والنُّفوذِ ؟ أَتُريدُ مِنَّا أنْ نَخْضَعَ لِهؤلاءِ ؟

وقَدْ ردَّ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَليْهِمُ اعْتِراضَهُمْ بأنَّهُ لا يَعْلَمُ أعْمالَ أتْباعِهِ وحِرَفَهُمْ ومِهَنَهُمْ ، ولا يَبْحَثُ عَنْ سَرائِرِهِمْ وأُمورِهِمُ الدَّاخِلِيَّةِ ، إنَّهُ لهُ ظَواهِرُهُمْ ، وقَدْ قدَّمَ لَهُمُ الدَّعْوَةَ فَقَبلوها وصَدَّقُوهُ واتَّبَعُوهُ . واللهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي قُلوبِهِمْ ، ويُحاسِبُهم علىٰ ما فِيها .

ولَمْ يَقبلِ الكُبَراءُ مِنْ قَوْمِهِ كلامَهُ ، وطَلبُوا مِنْهُ طَرْدَ أُولئكَ الأَراذِلِ لِيَتَّبعوهُ هُمْ ، وهُمْ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أُولئكَ . ولكنَّهُ كانَ وَاضِحاً وصَريحاً في رَدِّهِ عَلَيْهِمْ ، فأَخْبَرَهُمْ أنَّهُ لَنْ يَطْرُدَ أُولئكَ المُؤْمِنينَ ، لأنَّهُمْ سَابقونَ إلىٰ الإيمانِ ، وهوَ نَذيرٌ مُبينٌ ، مُهِمَّتُهُ إنذارُ النَّاسِ وتَخْويفُهُمُ العَذابَ ، فَمَنْ آمنَ بهِ كَانَ مِنْ أتْباعِهِ ، مَهْما كانَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي المُجْتَمعِ .

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

لمَّا عَجزَ القَوْمُ عَنْ جِدالِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وانهزَمُوا أمامَ مَنطقِهِ وبُرْهانِهِ ، لَجَأوا إلىٰ التَّهديدِ ـ وَهُوَ سِلاحُ الطُّغاةِ دائِماً عِنْدَما لا يَجِدُونَ حُجَّةً ـ وقالُوا لَهُ : يجبُ عليكَ يَا نُوحُ أنْ تتوقَّفَ عنْ دعوتِكَ لَنا ، فإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَسَوْفَ نَرْجُمَنَّكَ بالحِجارةِ حتَّىٰ تموتَ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

بتهديدِهِمْ لِنوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالرَّجْمِ والقَتْلِ أغلَقُوا بابَ الحِوارِ والجِدالِ بينَهُمْ وبَيْنَهُ ، عِنْدَ ذٰلِكَ لم يَبْقَ لِنوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلاَّ أنْ يَطْلُبَ مِنَ اللهِ الفَصْلَ بينَهُمْ وبَيْنَهُ ، فناجَىٰ ربَّهُ قائلاً : يا ربِّ إنَّ قَوْمِي كَذَّبوني في دَعْوتِي لَهُمْ ، فاحْكُمْ بيني وبينَهُمْ حُكْماً فاصِلاً قاطِعاً ، تَنْصُرُ بِهِ أَهْلَ الحَقِّ ، وتُهلِكَ بهِ أَهْلَ الباطِلِ ، ونجِّني أنَا وَمَنْ مَعِيَ منَ المُؤْمِنينَ مِنَ العَذابِ .

﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ اللهُ دَعْوةَ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وفَتَحَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمِهِ بالحَقِّ ، فأَهْلَكَ قومَهُ الكافِرينَ ، ونجَّاهُ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤمنينَ ـ وكانُوا قَليلينَ ـ في السَّفينةِ ، الَّتي أَمَرَهُ اللهُ بِصُنْعِها ، ولمَّا بدأَ الطُّوفانُ أَمَرَ اللهُ نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِي السَّفينةِ أَتْباعَهُ المُؤْمِنينَ ، وزَوجيْنِ اثنَينِ مِنْ كُلِّ شيءٍ ، فَصارَتِ السَّفينةُ مَشْحونَةً مَمْلوءَةً بِهِمْ .

وأَغْرَقَ اللهُ البَاقِينَ مِنْ قَومِهِ بالطُّوفانِ ، بِسَببِ كُفْرِهِمْ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ قِصَّةَ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ معَ قَوْمِهِ آيةً وعِبْرةً وعِظَةً ، ودَلالةً علىٰ سُنَّةِ اللهِ في إنْجاءِ المؤمنينَ ، وإهلاكِ الكافِرينَ ، لكنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ لا يَعْتَبِرونَ بِهَا لِعَدَمِ إيمانِهِمْ . واللهُ عَزيزٌ في انْتِقامِهِ مِنْ أعْدائِهِ ، رَحيمٌ فِي مَغْفِرَتِهِ ورَحْمَتِهِ لأوْلِيائِهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أنبأنا عَنْ قِصَّةِ نوحٍ مَعَ قَوْمِهِ ، وهذا مِنْ أَنباءِ الغَيْبِ الصَّادِقَةِ .

٢ـ التَّكذيبُ بِرسولٍ واحِدٍ تَكْذيبٌ بالرُّسُلِ كُلِّهِمْ .

٣ـ وُجوبُ التَّعفُّفِ عَنْ مَا عِنْدَ النَّاسِ ، وابتغاءُ الأَجْرِ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ .

٤ـ مَقاييسُ أَهْلِ البَاطِلِ جَاهليةٌ خادِعَةٌ ، لِذٰلكَ يَحْتَقِرونَ المُؤمنينَ .

٥ـ عِنْدَما يَنْهَزِمُ أَصْحابُ البَاطِلِ أَمامَ حُجَّةِ أَصْحَابِ الحَقِّ يَلْجَأونَ إِلىٰ سِلاحِ التَّهديدِ والتَّعذيبِ .

٦ـ المُؤْمِنُ يَلْجأُ إِلىٰ ربِّهِ عِنْدَما تضيقُ بِهِ السُّبُلُ ، يَطْلُبُ مِنهُ الفَرَجَ والنَّصْرَ .

٧ـ نَتيجةُ الصِّراعِ بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ انتصارُ الحَقِّ ونَجاةُ جُنودِهِ وهَزيمَةُ الباطلِ وإِهلاكُ أَهْلِهِ .

٨ـ لا يَجوزُ لِلدُّعاةِ والقَادَةِ المُسْلِمينَ تَفْضيلُ الالتقاءِ بقادَةِ الكُفْرِ علىٰ مُخَالَطَةِ الفُقراءِ ومُجَالَسَتِهِمْ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذَا قَالَ اللهُ : ﴿كَذَّبَتْ قَومُ نُوحٍ الْمُرْسَلينَ﴾ مَعَ أَنَّهُ عِنْدَهُمْ رَسولٌ واحِدٌ ؟

٢ـ أـ بماذا وصَفَ الكُفَّارُ أَتْباعَ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ . ب ـ ومَا الَّذي طَلبوهُ منهُ ؟ ج ـ وماذا كانَ رَدُّهُ عَليْهِمْ ؟

٣ـ بِمَاذَا تُفَسِّرُ تَهديدَ قَوْمِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَهُ بِالرَّجْمِ ؟

٤ـ كيفَ كانتْ نَجاةُ نوحٍ وأَتْباعِهِ ؟ وما معنَىٰ : ﴿الفلك المشحون﴾ ؟

٥ـ اسْتَخلِصْ مِنْ قصةِ نوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ خَمْسَ عِبَرٍ وعِظاتٍ ، تَجْعَلُها آيةً لَكَ .

## نَشاطٌ :

١ـ طَلَبَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الطَّلَبَ نَفْسَهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ الردَّ نَفْسَهُ . انظرْ الآياتِ ( ٥٢ـ٥٤ ) مِنْ سورةِ الأَنْعام . وبيِّنِ الشَّبَهَ بَيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (١١١ـ١١٥) .

٢ـ اقرأْ الآياتِ ( ٣٦ـ٤٤ ) مِنْ سورةِ هُودٍ ، ولَخِّصْ مِنها أَحداثَ الطُّوفانِ ، وصُنْعَ السَّفينةِ ، ونَجاةَ المُؤْمِنينَ ، وهَلاكَ الكَافِرينَ ، واكتبْهُ في دفترِكَ .

* * *

# الدَّرسُ الثَّالِثُ والعِشرُونَ

## سُورَةُ الشُّعراءِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

### معاني المُفْرداتِ :

عادٌ : قبيلَةٌ ، كانَتْ بَعْد إهْلاكِ قَوْمِ نُوحٍ ، سَكَنَتْ في جَزيرَةِ العَرَبِ .

رِيعٍ : مَكانٍ مُرْتَفِعٍ .

آيةً : عَلامَةً بارِزَةً ، وقَصْراً عالِياً .

تَعْبَثُونَ : تَفْعَلونَ ذٰلِكَ عَبَثاً وَلَعِباً مِنْ دُونِ فائِدَةٍ .

مَصانعَ : قُصُوراً وَسُدُوداً .

بَطَشْتُمْ : أَخَذْتُمْ خُصومَكُمْ بِعُنْفٍ وَقَسْوَةٍ .

جَبّارِينَ : مُتَسَلِّطِينَ عُتاةً مِنْ دونِ رَأْفَةٍ وَلا شَفَقَةٍ .

أَمَدَّكُمْ : أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وسَخَّرَ لَكُمْ .

وَعَظْتَ : نَصَحْتَ وَتَكَلَّمْتَ بِكَلامٍ مُؤَثِّرٍ يُلِينُ الْقَلْبَ .

خُلُقُ الأوَّلِينَ : عادَةُ السَّابِقينَ وَحَياتُهُم .

كانَ الكَلامُ فِي الآياتِ السَّابقةِ عَنْ قصةِ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، والكلامُ فِي هٰذهِ الآياتِ عَنْ قومِ عادٍ الَّذِينَ كانُوا فِي الزَّمانِ بعدَ قَوْمِ نُوحٍ مُباشرةً ، وكانوا يَسْكُنونَ فِي « الأَحْقافِ » ، وكَانوا أقوَىٰ أُمَّةٍ فِي عَهْدِهِم ، بَعَثَ اللهُ لَهُم أخاهُم هُوداً رَسولاً ـ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

أخْبَرَتِ الآياتُ عَنْ تَكْذيبِ قَوْمِ عادٍ المُرْسَلينَ ، عِلْماً أَنَّهُم كذَّبُوا رَسولَهُم هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ كذَّبَ رَسولاً فقدْ كذَّبَ كُلَّ رسولٍ ، ولقدْ بَعَثَ اللهُ تعالىٰ لَهُم أخاهُمْ هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَقالَ لَهُم : آمِنوا باللهِ ، واعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، واتَّقوهُ ، وآمِنوا بِي ، واقبَلوا دَعوتِي ، فأنَا رَسولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ، أَمينٌ علىٰ رِسالَتِي ، أُبَلِّغُكُمْ إِيَّاها كامِلَةً ، فاتَّقوا اللهَ فِيما أَمَرَ ونهَىٰ ، وأَطيعونِي فيمَا آمُرُكُم بِهِ وأنهاكُمْ عنهُ ، واعلَموا أنِّي لا أطْلُبُ مِنْكُمْ علىٰ تبليغِ رسالتِي أجْراً ولا مالاً ، لأنِّي أُريدُ الأَجْرَ والثَّوابَ مِنَ اللهِ ربِّ العالَمِينَ .

ولكنَّ القَوْمَ رَفَضوا دَعْوةَ هُودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وكذَّبوهُ وكفرُوا بهِ .

بعدَما دَعا هُودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ إِلىٰ الإِيْمانِ باللهِ وطاعتهِ وتَقْواهُ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ بعضَ أفعالِهِمْ السَّيئةِ ، الَّتِي أَلْهَتْهُمْ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ ، ومِنْ ذَلكَ تَشْييدُهُمُ المَباني مِنْ دُونِ حاجةٍ ، وإِنَّما بَنوْها لِلَّعبِ والعَبَثِ ، فقالَ لَهُم : لِماذَا تبنونَ فِي كُلِّ مَكانٍ مُرْتَفعٍ أبنيةً عَاليةً وقُصوراً شاهِقَةً ، تَجْعَلونَها آيةً وعَلامَةً علىٰ قُوَّتِكُمْ وعِزَّتِكُمْ ؟ وأنتُم تَفْعَلونَ ذَلكَ عَبَثاً ولَهْواً ، وليسَ لِمَنْفَعَةٍ أو حَاجةٍ .

ولماذَا تَتَّخِذونَ المَصانِعَ المَتينةَ مِنَ القُصُورِ والحُصونِ والسُّدودِ وغيرِها ، لِكَي تُقيموا فِيها مُنَعَّمينَ ؟ وتَفعلونَ ذلكَ كأَنَّكُم مُخلَّدونَ فِي الدُّنيا ، مَعَ أَنَّكُم سَتَرْحَلونَ عنْها!

ومعَ ذٰلِكَ الإِسرافِ والمُباهاةِ والحِرْصِ علىٰ الدُّنْيا تُعامِلونَ غَيْرَكُمْ بِجَبروتٍ وطُغيانٍ واسْتبدادٍ ، تَبطِشونَ بِهم مِنْ دُونِ شَفَقَةٍ أو رَأْفَةٍ ، وتَحْرِصونَ علىٰ إذلالِهِمْ! فلماذا هٰذا التَّجبُّرُ ؟

إِنَّ اتِّخاذَ الأَبْنيةِ العَاليةِ لِلْعَبَثِ يَدُلُّ علىٰ حُبِّ العُلوِّ ، واتِّخاذَ المَصانعِ يَدُلُّ علىٰ حُبِّ البقاءِ ، وإِنَّ التجبُّرَ والطغيانَ يَدُلُّ على حبِّ التَّفردِ . وقدْ ارْتَكَبَ قَوْمُ عادٍ هٰذهِ الجَرائمَ الثَّلاثَ ، ولِذلكَ أنْكَرَها عَلَيْهِم هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

بعدَما أنكَرَ عليهِمْ هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُخالفاتِهِمُ الَّتي شَغَلَتْهُمْ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ ، عادَ ليأمُرَهُمْ بتقوىٰ اللهِ ، الَّتِي تَقودُ إلى تَرْكِهِمْ مَا هُم عَلَيْهِ مِنْ مُخالفاتٍ ، وطاعَتهِ فيمَا يأمرُهُمْ بِهِ وينهاهُمْ عَنْهُ .

وذكَّرَهُمْ بِنِعَمِ اللهِ الغامِرَةِ عَلَيْهِمْ ، فاللهُ أنْعَمَ عَلَيْهِمْ وأَمَدَّهُمْ بمَا يَعْلمونَ مِنَ النِّعَمِ الكَثيرةِ ، منْها الأنعامُ والحَيواناتُ المَأْكولَةُ ، ومنْها الأَوْلادُ والأبناءُ الكَثيرونَ ، ومنها البَساتينُ المُثْمِرَةُ ، ومنها العُيونُ والأَنْهارُ العَذْبةُ .

وحتَّىٰ تبقَى هذهِ النِّعَمُ ويَزيدَهُمُ اللهُ منها ، فلابُدَّ وأنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ ، ويَتَّقوهُ حَقَّ تُقاتِهِ ، ويَشْكُروهُ عَليْها ، فإنْ لمْ يفعلوا ذٰلكَ أزالَها اللهُ عَنْهُمْ .

ثُمَّ بيَّنَ لَهُم هُودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حِرْصَهُ عليهِم فقالَ لَهُمْ : إنْ أُريدُ إلاَّ الخَيْرَ لكُمْ ، فإنْ رَفَضْتُمْ دَعوتِي وأَصْرَرْتُمْ علىٰ الكُفْرِ والتَّكذيبِ ، فإنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يومٍ عظيمٍ ، وأهوالُهُ شَديدةٌ .

بالرَّغمِ مِنْ أَنَّ هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ دَعا قَوْمَهُ بالحُسْنى ، مُسْتَخْدِماً التَّرْغيبَ والتَّرْهيبَ ، والتَّلَطُّفَ والتَّحَبُّبَ ، إلاَّ أَنَّهُم رَفضوا دَعْوَتَهُ ، وقالوا لَهُ : يَستوي عِنْدَنا وعْظُكَ ، فإنَّنا لا نَستجيبُ لَكَ ، ولنْ نَتخلَّىٰ عَنْ ما نَحْنُ فيهِ . ومَا نَحْنُ عَليْهِ مِنْ خُلُقٍ وحَياةٍ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الأَوَّلونَ السَّابِقونَ مِنْ أَجدادِنا ، هٰكذا عاشُوا ، وهٰكذا ماتُوا ، ونحنُ نَقْتدي بِهِمْ في هٰذا الخُلُقِ ، نَعيشُ كَما عاشُوا ونَموتُ كما ماتوا . وما تهدِّدُنَا بِهِ مِنَ العَذابِ لنْ يَقَعَ ، ولا بَعْثٌ ولا حِسابٌ بعدَ المَوْتِ .

وبذلكَ كذَّبُوا هُوداً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ واسْتَمَرَّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ، فاسْتَحقُّوا عِقابَ اللهِ ، حيثُ أزالَ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ ، وأَهْلَكَهُمْ بالريحِ العاتِيَةِ .

إِهْلاكُ قَوْمِ عادٍ الكافِرينَ آيةٌ وعِبْرةٌ لِلذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ولكنَّ أَكْثَرَ هٰؤلاءِ كافِرونَ ، ولِذٰلِكَ لَمْ يَعْتبِرُوا ، ولَمْ يَعْلَموا أَنَّ اللهَ عَزيزٌ في انْتِقامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ، رَحيمٌ بأَوْليائِهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على الدَّاعِيَةِ أَنْ يُعْلِنَ عَنْ حَمْلِهِ رِسالةَ اللهِ إِلى مَنْ يَدعوهُمْ ويَجْهَرَ بِذلِكَ طالِباً مِنَ النَّاسِ اتِّباعَهُ .

٢ـ كلُّ الرُّسُلِ دَعوا النَّاسَ إِلىٰ تَقوىٰ اللهِ ومَخافَتِهِ .

٣ـ علىٰ الدَّاعيةِ أنْ يَسْتَخْدِمَ مُخْتَلِفَ الأَساليبِ اللَّطيفةِ في الدَّعوةِ بِالحُسنىٰ ، مِنْ تَرْغيبٍ وتَرْهيبٍ وتحبُّبٍ .

٤ـ الأُسْلوبُ الحَكيمُ في الدَّعْوَةِ لا يَعْنِي السُّكوتَ عَنِ المُنْكَرِ ، فَيُجبُ علىٰ الدَّاعيةِ أنْ يُنكِرَ علىٰ قوْمِهِ مُخالفاتِهِمْ .

٥ـ لا يَجوزُ بِناءُ الأَبْنِيَةِ العاليةِ والقُصورِ الشَّاهقةِ لِلعَبَثِ واللَّهوِ والمُباهاةِ ، فهٰذا إِسْرافٌ مُحرَّمٌ .

٦ـ التجبُّرُ والاسْتِبْدادُ ، والتَّعامُلُ مَعَ الآخَرينَ بالبَطْشِ والقَسْوةِ وعَدَمِ الرَّأْفةِ يَقودُ إِلىٰ هَلاكِ صَاحِبِه .

٧ـ الطُّغيانُ والقُوةُ الغَاشِمَةُ تُعمِي أَصْحابَها عَنِ الحَقِّ ، واللهُ يَقْصِمُ كُلَّ مُتَكبِّرٍ جبَّارٍ ويُهْلِكُهُ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

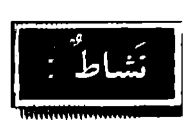
١ـ اذكرْ وَجْهَ الارتباطِ بَيْنَ قِصَّةِ نوحٍ وقِصَّةِ عادٍ في هٰذهِ السُّورةِ .

٢ـ مَا الأَشْياءُ الثَّلاثةُ الَّتِي أنْكَرَهَا هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ قَوْمِهِ ؟

٣ـ مَا الوَسيلةُ المَأْمونَةُ لِلمُحافظةِ علىٰ نِعَمِ اللهِ والزِّيادةِ مِنْهَا ؟

٤ـ مَا معنَىٰ قولِ عادٍ لِهودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : ﴿ إِنْ هَذا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلينَ﴾ ؟

٥ـ كَيْفَ أَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ عادٍ ؟ وَمَا الدَّلالَةُ الَّتِي تَخْرُجُ بِهَا مِنْ ذٰلِك ؟



١ـ سُمِّيَتْ سورةُ الأَحْقافِ باسْمِ المِنْطَقَةِ الَّتِي كَانَ يَسكُنُهَا قَومُ عادٍ ، حَدِّدْ موقعَ الأحقافِ جغرافيّاً ، ومعنىٰ الكلمةِ لُغويّاً ، واكتبْ ذٰلكَ فِي دفْتَرِكَ .

٢ـ كانَ قومُ عادٍ معتَّزِينَ بقوَّتِهم . سجِّلْ الآيةَ ( ١٥ ) مِنْ سُورةِ فُصِّلَتْ واسْتَخرِجْ مِنهَا اعْتِزازَهُمْ بِهَا وردَّ اللهِ عَليْهم ، واكتبْ ذٰلكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٣ـ اقرأْ قِصَّةَ إِهْلاكِ قَوْمِ عادٍ في سُورةِ الأَحْقافِ ، وسَجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ كَيْفيَّةَ إِهلاكِهِمْ .

* * *

# الدرس الرابع والعشرون

## سورة الشعراء ـ القسم العاشر

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

### معاني المفردات :

| | |
|---|---|
| ثَمودُ | القَبيلَةُ الَّتِي جاءَتْ بَعْدَ قَبيلَةِ عادٍ ، فِي جَزيرةِ الْعَرَبِ . |
| نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيم | نَخْلٍ ثَمَرُها رَطْبٌ طَيِّبٌ لَيِّنٌ سَريعُ الْهَضْمِ . |
| تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتًا | تَحْفِرُونَ الْجِبالَ ، وَتَجْعَلونَ الْبُيوتَ فِيها . |
| فارِهِينَ | حاذِقينَ ماهِرِينَ فِي النَّحْتِ ، وتَفْعَلونَ ذٰلِكَ بِفرَحٍ وَنَشاطٍ . |
| أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ | أَنْتَ مِنَ الْمَسْحورِينَ الَّذِينَ أَخَذَ السِّحْرُ عُقولَهُمْ . |
| لَها شِرْبٌ | لَها نَصِيبٌ مُحَدَّدٌ مِنَ الْماءِ تَشْرَبُهُ كُلَّ يَوْمٍ . |
| عَقَرُوها | قَتَلوها . |
| أَخَذَهُمُ ٱلْعَذابُ | أَخَذَهُمُ اللهُ بِالصَّيْحَةِ فَأَهْلَكَهُمْ . |

كانَ الحَديثُ فِي الآياتِ السَّابِقَةِ عَنْ قِصةِ هُودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ عادٍ الَّتِي انتهَتْ بإِهْلاكِهم وإنجاءِ هُودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ ، والحَديثُ فِي هٰذهِ الآياتِ عَنْ قِصَّةِ صَالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ « ثَمُودَ » .

وقَوْمُ ثَمودَ جاءوا بَعْدَ قوْم عادٍ مُباشَرةً ، وكانُوا يُقيمونَ فِي مِنْطَقَةِ « الْحِجْرِ » فِي الشَّمَالِ الغربيِّ لِلجَزيرةِ العَربيَّةِ ، علىٰ الطَّريقِ بَيْنَ المَدينةِ وتَبوكٍ ، وقدْ مرَّ رَسولُ اللهِ ﷺ بِديارِهم في أثناءِ توجُّهِهِ إلىٰ غَزْوَةِ تبوكٍ . ولا تَزالُ مَساكِنُهُمْ مَعْروفَةً حتَّىٰ اليَومِ .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

كانَ قومُ ثمودَ كافِرينَ ، فَبَعَثَ اللهُ لهُمْ أخاهُم صالِحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نبيّاً رَسولاً ، ودَعاهُم إلىٰ الإيمانِ باللهِ ، ولكنَّهُم كَفَرُوا بِهِ وكذَّبُوهُ . ومعَ ذٰلِكَ نصَحَهُم وذَكَّرهُمْ ، وحثَّهُمْ علىٰ تَقوىٰ اللهِ ، لأنَّهُ رَسولٌ أَمينٌ علىٰ رِسالَتِهِ ، يُبلِّغُهُمْ إيَّاها كامِلَةً ، وأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لا يُريدُ علىٰ دَعْوَتِهِ منْهُمْ أجْراً ولا مالاً ، لأنَّهُ يبتَغِي مِنَ اللهِ وَحْدَهُ الأَجْرَ والثَّوابَ .

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾

بالرَّغمِ مِنْ أَنَّ قَوْمَ ثَمودَ كذَّبُوا رَسولَهم وكفروا بِهِ ، إلاَّ أَنَّ صالِحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لمْ يَتوقَّفْ عَنْ دَعْوَتِهِمْ وتَذكيرِهِمْ ، فقدْ ذكَّرهُمْ بِمَا هُمْ فيهِ مِنْ نِعَمٍ آتاهُمُ اللهُ إيَّاها ، وحَذَّرَهُمْ زَوالَها إِنِ اسْتَمَرُّوا علىٰ مَا هُم عليهِ .

قالَ لَهُمْ : أَتظنّونَ أَنَّكُمْ تُتركونَ في دِيارِكُمْ آمِنينَ ، مُتَمَتِّعينَ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُم مِنْ نِعَمٍ كَثيرةٍ ، مِنْها العُيونُ العَذْبةُ ، ومِنْها البَساتينُ المُثْمِرَةُ ، والزُّروعُ الكَثيرةُ ، ومنها بَساتينُ النَّخيلِ علىٰ وَجْهِ الخُصوصِ ، الَّتي تَحْمِلُ لَكُمْ أجْوَدَ أنواعِ الرُّطَبِ الهَضيمِ ، الَّذي هُوَ مِنْ ليونَتِهِ وسُهولةِ هَضْمِهِ كأَنَّهُ مَهْضومٌ ، لا يَحْتاجُ إلىٰ هَضْمٍ فِي البُطونِ .

وحذَّرَهُمْ مِنْ زوالِ هٰذهِ النِّعَمِ والمَأكولاتِ والمَشْروباتِ ، فَقالَ لَهُمْ : إذا بَقِيتُمْ كافرينَ ، فإنَّ اللهَ سيُزيلُها عَنْكُمْ بِسَببِ كُفْرِكُمْ وتَكْذيبِكُمْ .

وبعدَما ذكَّرَهُمُ النِّعَمَ الَّتِي في الأَشْجارِ والثِّمارِ والمِياهِ ، ذَكَّرهُمُ النِّعَمَ عَلَيْهِم في السُّكنَىٰ ، فقدْ مَهَروا فِي نَحْتِ البُيوتِ في الجِبالِ ، حَيْثُ كانوا يَنْجُرونَ الجِبالَ بأدواتِهِمْ ، ويُخرِجونَ مِنها

الصُّخورَ ، ويَجْعَلونَ البُيوتَ مَكانَ الصُّخورِ ، في داخلِ الجبالِ ، ويَسْكُنونَ فيها آمِنينَ .

كانُوا فارِهينَ حاذِقينَ في نَحْتِ البُيوتِ في الْجِبالِ ، كَما كانوا يَفْعلونَ ذٰلِكَ بِفَرَحٍ وبَطَرٍ وتَكَبُّرٍ واسْتِعلاءٍ ، وأحْياناً لم يَكونُوا مُحتاجينَ إلىٰ ذلكَ .

وحذَّرَهُم كذٰلِكَ مِنْ زَوالِ هـٰذِهِ النِّعَمِ إنْ استمرُّوا علىٰ مَا هُم عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وتَكذيبٍ .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝ ﴾ .

بعدَمَا بيَّنَ لَهُم صَالِحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ في المَأْكَلِ والمَشْرَبِ والمَسْكَنِ أمرَهُمْ بتقوىٰ اللهِ ؛ تَقوىٰ تَقودُ إلىٰ الالْتِزامِ بِمَا أَمَرَ بِهِ وتَرْكِ مَا نَهاهُم عَنْهُ ، ودَعاهُم إلىٰ طاعَتِهِ هُوَ ، لأنَّهُ أخوهُمُ الحَريصُ عَلَيْهِمْ ، ونَهاهُمْ عَنْ طاعَةِ المُسْرِفينَ فيهِمْ ، وهُمُ الَّذينَ تولَّوا القِيادَةَ والزَّعامةَ فيهِمْ ، فَكانُوا قَادَةً مُسْرِفينَ مُفْسِدينَ ، يُفسِدونَ في الأَرْضِ ولا يُصْلِحونَ! . وتَصَوَّرْ قَوْماً يقودُهُمْ رؤساؤُهُمْ وكُبَراؤُهُمْ لِلإسْرافِ والإفْسادِ والدَّمارِ ، كَيْفَ يَكونُ مُسْتَقبلُهُمْ ؟

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝ ﴾ .

لَمْ يَقْبَلْ قَوْمُ ثَمودَ دَعْوَةَ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ولَمْ ينفعْهُمْ نُصْحُهُ ووَعْظُهُ وتَذْكيرُهُ ، وكَذَّبوهُ في دَعْوَتِهِ ، ولَمْ يَعْتَبروهُ نبيّاً ، وقالُوا لَهُ : أَنْتَ رَجُلٌ مَسْحورٌ ، تَمكَّنَ السِّحْرُ مِنْكَ ، وسَيْطَرَ علىٰ عَقْلِكَ ، فَصِرْتَ تَتكلَّمُ كَلامَ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ! ولاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ نبيّاً ، فأَنْتَ واحِدٌ مِنَّا ، بَشَرٌ مِثْلُنا ، فَكَيْفَ أَوْحىٰ اللهُ لَكَ دُونَنا ؟ فإنْ كُنْتَ صادِقاً في دَعْوىٰ النُّبوَّةِ ، فقدِّمْ لَنا آيةً مَادِيَّةً تَدُلُّ علىٰ ذٰلِكَ .

﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ .

طلبوا مِنْ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ آيةً مَادِّيَةً ، فأجْرَىٰ اللهُ علىٰ يَدَيْهِ آيةً عَجيبَةً ، وهِيَ النَّاقَةُ العَجيبةُ فِي شُرْبِ المَاءِ ، فقدَّمَها لَهُم قائلاً : هـٰذِهِ النَّاقَةُ آيةٌ لَكُم ، أيْ في خَلْقِها وتَكْوينِها وجَمالِها ، وقَدِ اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لا يَرِدوا ماءَ البِئْرِ الَّذي تَشْرَبُ مِنْهُ النَّاقَةُ في اليَوْمِ الَّذي تَرِدُ فيه الماءَ ، فَهِيَ تُقاسِمُهُم الماءَ ، تَرِدُ الماءَ يَوْماً ، ويَرِدونَهُ يَوْماً آخَرَ ، ولاَ يَجوزُ لَكُمْ أَنْ تأخُذوا شَيْئاً مِنَ الماءِ في يَوْمِها ، وعَلَيْكُمْ أَنْ تهتمُّوا بِها ، وإيَّاكُمْ أَنْ تُؤْذُوها أَوْ تَمَسُّوها بِسوءٍ أو تَقْتُلوها ، فإنْ فَعَلْتُم ذٰلِكَ عذَّبَكُمُ اللهُ عَذاباً عَظيماً .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ۝ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾ .

لَمْ يأْخُذِ القَوْمُ بِنَصيحَةِ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وسَمَحوا لأشْقَاهُمْ أَنْ يَعْقِرَ النَّاقَةَ ويَذْبَحها ،

وَرَضوا بذلِكَ ، فَصارُوا شُرَكاءَ لَهُ فِي الجَريمةِ ، ولمَّا أَخبرُوا صالحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِعَقْرِ النَّاقةِ ومَوْتِها ، أَنْظَرَهُم وُقوعَ العَذابِ بِهِمْ بَعْدَ ثلاثةِ أَيَّام ، فَنَدِمُوا علىٰ جَريمَتِهِمْ حَيْثُ لم يَنْفع النَّدَمُ ، وبَعْدَ انتهاءِ الأَيَّام الثَّلاثةِ أَوْقعَ اللهُ بِهِمْ عَذابَهُ ، حَيْثُ زَلْزَلَ بِهِمُ الأَرْضَ زِلزالاً شَديداً ، وَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظيمَةٌ أَهْلَكَتْهُمْ .

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ قِصَّةَ صالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ ثمودَ آيةً وعِبْرةً وعِظَةً ، وَلكنَّهُ لا يَعْتَبِرُ بِهَا إِلاَّ المُؤْمِنونَ ، ومُعْظَمُ النَّاسِ كافِرونَ مَطْموسٌ علىٰ قُلوبِهِم ، فَينْتَقِمُ اللهُ العزيزُ مِنْهُمْ ، ويَرْحَمُ عِبادَهُ المُؤْمِنينَ الَّذِينَ يَتَّعِظونَ ويَعْقِلُونَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العِلْمُ بقصةِ هودٍ مَعَ قَوْمِهِ .

٢ـ كُلُّ الرُّسُلِ يَتَّصفونَ بِصِفَةِ الأَمانةِ ، فما كانَ لِخائِنٍ أَنْ يُؤْتَمَنَ علىٰ وحْيِ اللهِ .

٣ـ لا تَدومُ نِعَمُ اللهِ علىٰ أُمَّةٍ مِنْ مَأْكَلٍ ومَشْرَبٍ ومَلْبَسٍ ومَسْكَنٍ إِلاَّ بطاعةِ اللهِ وشُكْرِهِ .

٤ـ التَّمرُ غِذاءٌ مُفيدٌ شِبْهُ مُتكامِلٍ ، وهوَ هَضيمٌ سَريعُ الامْتِصاصِ يَحْمِلُهُ الدَّمُ إِلىٰ خَلايا الجِسْمِ .

٥ـ نَحْتُ البيوتِ في الجبالِ يحتاجُ إِلىٰ مهارةٍ وإِتقانٍ وإبداعٍ .

٦ـ مُصيبَةُ الأُمَّةِ كَبيرةٌ عِنْدَمَا يَكونُ قادَتُها مُسْرِفينَ مُفْسِدينَ غَيْرَ مُصلِحينَ ، حَيْثُ يَقودُونَها لِلدَّمارِ .

٧ـ علىٰ الأُمَّةِ أَنْ تُطيعَ الصَّالِحينَ المُصْلحينَ ، ولا تُطيعُ المُسْرِفينَ المُفْسِدينَ .

٨ـ مُخالَفَةُ أوامِرِ اللهِ وارْتِكابُ مَا حَرَّمَ اللهُ طريقٌ لِوقُوعِ عذابِ اللهِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكرِ النِّعَمَ الخَمْسَ الَّتِي ذكَّرَ صالحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ بِها .

٢ـ مَا آثارُ قِيادَةِ المُفْسِدِينَ ؟ وَمَا نَتَائِجُ طاعَتِهِمْ ؟

٣ـ اذكرِ التُّهمةَ الَّتِي وجَّهَها قَوْمُ ثَمودَ لِصالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والشُّبْهَةَ الَّتي أَثاروها حَوْلَهُ .

٤ـ مَا مَعْنَى قولهِ تعالىٰ عَنِ النَّاقَةِ : ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلوم﴾ ؟

٥ـ مَا المُعْجزَةُ الَّتِي جَعَلَها اللهُ فِي ناقَةِ صَالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟

٦ـ مَا مَوْقِفُ المُؤْمِنينَ والكافِرِينَ مِنْ قَصَصِ القُرآنِ ؟




١ـ اقرأْ سُورتَي الْحِجْرِ والفَجْرِ ، وسجِّلْ آياتِها الَّتِي تَحدَّثَتْ عَنْ قَوْمِ ثَمودَ وسُكناهُم في الجِبالِ ، ومَا معنَىٰ كلامِ السُّورتيْنِ علىٰ سُكْناهُم ، واكتبْ ذَلِكَ فِي دفترِكَ .

٢ـ تحدَّثَتْ عنِ القادةِ المُفْسِدينَ مِنْ قومِ ثمودَ الآيةُ ( ٤٩ ) مِنْ سورةِ النَّمْلِ . سجِّلْهَا ، وسجِّلْ معنَاهَا ، وقارِنْهَا مَعَ الآيةِ (١٥٣) .

٣ـ اقرأْ آياتِ قِصَّةِ ثَمودَ فِي سُورةِ القَمَرِ ، وسجِّلْ خُلاصةَ قِصَّةِ ثَمودَ مِن خلالِ تِلْكَ الآياتِ .

* * *

# الدَّرسُ الخامسُ والعشرونَ

## سورة الشعراء ـ القسم الحادي عشر

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

### معاني المفردات :

| | |
|---|---|
| قوم عادون | قَومٌ مُتَجاوزو الْحُدُودَ الشَّرعِيَّةَ والعَقْلِيَّةَ فِي قَضاءِ الشَّهْوَةِ . |
| لئن لم تنته يا لوط | لَئِنْ لَمْ تَتَوقَّفْ عَنِ الإِنْكارِ عَلَيْنا . |
| لتكونن من المخرجين | مِنَ الْمطْرودِينَ مِنْ بَلَدِنا . |
| من القالين | مِنَ الْمُبْغِضينَ لِفَواحِشِكُمْ أَشَدَّ الْبُغْضِ . |
| إلا عجوزا في الغابرين | إِلاَّ امْرأَةَ لُوطٍ أُهلِكَتْ مَعَ الْهالِكينَ . |
| وأمطرنا عليهم مطرا | أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَهْلَكَتْهُمْ . |



تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ صالح ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْم ثَمودَ ، وكيفَ انتهَتْ بِإِنجاءِ صالح ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَتْباعِهِ المُؤْمنينَ ، وإِهلاكِ قَوْمِهِ الكافرينَ بالصَّيْحَةِ .

وتَتحدَّثُ آياتُ هٰذا الدَّرْسِ عَنْ قِصَّةِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ .

ولوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَدِمَ مَعَ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ بلادِ العِرَاقِ ، واستقرَّ مَعَهُ فِي الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ ، وبعثَهُ اللهُ نبيّاً رَسُولاً إِلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ شَرْقَ بيتِ المَقْدِسِ ، فبلَّغَهُم دَعْوَةَ اللهِ ، وأنْكَرَ عَلَيْهِمْ شُذوذَهُمْ وانحرافَهُمْ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

أَخْبرَتِ الآياتُ عَنْ تكذيبِ القَوْمِ الشَّاذِّينَ الكافِرينَ لنبيِّهِم لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهُمْ في تكذيبِهِمْ لهُ مُكذِّبونَ لِجَميعِ الرُّسُلِ ، ودَعاهُم لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلىٰ تقوىٰ اللهِ ، وأَخْبرَهُم أَنَّهُ رَسولٌ أمينٌ لَهُم ، مؤتَمَنٌ علىٰ تبليغ الرِّسالةِ ، ويُريدُ الخَيْرَ لهُمْ ، ولِذٰلكَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقوا اللهَ ويُطيعوهُ هُوَ ، وهُوَ لا يُريدُ مِنْهُم مالاً أَوْ أَجْراً مُقابِلَ دَعْوَتِهِ لَهُمْ ، لأَنَّهُ يبتغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ وحْدَهُ .

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ .

بَعْدَمَا قدَّمَ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَفْسَهُ إِلىٰ قَوْمِهِ نَبيّاً رسولاً ، وبيَّنَ حِرْصَهُ عَلَيْهِمْ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ أَبْرَزَ جَرائِمِهِمْ وأَشْهَرَ انْحِرافاتِهِمْ ، وهيَ شُذوذٌ في قَضاءِ الشَّهوةِ ، حَيْثُ يأتونَ الرِّجالَ في أَدْبارِهِم ، وهُمْ أَوَّلُ مَنِ ابتدعَ هٰذهِ الفاحِشَةَ ، فلمْ يُمارسْها أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِمْ . قالَ تعالىٰ : ﴿أَتأْتونَ الفَاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمينَ﴾ [الأعراف : ٨٠] .

قالَ لَهُم : لِماذَا تأتونَ الذُّكْرانَ الرِّجالَ فِي أدبارِهِمْ ، وتَرْتَكِبونَ مَعَهُم الفَاحِشَةَ ، وتَتْركونَ أزواجَكُمْ مِنَ النِّساءِ ، اللَّواتي خَلقَهُنَّ اللهُ لَكُم لِتَسْتَمْتِعوا بهِنَّ ؟

إِنَّكُمْ بهٰذا التَّصرُّفِ الفاحِشِ الشَّنيعِ قَوْمٌ عادونَ ، مُتجاوِزونَ لِلحُدودِ الشَّرْعيَّةِ والعَقْليَّةِ والفِطْريَّةِ ، وذاهِبونَ إِلىٰ هٰذهِ الفاحِشَةِ الَّتي لا تَتَّفِقُ مَعَ الفِطرَةِ أَوِ النَّفْسِ أَوِ الشَّرْعِ . فاللهُ خَلَقَ الرَّجُلَ مَيَّالاً إِلىٰ المَرْأَةِ ، والمَرْأَةُ راغبةٌ فِي الرَّجُلِ ، فَيَلْتَقِيانِ زَوْجَيْنِ بالزَّواجِ الشَّرْعيِّ . أَمَّا أَنْ يَطلُبَ الرَّجُلُ رَجُلاً مِثْلَهُ فهٰذا هُوَ العُدوانُ والبَغْيُ والظُّلْمُ والفَسادُ!

﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

رَفَضَ القَوْمُ نُصْحَ لُوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَصَرُّوا علىٰ انْحِرافِهِمْ وشُذوذِهِمْ ، وطَالبُوهُ بالتَّوقُّفِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ والإِنكارِ عَلَيْهِمْ ، وهَدَّدوهُ بأَنَّه إِذا لَمْ يَنْتَهِ عَنْ ذٰلِكَ فَسَوْفَ يُخْرِجونَهُ مِنْ بَلْدَتِهِمْ ، ويُبْعِدونَهُ عنْهُمْ .

﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

لمَّارأىٰ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِصْرارَ قَوْمِهِ علىٰ شُذوذِهِمْ ، وتَهْديدَهُمْ لهُ بالطَّرْدِ صارَحَهُم بأَنَّهُ كارِهٌ مُبْغِضٌ لِعَمَلِهِمُ القَبيحِ ، بَريءٌ مِنْهُمْ ومِنْ فَواحِشِهِمْ ، مُشْمَئِزٌ مِنْ ذٰلِكَ الشُّذوذِ . وطَرْدُهُ وإِخراجُهُ مِنْ بَلْدتِهِمْ خَيْرٌ لهُ مِنْ أَنْ يبقَىٰ معَهُمْ وهُم بذٰلِكَ الانْحِرافِ .

قالَ لَهُمْ : إنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالِينَ المُبغِضينَ ، ولَمْ يقلْ : إنِّي لِعَملِكُمْ قالِياً مُبغِضاً ، لأنّهُ لَيْسَ وَحْدَهُ قالِياً ، وإنَّما الكَثيرونَ مِنَ الأسْوياءِ المُسْتَقيمينَ قالونَ مُبغِضونَ لِشُذوذِهِمْ ، وهُوَ واحِدٌ منْهُم!

ثمَّ دعا لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَبَّهُ أنْ يُنْجيهِ وأهْلَهُ المُؤْمنينَ المُتطَهرينَ مِنْ أعْمالِهِمُ القَبيحةِ .

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ .

اقْتَرَبَ وُقوعُ العِقابِ بالقَوْمِ الشَّاذِّينَ لإصرارِهِمْ علىٰ كُفْرِهِمْ وفَواحِشِهِمْ ، ولَمْ يَسْتجبْ لِلوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ واحِدٌ مِنهُمْ ، فَلَمْ يَتْبَعْهُ إلاّ أهْلُ بَيْتِهِ ، ولا نَعْرِفُ عَدَدَهُمْ ولاَ صِلَتَهُم بهِ . قالَ تعالىٰ : ﴿فَأَخْرَجْنا مَنْ كَانَ فِيها مِنَ المُؤْمنينَ فما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلمينَ﴾ [الذاريات : ٣٥ـ٣٦] .

وقدْ أمَرَ اللهُ لوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَخْرُجَ بأهْلِهِ المُؤْمنينَ لَيْلاً ، وأنْ يَبتعِدوا مُسْرِعينَ عنِ بَلْدَةِ ، لأنَّ أهْلَها سَيُدمَّرونَ في الصَّباحِ ، فَخَرجَ بِهِمْ ونَجَوْا جَميعاً .

ولَمْ يَهْلِكْ مِنْ بَيْتِهِ إلا امرأتُهُ العَجوزُ ، الَّتي كانتْ كافِرةً راضِيَةً بِفواحِشِ قَوْمِها ، ولِذَلكَ الْتَفتتْ حِيَن نَزَلَ العَذابُ بِهِمْ فَأَصابَها ما أَصابَهُمْ مِنَ الدَّمارِ والهَلاكِ .

﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ .

بعدَما خَرَجَ لُوطٌ بأهْلِهِ وفَارَقَ قَوْمَهُ ، دَمَّرَ اللهُ القَوْمَ الكافِرينَ ، بأنْ جَعَلَ عَالِيَ بُيوتِهِمْ سَافِلَها ، وقَلَبَها قَلْباً ، وأمْطرَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ حِجارةً مِن سِجِّيلٍ مَنْضودٍ ، فأبادَهُمْ وأهلَكَهُمْ وقضَىٰ عليهِمْ .

وهـٰذا المَطَرُ الَّذي أنْزلَهُ عَليْهِم لَيسَ مَطَرَ رَحْمَةٍ ، بَلْ هُوَ مطرُ عَذَابٍ ، ولِذٰلِكَ سَاءَ ذٰلِكَ المَطَرُ مَطَراً ، وهُمْ مُسْتحِقُّونَ لِذٰلِكَ العِقَابِ ، لأنَّهُمْ رَفَضُوا إنذارَ نبيِّهم لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ولم يَسْتَجيبُوا لَهُمْ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ قِصَّةَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمهِ آيةً وعِبْرَةً ، يَعْتَبِرُ بها المُؤْمنونَ ، ويَتوقَّفونَ عَنِ المَعاصِي والانْحِرافاتِ ، لأنَّهُم يَعْلمونَ أنَّ العِقَابَ والعَذابَ يَنتظِرُ الشَّاذِّينَ مُرتكبي الفَواحِشِ ، ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَتَّعِظونَ لأنَّهُم كافِرونَ ، واللهُ عَزيزٌ فِي عِقابِهِ وانتقامِهِ مِنَ الأعداءِ ، ورَحيمٌ بعبادِهِ المُؤْمنينَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علَىٰ الدَّاعِيَةِ أنْ يُنْكِرَ علىٰ قَوْمِهِ مَعاصِيَهُمْ وانْحِرافاتِهِمْ ، ويُعْلِنَ بَراءَتَهُ مِنْ أفعالِهِمْ .

٢ـ إتيانُ الرِّجالِ شَهْوةً مِنْ دُونِ النِّساءِ عُدوانٌ وانْحِرافٌ وشُذوذٌ ، لا يَتَّفقُ مَعَ الفِطْرةِ أوِ العَقْلِ .

٣ـ المُنْحَرِفونَ الشَّاذُّونَ لاَ يَقْبلونَ بِوجودِ أَصْحابِ العِفَّةِ والطُّهْرِ بَيْنَهُمْ ، فَيُحارِبونَهُمْ ويُهدِّدونَهُمْ ويُخرِجونَهُمْ .

٤ـ ارْتكابُ الفَواحِشِ والمَعاصِي يَقودُ إلىٰ عَذابِ الدُّنْيا قَبْلَ عَذابِ الآخِرَةِ ، كمَا فَعَلَ اللهُ بِقَوْمِ لوطٍ .

٥ـ قدْ لا يُؤثِّرُ الدَّاعيةُ فِي أَقْرَبِ النَّاسِ إليهِ ، بالرَّغمِ مِنْ حِرْصِهِ علىٰ ذٰلِكَ ، لأنَّ ذَلِكَ القَريبَ مَطْموسٌ علىٰ قَلْبِهِ .

٦ـ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تعالىٰ إبقاءُ آثارِ القَوْمِ المُعذَّبينَ لِلْعِبْرةِ والاتِّعاظِ .

٧ـ انْتَشَرَتْ فاحِشَةُ اللّواطِ في بَعْضِ الدُّولِ التي تَدَّعي الحَضارةَ والمَدنيَّةَ فضَرَبَهُمُ اللهُ بِأَنْواعٍ مِنَ الأمْراضِ الخَطيرةِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ حدِّدِ المَوْقعَ الجَغرافيَّ لِقوم لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

ب ـ ومَا الفاحِشَةُ الَّتي سَبقوا غَيْرَهم إليها ؟

٢ـ الشُّذوذُ في إتيانِ الذُّكْرانِ ، تأبَاهُ الفِطْرةُ ويَرْفُضهُ العقلُ . وضِّح ذٰلكَ .

٣ـ مَا الذَّنبُ الَّذي نَسَبوهُ لِلوطٍ وأَهْلِهِ ، وهدَّدُوهُمْ بِسببِهِ بالإخراجِ والطَّرْدِ ؟

٤ـ فاحِشَةُ قومِ لوطٍ مُنْتَشِرَةٌ في هذا العَصْرِ ، فمَا أهمُّ الأمْراضِ الَّتي عاقبَ اللهُ بِها أصْحابَها ؟

٥ـ كيفَ كانَ إهلاكُ قَوْمِ لوطٍ ؟

## نَشَاطٌ :

١ـ أَشارَتْ آياتُ سُورةِ الأَعْرافِ إلىٰ أَنَّ القَوْمَ أَمَروا بإخراجِ لوطٍ وأَهْلِهِ المُؤمنينَ مِنْ بينِهِمْ ، لِذنبٍ عجيبٍ نَسَبوهُ لَهُم . اقرأْ الآياتِ ، وسجِّلْهَا في دفترِكَ ، واستَخرِجْ منها ذٰلِكَ الذَّنْبَ .

٢ـ اقرأْ قِصةَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، في سُورةِ هُودٍ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها خُلاصةَ ما جَرَىٰ بينَ لوطٍ وقَوْمِهِ عندَما راوَدوهُ عنْ ضُيوفِهِ ، فِي اللّيلةِ الأخيرةِ مِنْ حَياتِهِمْ .

* * *

## الدرس السادس والعشرون

# سورة الشعراء - القسم الثاني عشر

كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

### معاني المفردات

| | |
|---|---|
| لْأَيْكَة | غابةٌ أَشْجارُها كثيرةٌ ، كان يَسْكُنُ فيها قومُ مَدْيَنَ . |
| أَوْفوا ٱلْكَيْلَ | أتمّوا المِكْيالَ عِندَما تَشْتَرونَ مِنَ النّاسِ . |
| مِنَ ٱلْمُخْسِرينَ | الّذينَ يَنْقُصونَ المِكْيالَ ، ويأْكلونَ حُقوقَ النّاسِ بالتَّطفيفِ . |
| زِنوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقيم | لِيَكُنْ مِيزانُكُمْ سَوِيّاً مُسْتَقيماً عادِلاً . |
| لا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْياءَهُمْ | لا تَنْقُصوا النّاسَ شَيْئاً مِنْ حَقِّهِمْ بالتَّطفيفِ . |
| لا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدينَ | لا تَنْشُروا الفَسادَ في الأرضِ . |
| ٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلينَ | خَلْقَ الخَلْقَ السّابقينَ على نَفْسِ الخِلْقَةِ والصِّفَةِ والطَّبيعةِ البَشَرِيَّةِ . |
| مِنَ ٱلْمُسَحَّرينَ | مِنَ الّذينَ أَخَذَ السِّحْرُ عُقولَهُمْ . |
| كِسَفاً مِنَ ٱلسَّماءِ | قِطَعُ العَذابِ الكَثيرةِ المُتَتابِعَةِ نازِلَةٌ مِنَ السَّماءِ . |
| يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ | يَوْمِ الهَلاكِ ، والظُّلَّةُ سَحابَةٌ أَظَلَّتْهُم ، ولَمّا اجْتَمعوا تَحْتَها أَهْلَكَهُمُ اللهُ . |

## التفسيرُ :

تحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، الَّتِي انتهَتْ بنجاةِ لوطٍ وأهْلِهِ المُؤْمِنينَ وتَدْميرِ قَوْمِهِ الشَّاذينَ الكافِرينَ .

وهٰذهِ الآياتُ تَتحدَّثُ عَنْ قِصَّةِ شُعَيبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ أهلِ مَدْيَنَ . وكانُوا قَريبينَ فِي المَكانِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ ، كَمَا كَانُوا قَريبينَ مِنْهُم فِي الزَّمَانِ أيضاً .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ .

بَعَثَ اللهُ شُعَيباً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَبيّاً رسولا إلىٰ قوم مَدْيَنَ ، وهُوَ واحدٌ منهُم ، وكانُوا يَسْكُنونَ جَنوبَ بلادِ الشَّام ، عِنْدَ غابةٍ كثيفةِ الأَشْجارِ ، ولهٰذا سُمُّوا « أصحابَ الأيكةِ » .

فَدَعاهُم إلىٰ الإيمانِ باللهِ ، والتَّخلِي عَنِ الشِّرْكِ ، وإلىٰ تَقوىٰ اللهِ ، وأخْبرَهم أَنَّهُ رَسولٌ لهُمْ ، يُبَلِّغُهُمُ الرِّسالةَ بأمانةٍ ، وأَمَرَهُمْ بتقوىٰ اللهِ وطَاعتِهِ ، وأَخْبرَهُمْ أَنَّهُ لا يُريدُ مِنْهُمْ أَجْراً ولا مالاً ، لأَنَّهُ يَبتغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ . ولكنَّهُمْ كَفروا بهِ وكذَّبوهُ .

﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

بعدَما نصحَهُمْ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالنَّصائِحِ العامَّةِ ـ التَّي نَصَحَ بها كُلُّ رَسولٍ قَبْلَهُ قَوْمَهُ ، كما تحدَّثَتْ آياتُ السُّورَةِ السَّابقَةِ ـ انْتقَلَ بِهِمْ لِيُعالجَ أَخطاءَهُمُ الخاصَّةَ الَّتي تَميَّزُوا بِهَا عَنْ غَيْرِهِمْ . فقدْ كَانُوا يتلاعَبونَ فِي المَوازينِ ، ويأْكُلونَ حُقوقَ الآخَرينَ ، ويُفْسِدونَ في الأرْضِ ، فأَمَرَهُمْ بما يأتي :

ـ أَمَرَهُمْ بإيفاءِ الكَيْلِ عِنْدَما يَبيعونَ فَلا يُنقِصُوا مِنْهُ شَيْئاً ، وإيفائِهِ عِنْدَما يَشْتَرُونَ مِنَ الآخَرينَ فلا يَزيدُوا عَلَيْهِ شَيْئاً ، فالواجبُ عَلَيْهِمُ المُساواةُ في الأَخْذِ عِنْدَ الشِّراءِ ، والمُساواةُ في البَيعِ عِنْدَ الإعطاءِ . فيُعطونَ كَما يَأخذونَ ، وَيأْخُذونَ كَما يُعطونَ .

ـ وأمَرَهُم بإقامةِ الميزانِ ، بأَنْ يَكونَ ميزانُهُمْ سَوِيّاً عادِلاً مُسْتَقيماً ، لا يَزيدونَ فيهِ عندَما يَشْتَرونَ ، ولا يُنْقِصونَ مِنْهُ عندمَا يَبيعونَ .

ـ ونَهاهُم عن إنقاصِ النَّاسِ مِنْ أموالِهِمْ وأشْيائِهِمْ وحُقوقِهِمْ ، في المَكاييلِ والمَوازينِ ، وفِي البَيْعِ والشِّراءِ ، وفي تَقْديرِ أثمانِ الأَشْياءِ ، وفِي سائرِ الحُقوقِ والواجباتِ . لأنَّ إنقاصَها وبَخْسَها ظُلْمٌ مُحرَّمٌ .

ـ ونَهاهُم عنِ الإفسادِ فِي الأَرْضِ ، حَيْثُ كانُوا يَقْطَعونَ الطَّريقَ ، ويَقومونَ بالغارَةِ والسَّلبِ والنَّهْبِ والاستيلاءِ علىٰ ما عندَ الآخَرينَ .

وبعدَما أنكرَ عَلَيْهِم جَرائِمَهُمُ الأَرْبَعَةَ ، خوَّفَهُمْ مِنْ بَطْشِ اللهِ الجبَّار ، فهُوَ الَّذي خلقَهُمْ ، وخَلَقَ مَنْ قَبْلَهُمُ الَّذينَ كانوا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً ، وَمَعَ ذلكَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ ودمَّرَهُمْ ، فإِنْ اسْتَمرّوا علىٰ عُتوِّهِم وإِفسادِهِمْ فَسَيُدمِّرُهُمُ اللهُ كما دَمَّرَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ .

رَفضَ القَوْمُ الكافِرونَ ما أمرَهُمْ بهِ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وما نَهاهُمْ عَنْهُ ، وأنكروا نُبُوَّتَهُ ، وقالُوا لَهُ : أَنْتَ لَسْتَ نبيّاً رَسولاً ، وإِنَّما أَنْتَ مَسْحورٌ ، أَثَّرَ السِّحْرُ فِيكَ ، وغَلَبَ علىٰ عَقْلِكَ ، فكلامُكَ لا خَيْرَ فيهِ!

ثُمَّ أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنا ، وَواحِدٌ مِنَّا ، فَكَيْفَ خَصَّكَ اللهُ مِنْ بينِنا وجَعَلَكَ نبيّاً ؟ إِذنْ أنتَ كاذِبٌ في دَعواكَ النُّبُوَّةَ!

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ .

لم يَكْتَفِ القَوْمُ بِتكْذيبِ شُعَيبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وإِنَّما اسْتَخَفُّوا بهِ وبتَهْديدِه . فَقَدْ سَبَقَ أنْ هدَّدَهُمْ بِوُقوعِ العَذابِ بِهِمْ إِنِ اسْتَمَرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ، فاسْتَخفُّوا بذَلِكَ ، وقالُوا لَهُ : إِنْ كُنْتَ صادِقاً فِي تَهْديدِكَ وَوَعيدِك ، فَأَنْزِلْ عَلَيْنا قِطَعاً فِيها عَذابٌ نازِلٌ مِنَ السَّماءِ ، كالصُّخورِ أَوِ الحِجارةِ ، فإِنْ لَمْ تَفعَلْ ذَلِكَ كُنْتَ كاذِباً .

وردَّ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ اسْتِخْفافِهِمْ واسْتِهْتارِهِمْ بإِحالةِ ذَلكَ العَذابِ إِلىٰ اللهِ ، وقالَ لهُمْ : اللهُ ربِّي أَعْلَمُ بعَمَلِكُمْ ، ويُجازيكُم بهِ ، ويُوقعُ العَذابَ بِكُمْ متَىٰ شاءَ ، إِنْ عاجِلاً أو آجِلاً .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ .

أحالَ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عذابَهُمْ إِلىٰ اللهِ ، وَشاءَ اللهُ إِيقاعَ العَذابِ بهِمْ ، بَعْدَ إِصرارِهِمْ علىٰ كُفرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ ، ولمَّا طلبُوا إِسْقاطَ العَذابِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ ، أَوْقَعَ اللهُ بِهِمُ العَذابَ مِنْ جِنْسِ ما سَألوهُ ، حَيْثُ وجَّهَ لهُمْ سَحابةً أظلَّتهُمْ ، وظنُّوا أَنَّ لَها ظِلاً ظَليلاً ، ولَكِنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنْها لَهَباً أَحْرَقَهُمْ ، وَرَجَفَتِ الأَرْضُ بِهِمْ ، وأَخَذَتْهُمْ صَيْحةٌ أَزْهقَتْ أَرْواحَهُمْ .

ولأَنَّ اللهَ أَحْرَقَهُمْ بِتلْكَ الظُّلَّةِ ، سَمَّىٰ ذٰلِكَ العَذابَ بِعذابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، وكانَ ذٰلِكَ العَذابُ شَدِيداً عَظيماً ، قَضَىٰ عَلَيْهِمْ وأَهْلَكَهُمْ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ في قِصَّةِ شُعَيْبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِ مَدْينَ عِبرةً وعِظَةً ، يَعْتَبِرُ بها المُؤْمِنونَ ، أَمَّا الكَافِرونَ فإِنَّهُمْ عَنْها مُعرِضُونَ ، لأَنَّهُ خَتَمَ علىٰ قُلوبِهِمْ ، واللهُ عَزيزٌ فِي انْتِقامِهِ مِنَ الكافِرينَ ، رَحيمٌ بعبادِهِ المُؤْمِنينَ .

وختَمَ اللهُ بهٰذِهِ الخَاتِمَةِ القَصصَ السَّبْعَ المَذْكورةَ في هٰذهِ السُّورةِ ، لِلدَّلالةِ علىٰ وُجُوبِ أَخْذِ العِبْرةِ والعِظَةِ مِنْ كُلِّ قِصَّةٍ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العِلْمُ بقصَّةِ شُعَيْبٍ وقَوْمِهِ مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ الّتي عرَّفَنا اللهُ بها .

٢ـ يَجِبُ طَاعةُ الرُّسُلِ فيما جاؤوا به .

٣ـ التَّطْفيفُ في المِيزانِ مِنَ الجَرائِمِ العُظْمى عِنْدَ اللهِ .

٤ـ الجَرائِمُ الاقْتِصاديَّةُ وأَكْلُ حُقوقِ الآخَرينَ سَبَبُهُ عَدَمُ تقوىٰ اللهِ .

٥ـ على الدَّاعِيَةِ مُحَارَبَةُ المُنْكَرَاتِ المُتَعَلِّقةِ بالمالِ والاقْتِصادِ والنَّهْيِ عَنْ ظُلْمِ الآخَرينَ والاعْتِداءِ علىٰ حُقوقِهِمْ .

٦ـ الإِفْسادُ في الأرْضِ يَقودُ إِلىٰ تَخْريبِ الاقْتِصادِ وتَدميرِ الأمْوالِ .

٧ـ الاسْتِهْزاءُ بأَصْحابِ الحَقِّ وتَكْذيبُهُمْ وإِيذاؤُهُمْ سَبَبٌ لِنَيْلِ غَضَبِ اللهِ وعِقابِهِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنىٰ « الأيْكَةِ » ولِماذا سُمِّيَ قَوْمُ مَدْيَنَ أصْحابَ الأَيْكَةِ ؟ ومَا مَوْقِعُهُمُ الجَغْرافيُّ ؟

٢ـ أَمَرَ شُعَيْبٌ قَوْمَهُ بأَمْرينِ ونَهاهُمْ عَنْ نَهْيَيْنِ ، اسْتخرِجْ ذٰلِكَ مِنْ آياتِ الدَّرسِ .

٣ـ اتَّهَمَ قَوْمُ مَدْيَنَ شُعَيْباً باتِّهامَيْنِ ، وطَلَبوا مِنْهُ طَلَباً غَريباً ، اسْتخرِجْ ذٰلِكَ مِنَ الآياتِ .

٤ـ كَيْفَ عَذَّبَ اللهُ قَوْمَ مَدْيَنَ ؟ أَيِّدْ إجابَتَكَ بالدَّليلِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

## نَشاطٌ :

١ـ تَنهىٰ سُورةُ « المطفّفونَ » عَنِ التَّطفِيفِ في الكَيْلِ والوَزْنِ . اقرأْ الآياتِ الأولَىٰ مِنْها . واشْرَحْ معنىٰ التَّطفيفِ الَّذي تنهَىٰ عنهُ ، واكتبْ ذٰلِكَ في دفترِكَ .

٢ـ كَيْفَ تُوفِّقُ بَيْنَ تَعذيبِ قَوْمِ مَدْينَ بالرَّجْفةِ والصَّيْحَةِ والظُّلَّةِ ، اكْتُبْ ذٰلِكَ في دَفْترِكَ .

# الدرس السابع والعشرون

## سُورَةُ الشُّعَراءِ ـ القِسْمُ الثالِثَ عَشَرَ

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ : جبريلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ : كُتُبِ اللهِ الَّتي أَنْزَلَها عَلَىٰ الأَقْوامِ السَّابِقينَ ، كَالتَّوْراةِ والإِنْجيلِ .

آيَةً : دَليلاً وَبُرْهاناً .

الأَعْجَمينَ : غيرَ العَرَبِ ، الَّذينَ لاَ يَتَكَلَّمُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ .

سَلَكْناهُ فِي قُلوبِ ٱلْمُجْرِمينَ : أَدْخَلْنا التَّكْذيبَ بِالْقُرْآنِ في قُلوبِ كُفَّارَ مَكَّةَ .

بَغْتَةً : فَجْأَةً .

مُنْظَرونَ : مُؤَخَّرونَ .

مُنْذِرونَ : رُسُلٌ يُنْذِرُونَ أَهْلَها عَذابَ اللهِ .

ذِكْرَىٰ : عِظَةً وَتَذْكِيراً .

مَا يَنْبَغي لَهُمْ : لاَ يُمْكِنُ لَهُمْ وَلاَ يَتَيَسَّرُ .

مَعْزولونَ : مَمْنوعونَ مِنَ السَّمْعِ بِإِرْسَالِ الشُّهُبِ عَلَيْهِمِ .



## التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ الأَقْوامِ السَّابِقينَ وَمَا نزَلَ بِهِمْ مِنَ العَذابِ لِكُفْرِهِمْ وَفَسادِهِم وتَكْذيبِهِمْ .

وتَتحدَّثُ هَذهِ الآياتُ عَنْ مَصْدَرِ القُرْآنِ ، وَأَنَّه مِنْ عِنْدِ اللهِ ، أَوْصَلَهُ إِلى رَسولِهِ ﷺ عَنْ طَريقِ جبريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ويَشْهَدُ لِصحَّةِ ذَلِكَ أَنَّ ذِكْرَهُ مَوْجودٌ في الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، وعُلَماءُ أَهْلِ الكتابِ يَعْلَمونَ ذَلِكَ ، كمَا تَتحدَّثُ آياتُ هـٰذا الدَّرْسِ عنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، ومَوْقِفِهِمْ مِنَ القُرْآنِ والرَّسُولِ ﷺ وتهدِّدُهُم بِالعَذابِ إِنِ استمرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ ، وتُقَدِّمُ الأدلَّةَ علىٰ أَنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ .

القُرْآنُ الَّذي كَذَّبَ بِهِ المُشْرِكونَ هُوَ كَلامُ اللهِ ، المُنَزَّلُ على رَسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ واللهُ هُوَ الَّذي أَوْحَىٰ بِهِ لِلرُّوحِ الأمينِ جبريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ علىٰ قَلْبِ رَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فنفَّذَ جِبْريلُ أَمْرَ ربِّهِ ، وتَلَقَّىٰ الرَّسولُ ﷺ منهُ القُرآنَ كما هُوَ ، مِنْ دونِ زِيادةٍ أو نُقْصانٍ .

وشاءَ اللهُ الحَكيمُ أَنْ يَكونَ القُرآنُ بِلُغةٍ عَربيّةٍ فَصيحةٍ بَليغةٍ مُعْجِزَةٍ ، لِيكونَ مُيسَّراً مَفهوماً .

وأَمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أَنْ يُنذرَ الكُفَّارَ بِالقُرآنِ ، ويخوِّفَهُمْ عَذابَ اللهِ ، ويُبشِّرَ بالجَنَّةِ والنَّعيمِ ، وهُمْ يَفْهَمونَ الإِنذارَ والتَّخويفَ لأنَّهُ بِلُغَتِهِمْ ، فإِنْ كفرُوا بَعْدَ ذٰلِكَ كانَ كُفرُهُمْ عِناداً واستكباراً .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ .

مَعَ أَنَّ اللهَ أنزلَ القُرْآنَ بلسانٍ عربيٍ مُبينٍ إلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ غَريباً علىٰ أَهْلِ الكِتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارَىٰ ، لأنَّ كُتبَهُمُ الَّتي أَنْزلَها اللهُ إِلَيْهِمْ ـ كالتَّوراةِ والإِنْجيلِ ـ ذَكَرَتِ القُرآنَ ونوَّهتْ بِهِ ، كما ذَكَرَتْ صِفاتِ الرَّسولِ الخاتَمِ ﷺ وبشَّرَ بِهِ الأَنْبياءُ السَّابِقونَ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وأَمَرُوا أَقْوامَهُمْ بالإِيمانِ بِه عندَ بَعْثَتِهِ .

أَلاَ يَكفِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ آيةً ودَليلاً عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، عِلْمُ عُلماءِ بني إِسرائيلَ بِهِ ، وأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وقدْ عَلِمُوا ذٰلِكَ مِنْ كُتبِهمُ الَّتي أَنْزَلَها اللهُ عَلَيْهِمْ . قالَ تَعالَىٰ : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إِسْرائيلَ على مِثْلِهِ فآمَنَ واسْتَكْبَرْتُم﴾ [الأحقاف : ١٠] .

ولـٰكنَّ أهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارَىٰ كَفَرُوا بِالقرآنِ وبالرَّسولِ ﷺ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ ، فكانَ كُفرُهُمْ عِناداً واسْتِكباراً وحَسَداً .

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ .

الأَدِلَّةُ السَّابِقَةُ علىٰ أَنَّ القُرآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لمْ تُؤَثِّرْ فِي المُشْرِكينَ ، ولَمْ تأْخُذْ بأيديهِمْ إلىٰ الإِيمانِ ، لأنَّهُم مُعانِدونَ مُسْتَكْبِرونَ ، ومَهْما جاءَتْهم دَلائلُ وآياتٌ فَلَنْ يُؤمِنوا ، فلَوْ أَنَّ اللهَ أَنزلَ القرآنَ العَرَبيَّ المُبينَ المُعجزَ علَىٰ رَجُلٍ أعْجَمِيٍّ ، لا يَعْرِفُ مِنَ اللُّغةِ العربيَّةِ كَلِمةً واحدةً ، ثم جاءَ وقرأهُ عَلَيْهِمْ قِراءةً عَربيَّةً بيِّنةً ما آمنوا بهِ ، بِسبَبِ عِنادِهِمْ وتعنُّتِهِمْ .

﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ .

هٰذا تأكيدٌ علَىٰ عِنادِ الكُفَّارِ ، فالتَّكذيبُ بِالقُرْآنِ داخِلٌ قُلوبَهُمْ ، مُتَمَكِّنٌ منْهُمْ ، ولِذٰلِكَ لاَ يَقْبلونَ أيَّ بُرْهانٍ أوْ دَليلٍ ، والكُفْرُ عِنْدَهُمْ مَوْقفٌ مُسْبَقٌ لا تَراجُعَ عَنْهُ ، وسَيبقوْنَ كافِرينَ مُكذِّبينَ حتَّىٰ يروُا العَذابَ الإلهيَّ ، ويَوْمَها لاَ تنفعُهُمْ حُجةٌ ، ولا تُغيِّرُهم آيةٌ .

﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ بيَّنتِ الآيةُ السَّابقةُ اسْتمرارَ الكُفَّارِ في التَّكذيبِ حتَّىٰ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ الأليمُ ذَكَرَتْ هٰذهِ الآياتُ أَنَّ ذٰلِكَ العذابَ سَيأتيهِمْ فَجأةً ، مِنْ دُونِ مَوْعِدٍ أَوْ مُقَدِّماتٍ ، ومِنْ دونِ أنْ يَشْعروا هُمْ بمجيئِهِ ، أوْ يَسْتَعِدُّوا لَهُ .

وعِنْدمَا يُفاجَأونَ بهِ يَتمنوْنَ الإمهالَ والإنْظارَ والتَّأْخِيرَ ، ويَقولونَ : يا ربَّنا أخِّرْ عنَّا العَذابَ ، وأَعْطِنَا فُرْصَةً أُخرىٰ لِنُؤْمِنَ! ولنْ يَتحقَّقَ ذلكَ لهُمْ .

ومَعَ أَنَّهم عاجِزونَ عَنْ دَفْعِ العَذابِ عَنْهُمْ ، فإنَّهُمْ لِحَماقَتِهِمْ وجَهْلِهِمْ يَسْتَعْجِلونَ ذلكَ العَذابَ ، ويَطْلبونَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ أنْ يُوقِعَهُ بِهِمْ ، بَلْ يَدعونَ ربَّهُمْ أنْ يُوقعَ العَذابَ بِهِمْ! كمَا قالَ تعالىٰ : ﴿وإِذْ قالوا اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أليمٍ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ .

يُخاطِبُ اللهُ في هٰذهِ الآيةِ رَسولَهُ ﷺ ويُبيِّنُ لهُ أَنَّ الكافِرينَ يَطلبونَ الإنظارَ والإمهالَ فلا يُجابونَ لِذلكَ ، لأنَّهُ لنْ يَنْفَعَهُمْ ، ومَهْما متَّعَهُمُ اللهُ برَغَدِ العَيْشِ في الدُّنْيا ، واسْتَمرَّ ذلكَ التَّمتعُ سنينَ مُتعدِّدةً ، فإنَّه لا يَنْفَعُهُمْ ولا يُغنِي عَنْهُمْ ، لأنَّهُ لا فَائدةَ مِنْ تمتُّعٍ ونعيمٍ يَعْقُبُهُ عَذابٌ أليمٌ ، والكُفَّارُ ذاهِبونَ إلىٰ النَّارِ ، ويَنْسَونَ فيها كلَّ مُتعِ الحياةِ الدُّنيا . قالَ تعالَىٰ : ﴿ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثوا إلاَّ ساعةً مِنَ النَّهارِ يَتعارَفونَ بَيْنَهُم﴾ [يونس : ٤٥] .

روىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُؤْتىٰ بِأَنْعُمِ أَهْلِ الدُّنيا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فيُصْبَغُ فِي النَّارِ صِبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يا ٱبْنَ آدَمَ : هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ » .

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ .

وبِمُناسبةِ الحَديثِ عَنِ العَذابِ تُقرِّرُ الآياتُ سُنَّةَ اللهِ في ذَلِكَ ، القَائِمَةَ علىٰ عَدْلِهِ التَّامِّ سُبْحانَهُ وتعالَىٰ . فإنَّهُ لمْ يُهلِكْ قَرْيةً ، ولمْ يُدمِّرْ قَوْماً ، إلاَّ بعدَما أَرْسَلَ إليهِمْ رُسُلاً مُبشِّرينَ ومُنذِرينَ يُذَكِّرونَهُمْ ويَدْعونَهُمْ ويُقيمونَ عليهِمُ الحُجَّةَ ، فَيُعَذِّبُهُمُ اللهُ بعدَ ذلكَ بِظُلْمِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، وهُوَ لا يَظْلِمُ أحداً .

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ .

عَرَضَتِ الآياتُ السَّابِقةُ مِنَ الدَّرسِ الأَدِلَّةَ علىٰ أَنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ ، وهدَّدتِ المُشركينَ بالعَذابِ إنِ اسْتمرُّوا في تكذيبهم بهِ .

وهذهِ الآياتُ تردُّ مَزاعِمَ المُشْركينَ أَنَّ القُرآنَ مِن كَهانةِ الشَّياطينِ ، نَزلَتْ علىٰ مُحمَّدٍ ﷺ فتُقَرِّرُ أَنَّ الشَّياطينَ لَمْ تَنْزِلْ بآياتِ القُرآنِ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ ويَمْتَنِعُ ذلِكَ عليْهَا من ثلاثةِ أَوْجهٍ :

١ـ القرآنُ لا يَتَّفقُ مَعَ أهدافِ الشَّياطينِ ، لأنَّهُ هُدىً ونورٌ ، وأَهْدافُهم هِيَ الإِفسادُ والإِضْلالُ ، فبيْنَ القُرْآنِ وأَهْدافِ الشَّياطينِ تَعارُضٌ أصيلٌ ، ولِهذا قال : ﴿وما يَنْبَغي لَهُمْ﴾ .

٢ـ الشَّيَاطِينُ لا تَسْتَطيعُ حَمْلَ القرآنِ وإنزالِه : ﴿وما يَسْتَطيعونَ﴾ .

٣ـ الشَّياطينُ لا تَسْتَطيعُ الوُصولَ إلىٰ أَصْلِ القُرآنِ ومَصْدرِهِ ، لأَنَّهُمْ مَعزولونَ عنِ اسْتراقِ السَّمْعِ إلىٰ السَّماءِ ، وقدْ مَلأَ اللهُ السَّماءَ حَرَساً شَديداً وشُهُباً ، لِتَمْنَعَ الشَّياطينَ مِنَ الاسْتِماعِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآيَاتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علَىٰ الدَّاعِيَةِ ألاَّ يُقصِّرَ في تَقديمِ الأدلَّةِ علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ ، وإِبطالِ شبهاتِ الكُفَّارِ حَوْلَهُ .

٢ـ مَصْدَرُ القُرْآنِ هُوَ اللهُ جاءَ بهِ جِبْريلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ إلى الرَّسولِ ﷺ .

٣ـ أهلُ الكتابِ يَعْلَمونَ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ ، لكنَّهُمْ يَكْفُرونَ بهِ عِناداً وحَسَداً .

٤ـ كُفْرُ الكافِرينَ قائِمٌ علىٰ العِنادِ والاسْتِكْبارِ ، وهـٰذا لا يَنْفَعُ مَعَهُ أَيُّ دَليلٍ .

٥ـ لا يَسْتَعجِلُ العَذابَ إلا جاهِلٌ أحْمَقُ ، ولا يُنْظَرُ الكافِرونَ ويُمْهَلونَ عندمَا يَطلبونَ ذٰلِكَ .

٦ـ كلُّ مَتاعِ الدُّنْيا وإنْ طالَ لا يُساوي غَمْسَةً فِي نارِ جهنَّمَ مُدَّتُها لَحْظةٌ .

٧ـ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تعالىٰ أنْ لا يُعذِّبَ أَحداً إلاَّ بعدَ إنْذارِهِ وإقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثلاثةَ أدلَّةٍ علىٰ أَنَّ القرآنَ كَلامُ اللهِ .

٢ـ أخبرَتِ الآياتُ أَنَّ القُرْآنَ في كُتُبِ السَّابِقينَ . كَيْفَ ؟ ولِمَاذا اعْتَبَرَتْ هٰذا آيةً ؟

٣ـ متَى يُؤْمِنُ الكُفَّارُ ؟ وَهَلْ يَنْفَعُهُمْ ذَلكَ الإيمانُ ؟ ولِماذا ؟

٤ـ مَاذا يُساوي مَتاعُ الدُّنْيا بالنِّسبةِ لِعذابِ الآخِرَةِ ؟ اسْتَشْهِدْ علىٰ ذَلِكَ بآيةٍ وحَديثٍ .

٥ـ اسْتَخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ سُنَّةَ اللهِ في إهْلاكِ الكُفَّارِ ، واسْتَشْهِدْ علىٰ ذلِكَ بآيةٍ أُخرىٰ .

٦ـ الشَّياطينُ لا تَسْتَطيعُ إنزالَ القُرآنِ مِنْ ثلاثةِ أَوْجهٍ . اسْتَخْرِجْهَا مِنْ هذهِ الآياتِ .

## نَشاطٌ :

١ـ اقرأْ سورةَ التَّكويرِ وسَجِّلِ الآياتِ الَّتي تَتحدَّثُ عَنْ صِفاتِ جبريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبيِّنْ معانِيَ تلكَ الصِّفاتِ ، واكتبْهَا في دفترِكَ .

٢ـ بِمعنىٰ هٰذهِ الآياتِ الآيةُ رقمُ ( ١١١ ) مِنْ سورةِ الأنعامِ . سجِّلْها فِي دَفْتِرِكَ ، وبيِّنْ وَجْهَ اتفاقِها مَعَ الآياتِ (٢٠٠ـ٢٠١) .

٣ـ الآيَةُ ( ٥٩ ) مِنْ سورةِ القَصصِ بِمَعْنىٰ هذهِ الآيةِ . اكْتُبْهَا في دَفْترِك ، ثُمَّ بيِّنْ وَجْهَ التوافقِ بينَها وبَيْنَ الآيتينِ (٢٠٨ـ٢٠٩) .

٤ـ اعْتَرَفَ الجِنُّ بوجودِ حُرَّاسٍ مِنَ المَلائِكةِ يَمنَعونَ صُعودَهُمْ إِلىٰ السَّماءِ ، وَوَرَدَ هٰذَا في الآيتَيْنِ ( ٨ـ٩ ) مِنْ سورةِ الجِنِّ . اكتبْهُما وسَجِّلْ مَعناهُما بإيجازٍ .

* * *

## الدرس الثامن والعشرون

# سُورَةُ الشُّعَراءِ - القِسْمُ الرابِعَ عشَرَ

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| أَنْذِر عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبينَ | : أَنْذِرْ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْكَ ، وَهُمْ بَنو هاشِمٍ وَبَنو المُطَّلِبِ . |
| ٱخْفِضْ جَناحَكَ | : أَلِنْ جانِبَكَ وَحَسِّنْ خُلُقَكَ . |
| يَراكَ حِينَ تَقومُ | : يَراكَ اللهُ حينَ تَقومُ لِصَلاةِ التَّهَجُّدِ وَحْدَكَ . |
| وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدينَ | : يَراكَ اللهُ حينَ تُصَلِّي بَيْنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ أَصْحابِكَ . |
| أَفَّاكٍ أَثيمٍ | : كَذَّابٍ مُفْتَرٍ فاجِرٍ . |
| ٱلْغَاوونَ | : الضَّالُّونَ الْمُتَّبِعونَ لِلْباطِلِ . |
| فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمونَ | : يَسيرونَ هائِمينَ عَلى وُجوهِهِمْ مِنْ غَيْرِ هُدىً . |
| أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ | : إِلىٰ أَي نِهايَةٍ يَسيرونَ . |

### التَّفسيرُ :

فِي القَصَصِ الَّتي وَرَدَتْ في السُّورةِ تَسْلِيةٌ ومُواساةٌ لِلرَّسولِ ﷺ علىٰ ما يَجِدُهُ مِنْ أذىً قومِه وتكذيبِهِمْ .

وخُتِمَتِ السُّورةُ بهذهِ الآياتِ الَّتي قَدَّم اللهُ ـ تعالَىٰ ـ فيها التَّوْجيهاتِ لِلرَّسولِ ﷺ لِيقومَ بواجِبهِ في الدَّعْوةِ .

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ .

بدأتِ التَّوجيهاتُ الرَّبانيَّةُ لِلرَّسولِ ﷺ بنَهْيهِ عَنْ دُعاء إِلـٰهٍ آخَرَ مَعَ اللهِ ، لأنَّ ذَلِكَ شِرْكٌ باللهِ ، ومَنْ فَعَلَ ذلكَ يَكونُ مُعذَّباً فِي جهَنَّمَ . والرَّسولُ ﷺ مَعْصومٌ مِنَ الشِّرْكِ ، لكنَّ تَهْدِيدَهُ يَدُلُّ علىٰ أهميَّةِ خُطورةِ ذَلِكَ ، والمَقْصودُ إِحداثُ هِزَّةٍ عَنيفةٍ في قُلوبِ المُشْركينَ لِيَتخلَوْا عنْ ما هُمْ عليْهِ .

وعلَىٰ الرَّسولِ ﷺ بعدَ الإِيمانِ باللهِ وَحْدَهُ أنْ يَتوجَّهَ إِلىٰ دَعْوةِ الآخَرينَ إِلىٰ تَوْحيدِ اللهِ ، وَأنْ يَبْدَأَ فِي ذَلكَ بِالأَقْربِ فالأَقْرَبِ ، فَيُنْذِرُ أفرادَ عَشيرَتِهِ الأَقْربينَ ، ثُمَّ يُنذِرُ الأَبْعَدَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ الأَبْعَدَ ، حتَّىٰ تَصِلَ دَعْوَتُهُ إِلىٰ النَّاسِ جَميعاً . قالَ تعالَىٰ : ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرْقانَ على عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمينَ نَذيراً﴾ [الفرقان : ١] .

وقدْ نفَّذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأَمْرَ المُوجَّهَ إِليْهِ في هذهِ الآيةِ ، وذَلِكَ مُنْذُ بِدايةِ الدَّعْوَةِ الجَهْرِيَّةِ فِي مَكَّةَ .

روىٰ البُخاريُّ عن ابنِ عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قالَ : لمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعالَىٰ : ﴿وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأَقْربَينَ﴾ صَعِدَ النَّبيُّ ﷺ إِلىٰ الصَّفَا ، فجَعلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ، حَتَّىٰ اجْتَمَعوا . فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ!

فَقالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصدِّقِيَّ ؟

قالوا : نَعَمْ . مَا جَرَّبْنا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقاً .

قالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ!

فَقالَ لَهُ أَبو لَهَبٍ : تَبّاً لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، أَلِهـٰذَا جَمَعْتَنا ؟

فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ ـ تَعالَىٰ ـ : ﴿تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مَالُهُ ومَا كَسَبَ﴾[1] .

وَهَكَذا نفَّذَ رسولُ اللهِ ﷺ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ ، وأنذَرَ عَشيرَتَهُ الأَقْرَبينَ .

وَأمرَ اللهُ ـ سُبحانَهُ وَتَعالَىٰ ـ رَسولَهُ ﷺ بإحْسانِ مُعاملةِ المُؤْمِنينَ ورَحْمَتِهِمْ والرِّفقِ بِهِمْ ، بأَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَهُ ، ويُلينَ جانبَهُ ، ويَتَواضَعَ لَهُمْ ، فهـٰذا أَطْيَبُ لِقُلوبِهِمْ ، وأَزْكىٰ لَهُمْ .

أَمَّا الكافرونَ الَّذينَ رَفضوا دَعْوَتَهُ ، وأَصرُّوا علىٰ عِصْيانهِ ، فَلاَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، حَيْثُ قامَ بِواجبهِ فِي

---

(١) صحيح البخاري : ( ٦٥ ) كتاب التفسير . تفسير سورة الشعراء . حديث رقم : ٤٧٧٠ .

دَعْوَتِهِمْ وإِنذارِهِمْ ، وعَلَيْهِ أَنْ يُصارِحَهُمْ بِبَراءَتِه مِنْ أعْمالِهِمُ البَاطِلَةِ : النَّاتِجةِ عن شِرْكِهِمْ باللهِ .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ .

وبَعْدَما وجَّهَ اللهُ رسولَهُ ﷺ إِلىٰ التَّصرُّفِ مَعَ أتباعِهِ ومَعَ أعْدائِهِ ، وجَّهَهُ إِلىٰ تَوْثيقِ صِلَتِهِ بربِّهِ ، وقالَ لَهُ : توكَّلْ علىٰ اللهِ ، وفوِّضْ جَميعَ أُمورِكَ إِليهِ ، وهُوَ العَزيزُ القَوِيُّ الغالِبُ لأعْدائهِ ، الرّحيمُ بأوليائهِ .

وهُوَ سُبحانَهُ وَتَعالَىٰ يَراكَ أينما كُنْتَ ، ويَراكَ عِنْدمَا تَقومُ تُصَلِّي صَلاةَ التَّهجُّدِ وَحْدَكَ ، ويَراكَ عِنْدمَا تُصَلِّي مَعَ أَصْحابِكَ المُصَلِّينَ السَّاجِدينَ ، تَتقلَّبُ مَعَهُم في الرُّكوعِ والسُّجُودِ ، والقيامِ والقُعودِ .

وعبَّرَ عَنِ المُصَلِّينَ بالسَّاجِدينَ ، لأنَّ العَبْدَ أَقْرَبُ ما يكونُ إِلىٰ ربِّهِ وهُوَ ساجِدٌ .

واللهُ بَصيرٌ يَرىٰ كُلَّ شيءٍ ، وسَميعٌ يَسْمَعُ كُلَّ شيءٍ ، وعَليمٌ يَعْلَمُ كُلَّ شيءٍ ، لاَ يَخْفَىٰ عليهِ شيءٌ .

قالَ تعالىٰ : ﴿وما تَكونُ في شَأْنٍ وما تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرآنٍ ولا تَعْمَلونَ عَمَلاً إلاّ كُنَّا عَلَيْكُم شُهوداً إِذْ تُفيضونَ فيهِ﴾ [يونس : ٦١] .

والمَقْصودُ مِنْ هـٰذا التَّوجيهِ أنْ يَشْعُرَ الرَّسُولُ ﷺ بالرِّعايةِ والعِنايَةِ والحِفْظِ ، وأَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُهُ ويَحْفَظُهُ ويَنْصُرُهُ .

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ .

أقامَتِ الآياتُ السَّابقةُ الأدلَّةَ علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، وذَكَرَتْ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ أنْ تتنزَّلَ بِهِ الشَّياطينُ ، لأنَّهُم مَعْزولونَ عَنِ السَّمْعِ .

وبيَّنتْ هذهِ الآياتُ أَنَّ الشَّياطينَ لا تَنْزِلُ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ وإِنَّما تَنْزِلُ علىٰ جُنودِها مِنَ الكَهَنَةِ والشُّعراءِ وأَصْحابِ الباطِلِ .

يَأْمرُ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لِلمُشركينَ : هلْ أُخْبِرُكُم علىٰ مَنْ تَنْزِلُ الشَّياطينُ ؟

إِنَّها تَتنزَّلُ علىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ مُفْتَرٍ كذَّابٍ ، فاجِرٍ فاسِقٍ أثيمٍ ، مِنَ الكَهَنَةِ الدَّجالينَ ، الَّذينَ يُصْغونَ سَمْعَهُمْ إِلىٰ شَياطينِهِمْ ، يَتلقَّوْنَ مِنْهُمْ وَحْيَهُمُ الزّائِفَ الكاذِبَ ، لأنَّ أكْثَرَ الشَّياطينِ كاذِبونَ فِي ما يُوحونَ بِهِ إِليهِمْ ، وأكْثَرَ الكَهَنَةِ كاذِبونَ فيما يَنسِبونَهُ إِلىٰ الشَّياطينِ .

وإِذَا كانتِ الشَّياطينُ تَنزِلُ علىٰ الكَهَنَةِ الكاذِبينَ ، فإِنَّها لا تَنزِلُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ لأنَّهُ صادِقٌ فيما يَقولُ .

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ نفىٰ اللهُ عَنْ رَسولِهِ الكَهانَةَ ، نفىٰ عنهُ أنْ يكونَ شاعِراً ، ونَفَىٰ عَنِ القُرآنِ أَنْ يكونَ شِعْراً ، وفرَّقَ بيْنَ رَسولِ اللهِ ﷺ وبيْنَ الشُّعراءِ .

فالشُّعراءُ يتَّبعُهُم الضَّالُّونَ ، المُنْحَرفونَ عَنِ الحقِّ ، وأتْباعُ الرَّسولِ ﷺ هُمُ المُهتدُونَ المُسْتقيمونَ .

ومُحَمَّدٌ ﷺ ليسَ شاعِراً ، لأنَّ كَلامَهُ حَقٌّ وصِدْقٌ ، وكَلامُ الشُّعراءِ زَيْفٌ وباطِلٌ ، فهُمْ يَخوضونَ في كلِّ فنٍ مِنَ الكلامِ ، ويَتناقَضونَ مَعَ أنفسِهِمْ ، وَيذمُّونَ مَنْ مَدَحوهُمْ ، وهمْ كاذِبونَ فِي كلامِهِمْ ، وَيقولونَ ما لا يفْعَلونَ .

إنَّ ما عَليهِ الشُّعَراءُ مُخالِفٌ لِما عليهِ رَسولُ اللهِ ﷺ فلاَ يُمْكِنُ لَهُ أنْ يكونَ شاعِراً .

ومِنَ الإنصافِ أَنَّ ذَلكَ الوَصْفَ العَامَّ يَنْطَبِقُ علىٰ مُعْظَمِ الشُّعراءِ ، وهُمْ أصحابُ الباطِلِ ، ويُستثنَىٰ مِنْ ذلكَ قِلَّةٌ مِنَ الشُّعراءِ المُسْلِمينَ الصَّالِحينَ ، فهُم ليسُوا ضَالِّينَ ، ولا يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ ، ولا يَهيمونَ فِي كُلِّ وادٍ ، ولاَ يَقولونَ مَا لاَ يَفْعَلونَ .

وهؤلاءِ الشُّعراءُ المُسْتَثْنَوْنَ لابدَّ وأنْ يَتَّصِفُوا بأربعِ صِفاتٍ هي : الإيمانُ باللهِ ، والإكثارُ مِنَ العملِ الصَّالحِ ، والإكثارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ في شِعْرِهِمْ ، ونُصْرَةُ الحَقِّ وأهْلِهِ ، هَؤلاءِ صَالِحونَ مَحمودونَ عِنْدَ اللهِ .

وختمَ اللهُ السُّورةَ بالتَّهديدِ والوعيدِ لِلكافرينَ الظَّالِمينَ ، فَهُمْ ظَلَمُوا أنفسَهُمْ بالكُفْرِ والإعراضِ عنِ الحقِّ ، وكذَّبُوا الرُّسُلَ ، وعِنْدَما يَموتونَ سَيذهبونَ إلىٰ العَذابِ ، ويَوْمَ القِيامةِ مَصيرُهُمْ إلىٰ النَّارِ ، وهُوَ أَقْبحُ مَصيرٍ ، وعِنْدَ ذلكَ يَعْلَمونَ أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يَجوزُ دُعاءُ غَيْرِ اللهِ ، فإنّهُ شِرْكٌ وضَلالٌ .

٢ـ كلُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً يُجزَىٰ بهِ ، ولاَ مُحاباةَ عِنْدَ اللهِ ، ولاَ اسْتثناءَ أَوْ تمييزَ في الإسلامِ .

٣ـ وُجوبُ تَبْليغِ الدَّعْوَةِ إِلىٰ الأقْرَبِ فالأَقْرَبِ . والقَرابَةُ في النَّسَبِ لا تَنْفَعُ إذا لَمْ يَتبَعْها عَمَلٌ صَالحٌ .

٤ـ وُجوبُ التَّواضُعِ ولِينِ الجانبِ وحُسْنِ الخُلُقِ مَعَ الأَتْباعِ والأَصْحاب والإِخوانِ .

٥ـ المُؤْمِنُ يَسْتَشعِرُ دائماً أَنَّهُ في حِفْظِ اللهِ وعِنايَتِهِ ورعايتِهِ ، فَيْزدادُ تَوكُّلاً عَلَيْهِ وذِكْراً لَهُ .

٦ـ الكَذِبُ والافْتراءُ سَبِيلٌ لإِغواءِ الشَّياطينِ واسْتِحْواذِهِمْ علىٰ مَنْ يقومونَ بِذلكَ .

٧ـ القُرآنُ وحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ولَيْسَ مِنَ الشَّياطينِ ولا الكُهَّانِ ولا الشُّعَراءِ .

٨ـ الَّذين تَتنزَّلُ عَليْهِمُ الشَّياطينُ ضَالُّونَ مُفْتَرونَ ، ولَيْسوا بِصالِحينَ أَخْيارٍ .

٩ـ مَدْحُ الشُّعراءِ المُسْلِمينَ المُلْتَزِمينَ الَّذينَ يَنْصُرونَ الحَقَّ ويُواجِهونَ البَاطِلَ بأَشْعارِهِمْ حقٌّ وواجِبٌ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ طَبَّقَ رَسولُ اللهِ ﷺ أَمْرَ اللهِ لَهُ ﴿وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأَقْرَبينَ﴾ ؟

٢ـ النَّاسُ فِي مَوْقِفِهِمْ مِنَ الدَّعوةِ صِنفانٌ . اسْتخرِجْهُما مِنَ الآياتِ ، وطَريقةَ التعامُلِ مَعَ كُلِّ صِنفٍ .

٣ـ أنتَ قدْ تُصلِّي علىٰ حَالتَيْنِ ، يَراكَ اللهُ فيهما . استخرِجِ الحالتَينِ مِنَ الآياتِ .

٤ـ اذْكُرِ الصِّفاتِ الَّتي أَوْرَدَتْها الآياتُ لِمَنْ تَتنزَّلُ عَليْهِمُ الشَّياطينُ .

٥ـ مَنْ هُمُ الشُّعراءُ المَذْمومُونَ والشُّعراءُ المَمدوحُونَ في الآياتِ ؟ اسْتخرِجْ صِفاتِ كُلِّ فَريقٍ مِنَ الآياتِ .

## نَشاطٌ :

١ـ امْتَنَّ اللهُ علىٰ رَسولِهِ فِي سُورةِ آلِ عِمْرانَ بأَنْ جَعَلَهُ لَيِّناً لأَصْحابِهِ ، ولَيْسَ فظّاً غَليظَ القَلْبِ ، اسْتَخْرِجْ أَخْلاقَ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّتي تُقَرِّرُها تِلْكَ الآيةُ .

٢ـ الآياتُ الأَخيرةُ مِنْ سورةِ الحَاقَّةِ نفَتْ عَنِ الرَّسولِ أَنْ يَكونَ شَاعِراً أَوْ كاهِناً أَوْ كاذِباً . سَجِّلْها في دَفْتَرِكَ وبيِّنْ الاتفاقَ بَيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (٢٢٤ـ٢٢٦) .

٣ـ اذكرْ أَسْماءَ ثلاثةِ شُعراءَ مِنَ الصَّحابةِ . وأَسْماءَ ثلاثةِ شُعراءَ مُعاصِرينَ صَالِحينَ .

# الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشْرُونَ

## سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

### تعريفٌ بالسُّورةِ :

سورةُ النَّملِ مَكِّيةٌ ، نَزَلَتْ بعدَ سُورةِ الشُّعراءِ ، وهِيَ السُّورةُ الثَّانِيةُ مِنْ سُوَرِ « الطَّواسِينَ » لأنَّهَا مفتَتَحةٌ بالحرفينِ : طَا . سِينْ .

وسُمِّيَتْ بهٰذا الاسْمِ لِوُرودِ حَديثِ النَّملةِ عِنْدَما مَرَّ سُلَيْمانُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - بِوادِي النَّملِ .

ومَوْضوعُ السُّورةِ هُوَ العقيدةُ ، بِتَقْريرِ الإيمانِ باللهِ ، وعَرْضِ الأَدِلَّةِ علىٰ الوَحْدَانيَّةِ وإبطالِ الشِّرْكِ ، واليَقِينِ بالآخِرَةِ وَما فِيها مِنْ ثوابٍ وعِقابٍ .

ويَأْتي القَصَصُ فِي السُّورةِ لتَثبيتِ المَعانِي الَّتي قَرَّرَتْها ، وَبَيانِ عاقِبَةِ المُؤْمِنينَ والكافِرِينَ ، وسُنَّةِ اللهِ المُطَّرِدَةِ في ذٰلِكَ . والقَصَصُ الوَارِدةُ في السُّورةِ : قصةُ موسىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وقصةُ داودَ وسُلَيْمانَ - عَلَيْهِما السَّلامُ - وتَفرَّدَتِ السُّورَةُ بالحَديثِ عنْ قِصَّةِ سُلَيْمانَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - مَعَ النَّمْلَةِ فِي وادِي النَّمْلِ ، ومَعَ الهُدْهُدِ ، الَّذي أَرْسَلَهُ إِلىٰ اليَمَنِ ، وإِسْلامِ مَلِكَةِ اليَمَنِ وقَوْمِها ، وتَحدَّثَتْ عَنْ قِصَّةِ صَالحٍ ، وقِصَّةِ لوطٍ - عَلَيْهِما السَّلامُ - .

## مَعاني المُفْرَداتِ :

هُدَىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمنينَ : الْقُرْآنُ هادٍ وَمُبَشِّرٌ لِلْمُؤْمنينَ .
بِالآخِرَةِ هُمْ يوقِنونَ : يُصَدِّقونَ بِالآخِرَةِ تَصْديقاً . حازِماً لاشَكَّ فِيهِ .
زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ : جَعَلْنَاهُمْ يُحِبُّونَ أَعْمالَهُمُ السَّيِّئَةَ وَيُعْجَبونَ بِها .
يَعْمَهونَ : يَتَرَدَّدونَ وَيَتَحَيَّرونَ .
مِنْ لَدُنْ : مِنْ عِنْدِ .

## التفسيرُ :

بَدَأَتِ السُّورَةُ بالحَرْفَيْنِ المُقطَّعيْنِ « طَا . سِينْ » . ثُمَّ قرَّرَتْ أَنَّ القُرآنَ مُبِينٌ ، وأَنَّهُ هادٍ ومُبَشِّرٌ لِلمُؤْمنينَ ، وذَكَرَتْ أهمَّ صِفاتِ المُؤْمِنين ، فِي مُقابِلِ أهمِّ صِفاتِ الكَافِرينَ المُنْكِرينَ للآخِرَةِ .

﴿ طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ ﴾ .

أنْزَلَ اللهُ القُرْآنَ بِلسانٍ عَربيٍّ بيِّنٍ واضِحٍ ، وافْتَتحَ بَعْضَ سُوَرِهِ بحُروفٍ مُقَطَّعَةٍ ، مِثْلَ هذهِ السُّورةِ الَّتي افتُتِحَتْ بالحَرْفينِ « طَا . سِينْ » وذٰلِكَ لِتَنْبيهِ الكَافِرينَ إِلىٰ أَنَّ هٰذا القُرآنَ مُرَكَّبٌ مِنْ مثلِ هٰذهِ الحُروفِ ، وفي هذا إِثْباتُ إِعْجازِ القُرْآنِ .

والآياتُ المُكَوَّنَةُ مِنَ الكَلِماتِ العَربيَّةِ المُؤَلَّفةِ مِنْ هٰذهِ الأَحْرُفِ هِيَ آياتُ القُرْآنِ الكَريمِ ، وهٰذا القُرْآنُ كِتابٌ مَكْتوبٌ في السُّطورِ ، وهُوَ واضِحٌ بَيِّنٌ ، سَهْلٌ مُشْرِقٌ .

والقرآنُ مُشْتَقٌّ مِنَ القِراءَةِ ، والكتابُ مُشْتَقٌّ مِنَ الكِتابةِ ، وتَسْمِيَةُ كِتابِ اللهِ بهٰذيْنِ الاسْمَيْنِ : القُرْآنِ والكِتابِ ؛ يُشيرُ إِلىٰ أَنَّهُ مَحفوظٌ بهاتَيْنِ الوَسيلَتينِ : القِرَاءةِ والحِفْظِ ، والكِتَابةِ والتَّدْوينِ .

﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ .

آياتُ القُرْآنِ الكِتابِ المُبينِ هُدىً وبُشْرىٰ لِلْمُؤْمنينَ بهِ ، المُعْتَقِدينَ أَنَّهُ كَلامُ اللهِ ، فالقرآنُ هادٍ لَهُمْ ، يدلُّهُمْ علىٰ ما يُريدُ اللهُ مِنْهُمْ ، ومُبَشِّرٌ لَهُمْ بالجَنَّةِ والنَّعيمِ .

وإِنَّ الاهْتِدَاءَ بالقُرْآنِ والبِشَارةِ بهِ لا تَحْصَلُ إِلا لِمَنْ آمنَ بهِ ، وعَمِلَ بما فيهِ . أَمَّا الكافِرونَ المُنْكِرونَ لَهُ فإِنَّهُمْ يَزْدادونَ ضَلالاً .

كلُّ آياتِ القُرْآنِ هُدىً ، وكلُّها بُشْرى ، ولِذلِكَ قالَتْ الآيةُ ﴿هُدىً وبُشْرَى﴾ ولَمْ تَقُلْ : فيهِ هُدَىً

وَبُشْرَىٰ . وعَبَّرَتْ عَنِ الاهْتِداءِ والبِشارَةِ بالمَصْدرِ ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ ولَمْ تَعَبِّرْ باسمِ الفاعِلِ : هادٍ ومُبَشِّرٍ ؛ لِلمُبالَغَةِ فِي تأكيدِ وتَحْقيقِ الهُدىٰ والبُشرىٰ لِلمُؤْمنينَ بالقُرْآنِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾ .

القرآنُ يَهْدي ويُبَشِّرُ المُؤْمِنينَ ، ويُؤَثِّرُ فِيهِمْ ويُربِّيهِمْ ، وهُمْ يُنَفِّذونَ الأَوامِرَ المَوْجودَةَ فيهِ : يُقيمونَ الصَّلاةَ علىٰ أكْمَلِ وُجوهِهَا وأَفْضَلِها ، ويُؤَدُّونَ الزَّكاةَ علىٰ أَتَمِّ حالاتِها . ويَلْتَزِمونَ بِكُلِّ ما أَمَرَهُمُ اللهُ بهِ ، ويَنْتَهونَ عَنْ كُلِّ مَا نهاهُمُ اللهُ عَنْهُ ، ويَسْتَقيمونَ في حَياتِهِمْ علىٰ شَرْعِ اللهِ .

وهُمْ يَعلمونَ أَنَّ الدُّنْيا زَائِلةٌ ، ولِذلِكَ يُوقِنونَ بالآخِرَةِ ، ويُصَدِّقُونَ بما فيها منْ مَشاهِدَ وأحْداثٍ ، ويَسْتَعِدُّونَ لَها بِصَالِحِ الأعْمالِ ، ويَطلبونَ الجَنَّةَ ونَعيمَهَا .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ ﴾ .

بعدَما ذَكرتِ الآياتُ أَهَمَّ صِفاتِ المُؤْمِنينَ المُهتَدينَ بالقُرْآنِ ، ذَكَرَتِ الكافِرينَ وضَلالَهُمْ فِي الدُّنْيا وخَسارَتَهُم في الآخِرَةِ .

وإِذا كانَ المُؤمِنونَ يُوقِنونَ بالآخِرَةِ ، فإِنَّ الكافِرينَ لا يُؤمِنونَ بها ، بَلْ يُكَذِّبونَ بِها ويَنْفونَ وُقوعَها ، ويُنْكِرونَ الحَياةَ بَعْدَ المَوْتِ ، إِنَّهُم لاَ يَعترِفونَ إِلاَّ بالدُّنْيا ، ولاَ يَعْمَلونَ إِلاَّ لَها ، ولِذٰلِكَ يُقبِلونَ علىٰ المَلَذَّاتِ والشَّهواتِ ، ويَنْغَمِسونَ فيها باعتبارِها فُرْصَتَهُمُ الوَحيدةَ المُتاحَةَ ، وتُزَيِّنُ لهُم فَيَنْدَفِعونَ إِليْهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِم ، ويَعيشونَ حَياتَهُمُ الدُّنْيا وَفْقَ أهوائِهِمْ ، يَتردَّدونَ ويَتَحيَّرونَ ، ويَتيهونَ في ضَلالِهِمْ وانحرافِهِمْ وشَهواتِهِمْ .

وهٰؤلاءِ الضَّالُّونَ المُنكِرونَ لِلآخِرَةِ سَوْفَ يُبْعَثونَ ويُحاسَبونَ ، فَيُدْخِلُهُمُ اللهُ النَّارَ ، يُعذَّبونَ فِيها سُوءَ العَذابِ ، ويُحرَمُونَ مِنَ الجنَّةِ ونَعيمِها ، وبذلكَ يَكونُونَ هُمُ الأخْسَرينَ ، أيْ أَشَدَّ النَّاسِ خُسْراناً ، وتَكونُ خَسارَتُهُمْ شامِلَةً لأَنْفُسِهِمْ وأَمْوالِهِمْ وأَهْليهِمْ .

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ .

بعدَما وَصَفَتِ الآياتُ السَّابقةُ حالَ المُؤْمِنينَ بالقُرآنِ والمُكذِّبينَ بهِ ، ذَكَرَتْ هٰذهِ الآيةُ حالَ النَّبيِّ ﷺ مَعَ القُرْآنِ ، فَخاطَبَهُ اللهُ قائِلاً : إِنَّكَ أيُّها الرَّسُولُ تتلقَّىٰ القُرآنَ وتأخذُهُ مِنْ عِندِ اللهِ ، نزَلَ بهِ جبْريلُ عَليْكَ ، وجعَلَهُ اللهُ كِتابَ هُدىً ورَحْمةٍ وبُشْرىٰ ، فَكُلُّ ما فيهِ حقٌّ وصِدْقٌ وصَوابٌ ، لأنَّهُ مِنْ عندِ اللهِ الحَكيمِ في كلِّ شَيءٍ ؛ العليمِ بكلِّ شيءٍ ، سُبحَانَهُ وَتَعالَىٰ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ هُمُ الَّذينَ يَهتدونَ بِالقُرْآنِ ويَسْتَبشرونَ ببشاراتِهِ .

٢ـ لَيْسَ الإيمانُ مُجرَّدَ تَصديقٍ بَلْ لابُدَّ وأنْ تَنْتُجَ عَنْهُ الأعمالُ الصَّالِحَةُ ، كإقامةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ .

٣ـ إنكارُ الآخِرَةِ سَبَبُ الإسْرافِ في المَلذَّاتِ والشَّهواتِ ، والوُقوعِ في الطُّغْيانِ والفسادِ .

٤ـ الحَيْرَةُ والتَرَدُّدُ والضَّياعُ ثَمَنٌ لإنكارِ الآخِرَةِ والتَّنافُسِ علَىٰ الدُّنْيا .

٥ـ الكَافِرونَ هُمُ الأخْسَرونَ لأنَّ الخَسَارةَ المُطْلَقَةَ هيَ خَسارةُ الأنْفُسِ والأمْوالِ والأَولادِ .

٦ـ القُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللهِ الحَكيمِ ؛ العَليمِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذَا سَمَّىٰ اللهُ كتابَهُ المُنزَّلَ علىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ قُرْآناً وكِتاباً ؟

٢ـ لِماذَا قالَ اللهُ عنِ القُرْآنِ ﴿هُدىً وَبُشْرَى﴾ ولمْ يَقُلْ : فِيهِ هُدَىً ، ولَمْ يَقُلْ : هُوَ هادٍ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ .

٤ـ أـ لِماذَا زُيِّنَتْ لِلكافِرينَ أعْمَالُهُمْ ؟ ب ـ وكَيْفَ هُمْ يَعْمَهُونَ ؟

٥ـ الكُفَّارُ هُمُ الأَخْسَرونَ . وضِّحْ ذٰلِكَ ، واسْتَشْهِدْ عَلَيْهِ بآيَةٍ مِنْ سُورةِ الزُّمَرِ .

٦ـ عِنْدَما نقولُ : اللهُ حَكيمٌ عَليمٌ : ما معنَىٰ ذٰلِكَ ؟

## نشاط :

١ـ فرَّقتْ الآيَةُ (٤٤) مِنْ سُورةِ فُصِّلَتْ بَيْنَ أَثَرِ القُرْآنِ في المُؤْمِنينَ وفي الكافِرينَ . سَجِّلِ الآيَةَ في دَفترِكَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها ذَلِكَ الفَرْقَ .

٢ـ الخاسِرونَ خُسْراناً مُبيناً هُمُ الَّذينَ يَخْسَرونَ أنفسَهُمْ وأَهْليهِم يَوْمَ القيامةِ . اذْكُرْ آيَةً مِنْ سُورةِ الزُّمَرِ ، وآيَةً مِنْ سورةِ الشُّورَى ، تَتحدَّثانِ عَنْ ذٰلِكَ ، واكتُبهُما في دَفْتَرِكَ .

٣ـ تَتَبع السُّوَرَ القُرآنيَّةَ المُفْتَتحَةَ بالحُروفِ المُقَطَّعةِ ، ودَوِّنْهَا في دَفْتَرِكَ مُبيِّناً الحُروفَ الَّتي افْتُتِحتْ بِها كُلُّ سُورَةٍ ، والآيَةَ الَّتي تليها .

# الدرس الثلاثون

## سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الثَّاني

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

### معاني المفردات :

آنَسْتُ ناراً : رَأَيْتُ ناراً مِنْ بَعيدٍ لِي بها أُنْسٌ .

آتيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ : أَجِدُ عِنْدَها مَنْ يُخْبِرُني عَنِ الطَّريقِ إِلىٰ مِصْرَ .

بِشِهابٍ قَبَسٍ : قِطْعَةٍ مُشْتَعِلَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنَ النَّارِ .

تَصْطَلونَ : تَسْتَدْفِئُونَ بها مِنَ الْبَرْدِ .

بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ : طُهِّرَ وَقُدِّسَ الَّذي فِي مَكانِ النَّارِ فِي الْوادِي الْمُقَدَّسِ .

تَهْتَزُّ كَأَنَّها جانٌّ : تَتَحَرَّكُ حَرَكَةً شَديدَةً كَأَنَّها حَيَّةٌ سَريعَةُ الْحَرَكَةِ .

وَلَّىٰ مُدْبِراً : هَرَبَ بَعيداً .

وَلَمْ يُعَقِّبْ : لَمْ يَتَلَفَّتْ وَراءَهُ مِنَ الْخَوْفِ .

جَيْبِكَ : فَتْحَةِ قَميصِكَ الَّتي عِنْدَ صَدْرِكَ .

بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ : بَيضاءَ من دُونِ بَرَصٍ أَوْ سَوادٍ .

اَسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ : تَيَقَّنُوا أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ .



بَعْدَ أنْ قرّرَ اللهُ حَقيقةَ تلَقّي الرّسولِ ﷺ القُرْآنَ مِنْ عندِ الحكيمِ العَليمِ ، بيَّنَ ما تلقّاهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ ربِّهِ ، لِيوقِنَ رَسولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ليسَ أوّلَ مَنْ تلقّىٰ الوحْيَ ، فَقدْ سَبَقَهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلىٰ ذٰلكَ .

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

بعدَما أقامَ موسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي مَدْيَنَ عَشْرَ سَنواتٍ ، عادَ بأهْلهِ إلىٰ مِصْرَ ، ماراً بوادِي طُوىً المُقدَّسِ فِي سِيناءِ ، وبينما كانَ يَسيرُ في لَيْلةٍ مُظْلِمةٍ باردةٍ ، ضَلَّ الطَّريقَ ، فلمْ يعْرِفْ إلىٰ أينَ يَتوجَّهُ . ونَظَرَ مِنْ بَعيدٍ فرأىٰ ناراً مُضيئَةً فاسْتَبْشَرَ بهَا خَيْراً ، واطمأنَّتْ نفسُهُ إليها .

فقالَ لأهْلِهِ الَّذِينَ يَسيرونَ مَعَهُ : انْتظرُونِي هُنَا ، سَأَذْهَبُ إلىٰ النَّار ، لَعلِّي أَجِدُ عِنْدَها أَحَداً يُخْبِرُني عنِ الطَّريقِ إلىٰ مِصْرَ ، أوْ لَعلِّي أُحْضِرُ لكُمْ منْها شِهاباً مُشْتَعِلاً ، تَسْتَدْفِئونَ بهِ فِي هٰذا البرْدِ!

﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

وجَدَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَ النَّارِ أكْثَرَ مِمَّا كانَ يُريدُ ، فَقَدْ أرادَ أنْ يَجِدَ مَنْ يُخبِرُه عنِ الطَّريقِ إلىٰ مِصْرَ ، فوجدَ منْ يُخبِرُهُ بالطَّريقِ إلىٰ الحقِّ والهُدى وخَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ .

لمْ تَكُنْ ناراً كالَّتي نُوقِدُهَا لِتَحْرِقَ ، إنَّمَا كَانَتْ نُوراً مُضيئاً ، ولَمَّا وصَلَها موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ سَمِعَ النِّداءَ مِنْ جانبِ الوادِي الأيْمنِ ، حَيْثُ تَظْهَرُ النَّارُ مِنَ الشَّجرةِ . قالَ تعالىٰ : ﴿فلَمّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِىءِ الوَادِي الأَيْمَنِ في البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرةِ﴾ [القصص : ٣٠] .

والَّذي ناداهُ هُوَ اللهُ ربُّ العالَمِينَ ، حَيْثُ قالَ لَهُ : تَبارَكَ وتَطَهَّرَ وتَقَدَّسَ المَكانُ الَّذي تُبْعَثُ مِنْهُ النَّارُ ـ وَهُوَ الوادِي المُقدَّسِ طُوَىً ـ وتَبارَكَ وتَطَهَّرَ وتَقَدَّسَ ما حَوْلَ ذٰلِكَ المَكانِ ، وهُوَ أَرْضُ الشَّامِ المُقَدَّسَةِ كُلِّها ، لأنَّها أَرْضُ الخَيْراتِ والبَرَكاتِ ، ومَبْعَثُ الرِّسالاتِ .

وقد نزَّهَ اللهُ نفسَهُ سُبحانَهُ عمَّا لا يَليقُ بِهِ ، فقالَ : ﴿وسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ أيْ : تنزَّهَ اللهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وهُوَ لا يُشْبِهُهُ شَيءٌ مِنَ المَخْلوقاتِ ، ولا يَحُدُّهُ مَكانٌ ولا زَمانٌ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : يا مُوسَىٰ : إنَّ الَّذي يُخاطِبُكَ ويُناجيكَ هُوَ اللهُ رَبُّكَ العَزيزُ الَّذي قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ وأَخْضَعَهُ لَهُ ، الحَكِيمُ فِي كُلِّ ما يَقولُ ويَفْعَلُ .

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ .

وبَعْدَما عَرَفَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّ الَّذي يُكَلِّمُهُ هُوَ اللهُ ، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُلقِيَ العَصا الَّتي يَحْمِلُها ، فَنفَّذَ أَمْرَ اللهِ وأَلقاها!

وحَوَّلَهَا اللهُ إِلىٰ حَيَّةٍ حَقيقيَّةٍ ، فيها الحَياةُ! ونظَرَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَرآهَا تَتحرَّكُ وتَسيرُ وتَهتزُّ ، كما يَهْتَزُّ ويَتحرَّكُ ذَلِكَ النَّوْعُ مِنَ الحَيَّاتِ « الجَانِّ » الَّذي يَعْرِفُهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ!

عِنْدَ ذلِكَ خافَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ خَوْفاً شَديداً ، وهَرَبَ مُسْرِعاً مِنَ المَكانِ ، ولَمْ يتلفَّتْ وراءَهُ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ ، لأنَّ الأَمرَ يَدْعُو لِلخَوْفِ ، إِذْ كَيْفَ تتحولُ العصَا اليابسةُ إِلىٰ حَيَّةٍ تهتزُّ وتَسيرُ بِسُرْعَةٍ ؟!

فَناداهُ اللهُ قائِلاً : يا مُوسَىٰ : لاَ تَخَفْ مِمَّا تَرىٰ ، فإِنِّي أُريدُ أَنْ أَجْعَلَكَ رَسُولاً ، وأُريكَ آيَةً ، ولاَ يَخافُ عِنْدِي الرُّسُلُ والأَنبياءُ . والَّذينَ يَخافونَ هُمُ الَّذينَ يَظْلِمونَ أَنفُسَهُمْ بالمَعاصِي ، وحتَّىٰ هَؤلاءِ أَفْتَحُ أَمامَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ ، فَمَنْ تابَ وأَنابَ مِنْهُمْ ، وغيَّرَ مَسيرةَ حياتِهِ ، وعَمِلَ الحَسَناتِ بَعْدَ السَّيئاتِ ، فإِنِّي أَتوبُ عَلَيْهِ وأَغْفِرُ لَهُ ، لأنِّي غَفورٌ رَحيمٌ .

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ ﴾ .

وبعدَما عادَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ واطمأَنَّ ، أَجْرَىٰ اللهُ المُعْجزَةَ الثَّانِيَةَ : لقَدْ كَانَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَسْمَرَ اللَّونِ ، فأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ السَّمْراءَ فِي فَتْحَةِ ثَوْبِهِ ، وعِنْدَمَا يُخرِجُهَا يَنْظرُ إِلَيْها وقدْ تَغيَّرَ لونُها! فَفعَلَ . ولمَّا أَخْرَجَها رآها بَيْضاءَ سَاطِعَةً تُشِعُّ نوراً ، لَيْسَ فيها مَرَضٌ أَوْ بَرَصٌ أَوْ سُوءٌ .

وبَعْدَما أَعْطاهُ اللهُ المُعجزَتيْنِ : العَصا واليَدَ ، أَمَرَهُ بالذَّهابِ إِلىٰ فِرْعَونَ وقَوْمِهِ ، لِيُبلِّغَهُمُ الدَّعْوَةَ ويُقيمَ عَليْهِمُ الحُجَّةَ ، لعلَّهُمْ يَتخلَّوْنَ عَنْ ظُلْمِهِمْ وفِسْقِهِمْ . . ووَعدَهُ اللهُ أَنْ يُؤَيِّدَهُ عندَ فِرْعَوْنَ بِسبعِ مُعْجزَاتٍ أُخْرىٰ ، لِيَكونَ المَجْموعُ تِسعَ مُعْجزَاتٍ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ .

ذَهَبَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ بالآياتِ الدَّالَةِ علىٰ صِدْقِ رِسَالَتِهِ ، وقدَّمَها لهُمْ ، ورَأَوْها آياتٍ بيِّنَةً ، ومُعْجزاتٍ واضِحَةً ، وحُجَجاً مُقْنِعَةً ، وهِيَ لِفَرْطِ وُضوحِها كأَنَّها مُبصِرَةٌ تُبْصِرُ بِعَيْنَيْهَا ، لكنْ ماذا كانَ موقفُهُمْ مِنها ؟ وهيَ بهذا الوُضوحِ والظُّهورِ! كذَّبُوا بِها وأَنْكَروا أَنْ تَكونَ مِنْ

عِنْدِ اللهِ ، وقالُوا : ما هَذهِ الخَوارِقُ الَّتي يُقدِّمُهَا موسَىٰ إلاَّ سِحْرٌ مُبينٌ واضِحٌ ظاهِرٌ ، وموسَىٰ لَيْسَ نبيّاً كَما يَزْعُمُ ، فما هُوَ إلاَّ ساحِرٌ!

وسَبَبُ إنكارِهِمْ لَها وجُحودِهِمْ بها هُوَ عِنادُهُمْ واسْتِكْبارُهُمْ ، رَأَوْا أَنْفُسَهم أكْبَرَ وأعلَىٰ مِنْ أنْ يَخضَعُوا لِلحَقِّ ، ولِذلكَ كذَّبُوهُ وجَحدُوا بِهِ ، وبِذلكَ كانُوا ظالِمينَ كافِرينَ .

وكانَ جُحودُهُمْ بِهَا بِألسِنَتِهِمْ وظواهِرِهِمْ فَقطْ ، أمَّا في قُلوبِهِمْ فقدْ كانُوا يُوقِنونَ بِها ، ويَعتقدُونَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وبِذلكَ خَالَفَتْ أَلْسِنَتُهُمْ مَا فِي قَرارَةِ نُفوسِهِمْ ويَقينِ قُلوبِهِمْ .

وقدْ كَانَ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ في مَوْقِفِهِمُ الغَريبِ قَوْماً فاسِقينَ ، خَارِجينَ عَنِ الحَقِّ ، فأَوْقَعَ اللهُ بِهِمْ عِقابَهُ وأغْرَقَهُمْ ، وجَعَلَ هـٰذهِ النِّهايةَ السَّيئةَ عِبْرَةً لِغيْرِهِم ، لِئلاَّ يَقِفُوا مِثْلَ مَوْقِفِهِمْ .

وفي هـٰذا تَحْذيرٌ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ ، أَلاَّ يَقِفُوا مِنْ رسُولِ اللهِ ﷺ الموقفَ نَفْسَهُ ، فَتَحِلُّ بِهِمُ العُقوبةُ ، لأنَّ هَذهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي إِهلاكِ المُكَذِّبينَ المُفْسِدينَ!!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يُدبِّرُ اللهُ الأَحْداثَ بِحِكْمَتِهِ لِتَحْقيقِ إرادتهِ في عالَمِ الواقعِ ، وإذَا أرادَ شَيْئاً هيَّأَ اللهُ لَهُ أَسْبابَهُ .

٢ـ الأَرْضُ الَّتي كَلَّمَ اللهُ فيها مُوسَى ومَا حَوْلَهَا أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ مُبارَكَةٌ .

٣ـ خَوْفُ الإِنسانِ مِنَ الخَطَرِ أَمْرٌ طَبيعيٌّ لا يُلامُ عَلَيْهِ .

٤ـ يُقيمُ اللهُ الحُجَّةَ علىٰ الكَافِرينَ ، فيؤيِّدُ رُسُلَهُ بأكْثَرَ مِنْ آيةٍ بيِّنةٍ ومُعْجِزةٍ واضِحَةٍ .

٥ـ الكُفَّارُ يَعْرِفونَ الحَقَّ بقلوبِهِمْ ، وتُوقِنُ بِهِ نُفوسُهُمْ ، ومَعَ ذَلكَ يُنْكِرُونَهُ بألْسِنَتِهِمْ ، ويُحاربونَهُ عِناداً وعُلوّاً واسْتِكْبَاراً .

٦ـ علىٰ العُقلاءِ أنْ يَعتبِرُوا مِمَّا جرىٰ لِلمُكَذِّبينَ السَّابِقينَ ، لِئلاَّ يُصيبَهُم ما أصابَهُمْ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرِ الجَوَّ العامَّ الَّذي رأىٰ فيهِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ النَّارَ وذَهَبَ إليْها .

٢ـ مَا مَعنَىٰ قولهِ تعالىٰ : ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها﴾ ؟

٣ـ تَحدَّثْ عَنْ حَالةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما تَحوَّلَتِ العَصَا إِلىٰ حَيَّةٍ ماذا قالَ اللهُ لَهُ .

٤ـ كَيْفَ جَعَلَ اللهُ يدَ مُوسَىٰ ؟

٥ـ اذْكُرِ الآياتِ التِّسْعَ الَّتي أَيَّدَ اللهُ بِهَا موسىٰ في مُواجَهةِ فِرْعوْنَ .

٦ـ كانَ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ في تَكذيبهِ لآياتِ اللهِ مُتَناقِضينَ مَعَ مَا فِي قُلوبِهِمْ . وضِّحْ ذٰلِكَ .

٧ـ بيِّنْ عَاقِبَةَ فِرْعَوْنَ وقومِهِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْ ذَلكَ خَمْسَ دَلالاتٍ وعِظَاتٍ .

## نَشاطٌ :

١ـ جاءَ في سورةِ طَهَ أَنَّ اللهَ ـ تَعالَىٰ ـ سَأَلَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنِ العصا الَّتي في يَدِهِ . اكتُبِ الآياتِ الدَّالَةَ علىٰ ذٰلِكَ في دَفْترِكَ .

٢ـ اسْتَخرجِ المُعْجزاتِ السَّبْعِ الأُخرَىٰ مِنَ الآياتِ ( ١٣٠ـ١٣٥ ) مِنْ سورةِ الأَعْرافِ وسَجِّلْها في دَفْترِكَ .

٣ـ ذكَّرَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِرْعَوْنَ بهذِهِ الحَقيقةِ ، وأَنَّهُ يَعْلَمُ الحَقَّ ويُحارِبُهُ ويُعْلِنُ كَذِبَهُ . ورَدَ ذلكَ في آيةٍ في آخِرِ سورَةِ الإِسْراءِ . سَجِّلْهَا ، واذكُرْ مَعناها ، واسْتخْرِجِ الشَّاهِدَ مِنْها .

* * *

# الدَّرسُ الحادي والثَّلاثونَ

## سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ : قَامَ سُلَيْمانُ مَقامَ أَبيهِ داوُدَ فِي النُّبُوَّةِ .

عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ : كَانَ سُلَيْمانُ يَفْهَمُ لغةَ الطيورِ .

حُشِرَ : جُمِعَ .

يُوزَعونَ : يُوقَفُ أوائِلُهُم لِيَلْحَقَ بِهِمْ أَوَاخِرُهُم ، فَيَسيرُونَ سَيْراً مُنَظَّماً .

وادِ النَّمْلِ : وادٍ كَثيرُ النملِ .

لاَ يَحْطِمَنَّكُم : لاَ يَدوسَنَّكُمْ وَيَكْسِرَنَّكُمْ .

رَبِّ أَوْزِعْني : رَبِّ أَلْهِمْني شُكْرَكَ وَيَسِّرْهُ لِي .

### التفسيرُ :

عَرَضَتِ الآياتُ السَّابقةُ مَشاهدَ مِنْ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وتَتحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ طَرَفٍ مِنْ أَخْبارِ نبيِّ اللهِ سُلَيمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ عَنْ ما أَنعَمَ علىٰ داودَ وسُليمانَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ مِنْ نِعَمٍ جَليلَةٍ ، وَمِنْ أَعظَمِ هٰذهِ النِّعَمِ العِلْمُ الَّذي علَّمَهُما إيَّاهُ ، وكانَ مُنوَّعاً شامِلاً ، فَقَدْ عَلَّمَ داودَ صَنْعَةَ الدُّروعِ ، وعَلَّمَ سُليمانَ صِّناعاتِ النُّحاسِيَّةِ ، وعلَّمَهُما مَعاً الشَّرائِعَ والأَحْكامَ والقَضاءَ بَيْنَ النَّاسِ .

واعْتَرَفَ سُلَيْمانُ وداودُ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ بهٰذهِ النِّعْمَةِ ، وَحَمِدا اللهَ عَلَىٰ تَفْضيلهِ لَهُما بِالعِلْمِ علىٰ كَثيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمنينَ . وهُما في هٰذا قُدْوَةٌ لِصاحِبِ العِلْمِ ، بحيثُ يَعْتَرِفُ للهِ بالفَضْلِ عَليهِ ، ويَشْكُرُهُ عَلَيْهِ ، ويَتواضَعُ لِعبادِ اللهِ ، ويَسْأَلُ اللهَ المَزيدَ مِنْهُ ، ويَسْتخدِمُهُ في نَفْعِ الآخَرينَ .

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

ساعَدَ سُلَيْمانُ أَباهُ دَاودَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ فِي حَياتِهِ ، عِنْدَما كانَ مَلِكاً علىٰ بني إسْرائيلَ ، جَعَلَ عِلْمَهُ وفَهْمَهُ في خِدْمَةِ الآخَرينَ ، ولمَّا تُوفّيَ داودُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَرِثَهُ ابْنُهُ سُلَيْمانُ في النُّبوَّةِ والمُلْكِ ، أيْ : أَنَّ اللهَ جَعَلَهُ نبيّاً في بَني إسْرائيلَ ، وجَعَلَهُ مَلِكاً عَلَيْهِمْ بَعْدَ أبيهِ .

ولَمْ يَرِثْ سُلَيْمانُ أباهُ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ فِي المالِ ، لأنَّ الأَنْبياءَ لاَ يُورَثونَ في المالِ ، وإذا ما تَرَكَ أَحدُهُمْ مالاً عندَ وفاتهِ ـ ومُعْظَمُهُمْ لا يَتْرُكُونَ مالاً ـ فإنَّ هذا المَالَ لاَ يُقسَّمُ علَىٰ أَوْلادِهِمْ ، وإنَّما يَكونُ صَدَقَةً في سَبيلِ اللهِ!

وكانَ مُلْكُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَعْظَمَ مِنْ مُلْكِ أَبيهِ دَاودَ ، واعْتَرفَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بهذا الفَضْلِ للهِ ، وأَظْهَرَ شُكرَهُ لِرَبِّهِ أَمامَ النَّاسِ ، لِيقتدوا بِهِ ، لاَ مِنْ بابِ الفَخْرِ والمُباهاةِ .

وقالَ لَهُمْ : يا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ رَبِّي عَلَّمَني لُغَةَ الطُّيورِ ، ويسَّرَ لِي فَهْمَ مَا يُريدُ أَحَدُها عندما يُخْرِجُ صوتَهُ ، فأَسْتَطيعُ مَعْرِفَةَ ما يُريدُ ، فأَقْضي لَهُ حَاجَتَهُ إِنْ أرادَ طَعاماً أَوْ شَراباً ، وأَعْرِفُ إِنْ كانَ فَرِحاً أو حَزيناً أو مَريضاً! ويكونُ صَوْتُهُ نُطقاً وكَلاماً يُعبِّرُ عمَّا في نَفْسهِ!

كانَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هُوَ الوَحيدُ الَّذي علَّمَهُ اللهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ والحيَوانِ في عَصْرِهِ ، فكنتَ تَراهُ يُحادِثُ طَيْراً أَوْ حيواناً أو حَشَرةً وسَطَ اسْتِغْرابِ الَّذينَ حَوْلَهُ . كما حَصَلَ مَعَ النَّمْلَةِ والهُدْهُدِ .

ولَمْ يَمُنَّ اللهُ علىٰ سُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِعِلْمِ مَنْطِقِ الطَّيْرِ فَقطْ ، وإنَّما آتاهُ مِنْ كلِّ شيءٍ خَيْراً كَثيراً ، مِمَّا يَتعلَّقُ بالدِّينِ أَوِ الدُّنيا ، مِنَ المَظاهِرِ المَادِيَّةِ والأَشْياءِ المَعنويَّةِ .

وشَكرَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَبَّهُ عَلَىٰ هٰذهِ النِّعَمِ ، لأَنَّها فَضْلٌ بيِّنٌ ظَاهِرٌ مِنَ اللهِ عليهِ .

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

كانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حازِماً مَعَ جُنودِهِ مِنْ هٰذِهِ الأَصْنافِ ، يَسيرونَ مَعَهُ بِانتظامٍ وتَرتيبٍ ، ويَخْرُجُ بهِم لِلجهادِ في سَبيلِ اللهِ .

وأَرادَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَخْرُجَ بجنودِهِ يَوْماً ، فجُمِعوا وحُشِروا لَهُ ، وكانوا فِرَقاً مِنْ أَصْنافٍ ثَلاثَةٍ : مِنَ الجِنِّ ، وَمِنَ الإِنْسِ ، وَمِنَ الطَّيْرِ . وكانُوا يُوزَعونَ في مَوْكبِهِ ، يَسيرونَ بِتَرْتيبٍ وانْتِظامٍ ، وَتَتَوَقَّفُ أَوائِلُهُمْ لِتَلْحَقَ بِهِمْ أَواخِرُهُمْ ، ولا يَتقدَّمُ أَوْ يَتأَخَّرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ مَكانِهِ ، ولا يَتخَلَّفُ عَنْ حُضورِهِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وَاصَلَ جَيْشُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المُنَظَّمُ سَيْرَهُ حتَّىٰ وصَلوا إلىٰ وادٍ يُقالُ لَهُ « وادي النَّمْلِ » ، ويبدُو أَنَّ النَّمْلَ كانَ فِيهِ كَثِيراً ، ولمَّا سَارَ الجَيْشُ في الوادِي نادَتْ نَمْلَةٌ بَاقِي النَّمْلِ قائِلَةً : يا أَيُّها النَّملُ ادْخُلُوا بُيوتَكُمُ الَّتي هِيَ تَحْتَ الأَرْضِ ، لِتَنْجوا مِنَ الخَطَرِ ، فإِنْ بقيتُمْ علىٰ وَجْهِ الأَرْضِ يُخْشَىٰ أَنْ يَحْطِمَكُمْ ويَكْسِرَكُمْ ويَدوسَ عَلَيْكُمْ سُليمانُ وجُنودُهُ ، ولَنْ يُلاموا ، لأَنَّهم لَمْ يَشعُروا بِكُمْ ، فلمْ يتعمَّدوا تَحْطيمَكُمْ ! !

سَمِعَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كلامَ النَّمْلَةِ ، وفَهِمَ تَحْذيرَها لِقَوْمِها ، فتبسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها ، وتَبَسُّمُهُ كانَ شُكْراً للهِ الَّذي علَّمَهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وجَعَلَهُ يَفْهَمُ لُغَةَ النَّمْلةِ ، وقَدْ حَدَّثَنا بما تَوجَّهَ بِهِ إلى رَبِّهِ حَيْثُ قَالَ : ربِّ أَلْهِمْني أنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعمْتَ بِها عليَّ ، وأَنْعَمْتَ علىٰ والِديَّ مِنْ قَبْلِي ، وأَلْهِمْني أيضاً أنْ أَعْمَلَ صَالِحاً ، تتقبَّلُهُ مِنِّي وتَرضاهُ لِي ، وعِنْدَما تُميتُني وتَتَوفَّاني أدْخِلْني الجَنَّةَ في زُمْرَةِ عِبادِكَ الصَّالِحينَ مِنَ الأنبياءِ والأَوْلِياءِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كانَ سُلَيْمانُ بنُ داودَ نَبيّاً مِنْ أنبياءِ بَني إِسْرائِيلَ ، لا ساحِراً كما يَزْعُمُ اليَهودُ .

٢ـ وَرِثَ سُلَيْمانُ مِنْ أَبيهِ النُّبوَّةَ والمُلْكَ لاالمالَ ، فالأَنْبياءُ لا يُوَرِّثُونَ دِيناراً ولا دِرْهماً .

٣ـ سَخَّرَ اللهُ لِسُلَيْمانَ الجِنَّ والطَّيْرَ والرِّيحَ وآتاهُ مُلْكاً عَظيماً .

٤ـ أفْضَلُ ما يَمُنُّ اللهُ بِهِ علىٰ عَبْدِهِ بَعْدَ الإيمانِ هُوَ العِلْمُ ، وبهِ يُفَضِّلُهُ علىٰ عِبادِهِ الآخَرِينَ .

٥ـ الأَنْبياءُ زَاهِدونَ في الدُّنْيا ، وإذا تَركوا مالاً بَعْدَ وفاتِهِمْ يَكونُ في سَبيلِ اللهِ .

٦ـ لِكُلِّ مَخْلوقٍ حَيٍّ لُغةٌ خاصَّةٌ يَتفاهَمُ بها مَعَ بَنِي جِنْسهِ ، كالطُّيورِ والحَيوانات .

٧ـ قدْ يُطلِعُ اللهُ بَعْضَ عِبادِهِ علىٰ لُغَةِ الطُّيورِ والحَيواناتِ ، كَما حَصَلَ مَعَ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٨ـ المُؤْمِنُ يَعْتَرِفُ للهِ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ ويَشْكُرُهُ عَليْها ، ويَسْأَلُهُ المَزِيدَ مِنْها .

٩ـ التَّنْظِيمُ والتَّرْتيبُ في الأُمورِ الإداريَّةِ مَطْلوبٌ ، كما كانَ جَيْشُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

١٠ـ الاهْتِمامُ بالآخَرينَ ونُصْحُهُمْ وتَقديمُ الخَيْرِ لهُمْ مَرغوبٌ فيهِ ، وهُوَ مَوْجودٌ حتَّىٰ في عَالَمِ الطُّيورِ والحَيواناتِ . كَما حَصَلَ مَعَ النَّملَةِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ بَعضَ مَظاهرِ العِلْمِ الَّذي آتاهُ اللهُ لِداودَ وسُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ وبِماذَا وَرِثَ سُلَيْمانُ داودَ ؟

٢ـ هلْ لِلطيْرِ لُغةٌ خاصَّةٌ ؟ وكَيْفَ تعلَّمَها سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟

٣ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أَصْنافٍ تَشكَّلَ مِنْهَا جَيْشُ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وكَيْفَ كانُوا يُوزَعُونَ ؟

٤ـ أـ ماذَا طَلَبَتِ النَّمْلَةُ مِنَ النَّمْلِ ؟ ب ـ وبِماذَا اعتذرَتْ عَنْ سُليْمانَ وجُنودِهِ ؟ ج ـ ولِماذا ضَحِكَ سُليمانُ مِنْ قَولِها ؟

## نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ آيةً وحَديثاً صَحيحاً في فَضْلِ العُلَماءِ وعُلوِّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ واكْتُبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اذْكُرْ حَديثاً صَحيحاً عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ يُبيِّنُ أَنَّ أَمْوالَ الأَنْبياءِ لاَ تُوزَّعُ علىٰ ورَثَتِهِمْ وإِنَّما تَكُونُ صَدَقَةً في سَبيلِ اللهِ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدرس الثاني والثلاثون

## سورة النمل - القسم الرابع

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

تَفَقَّدَ الطَّيْرَ : نَظَرَ سُليمانُ في الطَّيْرِ لِيعْرِفَ الغائِبَ مِنْها .

لَيأْتِيَنِّي بِسُلطانٍ مُبينٍ : يُقدِّمُ حُجةً واضِحَةً لِغيابِه .

مَكَثَ غَيْرَ بَعيدٍ : لَمْ يغِبِ الهُدْهُدُ مُدَّةً طَويلَةً ، وإِنَّما عادَ بِسُرْعَةٍ .

أَحطتُ بما لَمْ تُحِطْ بهِ : اطَّلَعْتُ على ما لَمْ تَطَّلِعْ عَليْهِ .

سَبأ : اسم دَوْلَةٍ قَوِيَّةٍ نَشَأَتْ في اليَمَنِ في ذَلِكَ العَهْدِ .

عَرْشٌ عَظيمٌ : سَريرُ المُلْكِ الّذي تَجْلِسُ عَليْهِ .

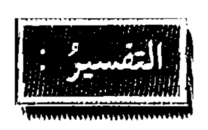
صَدَّهُم عَنِ السَّبيلِ : أَبْعَدَهُمُ الشَّيطانُ عَنْ طَريقِ الخَيْرِ .

يُخْرِجُ الخَبْءَ : يُظْهِرُ اللهُ المَخْفِيَّ المَخْبوءَ في السَّمواتِ والأَرْضِ . كالمَطَرِ والحُبوبِ .

قالَ سَنَنْظُرُ : قالَ : سَنتمهَّلُ ونَتأَكَّدُ لِنتعرَّفَ على صِحّةِ كَلامِكَ مِنْ كَذِبِهِ .

أَلْقِهْ إِلَيْهِمْ : اطْرَحْ كِتابي عَلَيْهِمْ .

ثم تَوَلَّ عَنهُم : تَنَحَّ وابْتَعِدْ عَنْهُم قَليلاً .



## التفسير :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقةُ سَيْرَ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِجنودِهِ مِنَ الجِنِّ والإنْسِ والطَّيْرِ ، ومُرورَهُمْ بوادِي النَّمْلِ . وتُخْبِرُ آياتُ الدَّرْسِ عَنِ الهُدْهُدِ الَّذي كانَ غائِباً ، وما رَآه فِي مَمْلَكَةِ سَبأٍ .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ .

كانَ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حازِماً مَعَ جُنودِهِ ، فَبينَما كانُوا سَائِرينَ ، تَفَقَّدَهُمْ كعادَتِهِ ، ومَرَّ علىٰ فِرْقةِ الطَّيْرِ مِنْ جَيْشِهِ ، ونَظَرَ في أفرادِها ، فَلَفَتَ نَظَرَهُ عَدَمُ وُجودِ الهُدْهُدِ بينَهُمْ! فَتَساءلَ : لِمَاذا لا أرىٰ الهُدهُدَ بيْنَكُمْ ؟ هلْ هُوَ حاضِرٌ ومَنَعَني مانِعٌ مِنْ رُؤيتِهِ ؟ أمْ غائبٌ . إنْ كانَ غَائِباً فقدْ غَابَ مِنْ دُونِ إذنٍ منِّي!

وبعدَ ذلكَ عَرَفَ أَنَّ الهُدْهُدَ غائِبٌ عَنِ الجَيْشِ ، فتهدَّدهُ وتوعَّدَهُ لأنَّهُ غابَ مِنْ دُونِ إذنٍ مِنْهُ ، وقالَ : عندَما يَعودُ سَأُعَذِّبهُ عَذاباً شَديداً ، وسأَقْتُلُهُ قَتْلاً وأذبحُهُ ذَبْحاً ، إلاَّ إذَا قدَّمَ لِي دَليلاً مُقْنِعاً ، وحُجةً واضِحَةً ، في سَببِ غِيابِهِ .

ويَبدُو في تَهديدِ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الحَزْمُ الإداريُّ المَطْلوبُ ، كمَا يبدُو فيهِ العدْلُ في العِقابِ ، فهُوَ سَيُعاقِبُهُ لِغيابِهِ من دُونِ إذنٍ مِنْهُ ، وسَيوقِفُ عِقابَهُ إنْ أقنعَهُ بسببِ غِيابِهِ .

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ ﴾ .

لمْ تَطُلْ غَيْبَةُ الهُدْهُدِ عَنِ الجَيْشِ ، فما هِيَ إلا مدَّةٌ زَمَنيَّةٌ قَصيرةٌ ، حتَّىٰ عادَ إلىٰ الجَيْشِ ، وهٰذا يَدُلُّ علىٰ قُرْبِ المكانِ الّذي كانَ فيهِ الهُدْهُدُ ، وعلى انْضِباطِ الهُدْهدِ . فلمّا أَنْهى مُهِمّتَهُ عادَ لِلْجَيْشِ فَوْراً . ولمَّا عَادَ أَتىٰ إلىٰ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُباشَرَةً ، فسأَلَهُ عَنْ سَببِ غيابِهِ ، فأجابَهُ الهُدْهُدُ بِجُرْأةٍ وثِقَةٍ ، وكانَ جَوابُهُ مُثيراً مُفَاجِئاً ، وقالَ لَهُ : اطَّلعْتُ علىٰ مَا لَمْ تطَّلِعْ عَلَيْهِ أنتَ وجُنودُكَ ، وعَلِمْتُ ما لَمْ تَعْلَموهُ! لقدْ كُنْتُ فِي مَمْلَكةِ سبأٍ في اليَمنِ ، وعَرَفتُ أحْوالَها ، وجِئْتُكَ مِنْها بِخَبَرٍ صَادِقٍ مُتيقَّنٍ .

لقدْ كانَ الهُدْهُدُ في هذهِ البدايةِ المُثيرةِ ماهِراً في تَقديمِ عُذْرِهِ ، والدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ ، وإخبارِ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ ما وَجَدَهُ ومَا لَمْ يَعْلَمْهُ سُليْمانُ ، وفي هذا دَعْوةُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلىٰ التَّواضُعِ العِلْمِيِّ ، فها هُوَ الهُدْهُدُ عَلِمَ ما لَمْ يَعْلَمْهُ ، على كَثْرَةِ ما يَعْلَمُ ـ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

وسارَعَ الهُدْهُدُ بتقديمِ تَقريرهِ عَنْ مَمْلَكةِ سَبأٍ إلىٰ سُليْمانَ ، وكانَ التَّقريرُ يَتناولُ جانِبينِ : جانبِ المُلْكِ وجانبِ الدِّينِ .

بَدَأَ بالحَديثِ عَنِ المُلْكِ ، فذَكرَ أَنَّ الحُكْمَ في مَمْلَكةِ سَبأٍ بيدِ امرأةٍ ، هِيَ الَّتي تَمْلِكُهُمْ وتَحْكُمُهُمْ ، وهٰذه المَلِكَةُ أُوتِيَتِ الشَّيءَ الكَثيرَ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا ، مِنْ ثَراءٍ وَتَرفٍ وغِنىً ، لأنَّ المَمْلَكةَ كانتْ تَعيشُ رَخاءً كَبيراً .

ولِلْمَلِكَةِ عَرْشٌ عَظيمٌ كَانتْ تَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وهُوَ سَريرٌ ضَخْمٌ مُزَيَّنٌ بمُخْتَلَفِ أَنْواعِ الزِّينةِ .

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بَعدَما فَرَغَ الهُدْهُدُ مِنْ تقريرِهِ عَنِ المُلْكِ ، تَحدَّثَ عن دِينِ القَوْمِ ، وكانَ حَديثُهُ بلَهْجَةِ الدَّاعِيةِ ، الغَيورِ علىٰ الحَقِّ المُنْكِرِ لِلبَاطِلِ ، فَقالَ : وَجَدْتُ مَلِكَةَ سَبأٍ وقَوْمَهَا يَعْبُدونَ الشَّمْسَ ، ويَسْجُدونَ لها مِنْ دُونِ اللهِ ، والشَّيْطانُ هُوَ الَّذي دَعاهُم إلىٰ الشِّرْكِ ، فَاسْتجابوا لَهُ ، وزيَّنَ لَهُم سُوءَ عَمَلِهِمْ ، فرأَوْا الشِّرْكَ حَسَناً ، وبذلِكَ أبْعَدَهُمْ عَنْ طريقِ الحَقِّ ، وأَخَذَهُمْ إلىٰ الضَّلالِ .

وكَيْفَ يَسْجُدونَ لِلشَّمْسِ ويَعْبُدونَها ويَتْركُونَ عِبادةَ اللهِ والسُّجودَ لَهُ وَحْدَهُ ، واللهُ هُوَ الخَالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ ، العَالِمُ بِكُلِّ شَيءٍ ، ومِنْ ذَلكَ إِخْراجُهُ لِكُلِّ مَخْبوءٍ مَخْفِيٍّ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، كالمَطَرِ والحَبِّ ، وعِلْمُهُ شامِلٌ لِكُلِّ مَا عَنْدَ النَّاسِ مِنَ الأَقْوالِ والأَفْعالِ ، المَخْفِيِّ مِنْها والمُعْلَنِ .

وغَيْرُ اللهِ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ إِلٰهاً لأَنَّ اللهَ هُوَ المَعْبودُ الحَقُّ ، المَالِكُ لِكُلِّ ما في السَّمواتِ والأَرْضِ ، وهُوَ المالِكُ لِلعَرْشِ العَظيمِ ، الَّذي هُوَ أَكْبَرُ وأَعْظَمُ مِنَ السَّمواتِ والأَرْضِ .

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

لقدْ قدَّمَ الهُدْهُدُ عُذْراً عَجيباً لِغيابهِ ، وبذلكَ نجا مِنَ العِقابِ ، وفُوجِىءَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بما يَسْمَعُهُ مِنَ الهُدْهُدِ ، مِمَّا لَمْ يَكنْ لهُ بهِ عِلْمٌ سَابقٌ ، والمَطْلوبُ الآنَ التَّأَكُّدُ مِنْ صِدْقِ هذهِ المَعْلوماتِ . والتَّأَكُّدُ عَنْ طَريقِ الهُدْهُدِ نَفْسِهِ .

قالَ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلْهُدْهُدِ : سَننْظُرُ في كَلامِكَ ، ونتمَهَّلُ ونَتَريَّثُ في قَبولهِ ، لِنَعْرِفَ هَلْ كُنْتَ فيهِ صادِقاً أَوْ كاذِباً ، هَذا كِتابٌ مِنِّي إلىٰ مَلِكةِ سَبأٍ وقَوْمِها ، اذْهَبْ بهِ إِلَيْهم ، واطْرَحْهُ

بينَهُمْ ، وابْتَعِدْ عَنْهم قَليلاً ، وراقِبْ رَدَّةَ الفِعْلِ عِنْدَهُمْ ، لِتَرىٰ ما يَفْعلونَ ، وتَسْمَعَ ما يَقولونَ ، وتَتعرَّفَ علىٰ ما يُقرِّرونَ ، ثمَّ تأتِي وتُخبِرُني بكلِّ ذلكَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إخبارُ اللهِ لنا بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ يَتعلَّقُ بنبيِّ اللهِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السّلامُ .

٢ـ علىٰ القائدِ أنْ يَتفقَّدَ جُنودَهُ ، والرَّاعِي رَعِيَّتَهُ ، لِيَقِفَ علىٰ حَاجاتِهِمْ ويرَىٰ انضباطَهُمْ .

٣ـ العَدْلُ في التَّحقيقِ والحُكْمِ واجبٌ ، ويَكونُ بِسَماعِ كَلامِ المُتَّهمِ وقَبولِ عُذْرهِ إنْ كانَ مَقْبولاً .

٤ـ مَهْما أُوتِيَ الإنْسانُ مِنْ عِلْمٍ يَبقى عِلْمُهُ قَليلاً ، وقدْ يَكونُ الأَدْنَىٰ مِنْهُ يَعْلَمُ ما لا يَعلمُهُ هُوَ .

٥ـ قدْ يُعطي اللهُ الكافرينَ الكَثيرَ مِنْ مَتاعِ الدُّنيا للاسْتِدْراجِ ، ولأنَّ الدُّنْيا لا تُساوِي عِنْدَهُ شيْئاً .

٦ـ وُجوبُ غَيْرةِ المُسْلمِ علىٰ دِينهِ ، وإنْكَارهِ علىٰ أَهْلِ البَاطِلِ .

٧ـ على المَسؤولِ التَريُّثُ والتأنِّي في الحُكْمِ علىٰ ما يَسْمَعُ مِنْ كَلامٍ ويَقْرَأُ مِنْ تقاريرِ الآخَرينَ ، وعَدمُ المُسَارَعةِ بِقَبولِ ذَلكَ أوْ ردِّهِ مِنْ دُونِ تثبُّتٍ .

٨ـ قُدرةُ الطُّيورِ على العِلْمِ بِأحْوالِ النَّاسِ ، وإِدْراكِ حَقائِقِ الأَشْياءِ .

٩ـ إثباتُ العَرْشِ الّذي اسْتوى عَليه رَبُّ العِزَّةِ .

## التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ هدَّدَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الهُدْهُدَ بِعُقوبتَيْنِ ، مَا هُما ؟ ومتَىٰ يُوقِفُ إِيقاعَهُما بهِ ؟

٢ـ بماذَا بدأ الهُدهدُ تقريرَهُ ؟ وماذا تَسْتَفيدُ مِنْ ذلكَ ؟

٣ـ تَقْريرُ الهُدْهُدِ عَنْ مَمْلَكةِ سَبأٍ يَشْمَلُ جَانبيْنِ . ما هُما ؟

٤ـ اسْتخرجْ مِنْ تَقريرِ الهُدْهُدِ عَنْ دِينِ القَوْمِ إنكارَهُ عَليْهِمْ شِرْكَهُمْ ، وأَدِلَّتَهُ الَّتي أَوْرَدَها علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ .

## نَشاطٌ :

١ـ ذَكَرَ الهُدْهُدُ العَرْشَ العَظيمَ مَرَّتينِ في تَقريرِهِ . ما الفَرْقُ بَيْنَ المَرَّتَيْنِ ؟ وما المُرادُ بهِ في كُلِّ مَرّةٍ ؟ وكَيْفَ اسْتَدَلَّ بهِ على وَحْدانيّةِ اللهِ ؟ اكْتبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأْ آياتِ الدَّرْسِ بعنايةٍ ، وَقِفْ مِنها على مُهِمَّةِ الهُدْهُدِ الدَّعَويَّةِ قَبْلَ تَقريرِهِ وبَعْدَهُ ، واكتبْ مَوْضوعاً بعُنوانِ « الهُدْهُدُ الدَّاعِيةُ » مُستوحىً مِنَ الآياتِ ، في صَفْحةٍ ، واقْرَأْهُ علىٰ الطلبةِ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

# الدرس الثالث والثلاثون

## سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ الخامِسُ

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

### معاني المُفْرداتِ :

| | |
|---|---|
| ٱلْمَلأُ | : أَشْرافُ القَوْمِ وَوُجوهُهُمْ . |
| أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ | : لاَ تتكبَّرُوا عَلَيَّ ، وَلاَ تَرْفُضوا دَعْوَتي . |
| أَفْتوني فِي أَمْري | : أَشيرُوا عَلَيَّ بِالرَّأْيِ الصَّوابِ . |
| مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً | : لاَ أَجْزِمُ في تَقْرِيرِ أَمْرٍ . |
| حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ | : حَتَّىٰ تَحْضُروا عِنْدِي وَتُشِيروا عَلَيَّ . |
| لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا | : لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَىٰ مُقَاوَمَتِها وَحَرْبِها . |
| صاغِرُونَ | : أَذِلاَّءُ مُهانونَ . |

### التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ التَّقريرِ الَّذي قدَّمَهُ الهُدْهُدُ عَنْ مَمْلَكةِ سَبأٍ ، وتَكْليفِ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بإيصالِ كِتابهِ إِليهِمْ .

وتُخبِرُ هـٰذهِ الآياتُ عَنْ ما جرىٰ بعدَ وُصولِ الكِتابِ إليْهِمْ ، ورَدِّ المَلِكَةِ عليْهِ .

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

قامَ الهُدْهُدُ بالمُهمَّةِ ، وحَمَلَ الكِتابَ وألْقاهُ إليهِمْ ، ووَقَفَ قَريباً يَنْظُرُ ويَسْمَعُ . وأَخَذتِ المَلِكةُ الكِتابَ وقَرأتْهُ ، فَوجَدَتْهُ كِتاباً خَطيراً ، لِذٰلِكَ اسْتَدْعَتْ مُسْتَشاريها وَأَشْرافَ قَوْمِها وأَرْكانَ دَوْلَتِها ، وأخبرَتْهُمُ الخَبَرَ .

قالَتْ : يا أيُّها المَلأُ المُستَشارُونَ : جاءَني كِتابٌ كَريمٌ ، مِنْ مَلِكٍ كَريمٍ هُوَ سُليْمانُ مَلِكُ بني إسْرائيلَ في الأرْضِ المُقَدَّسةِ ، يَدعُونا فِيهِ للدُّخولِ في الإسْلامِ ، ويَنْهانا عَنْ رَفْضِ الدَّعْوَةِ . وقَرَأَتْ عليهِمْ نَصَّ الكِتابِ الَّذي كانَ في غايةِ الإيجازِ والبَلاغةِ .

كانَ نصُّهُ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرَّحِيمِ : لاَ تَعْلُوا عليَّ وأْتوني مُسلِمينَ » .

وقدْ اشْتَملَ الكِتابُ علىٰ ثَلاثةِ أُسُسٍ : البسْمَلَةُ الدَّالةُ علىٰ وحْدانيَّةِ اللهِ ورَحْمَتِهِ ، والنَّهْيِ عَنِ الاستكبارِ والاسْتِعلاءِ ، والدَّعوةِ الصَّريحةِ إلىٰ الدُّخولِ في الإسْلامِ .

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

بعدَما قرأتْ المَلِكَةُ علىٰ مُستشاريها نصَّ الكِتابِ إليها طَلَبَتْ مِنهُمُ الرَّأيَ والمَشورَةَ والتَّصرُّفَ المُناسبَ ، وقالتْ لهُمْ : أيُّها المُسْتَشارونَ « أشيروا عَليَّ بشَأْنِ هذا الكِتابِ ، واقْتَرِحوا عليَّ التَّصرُّفَ المُناسبَ للردِّ عَلَيْهِ ، وأنا مُسْتَمِعَةٌ لِكلامِكُمْ ، ولا أَبُتُّ في أمْرٍ أوْ أَقْطَعُ في مَسْأَلَةٍ حَتَّىٰ تَحْضُرُوا وتَتكلَّمُوا وتَقْتَرِحوا . . » .

وقَدْ دلَّ هذا السُّؤالُ علىٰ حُسْنِ سِياسَتِها وحِكْمَتِها في تَسْييرِ أُمورِ الدَّوْلَةِ وحَلِّ المُشْكلاتِ الَّتي تَفْتَرِضُها ، إنَّ حُكْمَها لَيْسَ فَرْدِيّاً اسْتِبداديّاً ، ولكنَّهُ يَقومُ علىٰ المَشورَةِ وحُسْنِ السِّياسةِ .

أجابَ المَلأُ المَلِكَةَ بأَنَّهُمْ جاهِزونَ لِتنْفيذِ مَا تَأْمُرُ بهِ ، وذَكَروا لَها أَنَّهُمْ أُولو قُوَّةٍ قِتاليَّةٍ ، وبأْسٍ شَديدٍ في الحَرْبِ ، فإنْ أرادَتِ الحَرْبَ فهُمْ رجالُها وَفَوَّضُوا إليهَا الأَمْرَ واتِّخاذَ القَرارِ المُناسِبِ ، وكانَ جَوابُهُمْ أَحْسَنَ جَوابٍ ؛ حَيْثُ أظهرُوا لَهَا الطَّاعةَ في ما تَتَّخِذُهُ مِنْ قرارٍ ، سَواءٌ أكانَ حرباً أَمْ مُصالَحَةً .

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

حينَ رَأَتِ المَلِكَةُ اسْتِعْدادَ رِجالِها لِلقِتالِ ، أظْهَرَتْ مَيْلَها لِلمُسالَمَةِ والمُهادَنةِ ، وذَكَرَتْ لهُمْ وَيْلاتَ الحَرْبِ ، وقالتْ لَهُم : إنَّ المُلوكَ إذَا دَخلُوا بَلَداً عَنْوةً بعدَ الحَرْبِ خرَّبوهُ ، وأَفْسدُوا

الدِّيارَ ، وأهْلَكُوا الأمْوالَ ، وأذَلّوا أهْلَهُ الَّذينَ كانُوا أعِزَّةً وأهانوهُمْ . هَـٰكذا هُمْ ، وهـٰذا فِعْلُهُمْ ، وهـٰذا هُوَ تَصَرُّفُهُمُ الدَّائِمُ .

وأرادَتْ بِذلكَ تَحذيرَهُمْ مِنْ قتالِ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لأنَّها تَعْلَمُ أنَّهُ أقوَىٰ مِنْها ، وإنْ قاتلَتْهُ فَستَنهزِمُ أمَامَهُ وسَيَفْعَلُ بهِم ما ذكرَتْ لَهُم .

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ نفَّرَتْهُمْ مِنَ الحَرْبِ ، ذكرَتْ لهُم قَرارَها بمُصالحةِ سُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومهادَنته ، وأخْبَرَتْهُم أنَّها قرَّرتْ إرسالَ هَديَّةٍ ثَمينةٍ لَهُ ، تَليقُ بِمِثْلِهِ ، وانتظارَ ماذا يَكونُ جَوابُهُ عَليْها ، هلْ يَقْبَلُها وَيكفُّ عنْهُمْ ، أمْ يَرْفُضُها ويُصِرُّ على دَعْوَتهِ الوَارِدةِ في كِتابهِ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

اختارَتِ المَلِكةُ هَديَّةً ثَمينةً ، وكَلَّفتْ وَفْداً مِنْ كِبارِ رِجالِها أنْ يَتوجَّهَ بِها إلىٰ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ولمَّا قدَّموها لَهُ عرَفَ قَصْدَ المَلِكةِ مِنْ إرْسالِها ، فأعْرَضَ عَنِ الهديَّةِ ، ولم يَقْبَلْها ، وقالَ لَهُم مُنْكِراً عَليْهِ : أتقدِّمُونَ لِي هذا المالَ لأَسْكُتَ عنكُمْ ، وأتْرُكَكُمْ مَعَ شِرْكِكُمْ ؟ إنَّ اللهَ قد آتاني خَيْراً كَثيراً ، وهُوَ أفْضَلُ مِمَّا آتاكُمْ ، فَقَدْ آتاكُمُ اللهُ مالاً ومَتاعاً دُنيويّاً فَقَطْ ، أمَّا أنا فَقَدْ آتاني مُلْكاً ومالاً ومَتاعاً دُنيويّاً ، وآتاني خَيْراً مِنْهُ وهُوَ العِلْمُ والنُّبوَّةُ ، والقُوَّةُ والحِكْمَةُ .

وأعادَ لَهُمْ هَديَّتَهُمْ وقالَ لَهُم : خُذوا هديَّتَكُمْ مَعَكُمْ ، وافْرَحوا بها ، وعُودوا بِها إلىٰ بلادِكُمْ ، وانتظِرُوا الحَرْبَ القَادِمَةَ ، لنأتينَّكُمْ بِجُنودٍ كَثيرينَ لا قُدْرَةَ لَكُم علىٰ قِتالِهِمْ ومُواجَهتِهِمْ ، وسَوْفَ تَنْهَزِمونَ ، ونُخْرِجُكُمْ مِنْ بلادِكُمْ أذلَّةً صَاغِرينَ مُهانِينَ مُحتَقَرينَ ! !

وبِذلكَ انْتَهَتْ مُحاوَلَةُ المَلِكةِ مُهادَنةَ سُليْمانَ بالفَشَلِ ، لأنَّهُ كانَ رَجُلَ دَعْوَةٍ ولَيْسَ طالبَ مالٍ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كانَ المُلوكُ وغَيْرُهُمْ يَتراسَلونَ فيما بَيْنَهُمْ مِنْ قَديمِ الزَّمانِ .

٢ـ اسْتعمالُ الطُّيورِ في المُراسَلاتِ .

٣ـ بَدَأَ سُليْمانُ خِطابَهُ بالتَّسميةِ ، ولا تَزالُ هَذهِ السُّنَّةُ مَاضِيَةً في مُخاطَباتِ المُسْلِمينَ .

٤ـ يَجِبُ أنْ تَكونَ الدَّعْوَةُ إلىٰ اللهِ بالحُسْنىٰ واللُّطفِ ، كَمَا ظَهَرَ ذَلكَ مِنْ كِتابِ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِمَلِكَةِ سبأٍ .

٥ـ الحَاكِمُ الصَّالِحُ يَقومُ باسْتشارَةِ كِبارِ رِجالِ دَوْلَتِهِ ، وفي هٰذا الخَيْرُ لِلدَّوْلَةِ .

٦ـ مِنْ أَدَبِ المُستشارِينَ تَقديمُ آرائِهِمْ بأَحْسَنِ صُورةٍ ، وتَفويضُ الحاكِمِ باتِّخاذِ القَرارِ .

٧ـ صَدَّقَ اللهُ مَلِكَةَ سَبأَ فِيمَا ذَكَرَتْهُ عَنْ إِفْسادِ المُلوكِ بقولِهِ : ﴿وكَذَلِكَ يَفْعَلونَ﴾ .

٨ـ حِكْمَةُ سُلَيْمانَ في رَدِّ الهَدِيَّةِ وإِغلاظِ القَوْلِ لِمَنْ جاء بالهَدِيَّةِ أَدّى بِهِمْ إِلى الخُضوعِ لَهُ والدُّخولِ في الإِسلام .

٩ـ الإِسْلامُ دِينُ الأَنْبياءِ جَميعاً ، فَهُوَ الدِّينُ الوَحيدُ عِنْدَ اللهِ ، ولِذَلِكَ أَمَرَ سُلَيْمانُ مَلِكَةَ سَبأَ وقَوْمَها أنْ يَأتُوهُ مُسْلِمينَ .

١٠ـ الدَّاعِيَةُ لَيْسَ جَامِعَ مالٍ ولا طالبَ دُنْيا ، ولا يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ إِذا كانَتْ ثَمَناً لِسُكوتهِ عَنِ الدَّعوةِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

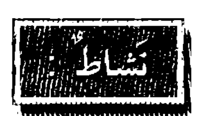
١ـ اذْكُرْ نصَّ كِتابِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلَىٰ مَلِكَةِ سبأٍ ، واسْتَخْرِجْ أُسُسَهُ الثَّلاثةَ .

٢ـ بِمَاذَا تُفسرُ طَلَبَ مَلِكةِ سبأٍ الرَّأيَ مِنَ الملأِ ؟ وبِمَاذَا أشاروا عَلَيْها ؟

٣ـ بماذا سوَّغَتْ مَلِكةُ سبأٍ عَدَمَ رَغْبتِها في القتالِ ؟ وماذا قالَتْ عَنِ المُلوكِ ؟

٤ـ بِماذا بعثَتِ الهَدِيةَ إِلىٰ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وعلىٰ ماذا يَدُلُّ ذلكَ ؟

٥ـ بِماذا ردَّ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ الوَفْدِ ؟ واسْتَخْرِجْ مِنْ ذلكَ الرَّدِ ثَلاثَ دَلالاتٍ .




١ـ كمْ مَرَّةً ورَدَتْ كلمةُ « الأَمْرِ » واشتقاقاتُها في الآيَتيْنِ (٣٢ـ ٣٣) ، ومَا مَعناهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ . وعنْ مَنْ صَدَرَتْ في كلِّ مَرَّةٍ ؛ اكتبِ الإِجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ « المُعْجَمِ المُفهرِسِ لألفاظِ القرآنِ » عَدَدَ مَرَّاتِ وُرودِ « هَدِيَّةٍ » في القُرآنِ والسِّياقِ الذي وَرَدَتْ فيهِ . وما الفَرْقُ بَيْنَ الهَدِيَّةِ والهُدَىٰ في القُرآنِ ؟

* * *

# الدرس الرابع والثلاثون

## سورة النمل - القسم السادس

قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ : شَيْطانٌ مِنَ الْجِنِّ .

ٱلَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ : رَجُلٌ مِنَ الإِنْسِ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِن كِتابِ اللهِ .

قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ : قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْكَ بَصَرُكَ ، عِنْدَما تَنْظُرُ بِهِ إِلَىٰ شَيْءٍ .

رَآهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ : رَأَىٰ عَرْشَ مَلِكَةِ سَبَأٍ مَوْجوداً أَمامَهُ .

لِيَبْلُوَني : لِيَخْتَبِرَني .

نَكِّرُوا لَها عَرْشَها : غَيِّرُوا لَها شَكْلَ عَرْشِها وَهَيْئَتَهُ بِحَيْثُ يَشْتَبِهُ عَلَيْها إِذا نَظَرَتْ إِلَيهِ .

صَدَّها : مَنَعَها .

ٱلصَّرْحَ : ٱلْقَصْرُ العالِي الْمُرْتَفِع .

حَسِبَتْهُ لُجَّةً : ظَنَّتْهُ ماءً مُتَجَمِّعاً كَثيراً .

صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ : هُوَ صَرْحٌ أَمْلَسُ مَبْنِيٌّ مِنْ زُجاجٍ .



أَخْبرَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنْ رَفْضِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هَدِيَّةَ مَلِكَةِ سبأٍ ، وتهديدَ الوَفْدِ أَنَّهُ قادِمٌ لِفَتْحِ بلادِهِمْ وإذلالِهِمْ .

وتُخْبِرُ هَذه الآياتُ عمَّا جرَىٰ في رِحْلَتِها لَهُ مِنْ مُفاجآتٍ ، ومَا قدَّمَهُ لَها سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ آياتٍ ، أَدَّتْ إِلىٰ اقْتِناعِهَا بِدينِهِ وإِسْلامِها .

﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أَدْرَكَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّ مَلِكَةَ سَبَأٍ لنْ تلجأَ إِلىٰ الحَرْبِ ، وأَنَّهَا سَتَتَوَجَّهُ بوفْدٍ مِنْ قَوْمِها إليهِ ، لِتَستجيبَ لِدَعْوَتِه وتَدْخُلَ في دينِه ، وأَرادَ أنْ يُرِيَها بَعْضَ مَظاهِرِ القُوَّةِ الخارِقَةِ الَّتِي أَيَّدَهُ اللهُ بِهَا ، لِيُؤَثِّرَ فيها ، ويقودَها ذلِكَ إِلىٰ الإِيمانِ باللهِ .

وعَلِمَ ـ فَهُوَ نَبِيٌّ يُوحَىٰ إِليهِ ـ أَنَّ المَلِكَةَ غَادَرَتْ عَاصِمَتَها مَعَ وَفْدٍ مِنْ قَوْمِها ، متوجِّهينَ إِليهِ ، فَأَرادَ إِحْضَارَ عَرْشِها العَظيمِ ، الَّذي أَخبرَهُ عَنْهُ الهُدْهُدُ . وعَرَضَ علىٰ رِجالهِ المُساعِدينَ لَهُ إِحْضارَ عَرْشِها بِخارِقَةٍ مَادِيَّةٍ ، فقالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ يَسْتَطيعُ إِحْضارَ عَرْشِها عِندي ، قَبْلَ أنْ تَصِلَ مَعَ وفدِ قَوْمِها ؟

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

لَمَّا عَرَضَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ رجالِهِ إِحْضَارَ العَرْشِ تلَقَّىٰ عَرْضَيْنِ لإِحضارِهِ :

العَرْضُ الأَوَّلُ : قدَّمَهُ عِفْريتٌ مِنَ الجنِّ ، وهو جِنِّيٌّ قَوِيٌّ شَديدٌ سَريعٌ نشيطٌ ، واسْتَعَدَّ أَنْ يُحْضِرَ العَرْشَ في مُدَّةٍ قَصيرةٍ ، وقالَ لَهُ : أَنتَ الآنَ جالِسٌ في مَجْلِسِكَ ، ولَوْ كَلَّفْتَنِي بإِحْضارِهِ لأَحْضَرْتُهُ لَكَ قَبْلَ أَنْ تقومَ مِنْ مَقامِكَ ، وأَنَا لَهُ ضَامِنٌ ، لأَنِّي قَوِيٌّ قادِرٌ علىٰ حَمْلِهِ ، وأَمينٌ علىٰ ما فيه مِنَ الزِّينَةِ ، لا آخُذُ مِنْهُ شَيْئاً !

العَرْضُ الثَّاني : قدَّمَهُ رَجُلٌ مِنَ الإِنسِ ، جالِسٌ عِنْدَ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِن كتابِ اللهِ اخْتَصَّ بهِ واسْتَطاعَ بذلِكَ العِلْمِ فِعْلَ الخَوارقِ بإذنِ اللهِ ، وقالَ لِسُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : أَنا أُحضِرُهُ لَكَ فِي لَمْحِ البَصَرِ ، فما أَنْ تَفْتَحَ عَيْنَيْكَ ، وتُرْسِلَ بَصَرَكَ ، حتَّىٰ ترَىٰ العَرْشَ أَمامَكَ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ طَرْفُكَ إِلَيْكَ !

وأمَرَ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الإنسيَّ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ بِإحْضارِ العَرْشِ ، فأحْضَرَهُ بِقُدْرَةِ اللهِ الَّتِي مكَّنَهُ مِنْها ، وأعانَهُ عليْها ، ولا نَعْرِفُ كَيْفَ أحْضَرَهُ ، لأنَّ إحْضَارَهُ لَمْ يكنْ بوسيلةٍ مُعتادَةٍ بَشَرِيَّةٍ ، لِبُعْدِ المَسافةِ بَيْنَ اليَمَنِ والأرْضِ المُقدَّسَةِ ، المُهِمُّ أَنَّهُ أحْضَرَهُ بأمرِ اللهِ .

ولَمَّا رأىٰ سُلَيْمانُ العَرْشَ مَوْجوداً أمَامَهُ ، ومُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ ، لَمْ يَنْقُصْ منهُ شَيءٌ ، حَمِدَ اللهَ ، وقالَ : هـٰذا مِن نِعَمِ اللهِ عليَّ ، مَنَّ بِهِ عليَّ لِيَخْتَبِرَني : هلْ أَشْكُرُهُ سُبحَانَهُ عَلىٰ هـٰذهِ النِّعْمَةِ ، أمْ أكفُرُها وأَجْحَدُها .

وعليَّ أنْ أشْكُرَهُ سُبحانهُ ، لأنَّ نَفْعَ الشَّاكِرِ يعُودُ عليْهِ ، واللهُ لا يَنْتَفِعُ سُبحانَهُ بذٰلِكَ الشُّكْرِ ، ومَنْ جَحَدَ النِّعْمَةَ وكَفرَهَا كانَ هُوَ الخاسِرُ ، ولَمْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً . واللهُ غنيٌّ عنْ عبادةِ عِبادهِ وشُكْرِهِمْ ، غيْرُ مُحْتاجٍ إِليْهِمْ ، وهوَ كَريمٌ يُعطيهِمُ النِّعَمَ الكَثِيرة ، ولوْ لمْ يشكُروهُ عليها .

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

بعدَما رأىٰ سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ العَرْشَ عِنْدَهُ ، أَرادَ أنْ يَخْتَبِرَ مَعْرِفةَ مَلِكَةِ سبأٍ وذَكاءَها ، فأمَرَ رِجالَهُ بِأَنْ يُنَكِّرُوا لهَا عَرْشَها ، وذٰلِكَ بتَغْييرٍ في هَيْئَتِهِ وشَكْلِهِ وَصِفَتهِ ، دُونَ أنْ يُؤثِّرَ ذلكَ علىٰ حَقيقتهِ ، وذَكَرَ أَنَّ هَدَفَهُ مِنَ التَّغييرِ هُوَ أنْ يَخْتَبِرَ دِقَّةَ ملاحَظتِها ، وقُوَّةَ ذكائِها ، وحُسْنَ تَصرُّفِها ، فَعِندَما تَرىٰ العَرْشَ هلْ تَهْتَدِي إِليهِ وتَعْرِفُ أَنَّهُ عَرْشُها أمْ لا!

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ .

لَمَّا وصَلَتْ مَلِكةُ سبأٍ استقبلَها رجالُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وعرَضُوا عَلَيْهَا العَرْشَ ، وقالوا لَها : أمِثْلُ هـٰذا العَرْشِ عَرْشُكِ ؟

لَقَدْ كانَ السُّؤالُ المُوَجَّهُ لَها ذكيّاً نبيهاً ، فلمْ يَكُنِ السُّؤَالُ : أهـٰذا عَرْشُكِ ؟ لأنَّهُ سيكونُ تلقيناً لَها ، ولنْ تُجيبَ إلاَّ بنعمٍ ، أوْ لاَ!

وكانَ جوابُها فِي غايةِ الفِطْنةِ والبَرَاعَةِ والذَّكاءِ ، فلمْ تقلْ : هُوَ عَرْشِي! ولمْ تقُلْ : ليسَ عَرْشِي! ولمْ تقلْ : هُوَ مِثْلُ عَرْشِي! وتخلَّصَتْ مِنَ الإشكالِ والحَيْرةِ بقولِها : كَأَنَّ هذا العَرْشَ عَرْشِي!

وعلَّقَ سُليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ إشْكالِهَا بقولِهِ : آتانا اللهُ العِلْمَ قَبْلَ قُدومِ المَلِكَةِ إِلَينا ، العِلْمَ بالحَقائقِ ، والعِلْمَ بقُدومِها مَعَ وفْدِها لإسْلامِهِمْ عِندَنا ، والعِلْمَ بالقدرةِ علىٰ إحْضارِ عَرْشِها ، وآتانا اللهُ هذا العِلْمَ مِنَّةً عَلَينا وإكراماً لنا ، لأنَّنا مُسْلِمونَ . أمَّا هِيَ فلمْ تُؤْتَ ذلكَ العِلْمَ ، لأنَّها لم تَكُنْ مُسْلِمَةً ، والَّذِي مَنَعَها مِنْ إسْلامِها هو البيئةُ الكافِرَةُ الَّتي تَعيشُ فيها ، فَهِيَ مِنْ قَوْمٍ كافِرينَ ، يَعْبدونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فكانَتْ مِثْلَهُم!

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

أعدَّ لَها سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُفاجأةً أُخرى ، لِيُرِيَهَا مُلْكاً أعزَّ مِنْ مُلْكِها ، وسُلْطاناً أعْظَمَ مِنْ سُلطانِها ، مَنحَهُ اللهُ لَهُ ، فَقَدْ جهَّزَ لَها قَصْراً مَبْنيّاً مِنْ الزُّجاجِ الأمْلَسِ ، وجَعَلَ أمامَهُ بِرْكَةَ ماءٍ ، وغطَّاها بالزُّجَاجِ الأبْيَضِ الشَّفَّافِ .

وأُوقِفَتْ أَمامَ القَصْرِ ، وقِيلَ لَها : ادْخُليهِ . وبالرَّغمِ مِنْ فِطْنَتِهَا وذَكائِها فإنَّها لَمْ تُشاهِدِ الزُّجاجَ يُغطِّي البِرْكَةَ ، وظَنَّت أنَّها سَتَدْخُلُ القَصْرَ بالخَوْضِ في البِرْكَةِ ، فَرَفَعَتْ طَرَفَ ثَوْبها ، وكَشفَتْ عَنْ ساقَيْها اسْتِعداداً لِعُبورِ الماءِ!

فقالَ لَها سُليْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : إنَّ البِرْكةَ مُغطَّاةٌ بالزُّجَاجِ الآمِنِ ، ولنْ تَخوضِي الماءَ ، وهٰذا قَصْرٌ مبنيٌّ مِنَ الزُّجاجِ والرُّخام الأمْلَسِ!

عِنْدَ ذَلِكَ اعترفتْ مَلِكةُ سَبأٍ بضَعْفِها وهَزيمتِها أمامَ سُليْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وعَلِمَتْ أَنَّ هذا المُلْكَ العَظيمَ الّذي أُوتِيهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وهَبَهُ اللهُ إياهُ ، فاقْتَنعَتْ بدينِهِ وأَعْلَنَتْ إسلامَها قائِلةً : ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نفسِي بِسببِ عِبادةِ غيرِ اللهِ ، وها أنا أُعْلِنُ إيماني باللهِ وَحْدَهُ ، ودُخولِي فِي الإِسْلامِ ، وأُسْلِمُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ العالَمِينَ .




تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ التَقدُّمُ العِلمِيُّ والصِّناعِيُّ والتِّقْنِيُّ مَوجودٌ مُنْذُ القِدَمِ يَدلُّنا عَليْه ما كَانتْ عَلَيْهِ مَلِكةُ سَبأ وَما كانَ عليْهِ سُليْمان .

٢ـ القُدْرَةُ الّتي يَتَّصِفُ بها الجِنُّ والشَّياطينُ ، حَيْثُ يستطيعُ الجِنِّيُّ نَقْلَ العَرْشِ مِنَ اليَمَنِ إلى فِلَسْطينَ في مُدَّةٍ وَجيزةٍ .

٣ـ قَدْ يَتفوَّقُ الإِنْسُ على الجِنِّ بالعِلْمِ .

٤ـ تَواضُعُ نَبيِّ اللهِ سُليْمانَ لِعَظَمَةِ اللهِ مَعَ ما أُوتِيهِ مِنْ مُلْكٍ ، واسْتِخدامُ ما أُوتيهِ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ .

٥ـ إذَا ذَكرَ المُؤْمِنُ بَعْضَ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مِنْ بَابِ شُكْرِ اللهِ والتَّحدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ .

٦ـ قَدْ يَتحدَّثُ المُؤْمِنُ عنْ بَعْضِ مَواهِبِهِ وصِفاتِهِ مِنْ دونِ رِياءٍ ولا مُباهاةٍ ، لكنْ لِيَعْرِفَهُ الآخَرونَ .

٧ـ اللهُ يَبْتلي عِبادَهُ الصَّالحينَ ويَخْتَبِرُهُمْ بالفَضْلِ والخَيْرِ لِيَشْكُروهُ .

٨ـ علىٰ الدُّعاةِ اسْتخدامُ الوَسائلِ والأَساليبِ المَاديَّةِ المُتطوِّرةِ لِلدَّعوةِ إِلىٰ اللهِ .

٩ـ البيئةُ التي يَعيشُ فيها الإِنْسانُ تؤثِّرُ في فِكْرِهِ وتَصوُّرِهِ ودينِهِ وحَياتِهِ .

١٠ـ الإِسْلامُ هُوَ دينُ الأنبياءِ جَميعاً ، وروحُ الرِّسالاتِ كُلِّها ، والمُؤْمنونَ السَّابِقونَ كُلُّهُمْ مُسْلمُونَ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِمَاذَا أَرادَ سُلَيْمانُ إِحْضارَ عَرْشِ مَلِكَةِ سَبأٍ ؟ وَمَا العَرْضانِ اللَّذانِ قُدِّما لَهُ لِتحقيقِ ذٰلِكَ ؟

٢ـ كَيْفَ أُحْضِرَ العَرْشُ إِلىٰ سُلَيْمانَ ؟ وكَمِ الوَقْتُ الَّذِي اسْتَغرَقَهُ ذَلِكَ ؟

٣ـ ماذا قالَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما رأىٰ العَرْشَ أَمَامَهُ ؟ وعلىٰ ماذَا يَدُلُّ ذٰلِكَ ؟

٤ـ لِماذا أَمَرَ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِتَنكيرِ عَرْشِ مَلِكةِ سَبَأٍ ؟ وكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ التَّنكيرُ ؟

٥ـ ماذا جَرَىٰ لِلمَلِكَةِ أمامَ القَصْرِ ؟ وماذا كَانتْ نَتيجةُ ذٰلِكَ ؟

٦ـ كيفَ يَدعُو سُلَيْمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلىٰ الإِسْلامِ مَعَ أَنَّهُ كانَ قَبْلَ رسولِ اللهِ ﷺ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ اذكرْ آيةً مِنْ سُورةِ فُصِّلَتْ بأَنَّ المُحْسِنَ يُحسِنُ لِنَفْسِهِ ، والمُسيءَ يُسيءُ عَلَيْها . وآيةً مِنْ سورةِ فاطِرٍ بِأَنَّ النَّاسَ هُمُ الفُقراءُ إِلىٰ اللهِ وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ ، واكْتُبْهُما في دفترِكَ .

٢ـ اقرأْ آياتِ قِصَّةِ سيِّدِنَا سُليمان مَعَ ملكةِ سبأٍ ( ٢٠ـ٤٤ ) بتمعُّنٍ ، واذكرْ عَدَدَ مَرّاتِ ذِكْرِ « الإِسْلام » فيها . وعلىٰ ماذا يَدُلُّ ذلكَ ؟ وكَيْفَ اعتبرَتْ دِينَ سُلَيْمانَ هُوَ الإِسلامُ مَعَ أَنَّ رسولَ اللهِ هُوَ الَّذِي جاءَ بالإِسْلامِ ؟ وسُليْمانُ كانَ قَبْلَهُ بمُدَّةٍ طَويلةٍ واكْتبِ الإِجابةَ في دَفترِكَ .

* * *

# الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

## سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ : طائِفَتانِ مُؤْمِنَةٌ وكافِرَةٌ ، بَيْنَهُما جِدالٌ وَنِزاعٌ وَخُصومَةٌ .

اَطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ : تَشاءَمْنا بِكَ وَبِمَنْ اتَّبَعَكَ .

طائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ : مَا يُصيبُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ وبِأَمْرِهِ

تُفْتَنونَ : تُخْتَبَرونَ .

تِسْعَةُ رَهْطٍ : تِسْعَةُ رِجالٍ .

تَقاسَموا بِاللهِ : احْلِفوا بِاللهِ .

لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ : لَنَقْتُلَنَّ صالِحاً وأَهْلَه لَيْلاً .

وَلِيِّهِ : قَريبِهِ الَّذي يُطالِبُ بِدَمِهِ .

مَكَرُوا مَكْراً : دَبَّروا تَدْبيراً خَفِيّاً لِعَمَلِ الشَّرِّ .

بُيُوتُهُم خاوِيَةً : بُيُوتُهُمْ خالِيَةً مِنْهُمْ .



التفسيرُ :

تحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَلِكَةِ سَبَأٍ ، ودَعْوَتِهِ لها إلىٰ التَّخلي عنِ الشِّرْكِ والدُّخولِ في الإسْلامِ .

وتُخْبِرُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ طَرَفٍ مِنْ قِصَّةِ صَالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِ ثمودَ ، وإنكارهِ عليْهِمُ الشِّرْكَ ودَعوتِهم إلىٰ الإسْلامِ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

أرسلَ اللهُ إلىٰ قَوْمِ ثَمودَ أخاهُم صَالِحاً رَسولاً ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ودَعاهُم إلىٰ أنْ يتخلَّوْا عَنِ الشِّرْكِ ، ويَعْبدُوا اللهَ وَحْدَهُ .

وكانتْ نَتيجةُ دَعْوَتِهِ انْقِسامَهُمْ إلىٰ فَريقيْنِ مُخْتَلِفيْنِ مُتنازِعَيْنِ ، بينهُما جِدالٌ وخِصامٌ : فَريقٌ مُؤْمِنٌ بهِ متَّبعٌ لَهُ ، وهُمُ المُسْتَضْعَفونَ . وفَريقٌ كافِرٌ بهِ مُكَذِّبٌ لَهُ ، وهُمُ الملأُ المُتكبِّرونَ ومَنْ مَعَهُمْ كَثيرونَ .

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

ولمَّا رَفَضَ الفَريقُ الكَافِرُ دَعْوَةَ صالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ طَلبوا مَنْعَ إيقاعِ العَذابِ بهِمْ ، فأنكرَ عَليْهِمْ ذٰلِكَ وقالَ لَهُمْ : لِماذا تَسْتعجِلونَ وُقوعَ العَذابِ بِكُمْ ؟ إنَّكُم لَنْ تحتَمِلُوهُ ولَنْ تتمكَّنوا مِنْ دَفْعهِ عَنْكُم !

والأَوْلَىٰ بِكُمْ أنْ تَطلُبوا مِنَ اللهِ رَحْمَتَهُ ، فهلاَّ تَتوبونَ إلىٰ اللهِ مِنْ كُفْرِكُم ، وتَسْتَغْفِرونَهُ مِنْ ذُنوبِكُم ، إنَّكُم إنْ فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ حَصَلتُمْ علىٰ رَحْمَةِ اللهِ .

وقَدْ رَفَضَ القَوْمُ نُصْحَ صَالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لهُمْ ، وردُّوا عَلَيْهِ بغلظةٍ وقَسْوةٍ ، وقالوا لَهُ : دَعْنا مِنْكَ ومِنْ نُصْحِكَ ، فقدْ تَشاءَمْنا مِنْكَ ومِمَّنْ آمَنَ مَعَكَ ، فَمنذُ أنْ جِئْتَنا بهٰذا الدِّينِ لَمْ نرَ خَيْراً ، وإنَّما تَتابَعَتْ عَلَيْنا الشَّدائدُ والمَصائِبُ .

وردَّ عَلَيْهم صَالِحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ اتِّهامَهُمْ ، وقالَ لَهُم : طَائِرُكُم عِنْدَ اللهِ وكلُّ ما يُصيبُكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شرٍّ يَكونُ بقدَرِ اللهِ ، مَكْتوباً عِنْدَهُ سُبحانَهُ ، ولَيْسَ كما تَزْعُمونَ أَنَّ ذلكَ بِسَببِ ما جِئْتُكُمْ بهِ .

وأنتُمْ لا تَعلمونَ هَذهِ الحَقيقةَ فَتَتشاءَمُونَ مِنَّا ، مَعَ أَنَّ اللهَ يمتحِنُكُمْ وَيخْتَبِرُكُمْ ، فإنْ أَطَعْتُمْ أَجْزَلَ لَكُمُ الثَّوابَ ، وإنْ عَصَيْتُم ضاعَفَ عَلَيْكُمُ العذابَ .

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

لمْ يَقبَلِ القَوْمُ الكافِرونَ نُصْحَ صَالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَصَرُّوا عَلى الكُفْرِ والتَّكذيبِ ، وكَانَ أشدَّهُمْ كُفْراً وعَدواةً رِجالٌ تِسْعَةٌ ، جَعلوا مُهِمَّتَهُمُ الإِفْسادَ في مَدينةِ « الْحِجْرِ » الَّتي يُقيمُ فيهَا قَوْمُ ثمودَ .

قامَ أَحَدُ هَؤلاءِ التِّسعةِ بِعَقْرِ النَّاقةِ بالرّغمِ مِنْ تَحْذيرِ صَالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبَعْدَ ذَلكَ هدَّدهُمْ بأَنَّ العَذابَ سَيَقعُ بِهِمْ بَعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ ، فتآمَرَ الرِّجالُ التِّسْعةُ عَلَيْهِ ، واتَّفقُوا علىٰ قَتْلِهِ هُوَ وأَهْلِهِ لَيْلاً ، وتَعاهَدُوا علىٰ ذٰلِكَ ، وحَلَفُوا الأَيْمانَ ، وفي الصَّباحِ يَأْتونَ إِلىٰ أَوْلياءِ صَالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَتْباعِهِ ، فَيُنْكِرونَ عِلْمَهُمْ بِقَتْلِ صالحٍ ومَنْ مَعَهُ ، أوْ شُهودَهُم لِقَتلِهِمْ . وسَوْفَ يُصدِّقونَهُمْ لأَنَّهُمْ زُعماءُ لِقوْمِهِمْ ، ولا يُنَاقِشُهُمْ أَحَدٌ فِي كَلامِهِمِ .

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

تآمَرَ الرَّهْطُ التِّسْعَةُ علىٰ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ ، وكادُوا لَهُمْ ، وَدبَّروا تَدْبيراً خَفيّاً لِقَتْلِهِمْ . ولكنَّ اللهَ مَعَ أَوْليائهِ ، فأَبْطَلَ كَيْدَ الكافِرينَ ومَكْرَهُمْ ، وأَوْقَعَ بِهِمْ عَاقبَةَ مَكْرِهِمْ ، وعَجَّلَ لهُمُ العذابَ ، مِنْ دُونِ أَنْ يَشْعروا بِهِ .

ويَدعو اللهُ رَسولَهُ ﷺ وكُلَّ مُتدبِّرٍ لِلْقرآنِ ، إِلىٰ أَنْ يَنْظُرَ ويتأَمَّلَ كَيْفَ كَانتْ عَاقِبَةُ تآمُرِهِمْ وكَيْدِهِمْ ، فَقَدْ دَمَّرَ اللهُ الرَّهْطَ التِّسْعَةَ لِمَكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ ، كَمَا دَمَّرَ قَوْمَهُمُ الكافِرينَ جميعاً ، لأَنَّهُمْ كَفرُوا وكَذَّبُوا ، وَوافقوا المُتآمِرينَ علىٰ تَخْطيطِهِمْ ضِدَّ المؤْمِنينَ .

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

كانتْ عَاقِبَةُ مَكْرِ المُتآمرينَ تَدميرَهُمْ وإِهْلاكَهُمْ ، هُمْ وجَميعَ الكَافِرينَ مِنْ قَوْمِ ثَمودٍ ، وأَبْقَىٰ اللهُ آثارَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَتِلْكَ بيُوتُهُمُ الَّتي نَحتُوها فِي الصَّخْرَةِ مَوْجودَةٌ ، لكنَّها خَالِيَةٌ مِنْهُمْ ، وهِيَ آيَةٌ وعِبْرَةٌ وعِظَةٌ لأَهْلِ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ ، وهُمُ المُؤْمِنونَ الَّذينَ يَعْرِفونَ سُنَّةَ اللهِ في خَلْقِهِ ، إِذْ يُدمِّرُ القَوْمَ الكافِرينَ ، ويُنجي المُؤْمنينَ المُتَّقِينَ .

وفِي هذهِ النِّهايةِ لِقوم ثَمودَ تَذْكيرٌ لِلْمُشْركينَ المُكَذِّبينَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وتَحذيرٌ لَهُمْ بِوقوعِ العَذابِ بِهِمْ إِنِ استمرُوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إعلامُ اللهِ لنا بشْيء مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ بإِخبارِنا عَنْ قِصَّةِ صالحٍ وقَوْمِهِ .

٢ـ يَنْتُجُ عَنْ دَعْوةِ النَّاسِ إِلىٰ الحَقِّ انقسامُهُمْ إِلىٰ فريقيْنِ : مُؤْمنينَ وكافِرينَ .

٣ـ لا يَسْتَعْجِلُ عَذابَ اللهِ إلاَّ جَاهِلٌ ، لأنَّهُ لا طاقَةَ لَهُ بِهِ ، والأَصْلُ أنْ يَتوبَ إِلىٰ اللهِ ويَطْلُبَ رَحْمَتَهُ .

٤ـ الكُفَّارُ يَكْرَهونَ المُؤْمنينَ ويتشاءَمُونَ منْهُمْ ، ويَعْتَبِرونَهمْ سَبَبَ مَصائِبِهِمْ .

٥ـ دَعْمُ المُتَنفِّذينَ لِلفسادِ نَشْرٌ لَهُ بَيْنَ النَّاسِ وتَخريبٌ لِحياتِهِمْ .

٦ـ القَادَةُ الكَافِرونَ متآمِرونَ علىٰ المُؤْمنِينَ ، يُخطِّطونَ لِلقضاءِ عَلَيْهِمْ ، وتَدميرِهِمْ .

٧ـ عَاقِبَةُ الكَيْدِ والمَكْرِ والتآمُرِ تَنْقَلِبُ علىٰ أصْحابِهِ المُتْآمِرينَ ، لأنَّهُ لا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِءُ إلاَّ بأَهْلِهِ .

٨ـ إبقاءُ آثارِ الكافِرينَ الهالِكينَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ ، بِمَنْ بَعْدَهُمْ ، لِتكونَ آيةً وعِبْرةً لَهُمْ .

٩ـ إهلاكُ الكَافِرينَ ونَجاةُ المُؤْمِنينَ سُنَّةٌ رَبانِيَّةٌ مُطَّرِدَةٌ علىٰ مَدارِ التَّاريخِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أ ـ ماذا طَلَبَ قَوْمُ ثَمودَ مِنْ صَالِحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟ ب ـ وبِماذا رَدَّ علَيْهِم ؟ ج ـ وماذا طَلَبَ مِنْهُم ؟

٢ـ ما مَعنَى قولِ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي رَدِّهِ علىٰ تَشاؤُمِهِم : ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنونَ﴾ ؟

٣ـ علىٰ ماذا اتَّفَقَ الرَّهْطُ المُتآمِرُونَ ؟

٤ـ المَكْرُ نَوْعانِ . اذكُرْهُما ، وفرِّقْ بَينَهُما ، مِنْ خلالِ آياتِ الدَّرسِ .

٥ـ مَا وَجْهُ الاعْتِبارِ عِنْدَ مُشاهَدَةِ آثارِ القَوْمِ المُعذَّبِينَ ؟

نشاط :

١ـ تتَحدَّثُ الآيتانِ ( ٧٥ـ٧٦ ) عَنْ بَعْضِ ما جرَىٰ بينَ الفَريقينِ مِنْ خِصامٍ وجِدالٍ . سجِّلِ الآيتينِ ، واذْكُرْ ما جرَىٰ فِيهما بَيْنَ الفَريقينِ .

٢ـ تردُّ الآيةُ ( ٧٨ ) منْ سورةِ النِّساءِ تَشاؤُمَ الكُفَّارِ بِالنَّبيِّ ﷺ وتُبيِّنُ أَنَّ الحَسَنةَ والسَّيِّئةَ مِنْ عِندِ اللهِ ، سَجِّلِ الآيةَ ، وبيِّنْ معنَاهَا ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينها وبَيْنَ الآيةِ (٤٧) .

* * *

## الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثُونَ

# سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

أَتَأْتونُ الفاحِشَةَ : إِتْيانُ الذُّكورِ في أَدْبارِهِمْ .

وَأَنْتُمْ تُبْصِرونَ : يَنْظُرُ بَعْضُكُم إلى بَعْضٍ في أثناء اللّواطِ وهَذا أفْحَشُ .

شَهْوَةً : تَسْتَمْتِعونَ بِإِتْيانِ الرِّجالِ ، وهُمْ ليسوا مَوْضِعَ اسْتِمْتاعٍ .

أناسٌ يَتطَهرونَ : آلُ لوط يُنزِّهونَ أَنْفُسَهُم وَيعِفّونَ عَنِ الفَواحِشِ .

قَدَرْناها مِنَ الغابرينَ : حَكَمْنا وقَدَّرْنا أَنَّها مِنَ الباقين في العَذابِ .

أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً : أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الحِجارَة مِنَ السَّماءِ .

### التَّفسيرُ :

تَحدَّثتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ قِصَّةِ صالحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وقَوْمِهِ ، الَّتي انْتَهَتْ بِنَجاةِ المُؤْمِنينَ ، وإِهْلاكِ الكافِرينَ ، وإِبْقاءِ آثارِهِمْ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ قِصَّةِ لُوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، وهِيَ القِصَّةُ الرَّابعةُ فِي هٰذه السُّورَةِ ، وانتهتْ إلىٰ إِهْلاكِ المُنْحَرفينَ ونَجاةِ المُؤْمِنينَ المُتطَهِّرينَ .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ ﴾ .

يَطْلُبُ اللهُ مِنْ رَسولِهِ ﷺ أَنْ يَذْكُرَ لِلْمُشْرِكينَ مِنْ قَوْمِهِ قِصَّةَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ الكافِرينَ .

لَقَدْ بَعَثَ اللهُ لوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَسُولاً إِلىٰ قَوْمٍ كافِرينَ شاذِّينَ مُنْحَرِفينَ ، لِيَدْعوَهُمْ إِلىٰ الإِيمانِ باللهِ وتركِ الانْحِرافِ والشُّذُوذِ ، فَبلَّغَهم دَعْوَةَ اللهِ ، وأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَعاصِيَهُمْ وانحرافَهم ، وقالَ لَهُم : لِماذا تأتونَ الذُّكورَ فِي أَدْبارِهِمْ ؟ لقدْ كُنْتُمْ السَّابِقينَ إِلىٰ ارْتِكابِ هٰذهِ الفاحِشَةِ ، حَيْثُ لمْ يَسْبقْكُمْ إِليها أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبْلِكُمْ . وأَنَّكُمْ لَمْ تَكْتفُوا بإِتْيانِ هٰذهِ الفاحِشَةِ ، وإِنَّما ارْتَكَبْتُمْ جَريمةً أَقْبَحَ وأَشْنَعَ ، وهِيَ ارْتِكابُكُمُ الفاحِشَةَ بِصُورَةٍ جَماعيَّةٍ ، بِحَيْثُ يَرىٰ ويُبْصِرُ بعضُكُمْ بَعْضاً! قالَ تعالىٰ : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعونَ السَّبيلَ وَتَأْتونَ في نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ .

وقدْ كرَّرَ عَلَيْهِم لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِنْكارَهُ وتَوْبيخَهُ بِقَوْلِهِ : كَيْفَ تَقْبَلونَ إِتْيانَ الرِّجَالِ فِي أَدْبارِهِمْ ؟ وتَسْتَمْتِعونَ بذٰلِكَ ؟ وتَتْركونَ النِّساءَ اللَّواتِي خَلَقَهُنَّ اللهُ لِتستمتِعوا بهِنَّ اسْتِمْتاعاً حَلالاً .

إِنَّكُم في الحَقيقةِ جُهَلاءُ سُفهاءُ ، لا تَعْرِفونَ شَيْئاً ، وتَجْهَلونَ الطَّريقَ الفِطْرِيَّ لِقَضاءِ الشَّهْوةِ ، وتَجْهلونَ عاقبةَ ما تَفْعلونَهُ مِنْ فَواحِشَ وقَبائحَ .

وعلىٰ هٰذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿أَتَأْتونَ الذُّكْرانَ مِنَ العَالَمِينَ وَتَذَرونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء : ١٦٥ـ١٦٦] .

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ ﴾ .

لمْ يَنْفَعْ نُصْحُ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ القَوْمَ المُنْحَرِفينَ ، وَلَمْ يَقْبَلوا كَلامَهُ ، وأَصَرُّوا علىٰ شُذوذِهِمْ ، وخَطَوْا خُطوةً أَقْبَحَ ، حَيْثُ أرادُوا التَّخَلُّصَ مِنْ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وآلِهِ المُؤْمِنينَ ، لِئَلاَّ يَسْتَمِرَّ في نُصْحِهِمْ والإِنكارِ عَلَيْهِمْ ، وبَعْدَما تَشاوروا فيما بينَهُمْ بِشَأْنِهِ قالوا : أَخْرِجوا لُوطَاً وأَهْلَهُ وأَتْباعَهُ المُؤْمِنينَ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ، فلا مَكانَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ .

وقولُهُمْ : أَخْرِجوا آلَ لُوطٍ مِنْ قريتِكُمْ فيهِ اتِّهَامٌ لِلوطٍ وآلِهِ بأَنَّهُمْ غريبُونَ عَنْهُمْ ، دُخَلاءُ عَلَيْهِمْ ، فالبِلادُ بِلادُهُمْ ، والقَرْيةُ قريتُهُمْ ، وبِمَا أَنَّ لُوطاً ومَنْ معَهُ لَيْسوا أَصْلاً مِنْهُمْ ، وإِنَّما هُمْ وافِدونَ عَلَيْهِمْ ، لِذٰلِكَ لا مَكانَ لَهُمْ بَيْنَهمْ!

وقدْ عَلَّلَ القَوْمُ المُجرِمونَ قَرارَهُمُ الظَّالِمَ بعلَّةٍ عَجيبةٍ! السَّبَبُ في إِخْراجِهمْ مِنَ القَرْيةِ هُوَ أَنَّهُم أُناسٌ يَتَطهَّرونَ! قالوا : إِنَّ لوطاً وأَهْلَهُ المُؤْمِنينَ بِهِ قَوْمٌ يَحْرِصونَ علىٰ الطَّهارَةِ والعِفَّةِ عِنْدَ قضاءِ

الشَّهْوةِ ، ويَرْفضُونَ أفْعالَنا ، ولا يُقرُّونَنا علىٰ تَصرُّفاتِنا ، ولِهٰذا لا مَكانَ لهُمْ عِندَنا!

ومُنْذُ متىٰ كانَتِ العِفَّةُ الجنسيَّةُ والطَّهارَةُ في قَضاءِ الشَّهْوةِ ، والتَّرفُّعُ عَنِ الزِّنا والشُّذوذُ جَريمةً يُدانُ بها أصْحابُها ، ويُطرَدُونَ مِنَ البلادِ بسَببها ؟

ولَقدِ انْتَشرَتْ هَذهِ الفَاحِشَةُ الشَّاذَّةُ في العالَمِ في هٰذا الزَّمانِ ، وهِيَ الَّتي يُسمُّونَها « الشُّذوذَ الجِنسيَّ » ، وصارَ الكَثيرونَ يَقْبلونَ بها ، ويَرفُضونَ الإنْكارَ علىٰ مَنْ يَفْعلُها ، ويَعْتبرونَ العِفَّةَ والتَطهُّرَ وعَدَمَ الزِّنا والشُّذوذِ جَريمةً أَوْ تُهمةً يُذَمُّ بها أصْحابُها!!

﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أصَرَّ الكافرونَ الشَّاذُّونَ علىٰ إخراجِ لوطٍ وآلهِ مِنْ قريتِهم لِطَهارَتِهِمْ ، انتهتْ قِصَّةُ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وحَانَ وقُوعُ عَذابِ اللهِ بهِمْ ، فأَنجَىٰ اللهُ لُوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأهْلَهُ المُؤْمِنينَ . أمَّا امْرأتُهُ فَقدْ كانتْ كَافِرةً ، ورَاضِيةً بِفواحِشِ قَوْمِها ، ولِذٰلكَ أَبْقاهَا اللهُ مَعَ القوْمِ الهَالِكينَ حَيْثُ عُذِّبَتْ مَعَهُم . وقدْ أوْقَعَ اللهُ بِهِمُ العَذابَ فِي الصَّباحِ ، حَيْثُ جَعَلَ عالِيَها سَافِلَها ، وأَمْطرَ عليْهِم حِجارةً مِنْ سِجِّيلٍ أبادَتْهُم!

وبئسَ المَطَرُ مَطَرُ القَوْمِ المُنذَرينَ ، حَيْثُ أَنْذَرَهُمْ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ العَذابَ ، وأقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، ولكنَّهُمْ رَفضُوا دَعْوتَهُ ، وأَصَرُّوا علىٰ فواحِشِهِمْ ، فاسْتَحقُّوا بِذَلكَ العَذابَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العِلْمُ بقصّةِ لوط مَعَ قَوْمِهِ .

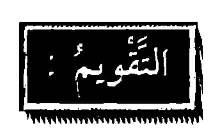
٢ـ مِنْ أقْبَحِ صُوَرِ الانْحِرافِ والشُّذوذِ ارْتِكابُ الفَواحِشِ بِصُورةٍ جَماعيَّةٍ كنوادِي العُراةِ في زَمانِنا .

٣ـ إتيانُ الرِّجالِ دُونَ النِّساءِ انْحِرافٌ عَنِ الفِطْرةِ ومَرَضٌ نفْسِيٌّ ، أوَّلُ ما ظَهَرَ في قَوْمِ لوطٍ .

٤ـ إنْكارُ المُنْكَرِ والنَّهيُ عَنْهُ واجبٌ شَرْعيٌّ علىٰ الدُّعاةِ والمُصْلِحينَ .

٥ـ عِنْدَمَا تَنْتَشِرُ الفَواحِشُ بَيْنَ النَّاسِ تَكونُ العِفَّةُ والطَّهارَةُ جَريمةً يُعاقَبُ عَلَيْها أَصْحابُها .

٦ـ لا يَنْتَفِعُ الكافرُ بِقَرابةِ المُؤْمِنِ ، لأنَّهُ لا يَشْفَعُ مُؤْمِنٌ فِي كافِرٍ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ هلْ كانَ لوطٌ مِنَ القَوْمِ الَّذينَ أُرْسِلَ إلَيْهِمْ أمْ كانَ غَرِيباً عَنْهُم ؟ وضِّحْ ذٰلِكَ مَعَ الدَّليلِ .

٢ـ الأَقْبَحُ مِنَ ارْتِكابِ قَوْمِ لوطٍ لِلفاحِشَةِ ارْتكابُهُمْ لَها وَهُمْ يُبْصِرُونَ بَعْضَهُم بَعْضاً . وضِّحْ ذٰلِكَ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أرْبعَ جُمَلٍ لِلإنكارِ أَنْكَرَ بها لُوطٌ علىٰ قَوْمِهِ ارْتِكابَ الفاحِشَةِ .

٤ـ ما التُّهْمةُ المَنْسوبةُ إلىٰ لُوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والَّتي اسْتَحقَّ بها الإخراجَ مِنَ القَرْيةِ ؟

٥ـ لِمَاذَا اسْتُثْنِيتِ امْرأةُ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ النَّجاةِ ؟ ومَا دَلالةُ ذٰلِكَ ؟

٦ـ أ ـ مَا المُرادُ بالمَطَرِ في آياتِ الدَّرْسِ ؟ ب ـ ومَا الَّذِي أُنْزِلَ علىٰ قومِ لوطٍ ؟ ج ـ ولِماذا سُمِّيَ مَطَراً ؟

## نَشاطٌ :

اقرأ آياتِ قِصَّةِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ في سُورةِ هُودٍ ، واسْتَخْرِجْ منْها تَفاصيلَ إهلاكِ قَوْمِ لوطٍ ، مُنْذُ قُدومِ المُلائِكَةِ إلىٰ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالبُشْرىٰ إلىٰ تَدْمِيرِ القَوْمِ في الصَّباحِ ، وسَجِّلْ ذٰلِكَ فِي دَفْتَرِكَ .

* * *

## الدرس السابع والثلاثون

# سُورَةُ النَّمْلِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

### معاني المفردات :

| | |
|---|---|
| ٱصْطفَىٰ | : اخْتارَ . |
| حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ | : بَساتِينَ مُسَوَّرَةً بالأسْوارِ ذاتَ حُسْنٍ ورَوْنَقٍ وبَهاءٍ . |
| قَوْمٌ يَعْدِلونَ | : المُشْرِكونَ يُساوونَ اللهَ بآلِهَتِهِمْ ، مَعَ أنَّها لَيْسَتْ آلِهَةً . |
| جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَراراً | : جَعَلْناها مَكاناً صالِحاً لِلإقامةِ ، يَستقرُّ عَلَيْها الإنْسانُ . |
| جَعَلَ لَها رَواسِيَ | : جَعَلَ لها جِبالاً ثابِتَةً ، ثَبَّتَ بها الأرْضَ . |
| جَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حاجِزاً | : جَعَلَ مانِعاً بَيْنَ الماءِ العَذْبِ والماءِ المالحِ . |
| يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ | : يَسْتَجيبُ دَعْوَةَ ذِي الحاجَةِ الَّتي اضْطرَّتْهُ إلى الطَّلَبِ . |
| يَكْشِفُ ٱلسُّوءَ | : يَرْفَعُ الضُّرَ والأذَى . |

| | |
|---|---|
| يَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ | : يَجْعَلُكُمْ تَرِثونَ الأرْضَ عَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ ، وتَسْكُنونَهَا بَعْدَهُمْ . |
| يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ | : يُرْشِدُكُم إلى مَقاصِدِكُمْ في سَيْرِكُمْ في الظَّلامِ بَرّاً وبَحْراً . |
| بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ | : مُبَشِّراتٍ قُبَيْلَ نُزولِ الغَيْثِ . |
| تَعَالَىٰ اللهُ | : تَنَزَّهَ اللهُ عَنِ النَّقْصِ . |
| هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ | : قَدِّموا دَلِيلَكُمْ وحُجَّتَكُمْ على أَنَّ للهِ شَريكاً . |

## التفسيرُ :

وَرَدَ في الآياتِ السَّابقَةِ قَصَصُ أربعةٍ مِنَ الأنبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ وهِيَ قَصَصٌ تَدُلُّ علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ وعلىٰ أَنَّ مُحَمَّداً هُوَ رسُولُ اللهِ ﷺ كَما تَدلُّ علَىٰ وحدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وحِكْمَتِهِ سُبحانَهُ . وتُقَدِّمُ هذهِ الآياتُ الأَدِلَّةَ علىٰ وَحْدَانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، ونَفْيِ الشُّرَكاءِ مِنَ الآلِهَةِ المَزْعومينَ .

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ .

بِمَا أَنَّ الآياتِ السَّابقةَ تَحدَّثَتْ عَنْ أنبياءَ سَابقينَ ، وأَثْبَتَتْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فإنَّ هٰذهِ الآيَةَ خِطابٌ مِنَ اللهِ لِنبيِّهِ ﷺ يَقولُ اللهُ لَهُ : احْمَدْ ربَّكَ واشْكُرْهُ علىٰ نِعَمهِ الَّتِي لا تُحْصَىٰ ، وسَلِّمْ علىٰ الَّذِينَ اصْطَفاهُمُ اللهُ واخْتارَهُم مِنْ بَيْنِ عِبادهِ الصَّالِحينَ ، فَجَعَلَهُمْ أنبياءَ ورُسُلاً ، وهٰذا الخِطابُ لَيْسَ خاصّاً بِرَسولِ اللهِ ﷺ بَلْ هُوَ يَشْمَلُ الأُمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَكُلُّ مُسْلِمٍ مَأْمورٌ بِحَمْدِ اللهِ وشُكْرِهِ والصَّلاةِ والسَّلامِ على رُسُلِهِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

ويُنْكِرُ اللهُ علىٰ المُشْرِكينَ عِبادَتَهُمْ لِغَيرِ اللهِ ، ويُبيِّنُ ضَلالَتَهُمْ وجَهْلَهُمْ في ذَلِكَ ، فَيَقولُ : أَيُّهُما خَيْرٌ ؟ اللهُ رَبُّ العَالَمينَ أَوِ الَّذي يُشْرِكونَ بِهِ مِنَ الأَصْنامِ ؟

ولا يَدلُّ هذا الاسْتِفْهامُ عَلى المُوازَنَةِ بَيْنَ خَيْرِ اللهِ وخَيْرِ الشُّرَكاءِ المَعْبودينَ بالباطِلِ ، لأنَّ الشُّرَكاءَ لا يُقدِّمونَ خَيْراً أَبَداً ، والخَيْرُ كلُّهُ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، والهَدَفُ مِنَ الاسْتِفْهامِ هُوَ توبيخُهم وذَمُّهُمْ وَتَهكُّمٌ بِهِمْ ، لأَنَّهُمْ آثَرُوا عِبادَةَ الأَصْنامِ علىٰ عِبادةِ اللهِ وَحْدَهُ .

﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ ﴾ .

بَعْدَما بيَّنتِ الآيَةُ السَّابقةُ أَنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ بيَدِ اللهِ ، وأَنَّ الشُّرَكاءَ لا خَيْرَ فيهِم ؛ لأَنَّهُمْ لا يَمْلِكونَ شَيْئاً ؛ ذَكَرَتْ هذهِ الآيَةُ دَليلاً علىٰ وَحْدَانيةِ اللهِ ، وَهُوَ خَلْقُ السَّماواتِ والأَرْضِ وإنزالُ الماءِ مِنَ السَّماءِ ، وإنباتُ الزَّرْعِ والأَشْجارِ بِهِ . يَقولُ اللهُ لِلمُشرِكينَ : أَيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادَةُ الأَوْثانِ والأَصْنامِ

الَّتي لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ ، أَوْ عِبادَةُ اللهِ الخالِقِ ؟ إِنَّ اللهَ هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ السَّبْعَ ، وخَلَقَ الأَرْضَ الصَّالحةَ لِلحياةِ ، وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ، فأَحْيا بِهِ الأَرْضَ ، وأَنْبَتَ بِهِ النَّباتَ والزُّروعَ والأَشْجارَ والثِّمارَ ، وجَعَلَ البَساتينَ الجَميلةَ ، والحَدائقَ الحَسَنةَ البَهيجَةَ وأَنتُمْ مِنْ دونِ هٰذا الماءِ لا تَقْدِرُونَ علىٰ إِنباتِ الأَشْجارِ والزُّروعِ . إِنَّ العِبادةَ لا تَكونُ إِلاَّ للهِ لأَنَّهُ المُتفرِّدُ بالخَلْقِ والرِّزقِ سُبحانَهُ وتعالَىٰ ، ولاَ يَصِحُّ أَنْ يَكونَ مَعَ اللهِ إِلهٌ آخَرُ يُعْبَدُ . والمُشْرِكونَ مُجْرِمونَ ظالِمونَ عندَما جَعَلَوا مَعَ اللهِ آلِهَةً وساوَوْها بِهِ ، وجَعَلوها شُركاءَ لَهُ .

والَّذي لا يَخْلُقُ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكونَ إِلَهاً . قالَ تعالىٰ : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرونَ﴾ [النحل : ١٧] .

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

قدَّمَتِ الآيةُ دَليلاً آخَرَ علىٰ وَحْدانيةِ اللهِ ، يَقولُ اللهُ لِلمُشْرِكينَ : أَيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادةُ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، أَوْ عِبادَةُ اللهِ الخالِقِ الحَكيمِ المُتصرِّفِ ؟ إِنَّهُ الَّذي جَعَلَ الأَرْضَ مُسْتَقرّاً للإِنسانِ والحَيوانِ وجَعَلَ الأَنْهارَ تَجْري خِلالَها ، وجَعَلَ فيها جِبالاً ثابِتةً شامِخَةً ، تُرسي الأَرْضَ وتُثَبِّتُها لِئَلاَّ تَتَحركَ ، وجَعَلَ حاجِزاً بَيْنَ الماءِ العَذْبِ والماءِ المالِحِ ، لِئَلاَّ يَخْتَلِطا ويَمْتَزِجا فَيُفْسِدُ أَحَدُهُما الآخَرَ .

إِنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي فَعَلَ هٰذا ، فَكَيْفَ جَعَلَ المُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً وعَبَدُوها مِنْ دُونِهِ ، مَعَ أَنَّها لَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ ؟ إِنَّ أَكْثَرَ المُشْرِكينَ لا يَعْلَمونَ قَدْرَ عَظَمَةِ اللهِ ، فَيَعبُدونَ معَهُ غَيْرَهُ ، وبذلِكَ يُوقِعونَ بأَنْفُسِهِمُ الهَلاكَ .

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ دَليلٌ آخَرُ علىٰ وَحْدانيةِ اللهِ ، وهُوَ مِنْ واقعِ حَياةِ النَّاسِ . يقولُ اللهُ لَهُم : أَيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادَةُ الأَصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ؛ أَوْ عِبادةُ اللهِ رَبِّ العَالَمينَ ، الَّذي يُجيبُ المُضْطَرَّ المُحْتاجَ عِنْدَما يَلْجأُ إِليهِ ؟ يَدْعوهُ ويَتضرَّعُ إِليهِ ، إِنَّ هذا المُضْطَرَّ بِسَببِ فَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ كَرْبٍ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ اللهَ ، وإِنَّ اللهَ يَسْتجيبُ دَعْوَتَهُ ، ويَكْشِفُ عنهُ السُّوءَ الَّذي وَقَعَ بِهِ .

وإِنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يتكفَّلُ بحياةِ النَّاسِ ، ويَحْفَظُهُمْ ويَرْعاهُمْ ، ويَدْفَعُ عَنْهُمُ الأَخْطارَ ، ويَسْتَخْلِفُهُمْ في الأَرْضِ ، فيأْتِي بِقَرْنٍ مِنَ النَّاسِ يَخْلفُونَ الّذينَ قَبْلَهُمْ ، يسكُنونَ الأَرْضَ بَعْدَهُمْ ويَرِثونَهم فيها .

اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ هذا بالنَّاسِ ، فَكيفَ جَعَلَ المُشْرِكونَ آلِهَةً مَعَهُ ، وعَبدُوها مِن دُونِهِ ؟ مَا أَقلَّ تذكُرَهُمْ لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ولَوْ تذكَّرُوهَا لَمَا عَبدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ .

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

تُقَدِّمُ هذهِ الآيةُ دَليلاً آخَرَ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ؛ مَأخوذاً مِنْ حَرَكَتِهِمْ علىٰ الأرْضِ ، وانتفاعِهِمْ بِمَا فيها ، يَقولُ اللهُ لهُمْ : عِبادةُ الأصْنامِ الَّتِي لا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ أوْ عِبادةُ اللهِ ربِّ العَالَمينَ ؟ وهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُرشِدُكُمْ إلىٰ الطَّريقِ ويَهديكُمْ سُبُلَكُمْ ، وأنْتمْ مُسافِرونَ في ظُلُماتِ البرِّ والبَحْرِ ، وخَلَقَ لكُمْ مِنَ الدَّلائلِ السَّماويَّةِ والأَرْضيَّةِ كالنُّجومِ والجِبالِ وغيرِهَا ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهْتَدوا بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

واللهُ وحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَيْكُمُ الرِّياحَ تَسْبِقُ نُزولَ الغَيْثِ ، تُبَشِّرُ بِقُرْبِ وُصولِهِ ، وبَعْدَ ذَلِكَ يُنزِلُ عَلَيْكُمُ الغَيْثَ رَحْمَةً مِنهُ بِكُمْ ، فَيُحْيِي بِهِ الأرْضَ ويُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ .

اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ هذا ، فَكَيْفَ جَعَلَ المُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً عَبدُوهَا مِنْ دُونهِ ؟ تعالىٰ اللهُ وَتنزَّهَ عمَّا يُشْرِكونَ بهِ ومَعَهُ ، لأنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَريكٌ .

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

في هٰذهِ الآيةِ دَليلٌ آخرُ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، مَأخوذٌ مِنَ البدايةِ والنِّهايةِ والرِّزقِ ، يقولُ اللهُ لَهُمْ : أيُّهُما خَيْرٌ ؛ عِبادةُ الأصْنامِ الَّتي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، أوْ عِبادةُ اللهِ رَبِّ العالَمينَ ؟ إنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ المُبْدِعُ لِلخَلْقِ ، خَلَقَ المَخْلوقاتِ كُلَّها مِنْ غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ ، وخَلَقَ النَّاسَ وتَكفَّلَ بِهِم ، ورزَقَهُمُ الرِّزقَ الكَثيرَ ، رَزَقَهُمْ مِنَ الماءِ النَّازِلِ مِنَ السَّماءِ ، ومِنَ الزُّروعِ والثِّمارِ النَّاتِجةِ مِنَ الأرْضِ ، وهُوَ الَّذي يُميتُ النَّاسَ عِنْدَما تَحينُ آجالُهُمْ ، وهُوَ الَّذي يَبْعَثُهُمْ يَوْمَ القِيامةِ ويُعيدُ لَهُمُ الحَياةَ مَرَّةً أُخْرىٰ . قالَ تعالىٰ : ﴿وَهُوَ الَّذي يَبْدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم : ٢٧] .

إنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يَفْعَلُ ذَلكَ ، فَكَيْفَ جَعَلَ المُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً عبَدوهَا مِنْ دونهِ ؟

إنَّهُ لا إِلَهَ مَعَ اللهِ ، وإذا كَانَ المُشْرِكونَ مازالُوا يُؤْمنونَ بوجودِ إلٰهٍ مَعَ اللهِ ، فَعَلَيْهِمْ أنْ يُقدِّمُوا دَليلاً مُقْنِعاً وبُرْهاناً واضِحاً ، إنْ كانُوا صادِقينَ مَعَ أنْفُسِهِمْ ومَعَ غَيْرِهِمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ وحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ مِنْ دُونِ الآلِهَةِ الأُخْرى الّتي لا تَمْلِكُ شَيْئاً مِنْ خَصائِصِ اللهِ .

٢ـ الدَّلائِلُ الدَّالَّةُ على وَحْدانيةِ اللهِ كَثيرةٌ لا تُحْصى مَبْثوثةٌ في الكَوْنِ الّذي نَعيشُ فيهِ .

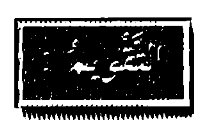
٣ـ الخَيْرُ كُلُّهُ عِنْدَ اللهِ وبيدهِ ، فَكَيْفَ يَعْبُدُ المُشْرِكونَ غَيْرَهُ ، مِمَّنْ لا يَقْدِرُ علىٰ شَيءٍ ؟

٤ـ وُجوبُ تَقْديمِ الأدلَّةِ اليَقينيَّةِ المُقْنِعَةِ لِمَسائِلِ العَقيدةِ ، وجِدالُ الكُفَّارِ بالحُسْنى لإقناعِهِمْ .

٥ـ يُسْرُ الدَّليلِ القُرآنيِّ لِمَسائِلِ العَقيدةِ وبَساطَتُهُ ، لأنَّهُ مَأْخوذٌ مِنَ الواقعِ الّذي يَشْهَدُهُ النَّاسُ ويَعْرِفونَهُ .

٦ـ مُطالَبَةُ المُخالِفينَ تَقديمَ البُرْهانِ والدَّليلِ علىٰ صِحّةِ ما عِنْدَهُمْ ، وإنْ يُقدِّموهُ ظَهَرَ بُطلانُ ما هُمْ عَلَيْهِ .

٧ـ يُعلِّمُنا اللهُ كَيْفَ نُواجِهُ المُشْرِكينَ بالحُجَّةِ والبُرهانِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ مَا نوعُ الاسْتفهامِ في قَوْلِهِ : آللهُ خَيْرٌ أمَّا يُشْرِكونَ ؟ ب ـ وَما الهَدَفُ منهُ ؟ ج ـ وهَلْ عِنْدَ الَّذينَ يُشْرِكونَ باللهِ خَيْرٌ ؟

٢ـ وضِّح الدَّليلَ الأوَّلَ الَّذي قَدمَتْهُ آياتُ الدَّرْسِ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، ومَا مَعنَىٰ قولهِ : ﴿بَلْ هُمْ قَومٌ يَعْدِلونَ﴾ ؟

٣ـ الدَّليلُ الثَّاني على الوَحْدانيَّةِ ذُكِرَ فيهِ أَرْبعةُ أَفْعالٍ مِمَّا يَحْدُثُ علىٰ الأَرْضِ بأَمْرِ اللهِ وحْدَهُ ، اذكرْهَا وبيِّنْ معانِيها .

٤ـ الدَّليلُ الثَّالثُ علىٰ الوَحْدانيَّةِ يَتعلَّقُ بالإنْسانِ ، كَيْفَ تَسْتَدِلُّ أَنْتَ بهِ علىٰ الوَحْدانيَّةِ ونفيِ الشِّرْكِ ؟

٥ـ كَيْفَ يَهدِي اللهُ النَّاسَ فِي ظُلُماتِ البرِّ والبَحْرِ ؟ وكَيْفَ يُرسِلُ الرِّياحَ مُبشِّراتٍ ؟ وَمَا الدَّليلُ على ذلكَ ؟

٦ـ الدَّليلُ الخامِسُ علىٰ الوَحْدانيَّةِ يَتعلّقُ بالبِدْءِ والإعادَةِ ، وضِّحْ ذَلِكَ .

**نَشاطٌ :**

١ـ أَوْرِدْ آيةً مِنْ سُورةِ الأَنْعام تَدُلُّ علىٰ أَنَّ النُّبوَّةَ اصْطفاءٌ مِنَ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالتَهُ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٩) ، واكْتُبْ ذٰلِكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ تَتَحدَّثُ الآيةُ الأَخِيرةُ مِنْ سُورةِ الأنعام عَنِ اسْتِخلافِ النَّاسِ فِي الأَرْضِ ، سَجِّلِ الآيةَ في دَفْترِكَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٦٢) .

٣ـ هُناكَ آيةٌ في أواخِرِ سُورَةِ ( المُؤْمنونَ ) تُبيِّنُ أَنَّ المُشْرِكينَ خاسِرونَ لأَنَّهُمْ يَعْبُدونَ آلِهَةً لا بُرهانَ لَهُم عَلَيْها . سجِّلِ الآيَةَ وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٦٤) .

* * *

# الدرس الثامن والثلاثون

## سورة النمل - القسم العاشر

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| مَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثون | : لاَ يَعْرِفُ الْكُفَّارُ مَتَىٰ يُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ . |
| ٱدَّارَكَ | : تَلاحَقَ وَتَتابَعَ . |
| بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ | : هُمْ عُمْيُ ٱلْقُلوبِ وَٱلْبَصائِرِ ، وَلِذٰلِكَ يُنْكِرُونَ ٱلْحَقَّ وَٱلآخِرَةَ . |
| أَإِنَّا لَمُخْرَجونَ | : هَلْ نَخْرُجُ أَحياءً مِنْ قُبُورِنَا ؟ |
| أَساطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ | : أَكاذِيبُ ٱلأَقْدَمِينَ ٱلسَّابِقِينَ . |
| عاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ | : نِهايَةُ ٱلْكُفَّارِ وَهَلاكُهُمْ . |
| لاَ تَكنْ فِي ضَيْقٍ | : لاَ يَضيقُ صَدْرُكَ بِهِمْ وَتَحْمِلُ ٱلْهَمَّ مِنْ أَجْلِهِمْ . |

### التفسير :

قدَّمتِ الآياتُ السَّابقةُ الأدلَّةَ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وناقشَتِ المُشْرِكينَ في عِبادَتِهِمُ الباطِلَةِ لِغَيْرِ اللهِ ، وبيَّنَتْ بَعْضَ أَفْعالِ اللهِ فِي الكَوْنِ والحَياةِ والإِنْسانِ .

وَتَأْتي آياتُ هذا الدَّرْسِ لِتُقَرِّرَ أَمْرَ الآخِرَةِ والبَعْثِ والحِسَابِ والجَزاءِ ، وتُبَيِّنُ لِلمُشْرِكينَ جَهْلَهُم بالآخِرَةِ ولِذلكَ أَنْكَرُوا وقُوعَها .

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَىٰ ـ اخْتَصَّ بِعِلْمِ الغَيْبِ ، فَالغَيْبُ المَجْهولُ المَسْتورُ لا يَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ .

ويَأْمرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لِلنَّاسِ : لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ المَخلوقينَ الغَيْبَ ، سَواءٌ أكانوا مَلائِكَةً في السَّمواتِ أَمْ إِنْساً وجِنّاً علىٰ الأرْضِ . واللهُ وَحْدَهُ هُو المُتَفرِّدُ بِعِلْمِ الغَيْبِ ؛ لأنَّهُ أَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً ، وهُوَ سُبْحانَهُ عالِمُ الغَيْبِ ؛ لأنَّهُ أَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً ، وهُوَ سُبحانَهُ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادةِ .

واللهُ يُطْلِعُ مَنْ يَشاءُ مِن عِبادِهِ علىٰ بَعْضِ أَنْباءِ الغَيْبِ ، فَيَعْلَمونَ تِلْكَ الأَنْباءَ بَعْدَ تَعليمِ اللهِ لهُم .

قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً إلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسولٍ﴾ [الجن : ٢٦ـ٢٧] .

وبعدَما نفىٰ اللهُ عَنِ المَخْلوقينَ عِلْمَ الغَيْبِ بِصورةٍ عَامَّةٍ نَفىٰ عَنْهُمُ العِلْمَ بِمَسْأَلةٍ غَيْبِيَّةٍ خاصَّةٍ ؛ هِيَ وَقْتُ قيامِ السَّاعةِ ، وبَعْثِ النَّاسِ أحياءً مِنْ قُبورِهِمْ .

إنَّ المَخْلوقينَ جَميعَاً لا يَعْلَمُونَ ولا يَدْرونَ ولا يَشْعرونَ متىٰ تَقومُ السَّاعةُ ومَتى يُبْعثونَ مِنْ قُبورِهِمْ ، ونَفْيُ الشُّعورِ بِوَقْتِ قِيامِ السَّاعةِ أَبْلغُ مِنْ نَفْيِ العِلْمِ بِهَا ، لأنَّ الشُّعورَ خَفِيٌّ غامِضٌ .

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

إذَا كانَ النَّاسُ جَميعاً لا يَعْلَمُونَ متىٰ تقومُ السَّاعةُ ، سَواءً أكانوا مُؤْمِنينَ أَمْ كافِرينَ ، فإنَّ المُؤْمِنينَ لا يُنْكِرونَ قِيامَ السَّاعةِ ومَجيءَ يَوْمِ القِيامةِ ، بلْ يُوقِنونَ بِذلك لأنَّ اللهَ أَخْبَرَهُمْ بهِ ، وهُوَ عالِمُ الغَيْبِ .

أمَّا الكُفَّارُ فإنَّهُمْ يَجْعلونَ جَهْلَهُمْ بوقتِ قيامِ السَّاعةِ دَليلاً علىٰ عَدَمِ قُدومِها ، وقَدْ أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ قَدْ تَدارَكَ عِلْمُ الكُفَّارِ في الآخِرَةِ ، وتَتابعَ وتَلاحَقَ ، حتَّىٰ نَقَصَ وتَلاشىٰ وانْتَهىٰ ، وبذلِكَ قصَّرَ عَنِ الوُصولِ إليْها ، وَوقفَ دُونَها لا يَبْلُغُها .

وبِمَا أَنَّ عِلْمَهُمْ قصَّرَ عَنِ الوُصولِ إلىٰ الآخِرَةِ ، فإنَّهُم لَمْ يَأْخذوا أَخْبارَها مِنَ اللهِ العالِمِ بِها ، وإنَّما وَقعُوا في شَكٍّ وحَيْرَةٍ ، مِنْ قُدومِ الآخِرَةِ ووُجودِها ، هَلْ تأْتِي أمْ لا ؟

وارْتَقىٰ في الآيةِ مِنْ وصْفِهِمْ بالشَّكِّ مِنْ مَجيءِ الآخِرَةِ إلىٰ وصْفِهِمْ بالعَمَىٰ عنْها ، فَقَدْ أَصابَ

هـٰذا العَمَىٰ قُلوبَهُمْ وبَصائِرَهُمْ ، فلا يُبصِرونَ الدَّلائِلَ الَّتي تَدُلُّ عليْهَا ، ولا يُدْرِكُونَ شَيْئاً مِنْ طَبيعَتِها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ لا عِلْمَ لَهُم بالآخرةِ ، وَهُمْ شَاكُّونَ فيهَا ، وعُمْيٌ عَنِ الدَّلائِلِ الَّتي تَدُلُّ عَلَيْها ، ولِذَلكَ أنكرُوا مَجيئَها ، واسْتَبْعدُوا العَوْدةَ لِلحياةِ بَعْدَ المَوْتِ ، ويَعُدّونَ الوَعْدَ بِهَذا أُسْطورَةً كاذِبةً .

قالَ الكُفَّارُ المُنْكِرونَ لِلآخرةِ : لَقَدْ ماتَ آباؤُنا وصَاروا تُراباً ونَحْنُ سَنموتُ ونَصيرُ تُراباً ، فَهَلْ ستُعادُ إِلَيْنا الحَياةُ يَوْمَ البَعْثِ ؟ وهلْ سَنَخْرُجُ أَحْياءً مِنْ قُبورنا ؟ أمْ هذا لَنْ يَكونَ ؟ وقَدْ سَمِعنا هذا الوَعْدَ كَثيراً كمَا سَمِعَهُ آباؤُنَا مِنْ قَبْلِنا كثيراً ، ولَكنَّهُ لَمْ يَتحقَّقْ ، فَلَمْ نرَ أَحَداً قامَ حَيّاً بَعْدَ مَوْتهِ ، فهذا الوَعْدُ بالْعَوْدَةِ إلى الحَياةِ أُكذوبةٌ وخُرافةٌ مِنْ أَساطيرِ السَّابقينَ يَتناقلهَا النَّاسُ مِنْ بَعدِهِمْ .

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

بِمَا أَنَّ الكافرينَ كَذَّبُوا بالبَعْثِ فهُمْ مُجْرِمُونَ وقدْ كانَ قَبْلَهُمْ مُجْرِمُونَ ومُكذِّبونَ ، فأَهْلَكَهُمُ اللهُ . وهُنا يَدعُوهُمُ اللهُ إِلىٰ أنْ يَتَّعِظُوا بِمَا جَرىٰ لِلَّذينَ مِنْ قَبْلِهم فيأْمُرُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لَهُمْ : سِيروا في أَرْضِ الحِجازِ واليَمنِ والشَّامِ وغَيْرِها ، وتَعرَّفُوا علىٰ مَصيرِ مَنْ سَبَقَكُمْ مِنَ المُكَذِبينَ ، وانْظُرُوا كَيْفَ كانتْ عَاقِبَةُ كُفْرِهِمْ وإِجْرامِهِمْ ، أَلَمْ يُدمِّرْهُمُ اللهُ ؟ وإِنْ لَمْ تَتخَلَّوْا عَنِ التَّكذيبِ فَسَيُصيبُكُم ما أَصَابَهُمْ .

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

إِنِ اسْتَجابَ الكُفَّارُ لِلدَّعوةِ واعتبَروا بِمَا جَرىٰ لِمَنْ قَبْلَهُمْ وآمنُوا فهـٰذا خَيْرٌ لَهُمْ ، وإِنْ رَفضُوا ذَلِكَ واسْتَمرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ ، فعلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ أنْ لا يَحْزَنَ عَلَيْهِمْ لِكُفْرِهِمْ ولِخَسارَتِهِمْ ، فلَقَدْ نَصَحَهُمْ وَلكنَّهُمْ رَفضُوا النَّصيحَةَ فاسْتَحقُّوا العَذابَ ، كَمَا أَنَّ عَلَيْهِ أَلاَّ يَضيقَ صَدْرُهُ بمَكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ وتآمُرِهِمْ عَلَيْهِ ، فإِنَّهُمْ لا يَضرُّونهُ شَيْئاً وإِنَّ اللهَ مَعَهُ يَنْصُرُهُ ويُؤَيِّدُهُ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على العِبادِ أنْ يُؤمِنوا بِعلْمِ الغَيْبِ الصَّادِقِ الَّذي صَحَّ عَنِ اللهِ وعَنْ رُسُلهِ ، ومِنْهُ العِلْمُ باليوم الآخِرِ .

٢ـ عِلْمُ البَشَرِ مَحْدودٌ قَليلٌ مَهْما أُوتُوا مِنْ عِلْمٍ ، والعِلْمُ الكامِلُ الشَّامِلُ إِنَّما هُوَ للهِ .

٣ـ الكُفَّارُ يُنكِرُونَ وُجودَ ما لَمْ يَعلَمُوهُ وُيشاهِدُوهُ وهـٰذا مِنْ جَهْلِهِمْ وسُوءِ نَظَرِهِمْ .

٤ـ الكُفَّارُ يُكذِّبُونَ بِالآياتِ الَّتي تتحدَّثُ عنِ الآخِرَةِ ، ويَعُدُّونَها مِنْ أَساطيرِ الأَوَّلِينَ .
٥ـ السَّيْرُ في الأرْضِ ورُؤْيَةُ آثارِ السَّابِقينَ يقودُ إلىٰ العِبْرةِ والعِظَةِ .
٦ـ إهلاكُ المُكَذِّبينَ المُجْرِمينَ سُنَّةٌ رَبانيَّةٌ مُطَّرِدَةٌ .
٧ـ علىٰ المُؤْمِنِ الدَّاعيةِ أنْ لا يَحْزَنَ بَعْدَ دَعْوَةِ الكُفَّارِ ، وأنْ لاَ يَخْشاهُمْ لأنَّهُ فِي رِعايةِ اللهِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :
١ـ اذكرْ آيتيْنِ تَدلاّنِ علىٰ أَنَّ اللهَ اخْتَصَّ بِعِلْمِ الغَيْبِ وحْدَهُ .
٢ـ كَيْفَ يَعْلَمُ البَشَرُ بَعْضَ أنباءِ الغَيْبِ ؟ وما دَليلُكَ علىٰ ذلكَ ؟
٣ـ لماذا نَفَتِ الآيةُ عنِ الكُفَّارِ شُعورَهُمْ بوقتِ قيامِ السَّاعَةِ ؟
٤ـ مَا معنى قولهِ : ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهمْ بالآخِرَةِ﴾ ؟
٥ـ لِمَاذَا يأمُرُ اللهُ المُنْكِرينَ بالسَّيْرِ في الأَرْضِ ؟ وما هِيَ السُّنَّةُ الرَّبانيَّةُ الَّتي تَأْخُذُها مِنْ ذلكَ ؟
٦ـ مَا هِي الشُّبْهَةُ الَّتِي اعْتَمدَ عَليْهَا الكُفَّارُ في إنكارِ البَعْثِ ؟
٧ـ بِمَ يأمرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ والدُّعاةَ عِنْدَ كُلٍّ مِنْ :
أـ إِصرارِ الكُفَّارِ علىٰ كُفْرِهِمْ بَعْدَ تَبليغِهِمُ الدَّعوةَ .
ب ـ مَكْرِ الكافرينَ وتآمُرِهِمْ .

## نَشاطٌ :

١ـ أخْبَرَتْ الآيةُ ( ٥٩ ) مِنْ سُورةِ الأنعام أَنَّ مَفاتيحَ الغَيْبِ عِنْدَ اللهِ ، وهـٰذهِ المَفاتِحُ مَذكورةٌ في الآيةِ ( ٣٤ ) مِنْ سورةِ لُقْمانَ . سَجِّلِ الآيتيْنِ ، واسْتخْرِجْ مِنْهُما مَفاتِحَ الغَيْبِ الخَمْسةِ .
٢ـ حَرْفُ « بَلْ » لِلإِضْرابِ والانْتِقالِ ، وهُوَ مَذكورٌ في الآيةِ (٦٦) ثلاثَ مَرَّاتٍ ، اذْكُرِ الصِّلَةَ بَيْنَ الجُمَلِ الثَّلاثةِ ، ووَصْفَها لأَحْوالِ المُشْركينَ وحِكْمَةَ التَّعبيرِ بِحرْفِ « بَلْ » في كلِّ واحِدَةٍ مِنْها ، واكْتُبِ الإِجابةَ في دَفْترِكَ .
٣ـ ذَكَرَتِ الآياتُ الأَخيرةُ مِنْ سورةِ يسٓ الَّذي اسْتَبعدَ البَعْثَ وحَياةَ العِظامِ وهِيَ رَميمٌ ، ورَدَّتْ عَليْهِ ، سجِّلِ الآياتِ واسْتَخْلِصْ مِنْهَا الدَّليلَ الَّذي أَوْرَدَتْهُ علىٰ البَعْثِ .

# الدَّرسُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ

## سُورَةُ النَّمْلِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ : مَتَىٰ يَقَعُ بنا ٱلْعَذابُ ٱلَّذي تُهَدِّدونا بِهِ .

رَدِفَ لَكُمْ : تَبعَكُمْ وَلَحِقَكُمْ .

ما تُكِنُّ صُدورُهُمْ : ما تُخْفيهِ صُدورُهُم .

ما يُعْلِنونَ : مَا يُظْهِرونَهُ مِنْ أَقْوالٍ وَأَفْعالٍ

غائِبَةٍ : أَيُّ شَيْءٍ خَفِيٍّ عَنِ النَّاسِ . وَالتَّاءُ فِيها لِلْمُبالَغَةِ ؛ فَهِيَ بِمَعْنَىٰ : غائِبٍ .

فِي كِتابٍ مُبينٍ : فِي ٱللَّوْحِ ٱلْمَحْفوظِ .

### التَفسيرُ :

أَخْبَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ إِنكارِ الكُفَّارِ لِلآخِرَةِ ، وَدعَتْهُمْ إِلىٰ السَّيْرِ في الأَرْضِ لِلاعْتبارِ بِهَلاكِ المُكَذِّبينَ السَّابِقينَ .

ولكنَّ الكُفَّارَ لا يَعْتبِرُونَ ، واسْتَمرُّوا فِي إِنكارِهم وتكذيبِهم ، فَتُهَدِّدُهُمْ هـٰذِهِ الآياتُ بالعَذابِ ، وتتحدَّثُ عنْ شُمولِ عِلْمِ اللهِ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُهَدِّدُ المُشْرِكينَ بالعَذابِ في الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ ، إنِ اسْتَمرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ ، ويَدعُوهُمْ إلىٰ السَّيْرِ فِي الأرْضِ لِمُشاهدةِ آثارِ المُعذَّبينَ السَّابِقينَ لِيعْتَبروا ويتَّعِظُوا بِما أصابَهُم .

ولكنَّهُمُ اسْتقبَلوا هٰذا التَّهْديدَ بالاسْتِخْفافِ ، وأَخَذوا يَسْأَلونَ عَنْ مَوْعِدِ قُدومِهِ سؤالَ اسْتِبعادٍ واسْتِهانةٍ ـ ويَقولونَ لِلمُؤْمنينَ : أنتُمْ تُهَدِّدونَنا بِوقوعِ العَذابِ بنا ، وقدِ انْتَظرناهُ فَلَمْ يَقَعْ ، فَأَخْبِرُونا مَتىٰ مَوْعِدُ قُدومِهِ إلَيْنا ، إنْ كُنتُم صادقينَ في دَعْواكُم أَنَّ العَذابَ قادِمٌ .

ومِنَ اسْتِخْفافِهِمْ بالعَذابِ أَنَّهُمْ كانوا يَطْلُبونَ مِنَ اللهِ إيقاعَهُ بِهِمْ .

﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

جاءَ الرَّدُّ علىٰ طَلَبِهِمُ العَذابَ مُخيفاً ، والتَّهديدُ مُرْعِباً ، فَيَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ : أنتُمْ تَسْتَعْجِلونَ العَذابَ فانتَظِروهُ ؛ لَعلَّهُ قادِمٌ إليكُمْ عَنْ قَريبٍ ، وعسَىٰ أنْ يكونَ لَحِقَكُمْ وتَبعَكُمْ واقْتَرَبَ مِنْكُم ، وأنتُمْ لا تَشْعرونَ بهِ .

وهٰذا فيهِ مِنَ الرُّعْبِ والخَوْفِ والهَوْلِ مَا فِيهِ ؛ لأنَّهُ يَجْعَلُ العَذابَ وراءَهُمْ رديفاً لَهُمْ ، كَما يَكونُ الرَّديفُ وراءَ الراكبِ فَوْقَ الدَّابةِ ، تَحْمِلُهُما مَعاً ! ! فالعَذابُ رَديفُهُمْ قَريبٌ مِنْهُمْ وهُمْ لا يَشْعُرونَ بِهِ ، ويَسْتَعْجِلونَ وُقوعَهُ .

وقدْ وقَعَ بِهِم ذٰلِكَ العَذابُ فِي الدُّنْيا يومَ بَدْرٍ ، حَيْثُ هزمَهُمُ اللهُ وقَتَلَ زُعماءَهُمْ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

لِماذا يؤخِّرُ اللهُ العَذابَ عَنِ الكُفَّارِ مَعَ أَنَّهُم يَطلبونَهُ ويَسْتَعْجِلونَهُ ؟ يُؤخِرُهُ تفضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ ، ويُؤَخِّرُ العُقوبةَ عَنِ الكافِرينَ والمُذْنبينَ مِنْهُمْ .

ومَعَ ذلكَ الفَضْلِ والإنعامِ مِنَ اللهِ ، إلاَّ أَنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرونَهُ علىٰ فَضْلِهِ سُبحانَهُ ، وإنَّما يُقابِلُونَ إنْعامَهُ بالجُحودِ ، ولاَ يَشْكُرُهُ إلاَّ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ ، وهُمْ قَليلٌ !

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وفي هٰذهِ الآيةِ تهديدٌ أيضاً للكُفَّارِ المُسْتَعْجِلينَ لِلعذابِ ، فاللهُ لَمْ يتركْهُمْ ويُهْمِلْهُمْ عندَما أخَّرَ العَذابَ عَنْهُمْ ، فهُوَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَقولونَهُ ويَفْعلونَهُ ، وما يُخفونَهُ ويُظهرونَهُ ، ويُسجِّلُهُ عَلَيْهِمْ ، وسَيُحاسِبُهم عَلَيْهِ يومَ القِيامةِ .

وإنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ شيءٍ ، ويَعْلَمُ كُلَّ مَا عِندَ النَّاسِ ، ما يُظهرونَهُ ويُعلنونَهُ مِنَ الأقْوالِ والأفْعالِ ،

وما يُسرّونَهُ ويُخْفونَهُ ، وما فِي القُلوبِ والضَّمائرِ والسَّرائرِ ، كُلُّ ذَلكَ يَعْلَمُهُ اللهُ مِنْ أصْحابِهِ ، ويُحْصيهِ عَليْهِمْ ، ثُمَّ يُحاسِبُهُمْ عَليْهِ .

وإنَّ شُعورَ المُؤْمِنِ بهذهِ الحَقيقةِ يَدعُوهُ إلىٰ أنْ يَحْرِصَ علىٰ طاعةِ اللهِ ، والابْتِعادِ عمَّا حَرَّمَ اللهُ ، وتَنظيفِ قَلْبِهِ وضَميرِهِ مِنَ الخواطرِ السَّيئةِ والأفكارِ البَاطِلَةِ .

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

ينتقلُ النَّصُّ مِنْ بيانِ عِلْمِ اللهِ بِمَا يُخفيهِ النَّاسُ في صُدورِهِمْ وما يُعلنونَهُ إلىٰ بيانِ شُمولِ عِلْمِ اللهِ كلَّ شيْءٍ في السَّمواتِ والأرْضِ ، لأنَّهُ سُبحانَهُ أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً .

إنَّهُ ما مِنْ شَيءٍ غَائِبٍ مَخْفِيٍّ في السَّمواتِ والأَرْضِ إلاَّ وهُوَ مَعْلومٌ عِنْدَ اللهِ ، مَوْجودٌ مَحْفوظٌ في اللَّوحِ المَحْفوظِ ، الَّذي أثْبَتَ اللهُ فيهِ كُلَّ ما سَيكونُ إلىٰ يومِ القِيامةِ .

ويَجولُ خَيالُ المُؤْمِنِ في الأرْضِ والسَّماءِ ، ورَاءَ كُلِّ غائبةٍ مِنْ شيءٍ أوْ سِرٍّ أوْ خَبَرٍ ، فإذا بِها مُقَيَّدَةٌ في عِلْمِ اللهِ ، لا يَغيبُ مِنها شَيْءٌ .

ويردِّدُ مَعَ لُقمانَ قولَهُ لابنهِ ، الَّذي أخْبَرَنا اللهُ عَنْهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ [لقمان : ١٦] . فسُبْحانَ ربِّي عَلاّمِ الغُيوبِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يَسْتَعْجِلُ عَذابَ اللهِ إلاَّ جاهِلٌ أحْمَقُ ؛ أمَّا العاقِلُ فإنَّهُ يَسْأَلُ اللهَ رَفْعَ العَذابِ .

٢ـ الكُفَّارُ يَسْتَخِفُّونَ بالعَذابِ ويَسْتَهينونَ بهِ ، وهـٰذا لَيْسَ مِنْ مَصْلَحتِهِمْ .

٣ـ قدْ يكونُ العَذابُ قريباً مِنَ الإنسانِ وهُوَ لا يشعرُ بهِ .

٤ـ الكافرُ يُقابلُ فَضْلَ اللهِ وإنعامَهُ بالجُحودِ ، والمُؤْمِنُ يُقابلُ ذلكَ بالشُّكْرِ .

٥ـ شُعورُ المُؤْمِنِ بأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يُخْفيهِ وما يُعْلِنُهُ يَدْعوهُ للإقبالِ علىٰ الطَّاعاتِ والابتعادِ عنِ المُحَرَّمَاتِ .

٦ـ سَعَةُ عِلْمِ اللهِ وإحاطَتُهُ بكلِّ شَيءٍ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا كانَ الكُفَّارُ يَسْأَلونَ عنْ مَوْعدِ يوم القيامةِ ؟ ومَاذا تَسْتَنْتِجُ أَنْتَ مِنْ ذلكَ ؟

٢ـ كَيْفَ يكونُ العَذابُ رَديفاً لِلكُفَّارِ ؟

٣ـ يَنْقَسِمُ النَّاسُ بالنِّسبةِ إلىٰ عَذابِ اللهِ قِسْمَيْنِ . اذْكُرْهُما مُسْتَخْرِجاً دَليلَ ذلكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٤ـ اللهُ يَعْلَمُ ما تُخْفيهِ أَنْتَ وما تُعْلِنهُ ؛ اذْكُرْ ثَلاثةَ آثارٍ لِهذهِ الحَقيقةِ علىٰ حَياتِكَ .

٥ـ اذْكُرْ مَعنىٰ الآيةِ الأَخيرةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

## نَشاطٌ :

١ـ وَرَدَ طلبُهمُ العَذابَ صَريحاً في الآيةِ ( ٣٢ ) مِنْ سورةِ الأنفالِ ، وذَكَرَتِ الآيةُ الَّتي بَعْدَها سببَ تَأْخيرهِ عنْهُمْ ؛ سَجِّلِ الآيتينِ في دَفْتركَ ، واسْتَخْرِجْ ذَلكَ مِنْهُما .

٢ـ سَجِّلْ آيتيْنِ أُخرَيَيْنِ بمعنى الآية (٧٤) تَتحدَّثانِ عَنْ عِلْمِ اللهِ بِالسِّرِّ والجَهْرِ .

* * *

# الدرس الأربعون

## سورة النمل - القسم الثاني عشر

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

### مَعاني المُفْرداتِ :

يَقْضي بَيْنَهُم بحُكْمِهِ : يَفْصِلُ اللهُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيامَةِ بعَدْلِهِ .

إنَّكَ عَلَىٰ الحَقِّ الْمُبينِ : أَنْتَ عَلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ الْواضِحِ .

لاَ تُسْمعُ الْمَوْتَى : لاَ يَتَأَثَّرُ بِكَ الكُفَّارُ لأنَّ قُلوبَهُم مَيتَةٌ .

لاَ تُسْمعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ : الْكُفَّارُ لاَ يَنْتَفِعونَ بِسَماعِهِمْ دَعْوَتَكَ ، كَأَنَّ بِهِم صَمَماً .

وَلَّوْا مُدْبِرِينَ : أَعْرَضوا عَنِ الْحَقِّ هارِبينَ .

عَنْ ضَلالَتِهِمْ : عَنْ كُفْرِهِمْ .

### التفسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ عِلْمِ اللهِ المُطْلَقِ ، الشَّامِلِ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي السَّماءِ والأَرْضِ وَعَنْ فَضْلِ اللهِ علىٰ النَّاسِ ، لِيَذْكُروهُ وَيَشْكُروهُ ، وتَتَحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ القُرْآنِ ، الَّذي أَنْزَلَهُ اللهُ مُفَصَّلاً لِكُلِّ شَيْءٍ .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

القُرْآنُ الكَريمُ كلامُ اللهِ ، أنْزَلَهُ علىٰ رَسولهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وجَعَلَهُ مُهَيْمِناً علىٰ ما سَبَقَهُ مِنْ كُتُبٍ كَالتَّوْراةِ والإنْجيلِ ، فما قالَهُ فهُوَ الحَقُّ الثَّابتُ الَّذي لا شَكَّ فيهِ .

وقَدِ اخْتَلَفَ بنو إسْرائيلَ فيمَا بينَهُمْ ، بالرَّغمِ مِنْ إنزالِ التَّوراةِ والزَّبورِ والإنجيلِ عَلَيْهِمْ ، وانقَسَموا إلى شِيَعٍ وأحْزابٍ مُتَقاتِلَةٍ ، وحَرَّفُوا التَّوْراةَ ، ومَلأوها بالأكاذيبِ والأساطيرِ والاتِّهاماتِ ، فَقَصَّ اللهُ في آياتِ القُرْآنِ علىٰ بَني إسْرائيلَ الحَقَّ ، وأخْبَرَهُمُ الخَبَرَ الصَّحيحَ ، وحَسَمَ المَسائِلَ الخِلافيَّةَ الَّتي فرَّقَتْهُمْ ، وذَكَرَ وجْهَ الحَقِّ فيها ، ولَوْ أنْصَفُوا لَصدَّقُوهُ واتَّبعوهُ ، لَكِنَّهُم كَفَروا وكَذَّبُوا بهِ بَغْياً وعُدْواناً .

وهٰذا يَدُلُّ علىٰ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، وأَنَّ مُحَمَّداً هُوَ رَسولُ اللهِ ﷺ لأنَّهُ كَانَ أُمِّياً ، لَمْ يَتَتَلْمَذْ علىٰ أَحَدٍ ، فمِنْ أينَ عَرَفَ تَفصيلاتِ أَخْبارِ السَّابِقينَ ؟

وهٰذا القُرْآنُ هُدىً لِلْمُؤْمِنينَ ، يُرْشِدُهُمْ لِلحقِّ ويُثَبِّتُهُم عَلَيْهِ ، كمَا أَنَّهُ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ يَرْحَمُهُمْ بهِ ، ويَجْعَلُ حَياتَهُمْ مُبارَكَةً طَيِّبَةً عِنْدَما يُطبِّقونَ أحْكامَهُ . ومَنْ لَمْ يَهْتَدِ بهَدْيِ القُرْآنِ فَهُوَ الضَّالُّ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ القُرْآنَ فاصِلاً لِلخلافِ بَيْنَ المُخْتَلِفينَ مِنْ بني إسْرائيلَ وغَيْرِهِمْ ، فإنْ أَخَذُوا بِهِ نالوا الهُدىٰ والرَّحْمَةَ ، وإنْ أصرُّوا علىٰ الكُفْرِ والتَّكذيبِ خَابوا وخَسِروا .

واللهُ لا يَدَعُ هؤلاءِ الكَافِرينَ المُخْتَلِفينَ ، وإنَّما يَقْضِي بَيْنَهمْ بِقَضائهِ العادِلِ ، ويَحْكُمُ فِيهِمْ حُكْمَهُ الصَّادِقَ ، ويَوْمَ القيامةِ يَكونُ العِقَابُ والثَّوابُ ، حَيْثُ يَنْتَقِمُ اللهُ العادِلُ مِنَ المُبْطِلِ الظَّالمِ . ويُكافِيءُ المُحْسِنَ الصَّالحَ .

وحُكْمُ اللهِ نافِذٌ ، وقَضاؤُهُ ناجِزٌ ، لأَنَّهُ لا رَادَّ لِقضائهِ ، ولا مُلْغِيَ لِحُكْمِهِ ، فَهُوَ الفَعَّالُ لِما يُريدُ . وهُوَ العَزيزُ القَويُّ سُبْحانَهُ ، الَّذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، وهُوَ العَليمُ الَّذِي أَحاطَ بكُلِّ شيْءٍ عِلْماً .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

اللهُ هُوَ العَزيزُ العَليمُ ، وهُوَ الَّذي يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِهِ العادِلِ ، ويَجِبُ التَّوكُّلُ عَلَيْهِ . ولِذلكَ يأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ بذلكَ ، ويَقولُ لهُ : توَكَّلْ علىٰ اللهِ ، وثِقْ بِهِ ، واعْتَمِدْ عَلَيْهِ ، وفوِّضْ جَميعَ أَمْرِكَ إليهِ ، وهُوَ حَسْبُكَ وكافيكَ ، يَتولَّىٰ أُمورَكَ .

ويثبِّتُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ علىٰ الحَقِّ ، فَيُذَكِّرُهُ بأَنَّهُ علىٰ الحَقِّ المُبينِ الواضِحِ ، وأَنَّ ما مَعَهُ هُوَ

القُرآنُ ؛ كلامُ اللهِ ، وأَنَّهُ رسولُ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ ناصِرُهُ علىٰ أعْدائِهِ ، ومُظْهِرُ دينهِ ، فلاَ يَلْتَفِتُ لِلأعداءِ ، ولا يَحْسِبُ لَهُمْ حِساباً .

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وَبِمَا أَنَّ الرَّسولَ ﷺ علىٰ الحَقِّ ، فَلْيَثْبُتْ عَلَيْهِ ، ولْيَتَوَكَّلْ علَىٰ اللهِ ، ولْيَقُمْ بواجبهِ فِي الدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ ، ولاَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلكَ أنْ يَسْتجيبَ النَّاسُ لِدَعْوتهِ أَوْ يَرفُضونَها ، فالَّذينَ فيهِمْ خَيْرٌ يَستجيبونَ لَهُ ويُؤْمِنونَ بهِ ، والعُمْيُ الصُّمُّ المَوْتَىٰ يَرْفُضُونَ دَعْوَتَهُ .

فاللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يُواسِي رسولَهُ ﷺ عمَّا يَجِدُهُ مِنْ أذىٰ قَوْمهِ ، ويَقولُ لهُ : إنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تُسْمِعَ الكُفَّارَ مِنْ قَوْمِكَ سَماعَ اسْتجابةٍ ، عِنْدَمَا يَرْفُضونَ دَعْوَتَكَ ، ويَتوَلَّوْنَ مُدبرينَ عَنْكَ ، لأَنَّهُمْ كالصُّمِّ الّذينَ لاَ يَسْمَعونَ ، والعُمْيِ الَّذينَ لا يُبصِرونَ ، وكالمَوْتَىٰ الَّذينَ لا حَياةَ فيهِم .

وهٰذا مَعْناهُ أَنَّ الكُفَّارَ مَوْتَىٰ فِي قُلوبِهِمْ وأَرْواحِهِمْ ، فلا يَتَّعِظونَ ويَعْتَبرونَ ولا يَنْتَفِعونَ ، والكُفَّارُ لا يَسْتفيدونَ مِمَّا يَسْمعونَ ، فكَأَنَّهُم لا يَسْمعونَ ، وكأَنَّ في آذانِهِمْ صَمَماً ، وهُمْ لاَ ينتبِهونَ لِمَا يُشاهِدونَهُ ، فكَأَنَّهُم عُمْيٌ لاَ يُبْصِرونَ .

مَنْ هُمُ الَّذينَ يستفيدونَ مِمَّا يَسْمَعونَهُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ إِنَّهُمُ العُقلاءُ الأَحْياءُ المُبْصِرونَ السَّامِعونَ ، وهَؤلاءِ هُمُ المُؤْمِنونَ بآياتِ اللهِ ، المُلْتَزِمونَ بِشَرْعِ اللهِ ، الَّذينَ صاروا مُسْلِمينَ مُتَّبِعينَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ .

## دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اخْتَلفَ أَهْلُ الكِتابِ في دِينِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الحَقُّ ، والقُرْآنُ حَسَمَ الخِلافَ بينَهُمْ بِمَا قَدَّمَ مِنَ الحَقِّ .

٢ـ لاَ يهتدَي بالقُرْآنِ ولا يَسْتَفيدُ مِمَّا فيهِ مِنْ رَحْمةٍ إلاَّ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ .

٣ـ اللهُ عادِلٌ في حُكْمِهِ وقَضائِهِ ، ويَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ ويُزيلُ الخِلافَ بَيْنَهم يَوْمَ القِيامةِ .

٤ـ التَّوكُّلُ علىٰ اللهِ مَعْلَمٌ مِنْ مَعالِمِ العَقيدةِ ، وَواجبٌ علىٰ كُلِّ رسولٍ وداعِيَةٍ .

٥ـ علىٰ المُؤْمنِ أنْ لا يُفارِقَهُ شُعورٌ أَنَّهُ علىٰ الحَقِّ المُبينِ ، لِيَثْبُتَ علىٰ الحَقِّ ويُواجِهَ الباطِلَ .

٦ـ الكافِرُ عَطَّلَ مَنافِذَ المَعْرِفةِ عِنْدَهُ مِنْ سَمْعٍ وبَصَرٍ وقَلْبٍ بإصرارِهِ على الكُفْرِ ، وَلِذلكَ يَرْفُضُ دَعْوَةَ الحَقِّ .

٧ـ المُؤْمِنُ يَعْتَبِرُ ويَتَّعظُ ممَّا يَرىٰ ويَسْمَعُ لأنَّ مَنافِذَ المَعْرِفةِ عِندَهُ فاعِلةٌ نَشيطةٌ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ تَجْعَلُ حَديثَ القُرْآنِ عنِ اخْتلافِ بنِي إسْرائيلَ دَليلاً علىٰ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟

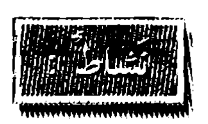
٢ـ لِماذا لاَ يَهْتَدِي الكُفَّارُ بالقُرآنِ ؟

٣ـ ما معنَى توكُّلِ المُؤْمِنِ علىٰ اللهِ ؟

٤ـ عِندَما تُوقِنُ أَنَّكَ علىٰ الحقِّ المُبينِ ؛ مَا هِيَ أهمُّ آثارِ ذلكَ عَلَيْكَ ؟ سجِّلْ أرْبَعةً منْها .

٥ـ لِماذا لم يَسْتَجِبِ الكُفَّارُ لِمَا يَسْمعونَهُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ وبِمَاذَا شبَّهَتْهُمُ الآياتُ ؟

٦ـ مَنِ الّذينَ يَسْمَعونَ ويَسْتَجيبونَ لآياتِ اللهِ ؟



١ـ كُلُّ الأَنْبياءِ والصَّالِحينَ تَوكَّلوا علىٰ اللهِ ، وأَخْبَروا أَعْداءَهُمْ بذلكَ صَراحةً ، اسْتَخْرِجْ آيتيْنِ فِي تَوكُّلِ الأَنْبياءِ علىٰ اللهِ ، وآيتيْنِ في تَوكُّلِ الصَّالِحينَ علىٰ اللهِ ، وبيِّنِ الشَّاهِدَ فِي كُلِّ آيةٍ ، واكتبِ الإِجابَةَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ في آياتِ سورةِ الأَنْفالِ يَنهىٰ اللهُ المُؤْمِنينَ عَنْ قولِهِم سَمِعْنا وهُمْ لا يَسْمعونَ ، ويَعْتَبِرُ الصُمَّ البُكْمَ شَرَّ الدَّوابِّ . سَجِّلْ أرْبَعَ آياتٍ مُتَتابعاتٍ في ذَلِكَ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (٨٠ـ٨١) .

* * *

## الدرس الحادي والأربعون

# سورة النمل - القسم الثالث عشر

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

### معاني المفردات

| | |
|---|---|
| وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ | : اقْتَرَبَ مَجيءُ يَوْمِ الْقِيامَةِ . |
| أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرْضِ | : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ قُبَيْلَ السَّاعَةِ ، وَهِيَ مِنْ أَشْراطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَىٰ . |
| تُكَلِّمُهُمْ | : تُنَبِّئُهُم وتُخْبِرُهُمْ . |
| فَهُمْ يُوزَعُونَ | : يُجْمَعُ أَوَّلُ النَّاسِ عَلَىٰ آخِرِهِمْ عِندَما يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ . |
| وَلَمْ تُحيطوا بها عِلْماً | : لَمْ تَعْرِفوا حَقيقَةَ آياتي ، وسارَعْتُمْ بِالتَّكْذيبِ بِها . |
| وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَموا | : حَلَّ بِهِمُ ٱلْعَذابُ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ . |
| ٱلنَّهارَ مُبْصِراً | : جَعَلْنا النَّهارَ مُضِيئاً ، يَتَحَرَّكُونَ فِيهِ لِمَعاشِهِم . |

### التفسير

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنِ الكُفَّارِ الَّذينَ كَذَّبُوا رَسولَ اللهِ ﷺ وعَطَّلُوا أَسْماعَهُمْ وأَبصارَهُمْ وقلوبَهُمْ ، فَلَمْ تَقْبَلِ الهُدىٰ .

وتَتحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عنِ الكُفَّارِ الَّذينَ يَكونونَ قُبَيْلَ السَّاعةِ ، فتُخبرُهُمُ الدَّابَّةُ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنينَ ، وتُقَدِّمُ لَنا الآياتُ صورَةً لِخِزيِ الكُفَّارِ ، وذَلكَ يَوْمَ القِيامةِ .

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

تُخْبِرُ هذهِ الآيةُ عَنْ آيةٍ عَجيبةٍ مِنْ آياتِ اللهِ ، تَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ ، قُرْبَ قيامِ السَّاعَةِ ، وهيَ خُروجُ الدَّابَّةِ مِنَ الأرْضِ ، وكَلامُها مَعَ النَّاسِ .

فَعِنْدَما يَقَعُ علىٰ النَّاسِ قُبَيْلَ السَّاعةِ أَمْرُ اللهِ ، ويَحِقُّ علَيْهِمْ عَذابُ اللهِ ، ويَشاءُ اللهُ إنهاءَ الدُّنْيا ، يُخْرِجُ لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ . ومَعَ ظُهورِ الآياتِ ومُشاهَدَةِ النّاسِ لَها فإنَّهمْ لا يُؤْمِنونَ باللهِ ، ولِذلِكَ يَسْتَحِقُّونَ عَذابَ اللهِ .

وخُروجُ الدَّابَّةِ مِنْ عَلاماتِ السَّاعةِ الكُبْرى ، وهِيَ مِنْ آخرِ عَلاماتِها .

رَوىٰ مُسْلِمٌ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « إنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُروجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، وخُروجُ الدَّابَّةِ علَىٰ النَّاسِ ضُحىً ، وأيُّهُما كانَتْ قَبْلَ صاحِبَتِها فَالأُخْرَىٰ علَىٰ إثْرِها قَريباً »[1] .

وعِنْدَما تَخْرُجُ الدَّابَّةُ علىٰ النَّاسِ الكافِرينَ تُكلِمُهُمْ كَلاماً واضِحاً مَفْهوماً ، وتَقولُ لهُمْ : أنتُمْ أيُّها النَّاسُ لا تُؤْمِنونَ بآياتِ اللهِ ، وبِذٰلِكَ اسْتَحقَقْتُمْ عَذابَ اللهِ ، فانتظِرُوا وُقوعَهُ بِكُمْ .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

تَقومُ السَّاعةُ ، ويُهْلِكُ اللهُ الكافِرينَ ، ثمَّ تَبْدَأُ مَشاهِدُ يَوْمِ القِيامةِ ، حَيْثُ يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ جَميعاً ، ويُساقونَ إلىٰ أَرْضِ المَحْشرِ لِلحساب .

ويَحْشُرُ اللهُ النَّاسَ أفْواجاً ، مِنْهُمُ الكافِرونَ المُكذِّبونَ بآياتِ اللهِ ، ويَحْشُرُ فَوْجاً مِنْ هؤلاءِ الكافِرينَ ، وهُمْ رؤساؤُهُمْ وقادتُهُمْ ، ويَكونُ حَشْرُهُمْ في غايةِ الذِّلةِ والمَهانةِ لهُمْ ، إذْ يُوزعونَ ويُساقونَ ، ويَجْمَعُ أَوَّلَهُمْ علىٰ آخِرِهِمْ ، ويَسيرونَ : مِنْ دونِ إرادةٍ ولا اختيارٍ ، ويُحَرَّكونَ بالرَّغْمِ عنْهُم .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ يُساقَ هٰؤلاءِ الظَّالمونَ المُكذِّبونَ بِذِلّةٍ ومَهانةٍ يوقَفونَ في ساحةِ العَرْضِ لِلحِسابِ ،

(١) صحيح مسلم ( ٥٢ ) كتاب الفتن( ٢٣ ) باب خروج الدجال . حديث رقم : ٢٩٤١ .

ويَسْأَلُهُمُ اللهُ سُؤالَيْنِ لِلتَّوبيخِ والتَّأْنيبِ ، فيقولُ لَهُمْ : لَقَدْ قدَّمتُ لَكُمْ في الدُّنْيا آياتِي ، أَكَذَّبْتُمْ بِها ؟ ورَفَضْتُمْ أنْ تُصَدِّقوا بِمَا فِيها ، ولَمْ تُحيطوا بِها عِلْماً ؟ أمْ ماذا كُنْتُم تَعْمَلونَ في حَياتِكُم ؟

وإنَّ اللهَ تعالىٰ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ كذَّبُوا بآياتهِ بمُجَردِ سَماعِهِمْ لَها ، وأَنَّهُمْ لَمْ يَعْملُوا في حَياتِهِمْ شَيْئاً لَهُ قِيمةٌ ، ولِذلكَ لَمْ يَنْتظِرِ الجَوابَ مِنْهُمْ ، لأنَّ الهَدَفَ هُوَ التَّوبيخُ والتَّأنيبُ .

وعرَفوا الهَدَفَ مِنَ السُّؤالَيْنِ ، فازْدادوا شُعوراً بالذُّلِّ والخِزْي ، ولَمْ يَنْطِقوا بجوابٍ ، وكانَ سُكوتُهُمْ أَبْلَغَ مِنْ أيِّ نُطْقٍ مِنْهُم . قالَ تعالىٰ : ﴿هذا يَوْمُ لا يَنطِقونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيعتذِرونَ﴾ [المرسلات : ٣٥] .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

يُتْرَكُ الكافرونَ صامِتينَ ، مُقِرِّينَ بتَكْذيبِهِمْ بآياتِ اللهِ في الدُّنْيا ، ويُذكِّرُهُمْ بعَدَمِ التفاتِهِمْ إلىٰ هذهِ الآياتِ ، فَقَدْ كانُوا يَعيشونَ ساعاتِ اللَّيْلِ والنَّهارِ مَنْ دُونِ انتباهٍ ولا تدبُّرٍ ، ولمْ يرَوْا أَنَّ اللهَ جَعَلَ لَهُمُ اللَّيلَ لِيَسْكُنوا فيهِ ، فَيَسْتريحوا وَيناموا ، وجَعَلَ لهُمُ النَّهارَ مُضيئاً لِيَتحرَّكوا فيهِ ويَقُوموا بأعْمَالِهم ومَعايِشِهِمْ .

إنَّهُ لا يتدبَّرُ آياتِ اللهِ في اللَّيلِ والنَّهارِ وغيرِهما إلاَّ القومُ المُؤْمِنونَ ، حَيْثُ يَزيدُهُمْ ذلكَ إيماناً والْتِزاماً وطاعَةً ، أمَّا الكافِرونَ فإنَّهُمْ يَتعاملونَ معَها بِعَمىً وصَمَمٍ ، فَيُكَذِّبونَ ويكفُرونَ .




تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مِنْ علاماتِ السَّاعةِ الكُبْرَىٰ خُروجُ الدَّابَّةِ وكَلامُها لِلنَّاسِ ، واللهُ وحْدَهُ الَّذي يَعْلَمُ حقيقتَها وتَفاصيلَ خُروجِها ، ويَكونُ النَّاسُ كافِرينَ عِنْدَ خُروجِها .

٢ـ المُتَكبِّرونَ في الدُّنْيا يُحْشَرونَ أَذِلاَّءَ مُهانينَ يَوْمَ القِيامةِ ، والجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ .

٣ـ يُسْأَلُ الكُفَّارُ أَسْئلةً يومَ القِيامةِ لِلتَّوبيخِ والتَّأنيبِ ، فَيكونُ جَوابُهمُ الصَّمْتُ إِقراراً بالذَّنْبِ وشُعوراً بالخِزْيِ والذُّلِّ .

٤ـ الكُفَّارُ لا يَنْتبهونَ لآياتِ اللهِ الَّتي حَوْلَهُمْ في الدُّنْيا ـ لأنَّهُم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ، ولا يَتفاعَلُ مَعَ آياتِ اللهِ إلاَّ المُؤْمِنونَ .

٥ـ تَقَلُّبُ اللَّيلِ والنَّهارِ وتَناوبُهما لِمَصْلَحةِ النَّاسِ وتَنظيمِ حَياتِهِمْ ، والمُؤْمِنُ يَشْكُرُ اللهَ علىٰ هٰذهِ النِّعْمةِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أ ـ متَىٰ تَخْرُجُ الدَّابَّةُ ؟ ب ـ وَعلَىٰ مَنْ تَخرُجُ ؟ ج ـ وماذا تَقولُ لِمَنْ تَخْرُجُ عليهِمْ ؟ د ـ وَما الَّذِي لا نَعْرِفهُ عَنْها ؟

٢ـ كيفَ يُحْشَرُ الكافِرونَ وهُم يُوزعونَ ؟ وَما الحِكْمَةُ مِنْ ذَلكَ ؟

٣ـ أ ـ اذْكُرِ السُّؤالَيْنِ المُوَجَّهيْنِ لِلكفَّارِ عِنْدَ وقوفِهِمْ في سَاحةِ العَرْضِ . ب ـ وما الهَدَفُ مِنْهُما ؟ وما جوابُهُمْ عَليْهِما ؟

٤ـ كَيْفَ كانَ الكُفَّارُ يَتعاملونَ في الدُّنْيا معَ آيتَي اللَّيلِ والنَّهارِ ؟ ولِماذا ؟

٥ـ مَا أثَرُ تقلُّبِ اللَّيلِ والنَّهارِ في المُؤْمِنِ ؟



١ـ مُعْظَمُ مَا فِي سورةِ النَّملِ مِنْ مَخلوقاتٍ حيَّةٍ تَتكَلَّمُ ، ويَفهَمُ السَّامِعُ كَلامَها . اذْكُرْ أَرْبعةَ أَصْنافٍ مِنْ هـٰذهِ المَخْلوقاتِ تُكلِّمُ الإِنسَ ، واذْكُرِ الآيةَ الَّتِي أَخْبَرتْ عَنْ كلامهِ ، واكتبِ الإِجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ وَرَدَ فعلُ « يُوزَعونَ » في صيغةِ الفِعْلِ المُضارع وفِعْلِ الأَمْرِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ في هذهِ السُّورةِ . اذْكُرْ هـٰذه المَرّاتِ ، وعَمَّنْ ذُكِرَتْ في كُلِّ مَرَّةٍ ، وَمَعناهُ فيهَا ، واكْتُبِ الإِجابةَ في دفترِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إِلىٰ أَحَدِ كُتبِ الحَديثِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ علاماتِ السَّاعةِ ، واكتبْها في مَجلّةِ الحائطِ .

* * *

# الدرس الثاني والأربعون

## سورة النمل - القسم الرابع عشر

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

### معاني المفردات

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ : يَوْمَ يَنْفُخُ إِسْرافِيلُ فِي الْبُوقِ النَّفْخَةَ الأُولَىٰ .

فَزِعَ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي ٱلأَرْضِ : يَخافُ الأَحْياءُ جَميعاً عِنْدَما يَسْمَعونَ النَّفْخَةَ الأُولَىٰ فَيَموتُونَ.

إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ : بَعْضُ ٱلْمَلائِكَةِ لاَ يَخافونَ كَجِبْرِيلَ وَميكائِيلَ وَإِسْرافِيلَ وَحَمَلَةِ ٱلْعَرْشِ.

كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ : كُلُّ ٱلْمَخْلوقاتِ الْحَيَّةِ يُبْعَثونَ وَيُحْشَرونَ أَذِلاَّءَ مُهانِينَ .

تَحْسَبُها جامِدَةً : تَظَلُّ ٱلْجِبالُ ثابِتَةً فِي مَكانِها عِنْدَ ٱلنَّفْخَةِ الأُولَىٰ .

وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحابِ : ٱلْجِبَالُ تَجْرِي مُسْرِعَةً كَما يَجْري ٱلسَّحَابُ مُسْرِعاً فِي الفَضاءِ .

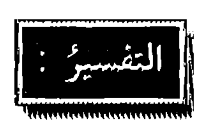
ٱلَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ : اللهُ أَحْكَمَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، وَأَوْجَدَهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ حالَةٍ .

هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ : يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ يَأْمَنونَ فَلاَ يَخافونَ مِنَ العَذابِ .

كُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ : أُلْقِيَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ مَنْكُوسَةً مَقْلوبَةً لإِهانَتِهِمْ .

هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ : مَكَّةَ ٱلْمُكَرَّمَةِ .

ٱلَّذي حَرَّمَها : اللهُ جَعَلَ مَكَّةَ حَرَماً آمِناً .



تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنِ الدَّابَّةِ الَّتي تَخْرُجُ قُبَيْلَ قيامِ السَّاعةِ ، وعَنْ حَشْرِ الكُفَّارِ يومَ القيامةِ ، وقدَّمَتْ مَشْهَداً لِخزْيِهِمْ وذُلِّهِمْ وهُمْ بَيْنَ يَدَي اللهِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآيةُ عنِ النَّفْخِ في الصُّورِ ، وعدالةِ الحِسابِ بَيْنَ يَدَي اللهِ ، وتَدْعو إلىٰ عبادةِ اللهِ وحَمْدِهِ .

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

مِنْ أحْداثِ السَّاعَةِ النَّفْخُ في الصُّورِ ، وهُوَ بوقٌ كَبيرٌ ، لاَ يَعْلَمُ حَجْمَهُ وشَكْلَهُ إلاَّ اللهُ . والمَلَكُ الّذي يَنْفُخُ في الصُّورِ إسْرافيلُ ، يَنْفُخُ فيهِ النَّفْخَةَ الأُولَى فَيُهْلِكُ اللهُ الأحْياءَ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيهِ النَّفْخَةَ الثَّانيةَ ، فَيبْعَثُ اللهُ الأَمْواتَ فَيقومونَ خَائِفينَ وَجِلينَ . والَّذي يَظْهَرُ أَنَّ الآيَةَ تَتحدَّثُ عَنِ النَّفْخَةِ الثَّانيةِ ، لِقولِهِ : ﴿وَكُلٌّ أَتَوهُ دَاخِرينَ﴾ .

والفَزَعُ يُصيبُ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ومِنْ هَؤلاءِ الَّذينَ لا يُصيبُهُمُ الفَزَعُ المُؤْمِنونَ الأَتْقياءُ الصَّالِحونَ الَّذينَ قالَ اللهُ فيهِمْ ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئذٍ آمِنونَ﴾ [النمل : ٨٩] وفيهِمْ يَقولُ أيْضاً : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الفزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِهِ ﷺ : اذكُرْ لِلنَّاسِ الهَوْلَ والفزَعَ الَّذي يُصيبُهُمْ يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فيُحيي اللهُ الخَلائِقَ جَميعاً ، ويَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبورِهِمْ ، ويَحْشُرُهُمْ إلى ساحَةِ العَرْضِ لِلحِسابِ ، ويُساقونَ داخِرينَ صاغِرينَ خاضِعينَ مُسْتَسْلِمينَ ، والكافِرونَ صَغارُهُمْ صَغارُ ذُلٍّ وهَوانٍ وحَسْرَةٍ ، والمُؤْمِنونَ صَغارُهُمْ صَغارُ هَيْبَةٍ وخَشْيَةٍ وخُشوعٍ للهِ ربِّ العالَمينَ .

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

يُحَدِّثُنا اللهُ تعالىٰ عَنْ مَشْهَدِ الجبالِ في يَوْمِ القِيامَةِ ، فالجبالُ الثَّابِتَةُ الرَّاسِخَةُ ، الَّتي كانتْ أَوْتاداً رَواسِيَ ، يَنْظُرُ إليها الإنْسانُ فَيَظنُّها جامِدةً رَاسِيَةً ، مَعَ أَنَّها تَمُرُّ مُروراً سَريعاً ، كأنَّها السَّحابُ في سُرْعَتِهِ وخِفَّتِهِ . قال تعالىٰ : ﴿وسُيِّرَتِ الجِبالُ فَكانَتْ سَراباً﴾ [النبأ : ٢٠] .

وهٰذا الصُّنْعُ صُنْعُ اللهِ ، والفِعْلُ فِعْلُهُ ، فَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وأَتْقَنَ ما فيهما ، وَهُوَ الَّذي أزالَهُما عِنْدَ قيامِ السَّاعةِ ، وهُوَ الَّذي يَأْتي بيومِ القِيامَةِ بِقَدَرِهِ ، ويُرَتِّبُ كُلَّ ما فيهِ

بحِكْمَتِهِ ، فهُوَ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شيءٍ . في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وهُوَ الخَبيرُ بما يَفْعَلُهُ النَّاسُ في الدُّنْيا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ نَفْخَةِ البَعْثِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ ، ويُساقونَ إلىٰ أرْضِ المَوْقِفِ لِلحِسابِ ، ويكونُونَ فَريقَيْنِ :

الفَريقُ الأوَّلُ : المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ ، الَّذين اسْتَقامُوا في الدُّنْيا علىٰ طاعةِ اللهِ ، فالواحِدُ مِنْهُمْ يَكونُ سَعيداً عِنْدَ الحِسابِ ، لأنَّهُ جاءَ بالحَسَناتِ والطَّاعاتِ ، فَيَرْحَمُهُ اللهُ بأنْ يُكافِئَهُ علىٰ ذَلِكَ الثَّوابَ الجَزيلَ ، وهذا خَيْرٌ مِنْ حَسَناتِهِ ، ويُدْخِلُهُ جَنَّاتِ النَّعيمِ ، وبذلكَ يأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ والخَوْفِ والعَذابِ والنَّارِ .

الفريقُ الثَّاني : الكافِرونَ الظَّالِمونَ ، الَّذينَ كَفَرُوا باللهِ وعَمِلوا السَّيئاتِ والمَعاصِي في الدُّنْيا ، وهَؤلاءِ يَكونونَ أَشْقياءَ خَاسِرينَ ، لأنَّهُمْ جاءوا بالسَّيئاتِ ، فَيُعاقِبُهُمُ اللهُ بالعَذابِ الشَّديدِ ، ويَكُبُّهُمْ على وُجوهِهِمْ في النَّارِ ، ويَطْرَحُهُمْ فيها بإذْلالٍ وهَوانٍ ؛ ويُقالُ لَهُمْ وهُمْ فيهَا : ما هٰذا العَذابُ إلاَّ جَزاءٌ لِما كُنْتُمْ تَعْملونَهُ في الدُّنْيا مِنْ كُفْرٍ ومَعاصٍ ومُنْكَراتٍ .

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

بعدَ ذِكْرِ قاعِدَةِ الحِسابِ ، وأَساسِ الثَّوابِ والعِقابِ يَوْمَ القِيامةِ ، يَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يُلَخِّصَ لِلكفَّارِ دَعْوَتَهُ ومَنْهَجَهُ وَوَظيفَتَهُ وَواجِبَهُ ، ويُبلِّغَهُمْ ذَلكَ لِيُقيمَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ .

يَقولُ اللهُ لَهُ : قُلْ لِقَوْمِكَ : أَمَرَني رَبِّي أنْ أَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وهُوَ ربُّ بَلْدَتِكُمْ هٰذِهِ « مَكَّةَ » وهُوَ الَّذي جَعَلَها حَرَمَاً آمِناً ، يَأْمَنُ فيها الإنْسانُ علىٰ نَفْسِهِ ومالِهِ ، وحَرَّمَ الصَّيْدَ والقَتْلَ وقَطْعَ الشَّجَرِ فيها ، واللهُ المالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، لَيْسَ لهُ في ذَلِكَ شَريكٌ!

وبِما أَنَّ اللهَ حَرَّمَ بَلْدَتَهُمْ وجَعَلَها واحَةَ أَمانٍ ، فَعَلَيْهِمْ أنْ يَعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، ولَكِنَّهُمْ قابَلوا هذا بالكُفْرِ حَيْثُ عَبَدوا مِنْ دُونِهِ الأَوْثانَ والأصْنامَ .

ويُتابِعُ الرَّسولُ ﷺ كلامَهُ مَعَ قَوْمِهِ ، فَيقولُ : وأَمَرَني اللهُ أنْ أَكونَ مِنَ المُسْلِمينَ ، الَّذِينَ دَخَلوا في دِينِهِ ، واسْتَسْلَمُوا لهُ خاضِعينَ ، كمَا أَمَرَني أنْ أُكْثِرَ مِنْ تِلاوَةِ القُرْآنِ ، لأَزْدادَ صِلَةً بهِ ، وأنْ أَقْرَأَ القُرْآنَ علىٰ النَّاسِ لأُبَلِّغَهُمْ إيَّاهُ .

قدْ تلوْتُ القرْآنَ عليْكم ، وبلَّغْتُكمُ الدّعوْةَ ، وأقمْتُ عليْكمُ الحُجّةَ ، وعليْكمْ أنْ تختارُوا ، فمَنِ اختارَ منْكُمُ الإيمانَ ، واهْتدَىٰ للحَقِّ ، فإنَّما يهْتدي لنفْسِهِ ، وهُوَ الّذي يستفيدُ منْ ذلكَ ، ويُنقذُ نفْسَهُ منَ النَّارِ ، وينالُ الجنَّةَ برحْمةِ اللهِ . ومَنْ رفَضَ منْكُمُ الإيمانَ ، وأصرَّ على الكُفْرِ والضَّلالِ ، فإنَّما يَضلُّ عليْها ، وينالُ عاقبةَ ذلكَ النَّارَ والعذابَ!

ومَا أنَا إلاَّ مُنْذرٌ ، بلَّغْتُكمُ الدَّعْوَةَ ، وخلَصْتُ منَ العُهْدَةِ ، ولا أقْدرُ علىٰ جعْلِ الإيمانِ في قُلوبكُمْ ، فإنْ رفَضْتُمْ دعْوتي كُنتُم منَ الخاسرينَ الهالكِينَ .

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ .

ويأْمُرُ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لقوْمهِ : الحَمْدُ للهِ علَىٰ ما أنْعَمَ علىٰ عِبادهِ منْ نِعَمٍ ، منْها نِعَمٌ دينيَّةٌ ومنْها نِعَمٌ دُنيويَّةٌ ، وأحْمَدُهُ حَمْداً خاصّاً علىٰ مَا أنْعَمَ عليَّ منْ نِعْمَةِ النُّبوَّةِ ، وقدْ بلَّغْتُكمْ ما أمرَني بتَبْليغهِ .

وسَيُريكُمُ اللهُ آياتهِ الدَّالةَ علىٰ وَحْدانيتهِ وقُدْرتهِ ، ويُقدِّمُ الأدلَّةَ والبَراهينَ الدَّالَّةَ علىٰ صِدْقِ دَعْوتي ، لِتتَّبِعُوني وتَدْخُلوا في ديني .

واللهُ عالمٌ بكُلِّ أعمالِكُمْ ، شَهيدٌ عليْكم وأنتُمْ تعْمَلونَها ، لا يَغْفلُ عَنْها ولا يَتْرُكُها ، وإنَّما يُسَجِّلُها ويُحْصيها ، ثُمَّ يُحاسِبُكُمْ عليْها يوْمَ القيامةِ . فعَلَيْكُمْ أنْ تُخلِصوا أعْمالَكُمْ للهِ ، ولا تفْعلوا مَا حرَّمَهُ عليْكُمْ!

وصَدَقَ اللهُ ، ففِي كُلِّ يَوْمٍ يُري عِبادَهُ بَعْضَ آياتِهِ في الأنْفُسِ والآفاقِ ، الدَّالَّةِ على الحقِّ والخَيْرِ . قالَ تعالىٰ : ﴿سَنُريهِمْ آياتِنا في الآفاقِ وفي أنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتبيَّنَ لَهُم أنَّهُ الحَقُّ﴾ [فصلت : ٥٣] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كُلُّ النَّاسِ يَأْتونَ صاغِرينَ أذِلاَّءَ خائِفينَ وجِلينَ ويَأْتي المُؤْمِنونَ المُوَحِّدونَ كاملوا الإيمانِ آمنينَ مِنْ فزَعِ ذلكَ اليَوْمِ .

٢ـ أهْوالُ يَوْمِ القِيامةِ مُخيفةٌ ، ولابُدَّ لِلمُؤْمِنِ مِنْ أنْ يَستعدَّ لها بالطَّاعةِ ، وأنْ يُديمَ التَّفْكيرَ فيها .

٣ـ أجْرُ الحَسَناتِ وثَوابُها مُضاعَفٌ فَضْلاً مِنَ اللهِ ، وعِقابُ السَّيئاتِ بالمِثْلِ عَدْلاً مِنَ اللهِ .

٤ـ المُؤْمِنونَ يَأْمَنونَ مِنَ الفَزَعِ والخَوْفِ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّهُمُ اسْتقامُوا في الدُّنْيا علىٰ طاعةِ اللهِ .

٥ـ يُقدِّمُ اللهُ لنا الآياتِ والأَدِلَّةَ علىٰ الحَقِّ باسْتِمرارٍ ، وعَلَيْنا الالتفاتُ لَها وتَدَبُّرُها .

٦ـ لا يُفارِقُ المُؤْمِنَ شُعورُهُ بأَنَّ اللهَ يُراقبهُ ولا يَغْفَلُ عَنْهُ ، لِيَسْتقيمَ علىٰ طاعَتهِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ يُنْفَخُ في الصُّورِ نَفْختانِ . اذْكُرْهُما ، واسْتَدِلَّ لَهُما بِالقُرآنِ ، وما نَتائِجُ كُلِّ نَفْخَةٍ ؟

٢ـ اذْكُرِ القَاعِدَةَ العادِلةَ في احْتِسابِ الحَسَناتِ والسَّيئاتِ ، والمُحاسَبةِ عَليْها يَوْمَ القيامةِ .

٣ـ اذْكُرِ الأَوامِرَ الثَّلاثةَ الَّتي أَمَرَ اللهُ رَسولَهُ ﷺ تَبْليغَها لِلْكُفّارِ .

٤ـ وَعَدَ اللهُ النَّاسَ أنْ يُريَهُمْ آياتِهِ باسْتِمْرارٍ . اذْكُرْ أَرْبعَ آياتٍ مِنْ حَوْلِكَ دالَّةٍ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ .

٥ـ في قولِهِ : ﴿وَما الله بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلونَ﴾ تَرْغيبٌ وتَرْهيبٌ . وضِّحْ ذَلِكَ .



١ـ ذَكرتِ الآيةُ ( ٦٨ ) مِنْ سورةِ الزُّمَرِ النَّفْخَتيْنِ . اذكرِ الآيَةَ ، واسْتَخْرِجِ النَّفْخَتيْنِ مِنها ، وَوفِّقْ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٨٧) ، واكْتُبِ الإِجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأْ سورةَ القارِعَةِ ، وسَجِّلْ منها الآياتِ الَّتي تَتحدَّثُ عَنْ حالةِ الجِبالِ عِنْدَ قيامِ السَّاعةِ ، واجْمَعْ بَيْنَ تِلكَ الآياتِ وبَيْنَ الآيةِ (٨٨) .

٣ـ سَجِّلْ آيةً مِنَ الآياتِ الأَخيرةِ مِنْ سورةِ الأَنْعامِ تُبيِّنُ مُضاعَفَةَ الأَجْرِ لِمَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ ، والعَدْلَ لِمَنْ جاءَ بالسَّيئةِ .

٤ـ أَنْتَ تَحفظُ سورةَ « قُريشٍ » ؛ سَجِّلْهَا مِنْ حِفْظِكَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٩١) .

* * *

## الدرس الثالث والأربعون

# سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

### تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ القَصَصِ مَكيَّةٌ ، آياتُها ثَمانٍ وثَمانونَ ، وسُمِّيَتْ سورةَ القَصَصِ لِوُرودِ قِصَّةِ مُوسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرعونَ فيها مُفَصَّلةً ، مُنْذُ وِلادَتِهِ حتَّىٰ نَجاتِهِ مَعَ أَتباعِهِ ، وإِهْلاكِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، وقِصّةِ قارونَ ومالِهِ وإِهْلاكِهِ ، فالقَصَصُ هوَ الغالِبُ علىٰ السّورَةِ ، الَّذي اسْتَغْرَقَ مُعْظَمَ آياتِها .

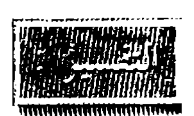
نَزَلَتِ السُّورَةُ والمُسْلِمونَ مُسْتَضْعَفونَ في مَكَّةَ ، تُقَرِّرُ لَهُمْ مَجْموعَةً مِنَ الحَقائِقِ الثَّابِتَةِ ، وتُبَشِّرُهُمْ بِتجاوُزِ المِحْنَةِ وتَحَقُّقِ النَّصْرِ ، مِنْ خِلالِ عَرْضِ مَشاهِدِ القَصَصِ والتَّعقيبِ علَيْها .

وتَتحدَّثُ آياتُ الدَّرْسِ الأَوَّلِ مِنْها عَنْ بدايةِ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَيْثُ تُبَيِّنُ الأَجْواءَ الَّتي وُلِدَ فيها ، وهِيَ اضْطهادُ فِرْعَوْنَ لِبَنِي إِسْرائيلَ وطُغيانُهُ ، ومَظاهِرُ فَسادِ حُكْمِهِ .

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| ٱلْكِتابِ ٱلْمُبينِ | : الكِتابِ ٱلواضِحِ ٱلَّذي يُظْهِرُ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْباطِلِ . |
| عَلاَ فِي ٱلأَرْضِ | : تَجَبَّرَ وَٱسْتَكْبَرَ فِي أَرْضِ مِصْرَ . |
| جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً | : قَسَمَ أَهْلَها فِرَقاً وَأَصْنافاً مُخْتَلِفَةً ، بَيْنَها ٱلْعَداوَةُ والْبَغْضاءُ . |

| | |
|---|---|
| يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ | : يَجْعَلُهُمْ ضُعَفاءَ مَقْهورينَ ، وَهُمْ بَنو إِسرائيلَ . |
| يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ | : يُبْقي نِساءَهُمْ أَحْياءً لِلاسْتِعْبادِ وَالْخِدْمَةِ . |
| نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا | : نَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِرَفْعِ الاضْطِهادِ عَنْهُمْ . |
| نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً | : نَجْعَلُهُمْ قادَةً يُقْتَدىٰ بِهِم فِي الْخَيْرِ . |
| هامانَ | : ٱلْوَزيرَ الأَوَّلَ ( رَئيسَ الْوُزَراءِ ) عِنْدَ فِرْعَونَ ، الَّذي يُديرُ الْبِلادَ بِأَمْرِهِ . |
| كَانُوا يَحْذَرُونَ | : كَانوا يَخافونَ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ . |



﴿ طسٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ ﴾ .

« طَا . سِينْ . مِيمْ » ثلاثةُ أحْرُفٍ مُقَطَّعةٌ ، افتُتِحَتْ بِها هذهِ السُّورةُ ، مثلُ سورةِ الشُّعراءِ قَبْلَها ، وهٰذهِ الأحْرُفُ لِلتَّحدِّي وإثباتِ إعْجازِ القُرْآنِ ، وتَقْريرِ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ . جاءَ الكَلامُ عَنِ القُرآنِ ، كتابِ اللهِ المبينِ الواضحِ ، الَّذي يُظهرُ الحَقَّ ويُمَيِّزُهُ مِنَ الباطِلِ .

والإشارَةُ فِي ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ إلىٰ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ ، أيْ : مِنْ مِثْلِ هذهِ الحُروفِ تَتألَّفُ آياتُ الكتابِ المُبينِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ .

الكِتابُ المُبينُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ البشرِ ، وإِنَّما هُوَ كلامُ اللهِ ، أَوْحَىٰ بِهِ إِلىٰ رَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وأَخْبَرَهُ فيهِ بِقَصَصِ السَّابقينَ .

يَقولُ اللهُ لِرسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : نَقْرَأُ عَلَيْكَ في آياتِ الكِتابِ المُبينِ بَعْضَ أَخْبارِ ومَشاهِدِ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومُواجَهَتِهِ لِفِرْعَوْنَ ، ونُخْبِرُكَ بها حَقّاً وصِدْقاً ، كأَنَّكَ كُنْتَ شاهِداً لَها ، حاضِراً مَعَ أَحْداثِها . ونُقَدِّمُ لَكَ هَذهِ الأَخْبارَ لِتُخْبِرَ أَنْتَ بِهَا أَتْباعَكَ المُؤْمِنينَ ، فَتَطْمَئِنَّ قُلوبُهُمْ ، وَيَزدادُوا ثِقَةً بِنَصْرِ اللهِ لَهُمْ ، وهَزيمَتِهِ لأَعْدائِهِمْ .

وتَخْصيصُ المُؤْمِنينَ بالذِّكْرِ فِي الآيةِ ، مَعَ أَنَّ القُرْآنَ لِلنَّاسِ أَجْمعينَ ، لِبيانِ أَنَّهُ لا يَنْتَفِعُ بِهِ ولا يَتدَبَّرُ بآياتهِ إِلاَّ القَوْمُ المُؤْمِنونَ ، أَمَّا الآخَرونَ فهُمْ عنْها مُعْرِضونَ .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ .

بَدَأَتْ قِصَّةُ موسَىٰ مَعَ فِرعونَ بِذِكْرِ الجَوِّ الَّذي وُلِدَ فيهِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهُوَ البداياتُ

الأُولىٰ لِلقِصَّةِ ، فَقَدْ كانَ بَنُو إِسْرائيلَ في مِصْرَ مُعَذَّبينَ مُضْطَهَدينَ مِنْ قِبَلِ فِرْعَوْنَ وقَومِهِ ، وتَتحدَّثُ هذهِ الآيَةُ وَما بَعْدَها عَنْ مَظاهِرِ فَسادِ حُكْمِ فِرْعَوْنَ .

وفِرْعَوْنُ لَقَبٌ لِلحاكِمِ الّذي كانَ يَحْكُمُ مِصْرَ في فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، ولَيْسَ اسْماً لِحاكمٍ بِعَيْنِهِ ، ولِذلِكَ يُمَيَّزُ فِرْعَوْنُ الَّذي تَحدَّثَ القُرْآنُ عَنْهُ بأنَّه فِرْعونُ موسى ، أيْ الفِرْعَوْنُ الَّذي كانَ حاكِماً في ذَلِكَ العَهْدِ ، وإِليهِ أُرْسِلَ مُوسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

فِرْعَوْنُ عَلا في أَرْضِ مِصْرَ وتَجبَّرَ واسْتَكبَرَ ، وطغَىٰ وبَغَى ، وقَسَّمَ النَّاسَ فيها إِلىٰ شِيَعٍ وأَحْزابٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَزَرَعَ بَيْنَهَا الفُرْقَةَ والخِلافَ والنِزاعَ والبَغْضاءَ ، واسْتَضْعَفَ بني إِسْرائيلَ ، وجَعَلَهُمْ أَذِلَّةً مَقْهورينَ ، مُعَذَّبينَ مُضْطَهَدينَ ، وحتَّىٰ يَضْمَنَ ذلكَ كانَ يَقْتُلُ مَواليدَهُمْ وَيَذْبَحُ الذُّكورَ مِنْهُم ، ويُبْقي مَوالِيدَهُمُ الإِناثَ ، فَكَثُرَتِ النِّساءُ وقَلَّ الرِّجالُ في بني إِسرائيلَ .

وَبِذلكَ كانَ فِرْعَوْنُ مِنَ المُفْسِدينَ في الأَرْضِ ، وكانَ الإِفْسادُ مَدْعوماً لأَنَّهُ صادِرٌ عَنِ المَلِكِ نَفْسِهِ!

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ ﴾ .

أَرادَ فِرْعَوْنُ اسْتِمْرارَ اسْتِضْعافَ بني إِسرائيلَ وَفَعَلَ بهِمْ مَا فَعَلَ مِمَّا ذَكَرَتْهُ الآيَةُ السَّابقةُ ، ولَكنَّ اللهَ يُريدُ رَفْعَ الظُّلْمِ عنْ بَنِي إِسْرائيلَ ، ولا يَكونُ إِلاَّ مَا يُريدُهُ اللهُ .

اللهُ يُريدُ أَنْ يَتفضَّلَ علىٰ بَنِي إِسْرائيلَ ، ويَرْفَعَ الاسْتِضْعافَ والاضْطِهَادَ عنهُمْ ، ويُنقذَهُمْ مِنْ طُغيانِ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، ويَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً صالِحينَ يُقتدَىٰ بِهِمْ ، ويَجْعَلَهُمُ الوارِثينَ ، الَّذينَ يَرِثونَ الحُكْمَ مِنْ بَعْدِ إِهلاكِ فِرْعَوْنَ ، ويُريدُ أَنْ يُمَكِّنَ لهُمْ في الأَرْضِ ، ويَجْعَلَ لَهُم فيها الأَمْرَ والحُكْمَ والسُّلْطانَ ، وبِذلكَ يَعْرِفُ فِرْعَوْنُ وهامانُ وجُنودُهُما أَنَّهُمْ هُمُ المَهْزومُونَ ، ويُرِيَهُمْ أَنَّ ما كانُوا يَحْذرونَهُ قدْ وَقَعَ بِهِمْ ، حَيْثُ يَذْهَبُ مُلكُهُمْ ويَتمُّ هَلاكُهُم على أَيدِي بَنِي إِسْرائيلَ .

وقَدْ أَنفذَ اللهُ إِرادَتَهُ ، وحَقَّقَ أَمْرَهُ ، فَتمَّ هَلاكُ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ على يَدِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ ، ومَكَّنَ لِبنِي إِسْرائيلَ في الأَرْضِ ، وَصاروا حاكِمينَ وارِثينَ أَئِمَّةً في الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إِلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ ـ مَا يَتلوهُ اللهُ في القُرْآنِ مِنْ قِصَصِ السَّابقينَ فَهُو الحَقُّ ، وقدْ وَقَعَ كَما أَخْبَرَ اللهُ .

٢ ـ فِرْعَوْنُ نَموذجٌ لِلحاكِمِ الَّذي يَتكبَّرُ ويَطغَىٰ عندَما يَبْتعِدُ عَنْ هُدىٰ اللهِ .

٣ـ عندَمَا يَصْدُرُ الفسادُ عَنْ أعلىٰ سُلْطةٍ في الدَّوْلةِ يَكونُ مَدْعوماً راسِخاً ، وهـٰذهِ مُصيبةُ الأُمَّةِ .

٤ـ لا رادَّ لأَمْرِ اللهِ ، ولا تَقِفُ قُوَّةٌ أمامَ إرادةِ اللهِ ، وُكلُّ مَنْ عادَىٰ اللهَ فهُو مَهْزومٌ .

٥ـ مِنْ أعْظَمِ الفَسادِ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ ، كَما فَعَلَ فِرْعَوْنُ وأَعْوانُهُ .

٦ـ عِندَما يَمْكُرُ الطُّغاةُ بأَصْحابِ الحَقِّ ، فإِنَّ عاقِبَةَ مَكْرِهِمُ السَّيئةَ تَقَعُ بِهِمْ .

٧ـ علىٰ أَصْحابِ الحَقِّ أنْ يَقوموا بِواجبِهِمْ ، ثُمَّ يُحْسِنُوا التَّوكُلَ علىٰ اللهِ ، ويُسْلِمُوا أَمْرَهمُ إليهِ .

٨ـ يَمُنُّ اللهُ علىٰ أصْحابِ الحَقِّ ، ويَجْعَلُهُمْ أَئِمةً وارِثينَ ، بَعْدَ جِهادِهِمْ وصَبْرِهِمْ وَثباتِهِمْ!

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ حدِّدِ المُشارَ إِليهِ في قولهِ : ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ . ب ـ وَمَا الدَّلالةُ الَّتي تَخْرُجُ بِها مِنْ ذلكَ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الرَّابعةِ خَمْسَةَ مَظاهرَ لِفَسادِ حُكْمِ فِرْعَوْنَ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيتيْنِ الخَامِسَةِ والسَّادِسَةِ خَمْسَةَ مَظاهرَ لِما أَرادَ اللهُ إِعْطاءَهُ لبِنِي إِسْرائيلَ .

٤ـ جَعَلَ اللهُ بَنِي إِسْرائيلَ وارِثينَ ، مَا دَلِيلُكَ علىٰ ذلِكَ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ زَعَمَ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ إِلهٌ لِقَوْمِهِ ، اسْتَخْرِجْ هذا مِنْ آيةٍ في سورةِ القَصَصِ ، وزَعَمَ أَنَّهُ رَبٌّ أعلَىٰ لِقَوْمِهِ ، اسْتَخْرِجْ هذا مِنْ آيةٍ في سورةِ النَّازعاتِ ، واكْتُبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٢ـ سَجِّلِ الآيَةَ مِنْ سورةِ الأَعْرافِ ، الَّتي تَدُلُّ علىٰ أَنَّ اللهَ أَوْرثَ المُسْتَضْعَفينَ مَشارِقَ الأَرْضِ المُبارَكَةِ ومَغارِبَها ، بَعْدَ تَدميرِهِ لِفرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، واذْكرِ الشَّبَهَ بيْنَها وَبَيْنَ الآيةِ (٥) .

* * *

## الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

# سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ الثَّاني

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

### معاني المُفْرَدات :

أَوْحَيْنا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ : أَريناها في المنام .

أَلْقيهِ فِي ٱلْيَمِّ : اطْرَحيهِ فِي نهرِ النيلِ .

رادُّوهُ إِلَيْكِ : سَنُرْجِعُهُ إِلَيْكِ .

ٱلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ : أَخَذُوهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ لَهُ وَلاَ بَحْثٍ عَنْهُ .

كانُوا خَاطِئِينَ : كانُوا آثِمِينَ .

قُرَّةُ عَيْنٍ : مَصْدَرُ فَرَحٍ وَسُرُورٍ .

فارِغاً : خالِياً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - .

لَتُبْدِي بِهِ : أَوْشَكَتْ أَنْ تُظْهِرَ أَمْرَهُ أَنَّهُ ابْنُها .

| | |
|---|---|
| أَنْ رَبَطْنا عَلَىٰ قَلْبِها | : أنْ ثَبَّتْناهُ وَسَكَّناهُ بِالْيَقينِ والصَّبْرِ . |
| قُصِّيهِ | : اقْتَفي أَثَرَهُ وَتَتَبَّعِي خَبَرَهُ لِتَعْلَمِي أَيْنَ اسْتَقَرَّ . |
| بَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ | : نَظَرَتْ إِلَيْهِ مِنْ بَعيدٍ . |
| حَرَّمْنا عَلَيْهِ ٱلْمَراضِعَ | : مَنَعْناهُ أَنْ يَرْضَعَ مِنَ ٱلْمُرْضِعاتِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ . |
| يَكْفُلونَهُ لَكُمْ | : يَتَكَفَّلونَ بِهِ وَيَقُومونَ عَلَىٰ شُؤونِهِ . |

## التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ الأَجْواءِ الَّتِي وُلِدَ فيهَا مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وتَتحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ وِلادةِ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - ووُصولِهِ إِلىٰ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وتَبنِّيهِم لَهُ ، وعَوْدَتهِ إِلىٰ أُمِّهِ .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

عندَما وَلَدَتْ موسَىٰ أُمُّهُ الصَّالحةُ ، في أَجْواءِ الخَطَرِ ، حَيْثُ يَقْتُلُ فِرْعَوْنُ المَواليدَ الذُّكورَ مِن بني إِسْرائيلَ ؛ أَوْحَى إِليها عَنْ طَريقِ الرُّؤْيا في المَنامِ ، ذلِكَ أَنَّ الرُّؤْيا الصَّالِحَةَ جُزْءٌ مِنْ ستٍّ وأربعينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ كَما وَرَدَ في حَديثٍ صَحيحٍ ، وقَدْ أَمَرَها فيما أَوْحى إِلَيْها في تِلْكَ الرُّؤْيا أن تُرْضِعَهُ لأَهَمِّيَةِ الرَّضاعةِ لِلْمولودِ الجَديدِ ، وعِنْدَما تَخافُ عَلَيْهِ ، وتَشْعُرُ بالخَطَرِ المُباشِرِ مِنْ رجالِ فِرْعَوْنَ ، فَعَلَيْها أَنْ تُلْقِيَهُ في التَّابوتِ ، وتُلْقِي التَّابوتَ في البَحْرِ ، وعَلَيْهَا أَنْ لا تَخافَ عَلَيْهِ فلَنْ يَكونَ فِي خَطَرٍ ، ولا تَحْزَنْ هِيَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ في أَمانٍ .

لنْ يَغْرَقَ ، ولَنْ يَضيعَ ، ولَنْ يُقْتَلَ ، لأَنَّهُ في حِفْظِ اللهِ ورعايَتِهِ ، وَسَيَرُدُّهُ اللهُ إِلَيْها ، ويَعيشُ في حِضْنِها ، وتَقرُّ بِهِ عَيْنُها ، وعِنْدَما يَكْبُرُ سَيكونُ رَسولاً مِنَ المُرْسَلينَ .

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

وضَعَتْ أُمُّ مُوسَىٰ ابْنها في التَّابوتِ ، وأَلْقَتِ التَّابوتَ في البَحْرِ ، وساقَهُ البَحْرُ بأَمْرِ اللهِ إِلىٰ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، ولَمَّا رَآهُ أَهْلُ فِرْعَوْنَ الْتقطوهُ ، وأَدْخَلوهُ إِلىٰ امْرأَةِ فِرْعَوْنَ ، الَّتي أَحبَّتْهُ ، وطَلَبَتْ مِنْ زَوْجِها أَنْ يُبقِيَهُ ، وبِذٰلِكَ قدَّرَ اللهُ أَنْ يَصِلَ إِلىٰ يَدِ عَدوِّهِ اللَّدودِ فِرْعَوْنَ ، وأَنْ يَكونَ في أَمانٍ عِنْدَهُ ، وهٰذا مِنْ حُسْنِ تَدبيرِ اللهِ ، ومَكْرِهِ بِفِرْعَوْنَ وجُنودِهِ .

وبيَّنَتِ الآيةُ عاقبةَ الْتِقاطِ وتَبنِّي فِرْعَوْنَ وآلِهِ لِلمَوْلودِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَخْبَرتْ أَنَّهُ عِنْدَما يَكْبُرُ سَيكونُ لهُم عَدوّاً وحَزَناً ، يَكونُ لهُم عَدُوّاً في دِينِهِمْ ، لأنَّهُ سَيأْتِي بالحَقِّ ، وهُمْ علىٰ باطِلٍ ، ويَكونُ لهُمْ حَزَناً ، لأنَّهُ سَيكونُ هَلاكُهُمْ علىٰ يَدَيْهِ!

واللاَّمُ فِي ﴿ليكون﴾ تُسَمَّىٰ « لامَ العاقِبَةِ » فَما بَعْدَها عاقِبَةٌ ونَتيجةٌ لِما قَبْلَها ، ولا تَصْلُحُ أنْ تكونَ « لامَ التعليلِ » فهُمْ لَمْ يُربّوهُ لِيكونَ لَهُمْ عَدوّاً ، إنَّما ربّوهُ لِيَكونَ لهُم قُرَّةَ عَيْنٍ ، ولَكنَّ اللهَ جَعَلَ عاقِبَةَ ذلكَ عَداوَةً لَهُمْ وحَزَناً عَلَيْهِمْ .

والسَّبَبُ في ذَلِكَ هُوَ خَطاياهُم ، وذُنوبُهُمْ ، فَقَدْ كانَ فِرْعَوْنُ وهامانُ وجُنودُهُما خاطِئينَ ، فَعاقَبَهُمُ اللهُ بأنْ جَعَلَهُمْ يُرَبّونَ عَدُوَّهُمْ وهُمْ لا يَشْعرونَ ، ولا يَعْرِفونَ .

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ .

يُريدُ اللهُ أنْ يَتَربَّىٰ هذا المَوْلودُ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، ولِذلكَ حَبَّبَهُ إلىٰ امْرأَةِ فِرْعَوْنَ ، فلمَّا رأتْهُ أَنِسَتْ بهِ ، وقالتْ لِزَوْجِها : هـٰذا المَوْلودُ قُرَّةُ عَيْنٍ لي ولَكَ ، سَيكونُ سَلوىٰ وأُنْساً لنا ، تَقَرُّ بِهِ عُيونُنا ، وتَفْرَحُ بهِ نُفوسُنَا ، فلا تَقْتُلوهُ ، وعِنْدَما يَكْبُرُ لَعلَّهُ يَنْفَعُنا ، ويَجْلِبُ الخَيْرَ لَنَا ، ولَعَلَّنا نَتَبنَّاهُ ونَتَّخِذَهُ وَلَداً .

واسْتَجابَ فِرْعَوْنُ لِطَلَبِ امْرأَتِهِ ، وتَبَنَّى مُوسىٰ ، وأَمَرَ رِجالَهُ أنْ يَعتَنوا بِهِ ، وهُمْ لا يَشْعرونَ بما يَنْتُجُ عَنْ ذٰلِكَ ، ولا يَعْرِفونَ أَنَّهُ سَيكونُ لَهُمْ عَدُوّاً وحَزَناً ، وهـٰذا مِنْ مَكْرِ اللهِ بِفِرْعَوْنَ وآلِهِ .

وهـٰكذا حَمَى اللهُ موسَىٰ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ بالمَحبَّةِ ؛ مَحبَّةِ امْرأةِ فِرْعَوْنَ لَهُ ، لا بِالسِّلاحِ ، ولا بِالرِّجالِ ، ولا بالمالِ . وما يَعْلَمُ جُنودَ ربِّكَ إلاَّ هُوَ! قالَ تعالىٰ : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْني﴾ .

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ .

وبينَما مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في أَمانٍ عِنْدَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وهِيَ فَرِحَةٌ مَسْرورَةٌ بهِ ، كانتْ أُمُّهُ قَلِقَةً بِشَأْنِهِ ، تَهْجُمُ عليْها الوَساوِسُ والهَواجِسُ .

فَبَعْدَما أَلْقَتِ ابنَها في البَحْرِ أَصْبَحَ فُؤادُها فارِغاً مِنْ كُلِّ شيءٍ مِنْ أُمور الدُّنْيا ، لأنَّهُ مَشْغولٌ بموسَىٰ ، فلاَ مَكانَ فيهِ لِغَيْرِهِ . ومِنْ فَرْطِ اهْتِمامِها بِهِ وقَلَقِها عَلَيْهِ أَوْشَكَتْ أَنْ تُظْهِرَ أَمْرَهُ لِلنَّاسِ ، وتُخْبِرَهُمْ أَنَّهَا أُمُّهُ! ولَو فَعَلَتْ ذلكَ لَكَشَفَتِ السِّرَّ وأَبْطَلَتِ التَّدْبيرَ!

ولقَدْ تَدارَكَتْها رَحْمةُ اللهِ ، فَملأ اللهُ قَلْبَها إيماناً وثِقةً وَيقيناً ، ومَنَحها الصَّبْرَ والطُّمأْنينةَ والسَّكينَةَ ، وازْدادَتْ إيماناً باللهِ وتَصْديقاً بوَعْدِهِ ، فَصَبرَتْ وَلَمْ تُفصِحْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ .

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

كانَ لموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أُخْتٌ فَطِنَةٌ ، كَلَّفَتْهَا أُمُّهَا أنْ تُراقِبَ التَّابوتَ الَّذي فيهِ أَخوها بِحَذَرٍ ، لِتَعْرِفَ نِهايَتَهُ ، فراقَبَتْهُ وتابَعَتْهُ ، وقَصَّتْ أَثَرَهُ ، وكَانتْ تَنْظُرُ إليهِ خِلْسَةً ، وَهِيَ بَعيدةٌ عَنْهُ ، بِحَيْثُ لا تُلْفِتُ إلِيْها أَنْظارَ المُراقِبينَ والجَواسيسَ ، فَمِنْ دِقَّةِ مُراقَبَتِها لأخِيها لَمْ يَشْعُرِ الجَواسيسُ أَنَّهَا تَقُصُّ أثَرَهُ ، وتُتابِعُ أَمْرَهُ .

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

وعَدَ اللهُ أُمَّ مُوسَىٰ أنْ يَرُدَّ ابنَها إليها ، وهَاهُوَ الآنَ عِنْدَ فِرْعَوْنَ ، فكيفَ سَيَرُدُّهُ إلِيْها ؟ كانَ مِنْ عَظَمةِ تَدبيرِ اللهِ وتَقْديرهِ ، أنْ جَعَلَ إرجاعَهُ آيةً مِنْ آياتِه!

حرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ المَراضِعَ! فَلَمْ يَقْبَلْ ـ بِقَدَرِ اللهِ ـ أيَّ ثَدْيٍ منْ أيِّ امْرأةٍ مُرْضِعٍ ، إلاَّ ثَدْيَ أُمِّهِ . وكُلَّمَا أَتَوْهُ بمُرْضِعٍ كانتْ تَضَعُهُ فِي حِضْنِها وتُلْقِمُه ثَدْيَها فكانَ يَرْفُضُ أنْ يَرْضَعَ منهُ!

وصار فِرْعَوْنُ حَريصاً علىٰ إنقاذِ حَياتِهِ ، وكانَ قَبْلَ ذٰلِكَ حَريصاً على قَتْلِهِ ، وسُبحانَ اللهِ الحَكيمِ!

وتَدَخَّلَتْ أُخْتُهُ في الوَقْتِ المُناسِبِ ، مِنْ دُونَ أَنْ تُثيرَ حَوْلَها شُبْهَةً ، فقالتْ لَهُمْ : أتريدُونَ أنْ أَدُلَّكُمْ علىٰ أهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ، ويَتَعهَّدونَ بِتَرْبيَتِهِ والإشْرافِ عَلَيْهِ ، وهُمْ حَريصونَ عَليْهِ ناصِحونَ حَافِظونَ لَهُ ؟

وَوَافَقوا علىٰ عَرْضِها ، وأتَوْا بأُمِّهِ ، وَمَا أنْ أَلْقَمَتْهُ ثَدْيَها حتىٰ رَضَعَ واطْمَأَنَّ! وسَلَّمَ فِرْعَوْنُ المَوْلودَ إلىٰ أُمِّهِ ، وهُوَ لا يَعْلَمُ أَنَّهَا أُمُّهُ ، وأَعْطاها أُجْرَةً مُقابِلَ إرْضاعِهَا لَهُ وإشْرافِهَا عَلَيْهِ .

وهٰكذا ردَّهُ اللهُ بحِكْمَتهِ وعَظَمةِ تَقْديرِهِ وتَدْبيرِهِ إلىٰ أُمِّهِ ، وحَقَّقَ لَها وعْدَهُ ، وبذٰلِكَ قرَّتْ عَيْنُها بابْنِهَا ، وسُرَّتْ بِوُجودِهِ عِنْدَها ، وَلَمْ تَحْزَنْ علىٰ فِراقِهِ ، هذا ما نَالَها بِسَبَبِ ذٰلِكَ مِنَ التُّحَفِ والهَدايا والأَمْوالِ .

وأكثرُ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ حِكْمَةَ اللهِ في أَفْعَالهِ ، وعَواقِبَها المَحْمودَةَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فَقَدْ يَكونُ الشَّيْءُ بَغيضاً إلىٰ النُّفوسِ في الظَّاهِرِ ، لَكِنَّ عَاقبَةَ الخَيْرِ لها فيهِ ، فسُبحانَ علاَّمِ الغُيوبِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اللهُ يُلْهِمُ أَوْلِياءَهُ بالتَّصرُّفِ المُناسِبِ لِلخُروجِ مِنَ الخَطَرِ ، فَعلَىٰ المُؤْمِنِ الرِّضا والتَّسليمُ لأَمْرِ اللهِ .

٢ـ يَمْكُرُ اللهُ بِالكُفَّارِ ، ويُفْشِلُ مُخَططاتِهم ومَكائِدَهُمْ ، ويَجْعَلُهُمْ يَفْعلونَ أَشْياءَ عاقِبَتُها تَسوؤُهُمْ .

٣ـ في الآياتِ مِثالُ لِلكَيْفِيَّةِ الَّتي يُجْري اللهُ قَدَرَهُ وَلُطْفَهُ في عابِدِه ، حَيْثُ نَجّى موسى بإلقاءِ مَحَبَّتِهِ في قَلْبِ المَلِكَةِ ، ومَنَعَهُ مِنَ الرَّضَاعِ إلاّ مِنْ أُمّهِ ، فَكانَ ذَلِكَ سَبَباً في عَوْدَتِه إلِيْها .

٤ـ للهِ جُنودُ السَّمواتِ والأَرْضِ ، وَمَا يَعْلَمُ جُنودَهُ إلاَّ هُوَ ، يَحمي بِهِمْ أَوْلياءَهُ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَكونَ حَذِرَاً ، وأنْ يَتَصرَّفَ بِفِطْنَةٍ وذَكاءٍ .

٦ـ يُقدِّرُ اللهُ الأُمورَ تَقْديراً لِتَحقيقِ إرَادِتهِ ، ويُرَتِّبُ الأَحْداثَ بِحِكْمَةٍ وبِوَسائلَ لا تَخْطُرُ علىٰ بالِ أَحَدٍ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَيْفَ أَوْحَىٰ اللهُ إلى أُمِّ مُوسَىٰ مَعَ أَنَّهَا لَيْستْ نبيَّةٌ ؟ وَمَا الَّذي أَوْحَىٰ بهِ إلِيْها ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأُولَىٰ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ خَبَريْنِ وأَمْرِيْنِ ونَهْيَيْنِ وبِشارَتَيْنِ .

٣ـ كَيْفَ الْتَقطَ آلُ فِرْعَوْنَ موسَىٰ لِيَكونَ لَهُمْ عَدُوّاً وحَزَناً ؟ ومَا معنَى اللاّمِ في « لِيَكونَ » ؟

٤ـ مَاذَا طَلَبتِ امْرأةُ فِرْعَوْنَ مِن زَوْجها ؟ ومَا الَّذي أَمَّلَتْهُ مِنَ المَوْلُودِ ؟

٥ـ هلْ كانَ فُؤادُ أُمِّ مُوسَىٰ فارِغاً أمْ مُمْتَلِئاً ؟ ومَا الَّذي أَوْشكَتْ أنْ تَفْعَلَهُ ؟ وَمَا الَّذي رَحِمَها اللهُ بهِ ؟

٦ـ اذْكُرْ مُهِمَّةَ أُخْتِ مُوسَىٰ الَّتي كَلَّفَتْها بهَا أُمُّها ، وبيِّنْ كَيْفَ قامَتْ بها .

٧ـ مَا مَعنَىٰ قولِهِ عنْ مُوسَىٰ : ﴿وحرَّمنا عَلَيْهِ المَراضِعَ﴾ ؟ وَكَيْفَ تُصَوِّرُ أَنْتَ ذَلِكَ الجَوَّ ؟

٨ـ كَيْفَ ردَّ اللهُ المَوْلودَ إلىٰ أُمِّهِ ؟ وَمَا آثارُ رَدِّهِ عَليْها ؟

٩ـ مَا مَوْقِفُكَ أَنْتَ مِنَ الأَشْياءِ المَكْروهَةِ الَّتي تُصيبُكَ ؟ وَلِماذا ؟




١ـ مِنْ رَوائع التَّعبيرِ القُرآنيِّ المُعْجزِ أَنَّ هذهِ الآيَةَ جَمعَتْ بَيْنَ خَبَرينِ وأَمْرَيْنِ ونَهيَيْنِ وبِشارَتَيْنِ ، اسْتَخْرِجْ ذلكَ مِنَ الآيةِ (٧) ، واكْتُبهُ في دفْتَرِكَ .

٢ـ موضوعُ الآيةِ ( ٣٩ ) مِنْ سورةِ طَهَ قَريبٌ مِنْ مَوْضوعِ هـٰذهِ الآيةِ . سَجِّلْهَا في دَفْتَرِكَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٨) .

٢ـ ورَدَتْ جُمْلَةُ ﴿رَبَطْنا على قَلْبِها﴾ في سِياقِ المَدْحِ والثَّناءِ علىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ، اسْتَخْرِجْ مَوْضِعَيْنِ آخَرَيْنِ مِنَ القُرآنِ رَبَطَ اللهُ فيهِمَا علىٰ قُلوبِ أَوْليائهِ ، وثَبَّتَهُمْ واكْتُبهُما في دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدَّرسُ الخامِسُ وَالأَرْبَعُونَ

## سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| بَلَغَ أَشُدَّهُ | : بَلَغَ غايَةَ نُمُوِّهِ ، وَاسْتَكْمَلَ قُوَّتَهُ الْجِسْمِيَّةَ . |
| ٱسْتَوَىٰ | : نَضِجَ عَقْلُهُ وَفِكْرُهُ . |
| آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً | : آتَيْناهُ ٱلْحِكْمَةَ وَحُسْنَ ٱلتَّصَرُّفِ وَدِقَّةَ الفَهْمِ وَٱلْعِلْمِ . |
| عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها | : فِي وَقْتٍ يَكُونُ أَهْلُها غافِلِينَ فِيهِ ، وَقَدْ يَكُونُ وَقْتَ ٱلْقَيْلُولَةِ ظُهْراً . |
| هٰذا مِنْ شيعَتِهِ | : هٰذا إِسْرائِيلِيٌّ مِنْ جَماعَةِ مُوسَىٰ وَقَوْمِهِ . |
| وَهٰذا مِنْ عَدُوِّهِ | : ٱلشَّخْصُ الثّاني مِنَ الأَقْباطِ ٱلْكافِرينَ ٱلْمُخالِفِينَ لَهُ فِي ٱلدِّيْنِ . |
| ٱسْتَغاثَهُ | : طَلَبَ مِنْهُ ٱلْمُساعَدَةَ وَٱلنُّصْرَةَ وَٱلْغَوْثَ . |
| وَكَزَهُ | : ضَرَبَهُ مُوسَىٰ بِيَدِهِ وَهِيَ مَجْمُوعَةُ الأَصابِعِ . |
| هٰذا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطانِ | : هٰذَا القَتْلُ مِنْ تَزْيينِ ٱلشَّيْطانِ وَإِغْرائِهِ . |

| | |
|---|---|
| إنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ | : ٱلشَّيْطانُ عَدُوٌّ لِلإِنْسانِ ظاهِرُ العَداوَةِ لَهُ حَريصٌ عَلَىٰ إضْلالِهِ . |
| لَنْ أَكُونَ ظَهِيراً | : لَنْ أَكُونَ مُعِيناً . |
| يَتَرَقَّبُ | : يَتَلَفَّتُ ، يَنْتَظِرُ مَا قَدْ يَصِلُهُ مِنْ أَذَىٰ . |
| يَسْتَصْرِخُهُ | : يَسْتَغِيثُ بِهِ عَلَىٰ قِبْطِيٍّ آخَرَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ . |
| غَوِيٌّ مُبِينٌ | : ضالٌّ ظاهِرُ الغِوايَةِ . |
| تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلأَرْضِ | : تَكونَ مُؤْذِياً لِلنَّاسِ ، تَتَطاوَلُ عَلَيْهِم . |

## التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقَةُ عَنْ نشأةِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وتَتحدَّثُ هـٰذهِ الآياتُ عَنْ حَادِثَةٍ خَطيرةٍ وقَعَتْ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهُوَ شابٌّ ، كانَ لَها أثَرٌ كَبيرٌ علىٰ مَسيرةِ حَياتِهِ فيما بَعْدُ .

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

نَشَأَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ حتَّىٰ صارَ شابّاً قَوِيّاً ، بِحَيْثُ بَلَغَ أَشُدَّهُ واكْتَمَلَ نُمُوُّهُ ، وقَوِيَ جِسْمُهُ ، واسْتَوَى بِنُضْجِ عَقْلِهِ وفِكْرِهِ . وهذا يَكونُ بَعْدَ سِنِّ الأَرْبعينَ ، لقولِ اللهِ ـ تَعالَىٰ ـ : ﴿حَتَّىٰ إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبعينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف : ١٥] .

عِنْدَ ذَلِكَ آتاهُ اللهُ الحِكْمَةَ وحُسْنَ التَّصرُّفِ وجَوْدَةَ الفَهْمِ والعِلْمَ النَّافِعَ ، جَزاءً مِنْهُ لَهُ لاسْتِقامَتِهِ وإِحْسانِهِ ، لأَنَّ اللهَ يَجْزي المُحسنينَ بإِحْسانِهِمْ .

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

لمْ يَنْسَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ إسرائيليٌّ ، بالرَّغْمِ مِنْ نَشْأَتِهِ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، فَكانَ مَعَ قَوْمِهِ المُؤْمنينَ مِنْ بني إسْرائيلَ ضِدَّ الكافِرينَ الأَقْباطِ .

وفي أَحَدِ الأَيَّامِ دَخَلَ مُوسَىٰ المَدينةَ الَّتِي يُقيمُ فيها ، وكانَ دُخولُهُ في وَقْتِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها ، لَمْ يكونُوا فيهِ في الشَّوارِعِ ، وإِنَّما كانُوا في بُيوتِهِمْ .

فرأىٰ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ بَعيدٍ رَجُلَينِ يقتَتِلانِ ، فَلمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُما عرَفَهُما ، فَأَحَدُهما

إسْرائيليٌّ مُؤْمنٌ مِنْ شيعته وقَوْمه ، والآخَرُ كانَ كافِراً مِنْ أَعْدائه القِبْط ، وكانَ القِبْطِيُّ مُعْتَدِياً على الإسْرائيليِّ ، علىٰ عادة الأَقْباطِ في اسْتِعْبادِ بني إسْرائيلَ .

ولمَّا رأىٰ الإسْرائيليُّ موسَىٰ اسْتَنْصَرَهُ واسْتَغاثَهُ واسْتَنْجَدَ به ، وطَلَبَ مِنْهُ أنْ يُسَاعِدَهُ علىٰ عَدُوِّه ، وأَنْجَدَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الإسْرائيليَّ لأَنَّهُ مَظْلومٌ مُعْتَدَىً عَلَيْه ، وتَوَجَّهَ نَحْوَ القِبطيِّ ، وضَرَبَهُ ضَرْبَةً غَيْرَ شَديدةٍ ، عَبَّرَ عَنْها بالوَكْزِ ، ولكنَّها كانَتْ كَافِيةً لِقَتْله ممَّا يَدلُّ على القُوَّةِ الَّتي كانَ يَتَمَتَّعُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بها ، ولم يَقْصُدْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَتْلَهُ ، وبذٰلِكَ كانَ قَتْلُهُ بالخَطأ ولَيْسَ بالقَصْدِ والتَّعمُّد .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

فوجِىءَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِمَوْتِ القِبْطِيِّ فَنَدِمَ علىٰ ما فَعَلَ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقْصُدْ قَتْلَهُ ، وقالَ : هٰذا الفِعْلُ مِنْ تَزيينِ الشَّيطانِ وإغرائِهِ ، والشَّيْطانُ عَدُوٌّ للإنسانِ ، ظاهِرُ العَداوةِ لَهُ ، حَريصٌ علىٰ إضْلالِهِ .

ثمَّ توجَّهَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلىٰ ربِّهِ ، فَدَعاهُ قائِلاً : يا ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي بِقَتْلي لِلرَّجُلِ خَطَأً فاغْفِرْ لي .

وقدِ اسْتَجابَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ ، لأنَّهُ غَفورٌ يَغْفِرُ لِعبادِهِ ذُنوبَهُمْ ، ورَحيمٌ بِهِمْ يَرْحَمُهُمْ ويَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ . وأَتْبَعَ موسى تَوْبَتَهُ لِربِّهِ بِمُعاهَدَتِهِ إيَّاهُ بما أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ وأَفاضَ عَلَيْهِ مِنَ العَطايا أَنْ لا يَكون مُعيناً أَوْ ظَهيراً أَوْ مُساعِداً لِمُجْرِمٍ .

وموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يَعْصِ بقَتْلِهِ لِلقبطيِّ لأَنَّهُ لم يَتَعمَّدْ قَتْلَهُ ، ولَمْ يَكُنْ مُعاوِناً مُساعِداً لِلْمُجْرمينَ ؛ لأَنَّهُ مَعَ اللهِ ربِّ العالَمينَ ، ولَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطانِ سَبيلٌ عَلَيْهِ ؛ لأَنَّ اللهَ يَعْصِمُهُ ويَحميهِ مِنْهُ ، ولَمْ يُذْنِبْ في فِعْلِهِ ، ومَعَ ذلِكَ ناجَىٰ اللهَ بتلكَ الكَلِماتِ ، وشَعَرَ بالتَّحَرُّجِ مِمَّا فعلَ .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وصارَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يُفكِّرُ في عَاقبةِ قَتْلِ القِبْطيِّ ، ويَخْشَىٰ أنْ يُعْرَفَ أَنَّهُ هُوَ القاتِلُ فَيُقْتَلُ ، وفي صَباحِ اليَوْم التَّالي دَخلَ المَدينةَ كعادَتِهِ ، ولَكنَّهُ كانَ خائِفاً مِمَّا فَعَلَ أَمْسِ ، وكانَ يمشِي وهوَ يترقَّبُ ويتلفَّتُ بِحَذرٍ ؛ يَتوقَّعُ الخَطَرَ في أيِّ لَحْظَةٍ .

وبينَما كانَ يَسيرُ علىٰ هٰذهِ الصُّورَةِ ، إذا هُوَ بالرَّجُلِ الإسْرائيليِّ الَّذي أَغاثَهُ أَمْسِ مُشْتَبكاً مَعَ قِبطيٍّ آخَرَ فلَمَّا رآهُ الإسْرائيليُّ اسْتَصْرَخَهُ وناداهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفعٍ ، وطَلَبَ منهُ أَنْ يُعينهُ علىٰ خَصْمهِ الجديدِ .

لَمْ يَرْتَحْ موسَىٰ مِنْ فِعْلِ الإِسْرائيليِّ ، ولِذلكَ رَدَّ عَلَيْهِ قائلاً : أَنْتَ رَجُلٌ ظاهِرُ الغِوايَةِ ، كَثيرُ الفَسادِ والشَّرِّ ، تُنازِعُ النَّاسَ وتُخاصِمُهُمْ ، بالأَمْسِ عَمِلْتَ مُشْكِلَةً ، واليَوْمَ أنتَ فِي مُشْكِلَةٍ أُخْرَىٰ!

﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وبالرَّغمِ مِنْ لَوْمِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلإِسْرائيليِّ ، إلاَّ أَنَّهُ أَرادَ نَجْدَتَهُ ، لأَنَّهُ مَظلومٌ مُعْتَدَىٰ عَلَيْهِ ، فتوجَّهَ نَحْوَ الرَّجُلَيْنِ المُشْتَبِكَيْنِ لِيَنْصُرَ الَّذي مِنْ شيعتهِ ، ويَبْطِشَ بالقِبْطِيِّ عَدوِّهِما ، ويُوقِفُهُ عَنْ عُدوانهِ .

ولكنَّ الإِسْرائيليَّ الَّذي سَمِعَ لَوْمَ موسَىٰ لَهُ قَبْلَ قَليلٍ خَافَ مِنْهُ ، وظَنَّ أَنَّهُ قادِمٌ لِقَتْلِهِ هُوَ ، فقالَ لهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : يا موسىٰ : أَتُريدُ أَنْ تَقْتُلَني ، كما قَتَلْتَ الرَّجُلَ القِبْطِيَّ بالأَمْسِ ؟ إِنَّ هذا تَجَبُّرٌ وعُلُوٌّ! وهَلْ تُريدُ أَنْ تَكونَ جَبَّاراً في الأَرْضِ ، تَضْرِبُ مَنْ تشاءُ ، وتَقْتُلُ مَنْ تَشاءُ ، مِنْ دُونَ أَنْ تُفَكِّرَ في عَواقِبِ ذَلِكَ ونَتائِجِهِ ؟ ولا تُريدُ أَنْ تَكونَ مِنَ المُصْلِحينَ الحَريصينَ علىٰ إِصلاحِ الأَرْضِ ، ونَشْرِ الخَيْرِ بَيْنَ أَهلِها!!

وسَمِعَ القِبْطِيُّ كَلامَ الإِسْرائيليِّ ، وعَرَفَ أَنَّ القاتِلَ بالأَمْسِ هُوَ مُوسَىٰ ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَعْلَمُ قاتِلَهُ ، فَهَرَبَ مِنْهُما ، وذَهَبَ مُسْرِعاً إِلىٰ رِجالِ فِرْعَوْنَ ، وأَخْبَرَهم أَنَّ مُوسَىٰ هُوَ القاتِلُ لِلقبطيِّ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يَكْتَمِلُ جِسْمُ الرَّجُلِ ويَنْضجُ عَقْلُهُ فِي سِنِّ الأَرْبعينَ الَّذي هُوَ عُمْرُ « الأشدِّ » فعلَىٰ الإِنْسانِ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يتَّصِفَ بالاتِّزانِ ، ويَحْمَدَ اللهَ علىٰ ذَلِكَ .

٢ـ مِنْ مروءةِ الرَّجُلِ أَنْ يُلبِيَ دَعْوَةَ المُسْتَضْعَفينَ والمُحْتاجِينَ ، ويَنْتَصِرَ لِلمظلومينَ .

٣ـ الأَعْمارُ بيدِ اللهِ ، ويَجْعَلُ اللهُ لانْتِهائِها أَسْباباً مُتَعَدِّدةً ، فَقَدْ يَموتُ الإِنسانُ بحادثٍ بَسيطٍ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يَحْذَرَ وساوِسَ الشَّيْطانِ وتَزيينَهُ ، لأَنَّهُ عَدُوٌّ للإِنسانِ حَريصٌ علىٰ إِغْوائِهِ .

٥ـ عِنْدَما يَقَعُ المُؤْمِنُ في ذَنْبٍ فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْدَمَ علىٰ ذَلِكَ ويَلومَ نَفْسَهُ ويَعْتَرِفَ بِخَطئهِ ، ثمَّ يَسْتَغفرَ اللهَ ويَتوبَ إِليهِ .

٦ـ على المُؤْمِنِ أَنْ يَنْصَحَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وأَنْ يَلومَهُ علىٰ خَطَئِهِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أـ متَىٰ يَبْلُغُ الإِنْسانُ أَشُدَّهُ ؟ ب ـ ومَا آثارُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ؟ ج ـ وما دَليلُكَ علىٰ ذَلِكَ مِنَ القُرْآنِ ؟

٢ـ أـ لِماذا تَدَخَّلَ موسَىٰ لِصالحِ الإِسْرائيليِّ ؟ ب ـ وما مَعنَى وكْزِهِ لِلقِبْطِيِّ ؟ ج ـ وماذا نَتَجَ عنْ ذلكَ ؟

٣ـ أـ بماذا تُفَسِّرُ اعْتِرافَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، واسْتغفارَهُ لِرَبِّهِ ؟ ب ـ وهَلْ كانَ بِفِعْلِهِ ذلكَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمينَ ؟

٤ـ أـ لِماذا أَصْبَحَ موسَىٰ خائِفاً ؟ ب ـ وما الَّذي كانَ يَتَوَقَّعُهُ ؟

٥ـ أـ لِمَنْ قالَ مُوسَىٰ : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبينٌ﴾ ؟ ب ـ ومَا مَعنَىٰ هـٰذهِ الجُمْلَةِ ؟

٦ـ أـ مَنِ الَّذي قالَ لِمُوسىٰ : ﴿أَتريدُ أَنْ تَقْتُلَني كَمَا قَتَلْتَ نَفْسَاً بالأَمْسِ﴾ ؟ ب ـ ولِماذا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ؟ ج ـ وكَيْفَ عَرَفَ آلُ فِرْعَوْنَ أَنَّ موسَىٰ هُوَ القاتِلُ ؟

## نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ بِلُغَتِكَ مُلَخَّصاً أَحْداثَ قِصّةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ ولادَتِهِ حتَّىٰ قَتْلِهِ للقبطيِّ ، وانْكِشافِ أَمْرِهِ تَحْتَ عنوانِ « المَشْهدُ الأَوَّلُ لِقصةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ » .

* * *

# الدَّرسُ السَّادِسُ والأَربعونَ

## سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَىٰ ٱلْمَدِينَةِ : جاءَ مِنْ آخِرِ ٱلْمَدِينَةِ وَأَبْعَدِ مَكانٍ فِيهَا .

ٱلْمَلأَ يأْتَمِرونَ بِكَ : يَتَآمَرُ عَلَيْكَ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَقْتُلُوكَ .

تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ : سارَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي فِيها مَدْيَنُ .

وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ : وَصَلَ بِئْرَ الماءِ الَّتِي يَسْتَقِي مِنْها قَوْمُ مَدْيَنَ .

أُمَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ : جَماعَةً كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ .

ٱمْرَأَتَيْنِ تَذودانِ : ٱمْرَأَتَيْنِ تَطْرُدانِ غَنَمَهُما عَنِ الْماءِ .

مَا خَطْبُكُما ؟ : مَا شَأْنُكُما وَقِصَّتُكُما ؟

حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعاءُ : حَتَّىٰ يَسْقِيَ ٱلرُّعاةُ مَواشِيَهُم ، ثُمَّ يَنْصَرِفوا عَنِ الْماءِ .

لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ : أَنَا مُحْتاجٌ لِلْخَيْرِ مِنْ طَعامٍ وَغَيْرِهِ ، أَطْلُبُهُ مِنْكَ يَا رَبِّ .



تحدثتِ الآياتُ السَّابقَةُ عَن مَا جَرىٰ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما نَصرَ الإِسْرائيليَّ المَظْلومَ وقَتَلَ القِبْطِيَّ خَطأً ، وإِخْبارِ القِبْطِيِّ الآخَرِ بأَنَّ موسَىٰ هُوَ القاتِلُ .

وتُخْبرُ هذهِ الآياتُ عَنْ مَا جَرىٰ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بعدَ ذَلِكَ ، حَيْثُ نَصَحَهُ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ شيعةِ فِرْعَوْنَ يُخْفي إيمانَهُ بالخُروجِ مِنَ البَلَدِ ، فَتوجَّهَ إِلىٰ مَدْيَنَ .

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

بعدَما هَرَبَ القِبْطِيُّ مِنْ موسَىٰ والإسرائيليِّ ، ذَهَبَ إِلىٰ آلِ فِرْعَونَ وأَخْبَرَهم أَنَّ موسَىٰ هُوَ القاتِلُ ، فاجْتَمعوا يُناقِشونَ أَمْرَ موسَىٰ ويَتآمَرونَ عَلَيْهِ ، وعَلِمَ رَجُلٌ مؤْمِنٌ باجتماعِهِمْ وتآمُرِهِمْ ، وأَرادَ نُصْحَ موسَىٰ وإِنقاذَهُ مِنَ الخَطَرِ ، وكانَ في آخِرِ المَدينةِ ، وأَبْعَدِ مَكانٍ فيها ، فَجاءَ إِلىٰ موسَىٰ الَّذي كانَ وَسَطَ المَدينةِ ، وكانَ يَسْعَىٰ ويَمْشي مُسْرِعاً لِيَسْبِقَ جُنودَ فِرْعَوْنَ ، وقالَ لِموسَىٰ : يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِرْعَوْنَ ورجَالَهُ يَتشاوَرونَ في شَأْنِكَ ، ويَتآمَرُونَ عَلَيْكَ ، ويُريدُونَ قَتْلَكَ ، فاخْرُجْ بِسُرْعةٍ مِنْ هـٰذا البَلَدِ ، لِتَنْجوَ مِنَ الخَطَرِ ، وإِنِّي لَكَ ناصِحٌ أَمينٌ .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِنَصيحةِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ، وسارعَ بالخُروجِ مِنَ البَلَدِ ، وغادَرَها قَبْلَ وُصولِ رجالِ فِرْعَوْنَ ، وكانَ فِي خُروجِهِ خائِفاً علىٰ نَفْسِهِ ، يَتَلَفَّتُ يَميناً وشِمالاً ، ويَتَرَقَّبُ مَا حَوْلَهُ ، خَشْيَةَ مُتابَعَةِ أَحَدٍ لَهُ .

وبِما أَنَّهُ مُقْبِلٌ علىٰ مِحْنةٍ شَديدةٍ ، ولا يَدْري إِلىٰ أَيْنَ يَسيرُ ، ولا ما الَّذي يَنْتَظِرُهُ ، لِذلكَ لَجَأَ إِلىٰ اللهِ ، وطَلَبَ مِنْهُ النَّجاةَ وناجاهُ قائِلاً : رَبِّ نَجِّني مِنْ هَؤلاءِ القَوْمِ الظَّالِمينَ ؛ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ . فاسْتَجابَ اللهُ لَهُ ونَجَّاهُ مِنَ الخطَرِ ، وكَتَبَ لَهُ النَّجاةَ ، وغادَرَ البلادَ الَّتي يَحْكُمُها فِرْعَوْنُ بأَمانٍ . قالَ تعالىٰ : ﴿وقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتوناً﴾ [طه : ٤٠] .

وأَلْهَمَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنْ يَسيرَ في الطَّريقِ المُوصِلَةِ إِلىٰ مَدْينَ ، وهِيَ مِنْطَقَةٌ تَقَعُ إِلىٰ الجَنوبِ مِنْ بلادِ الشَّامِ ، المُحيطةِ بوادِي عَرَبَةَ وحَوْلَ خَليجِ العَقَبةِ ، وبَيْنَها وبَيْنَ مِصْرَ أَرْضٌ صَحْراوِيَّةٌ مُوحِشَةٌ في سِيناءَ ، قُدِّرَ لِموسى أَنْ يَقْطَعَها ويَصِلَ إِلى مَدْيَنَ .

وأَقْبَلَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ رَبِّهِ مرَّةً أُخرىٰ ، مُتَوكِّلاً عَلَيْهِ ، رَاجِياً مِنْهُ أنْ يَهْدِيَهُ السَّبيلَ الصَّحيحَ ، وأنْ يُرْشِدَهُ إِلىٰ الطَّريقِ الآمِنِ ، الَّذي يَجِدُ فيهِ الأَمْنَ والتَّوفيقَ .

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ ﴾ .

تَابَعَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ سَيْرَهُ في الصَّحْراءِ حتَّىٰ وصَلَ أَرْضَ مَدْينَ ، وَوَقَفَ علىٰ بِئْرِ الماءِ الَّتي يَسْتَقي مِنْها أَهْلُ مَدْينَ ، ويَسْقونَ مَواشيَهُمْ ، فرأىٰ مَنْظَراً لا يَتَّفِقُ مَعَ المُروءَةِ ، رَأَىٰ جَماعةً مِنَ النَّاسِ يَسْقونَ مَواشِيَهُم منْ ماءِ البِئْرِ ، ورَأَىٰ امْرأتَيْنِ بَعيدتَيْنِ عنِ القَوْمِ ، تَمْنَعانِ غنَمَهُما مِنَ الاسْتِقاءِ ، لِئلاَّ يَخْتَلِطَ غَنَمُهُما بِغَنَمِ الآخَرينَ ، وتَبْذُلانِ جُهْداً كَبيراً في مَنْعِ الغَنَمِ عَنِ الماءِ .

سَأَلَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المَرأَتيْنِ : مَا شَأْنُكُما وخَبَرُكما ؟ ولِماذا لا تَسْقيانِ الغَنَمَ مَعَ القَوْمِ ؟

قالَتا لَهُ : إِنَّنا لا نَقْدِرُ أَنْ نُزاحِمَ الرِّجالَ ، ولا نَتَمكَّنُ مِنْ سَقْيِ غَنمِنا معَهُمْ ، ولِهٰذَا نَقِفُ بَعيدتَيْنِ ، نَنتظِرُ أَنْ يَنتَهوا ، ثمَّ نَسْقِي غَنَمَنا بَعْدَهُمْ .

ثمَّ اعْتَذَرَتا لهُ عَنْ قِيامِهِما بهذهِ المُهِمَّةِ الشَّاقةِ في رَعْيِ الغَنَمِ وسَقْيِها ، الَّتي لا تَتَّفِقُ مَعَ طَبيعةِ المَرْأَةِ النَّاعِمَةِ ، فَقالَتا : أَبونَا شَيْخٌ كَبيرٌ ، طاعِنٌ في السِّنِّ ، لا يَسْتطيعُ أَنْ يرعىٰ الغَنَمَ ويُتابِعَها ويَسْقِيَها .

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ ﴾ .

رَقَّ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلمَرْأَتيْنِ ، وتَعامَلَ مَعَ المَسْأَلةِ بِنَخْوَةٍ وشَهامةٍ ، وصَحَّحَ الخَطَأَ ، فَساقَ غنَمَهُما وتَوجَّهَ بِها إِلىٰ البِئْرِ ، وزاحمَ الرِّجالَ الرُّعاةَ ، وسَقَى الغَنَمَ وأَعادَها لَهُما . .

وبَعْدَما غَادرَتِ المَرْأَتانِ المَكانَ أَوَىٰ إِلىٰ ظِلِّ شَجَرةٍ كانتْ بجانبِ الماءِ لِيَسْتَريحَ ، وبينَما كانَ يَسْتَرْوِحُ الظِّلَّ والنَّسيمَ أَقْبلَ علىٰ اللهِ يُناجيهِ ويَدعُوهُ قائلاً : رَبِّ إِنِّي مُحْتاجٌ إِلىٰ ما عِنْدَكَ منْ خَيْرٍ ، مِنْ طَعامٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وأَسْأَلُكَ أَنْ تَمُنَّ عَليَّ بِشَيْءٍ مِنهُ!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يُقدِّمَ النَّصيحةَ لِغيرِهِ ، وأَنْ يُساعدَ المُحْتاجَ ، وأَنْ يُحَذِّرَ الآخَرينَ مِنَ الخَطَرِ .

٢ـ علىٰ الإِنْسانِ المُؤْمِنِ أَنْ يَقبَلَ النَّصيحةَ ، ويَشْكُرَ صاحِبَها عَلَيْها ، ويُنفِّذَها .

٣ـ كان مُوسى مَعَ اللهِ دائِماً ، يَقْتُلُ القِبْطِيَّ فَيُسارِعُ بالتَّوبةِ ، ويُلاحِقُهُ الطُّغاةُ فيدعُو اللهَ أنْ يُنْجيهِ مِنهُمْ ، وَيتوجَّهُ إلى مَدْينَ فَيَطْلُبُ مِنَ اللهِ الهِدايةَ ، ويَصِلُ غَريباً إلى مَدْينَ فيدعو رَبَّهُ : ربِّ إنِّي لِما أَنْزلْتَ إليَّ مِنْ خَيْرٍ فَقيرٍ .

٤ـ لا حَرَجَ على المُؤْمِنِ أنْ يَفِرَّ مِنَ الأخْطارِ عِنْدَما لا يَسْتَطيعُ مُواجهَتَها .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ عِنْدَما يَقَعُ في ضِيقٍ أَوْ هَمٍّ أنْ يَلْجَأَ إلىٰ اللهِ ، طَالِباً مِنْهُ السَّدادَ والنَّجاةَ .

٦ـ الأَصْلُ في المَرْأةِ أنْ تَقومَ بالأَعْمالِ المُتَّفقةِ مَعَ طَبيعتِها اللَّيِّنَةِ ، ولا تَلْجَأُ لِلأَعْمالِ الشَّاقَّةِ الصَّعْبةِ إلاَّ في حَالةِ الحَاجةِ .

٧ـ يُمْكِنُ لِلرَّجُلِ أنْ يتكلَّمَ مَعَ المَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ إذا احْتاجَ لِذلكَ مَعَ الأدَبِ والأَخْلاقِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماذا قالَ الرَّجُلُ القادِمُ لِموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟ وبماذا نَصَحَهُ ؟ ولِماذا ؟

٢ـ حَدِّدِ المَوْقعَ الجَغرافيَّ لِمَدينَ ، وصِفِ الطَّريقَ بيْنَها وبَيْنَ مِصْرَ .

٣ـ ماذا قالَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما خَرَجَ مِنْ مِصْرَ ؟ وماذا قالَ عِنْدَما توجَّهَ لِمدْينَ ؟ وماذا نَستفيدُ مِنْ ذَلِكَ ؟

٤ـ بِماذا تُفَسِّرُ كلامَ موسَىٰ مَعَ المَرْأَتَيْنِ ، وسَقْيِهِ غنَمَهُما ؟ وماذَا تأْخُذُ دَلالةً مِنْ ذلكَ ؟

٥ـ ماذا فَعَلَ موسَىٰ بعدَ سَقْيِ الغَنمِ ؟ وماذا قالَ ؟

**نَشاطٌ :**

١ـ اكْتُبْ في دَفترِكَ اسْمَ النَّبيِّ الَّذي بَعَثَهُ اللهُ إلىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ .

٢ـ لِماذا كانَ هـٰذا المَنْظَرُ لا يتَّفقُ مَعَ المُروءَةِ ؟ وماذَا كانَ يَجبُ علىٰ الرِّجالِ الرُّعاةِ أنْ يَفْعلوا ؟ ولو طلبَتْ مِنْكَ عَجوزٌ المُساعدةَ فماذا تَفْعلُ ؟ اكْتُبْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

## الدرس السابع والأربعون

# سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ الخامِسُ

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

تَمْشي عَلَى ٱسْتِحْياءٍ : تَمْشي وَهِيَ مُسْتَحِيِيةٌ حَياءً شَديداً .

قَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ : أَخْبَرَهُ بِما جَرَىٰ لَهُ مُنْذُ قَتْلِهِ القِبْطِيَّ حَتَّىٰ وَصَلَ إِليهِ .

ٱسْتَأْجِرْهُ : ٱتَّخِذْهُ أَجيراً يَرْعَىٰ ٱلْغَنَمَ بَدَلَنا .

أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ : أُزَوِّجُكَ واحِدَةً مِنْ بِنْتَيَّ .

تَأْجُرَني ثَمانِيَ حِجَجٍ : تَعْمَلَ أَجيراً عِنْدِي ثَمانِيَ سِنينَ .

أَيَّمَا ٱلأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ : أَيَّ المُدَّتَيْنِ : الثَّمانِيَةِ أَوْ العَشْرَةِ قَضَيْتُ .

ٱللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكيلٌ : اللهُ شاهِدٌ عَلَىٰ اتِّفاقِنا .

### التَّفسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عن قُدومِ موسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلامُ - إِلَىٰ مَدْيَنَ ، ومُساعَدَتِهِ لِلْمَرأَتَيْنِ ، وتَتَحدَّثُ هذهِ الآياتُ عن الْتِقائِهِ بوالِدِ المَرْأَتَيْنِ وعَمَلِهِ عِنْدَهُ .

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

بعدَما سَقىٰ موسَىٰ لِلْمَرْأَتَيْنِ ، وجَلَسَ في ظِلِّ الشَّجَرةِ ، عادَتِ المَرْأَتانِ إلىٰ أبيهما ، وأَخْبَرَتاهُ الخَبَرَ ، فَطَلَبَ مِنْ إِحْداهُما أنْ تَأْتيَ إِلىٰ ذٰلِكَ الرَّجُلِ وتَدْعوهُ لِيكرِموهُ ، ولَوْ كانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ لَبَعثه إليهِ ، لكنَّها الضَّرورةُ .

جاءتِ المَرْأَةُ مُوسَىٰ وهُوَ جالِسٌ في ظِلِّ الشَّجَرةِ ، وكانَتْ تَمْشي علىٰ اسْتِحْياءٍ ، وهيَ مِشْيَةُ الفَتاةِ الطَّاهِرةِ الفاضِلَةِ العَفيفةِ النَّظيفةِ حِيْنَ تلقَىٰ الرِّجالَ ، حَيْثُ تَمْشي مُسْتَحْيِيةً ، مِنْ دونِ تبذُّلٍ أو تبرُّجٍ أَوْ إغواءٍ .

وكَلِّمَتْهُ كَلِمَةً مُخْتَصَرَةً دَقيقةً واضِحَةً ، قالتْ لهُ : إنَّ أَبي يَدْعوكَ إِلىٰ البَيْتِ ، لِيُكافِئَكَ ويَجْزِيَكَ على إِحْسانِك لنا ، ويُعْطِيَكَ الأَجْرَ مُقابِلَ سَقْيِكَ لِغَنمِنا .

وكانتْ دَعْوةُ الأبِ لِموسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَرَجاً مِنَ اللهِ ، واسْتِجابةً مِنْهُ لِدعاءِ موسَىٰ السَّابِقِ : ربِّ إنِّي لِمَا أنزلتَ إِليَّ مِنْ خَيْرٍ فَقيرٌ .

واسْتَجابَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلدَّعْوَةِ ، وتَوجَّهَ إِلىٰ مَنْزِلِ الرَّجُلِ الصَّالح ، لِينالَ عِندَهُ التَّكريمَ ، وأَخْبَرَهُ موسَىٰ بِقِصَّتِهِ مَعَ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، وقَتْلِهِ لِلقِبْطِيِّ ، وخُروجِهِ مِنْ مِصْرَ خائِفاً لأَنَّهم يَطْلُبونَهُ ويُلاحِقونَهُ .

فَطَمْأَنَهُ الرَّجُلُ الصَّالحُ قائلاً : اطْمَئِنَّ ولا تَخَفْ ، فأَنْتَ هُنا قدْ نَجَوْتَ مِنْ قَوْمِ فِرعونَ الظَّالِمينَ ، لأَنَّكَ خَرَجْتَ مِنْ مَمْلَكَتِهِمْ ، ولا سُلْطانَ لَهُمْ علىٰ هذهِ البلادِ .

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بعدَما اطْمَأَنَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في بَيْتِ الرَّجُلِ الصَّالحِ ، فَكَّرَتِ المَرْأَتانِ في رَعْيِهِما الغَنَمَ ، والمُهِمَّةِ الشَّاقَّةِ الَّتي تَقومانِ بها يَوْمِيّاً لِعَدَمِ وُجودِ رَجُلٍ ، والآنَ الرَّجُلُ مَوْجودٌ ، فلِماذا لا تَسْتريحانِ ؟

لِذلكَ عَرَضَتْ إِحْداهُما علىٰ أَبيها عَرْضاً طَيِّباً ، فَقالتْ لَهُ يا أَبَتِ اسْتأْجِرْ هذا الرَّجُلَ لِرَعْيِ الغَنَمِ ، وهُوَ صالِحٌ لِهذهِ المُهِمَّةِ قادِرٌ عَلَيْها ، وهُوَ قَوِيٌّ في عَمَلِهِ ، أَمِينٌ في خُلُقِهِ ، وكَونُهُ قوِيّاً أَميناً فإِنَّ ذٰلِكَ يُؤَهِّلُهُ للعَمَلِ عندَنا .

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

أُعْجِبَ الرَّجُلُ بِعَرْضِ ابْنَتِهِ ، ووَجَدَهُ مُناسِباً ، ولَكِنْ كَيْفَ يَسْتأْجِرُ رَجُلاً غَريباً لِرَعْيِ الغَنمِ

عِنْدَهُ ؟ وكَيْفَ يُقيمُ عِنْدَهمْ في البَيْتِ ، وهوَ غَريبٌ عَنِ ابْنَتَيْهِ ؟

الحلُّ هُوَ في الزَّواجِ فعَرَضَ الرَّجُلُ على موسَىٰ أَنْ يُزَوِّجَهُ مُقابلَ اسْتِئْجارِهِ ، فيكونَ زَواجُهُ أُجْرةً لَهُ ، ويَكونَ مَهْرُ المَرْأَةِ قِيامَهُ برَعْيِ الغَنَمِ . قالَ لهُ الرَّجُلُ : إنِّي أُريدُ أَنْ أُزَوِّجَكَ إِحْدَى ابْنَتي هاتيْنِ ، ومَهْرُهَا أنْ تَرْعىٰ غَنمي ثَمانيَ سَنَواتٍ ، فإنْ تبَرَّعْتَ أَنْتَ بزيادةِ سَنَتَيْنِ ، وعَمِلْتَ عَشْرَ سَنواتٍ فَهُوَ إِلَيْكَ وإِحْسَانٌ مِنْكَ ، ولنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ في العَمَلِ أَوْ أُكَلِّفُكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ ، وسَوْفَ تَستريحُ في العَمَلِ عِنْدي ، وسَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحينَ .

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

قَبلَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَرْضَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وكانَ ذَلِكَ فَرَجاً وأَماناً واسْتِقْراراً لَهُ ، ولِذلكَ قالَ لهُ : ذٰلِكَ الأَمْرُ بيني وبَيْنَكَ ، وأنا مُخَيَّرٌ في أَحَدِ الأَجَلَيْنِ ، ثماني سَنواتٍ وعَشْرِ سَنواتٍ ، وأَيَّ الأَجَليْنِ قَضيْتَهُ فلاَ عُدوانَ مِنْكَ عليَّ ، سَواءٌ أكانَ الأطولَ أَمِ الأَقْصَرَ!

واللهُ بيننا وَكيلٌ حَافِظٌ علىٰ ما جَرَىٰ بينَنَا ، وشَاهِدٌ علىٰ ما أَلْزَمَ بهِ كلٌّ مِنَّا نَفْسَهُ .

وقَدِ اخْتارَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأجَلَ الأطْولَ عَشْرَ سَنواتٍ مِنْ بابِ كَرَمِهِ ونَخْوَتهِ . فَقَدْ سُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهما ـ أيَّ الأجَلَيْنِ قضَىٰ موسىٰ ؟ فقالَ أكثرُهُما وأطيبُهُما . إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ إذَا قالَ فَعَلَ[1] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ حَياءُ المَرْأَةِ خُلُقٌ حَميدٌ ، ودَليلٌ علىٰ العِفَّةِ والاسْتقامَةِ ومُوافقَةِ الفِطْرَةِ .

٢ـ يُمْكنُ للمرأةِ أنْ تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عِنْدَ الحَاجةِ ، علىٰ أنْ يَكونَ كَلامُهَا مُخْتَصراً مُفيداً مُؤَدَّباً .

٣ـ مِنَ المُروءَةِ والشَّهامةِ مُكافأةُ ومُجَازاةُ المُحْسِنِ علىٰ إحْسانهِ .

٤ـ لِلْمَرْأةِ رأيٌ فِي ما حَوْلَها ، تُقَدِّمُهُ لِصاحِبِ القَرارِ ، الَّذي يُفَكِّرُ فيهِ وَيقْبَلُهُ .

٥ـ القُوَّةُ والأمانةُ صِفَتانِ ضَروريَّتانِ لِكُلِّ مَنْ يَقومُ بالأَعْمالِ العامَّةِ .

٦ـ لِلرَّجُلِ أنْ يَعْرِضَ ابْنَتَهُ علىٰ الصَّالِحِ المُسْتقيمِ لِلزَّواجِ .

---

(١) صحيح البخاري ( ٥٢ ) كتاب الشهادات ( ٢٨ ) باب من أمر بإنجاز الوعد . حديث رقم : ٢٦٨٤ .

٧ـ يُمْكِنُ أنْ يَكونَ مَهْرُ المَرْأَةِ مَنْفَعةً عامَّةً تَتحقَّقُ لَهَا أَوْ لأَحَدِ أفرادِ البَيْتِ .

٨ـ لُطْفُ اللهِ بِموسى إِذْ يَسَّرَ لَهُ في غُرْبَتِه العَمَلَ والزَّواجَ والسَّكَنَ في اليَوْمِ الأوَّلِ الَّذي حَلَّ فيهِ بِمدينةِ مَدْينَ .

٩ـ يَجوزُ أنْ يَكونَ المَهْرُ عَمَلاً يَقومُ بِهِ الرَّجُلُ لِزوجتهِ أَوْ والِدِها .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا اسْتَدعَىٰ الرَّجلُ موسَىٰ ؟ وصِفْ قُدومَ المَرْأَةِ إِليهِ . ومَاذَا قالَتْ لَهُ ؟

٢ـ مَاذَا عَرَضَتِ المَرأَةُ علىٰ أَبيها ؟ ولِماذا ؟ وبِماذا وَصَفَتْ موسَىٰ ؟ ومَا أَهَمِيَّةُ ذَلِكَ الوَصْفِ ؟

٣ـ اذْكُرْ أَرْبعَ دَلالاتٍ مِنْ عَرْضِ الرَّجلِ ابنتَهُ علىٰ موسَىٰ لِلزواجِ مُقابِلَ رَعْيِهِ الغَنَمَ .

٤ـ أيَّ الأَجَليْنِ قضَىٰ موسَىٰ ؟ وَمَا دَلِيلُكَ علىٰ ذلكَ ؟

## تَعَلَّمْ :

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : أَفْرَسُ النَّاسِ ثلاثةٌ : أَبُو بكرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ وصَاحِبُ يوسفَ حينَ قالَ لامْرأتِهِ : ﴿أَكْرِمي مَثْواهُ عسى أَنْ يَنْفَعنا﴾ ، وصاحِبةُ موسَىٰ حينَ قالتْ لأبيها : ﴿يا أَبَتِ اسْتأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمينُ﴾ .

## نَشاطٌ :

١ـ القُوَّةُ والأَمانةُ ضَروريَّتانِ لِمَنْ يَقومُ بالعَمَلِ العامِّ . واتَّصفَ بِهما رَجُلٌ عِنْدَ سُليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وذَكَرَتْ ذَلكَ سورةُ النَّمْلِ . اذكرِ الآيةَ في ذَلِكَ ، والمُهِمَّةُ الَّتي قامَ بها ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدرس الثامن والأربعون

## سورة القصص ـ القسم السادس

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

### مَعاني المُفْرَدات :

| | |
|---|---|
| قَضَىٰ مُوسَىٰ ٱلأَجَلَ | : أَتَمَّ الْمُدَّةَ الْمُتفَقَ عَلَيْها . |
| آنَسَ مِنْ جانِبِ ٱلطُّورِ ناراً | : رَأَىٰ ناراً عِنْدَ الجَانِبِ الأيْمَنِ لِجَبَلِ الطُّورِ فَاسْتَأْنَسَ بها . |
| جَذْوَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ | : جَمْرَةٍ مُلْتَهِبَةٍ مِنَ النَّارِ . |
| لَعَلَّكُمْ تَصْطَلونَ | : لَعَلَّكُمْ تَسْتَدْفِئونَ عَلَيْها . |
| شَاطِيءِ ٱلوادي ٱلأَيْمَنِ | : الْجَانِبِ الأَيْمَنِ لِلْوَادِي الْمُقَدَّسِ . |
| ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ | : الْمَكانِ الْمُبَارَكِ الَّذي فِيهِ الشَّجَرَةُ المُشْتَعِلَةُ فِي النَّارِ . |
| تَهْتَزُّ كَأَنَّها جانٌّ | : تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ كَالْحَيَّةِ سَريعَةِ الْحَرَكَةِ . |
| وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ | : أَدْبَرَ هارِباً مِنَ الخَوْفِ وَلَمْ يَرْجِعْ . |
| ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ | : أَدْخِلْ يَدَكَ فِي فَتْحَةِ قَميصِكَ . |
| ٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ | : ضُمَّ يَدَكَ عَلَىٰ صَدْرِكَ لِتَزولَ الرَّهْبَةُ وَالْخَوْفُ عَنْكَ . |
| ذانِكَ بُرْهانانِ | : الْعَصا وَالْيَدُ آيَتانِ وَمُعْجِزَتانِ وَدَليلانِ . |

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ إقامةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في مَدْيَنَ ، يَرعىٰ الغَنَمَ عِنْدَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، بعدَ أنْ تزوَّجَ ابنتَهُ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عنْ ما جَرىٰ لِمُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلىٰ مِصْرَ ، حَيْثُ ناداهُ اللهُ فِي الوادِي المُقَدَّسِ « طُوَىً » وكلَّفَهُ بالذَّهابِ إِلىٰ فِرْعَوْنَ ، وآتاهُ مُعجزَتَي العَصا واليدِ .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ ﴾

أقامَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في مَدْيَنَ عَشْرَ سَنواتٍ ، وقضىٰ المُدَّةَ الَّتي اتَّفقَ عَلَيْهَا مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، ثُمَّ أَلْهَمَهُ اللهُ أنْ يَعودَ إِلىٰ مِصْرَ ، حَيْثُ أُسْرَتُهُ هُناكَ .

سارَ بأَهْلِهِ عَبْرَ الصَّحْراءِ ، وَوَصَلَ إِلىٰ الوادِي المُقَدَّسِ « طُوَىً » الواقعِ بجانبِ الطُّورِ ، في سيناءَ ، وبَيْنَما كانَ يَسيرُ في المِنْطَقةِ لَيْلاً ضَلَّ الطَّريقَ بِسببِ الظَّلامِ ، وكانَتْ لَيْلةً بارِدَةً شَديدةَ البُرودةِ .

وبينَمَا هو كَذلِكَ أبْصَرَ نَاراً تُضِيءُ علىٰ جَانبِ الطُّورِ ، فَتفاءَلَ بِهَا وأَنِسَ إِلَيْهَا ، فَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهِ أَنْ يَتوقَّفُوا عَنِ السَّيْرِ ، ويَمْكُثُوا حَيْثُ هُمْ ، ويَنْتَظِرُوهُ ، فَسَيَذْهَبُ إِلىٰ النَّارِ المُضيئَةِ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ عِنْدَها أحَدَ النَّاسِ ، فَيُخْبِرُهُ عَنِ الطَّرِيقِ المُوصِلَةِ إِلىٰ مِصْرَ ، فإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَداً يَسْأَلُهُ ، يَأْتِيهِمْ بِجَمْرةٍ مُشْتَعِلَةٍ مِنَ النَّارِ ، يَسْتَدْفِئونَ بِها مِنَ البَرْدِ الشَّديدِ .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾

لَمَّا وَصَلَ موسَىٰ المَكانَ ، حَيْثُ النَّارُ المُضيئَةُ ، هُناكَ ناداهُ ربُّهُ مِنْ جَانبِ الوادِي الأَيْمنِ ، عَنْ يَمينِ مُوسَىٰ ، فِي البُقْعَةِ المُباركَةِ ، المَوْجودةِ في الشَّجَرَةِ ، الّتي تَشْتَعِلُ ناراً غَيْرَ حارِقةٍ . قالَ تَعالَىٰ : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَينا إلى مُوسَى الأَمْرَ﴾ [القصص : ٤٤] .

وسَمِعَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نِداءَ اللهِ ، حينَ قالَ لَهُ : يا مُوسَىٰ : الَّذي يُكلِّمُكَ هُوَ اللهُ ربُّ العالَمِينَ . ولا شَكَّ أَنَّ موسىٰ أَيْقَنَ بأَنَّ الذي يَسْمَعُهُ هوَ كلامُ اللهِ ربِّ العَالَمِينَ ، لأَنَّ كلامَ اللهِ لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كلامِ الخَلْقِ .

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾

كانَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يُمْسِكُ عَصاهُ بِيَدِهِ وهُوَ يَسْمَعُ كلامَ اللهِ ، وأَرادَ اللهُ أنْ يُرِيَهُ آيةً دالَّةً علىٰ نُبوَّتِهِ ، فأَمَرَهُ أنْ يُلقيَ عَصاهُ ، ولمَّا أَلْقاها أَجرَىٰ اللهُ بِقُدْرَتِهِ فيها حَياةً حَقيقيَّةً ، حَيْثُ جعَلَها حيَّةً تَسْعىٰ .

ونَظَرَ مُوسَىٰ إِلى الحَيَّةِ فرآها تَتحرَّكُ وتَضْطَرِبُ وتَهْتَزُّ بِسُرْعَةٍ وخِفَّةٍ ، وتَتلَّوىٰ وتَتقَلَّبُ ، كما تَفْعَلُ الحَيَّاتُ الصِّغارُ السَّريعةُ الَّتي تُسمَّىٰ « جَانّ » .

كانَ المَنْظَرُ مُخيفاً مُرْعِباً ، لَمْ يَتحمَّلْهُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِذَلكَ هَرَبَ خائفاً ، وَولَّىٰ مُدْبِراً ، ولَمْ يُعقِّبْ أَوْ يَلتفِتْ خَلْفَهُ ، ونَسِيَ أَنَّهُ في حَالةِ مُناجاةٍ مَعَ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ يُخاطِبُهُ .

فَهَدَّأَ اللهُ رَوْعَهُ وأَزالَ خَوْفَهُ بقولِهِ : يَا مُوسَىٰ : تَعالَ ، وارْجِعْ إِلىٰ المَكانِ الَّذي كُنْتَ واقِفاً فيهِ ، ولا تَخَفْ مِنَ الحَيَّةِ ، فإِنَّها لَنْ تُؤْذِيَكَ ، وسَتَكونُ آمِناً مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾

ولمَّا عادَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَراهُ اللهُ آيةً أُخْرَىٰ ، فقدْ كانتْ يَدُهُ سَمْراءَ ؛ لأنَّهُ كانَ أَسْمَرَ اللَّونِ ، فأَمَرَهُ اللهُ أنْ يُدْخِلَها في فَتْحَةِ ثَوْبِهِ ، ويَنْظُرَ إِلَيْها ، فَستكونُ بَيْضاءَ تَتلألأُ ، مِنْ غَيْرِ عَيْبٍ ولا سُوءٍ ولا بَرَصٍ .

وأَرْشَدَهُ اللهُ إِلىٰ طريقةٍ لإِزالةِ الرَّهْبَةِ والخَوْفِ ، فقالَ لَهُ : اضْمُمْ إِليكَ جَناحَكَ ، وضَعْ يَدَكَ علىٰ صَدْرِكَ ، لِتَشْعُرَ بالسَّكينةِ والطُّمأنينةِ ، وتَخِفَّ ضرباتُ قَلْبِكَ ، وتَزولَ عَنْكَ الرَّهْبَةُ .

وأَخْبَرَ اللهُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ آتاهُ بُرْهانَيْنِ واضِحَيْنِ ، ومُعجزتَيْنِ مَادِّيَتَيْنِ ، تَدلاَّنِ علىٰ أَنَّهُ رَسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وأَمَرَهُ أنْ يَذْهَبَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، ويُقدِّمَ لَهُ البُرهانَيْنِ : العَصا تَصيرُ حيَّةً تَسْعىٰ ثُمَّ تَعودُ عَصاً خَشَبيَّةً ، ويَدَهُ سَمْراءَ تَخْرُجُ مِنْ جَيْبِهِ بَيضاءَ ، ثُمَّ تَعودُ سَمْراءَ ، كلُّ ذَلِكَ بِفِعْلِ اللهِ وأَمْرِهِ .



تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إِلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يُوجِّهُ اللهُ الإِنسانَ إِلىٰ ما يَسَّرَهُ لَهُ وقَضاهُ عَلَيْهِ ؛ ويُدبِّرُ لهُ الأَحْداثَ الَّتي تُوصِلُهُ إِلىٰ ذَلِكَ .

٢ـ اللهُ حكيمٌ فيما يُقَدِّمُ لِرُسلِهِ مِنْ مُعْجِزاتٍ وآياتٍ ؛ لِيَسْتوعبَها الأَقْوامُ المُوَجَّهةُ لهُمْ لِتَقومَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ .

٣ـ الخَوْفُ مِنَ الخَطَرِ والفِرارِ مِنْهُ أَمْرٌ فَطَرَ اللهُ نُفوسَ البَشَرِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ فَرَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما تَحوَّلَت عَصاهُ إِلى أَفْعى ، وهذا لا يُنافِي عِصْمَةَ الرُّسُلِ .

٤ـ اللهُ يُكَلِّمُ مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ كَيفَ شاءَ كَما كلَّمَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٥ـ العَصا واليَدُ ، وضَمُّ موسى جَناحَه إِليْهِ مِنْ الرَّهَبِ آياتٌ اخْتَصَّ بها موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرِ الجَوَّ العامَّ الَّذِي رأىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فيهِ النَّارَ ، وحَدِّدِ البُقْعَةَ الَّتي اشْتَعَلتْ فيها النَّارُ . ولِماذا لمْ تَحْرِقْها النَّارُ ؟

٢ـ مَاذَا أرادَ مُوسَىٰ أخذَهُ مِنْ عندِ النَّارِ ؟ ولِماذا ؟

٣ـ ماذا فَعَلَ موسَىٰ عندَما رَأَىٰ عَصاهُ تهتزُّ كأَنَّهَا جانٌّ ؟ وبِمَاذَا تُفَسِّرُ ذَلِكَ ؟

٤ـ مَا المُعْجِزَةُ الثَّانِيةُ الَّتي آتَاهَا اللهُ لِموسَىٰ وَمَا معنىٰ قولهِ : ﴿بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ ؟

٥ـ ما معنَىٰ قولهِ : ﴿ذانِكَ بُرْهانانِ﴾ ؟ وكمْ آيةً آتىٰ اللهُ موسَىٰ إِلىٰ فِرْعَونَ وقَوْمِهِ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ الوادِي الَّذِي كانَ فيهِ مُوسَىٰ ، ولِماذا طَلَبَ اللهُ مِنْهُ خَلْعَ نَعْلَيْهِ فيهِ ، وماذا صارَ وَصْفُ الوادِي بَعْدَ نِداءِ اللهِ لهُ . واسْتَعِنْ في ذَلِكَ بالآياتِ الأُولىٰ مِنْ قصَّةِ موسَىٰ في سورةِ طَهَ .

٢ـ اجْمَعِ الآياتِ الَّتي تحدثَتْ عَنْ تَحْويلِ العصَا إِلىٰ حَيَّةٍ ، مِنْ سورِ : طَهَ ، والنَّمْلِ ، والقَصَصِ ، وَسَجِّلْ أَرْبعةَ فُروقٍ بَيْنَها .

* * *

# الدَّرسُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ

## سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً : أَكْثَرُ مِنِّي بَياناً .

رِدْءاً : مُعِيناً وَمُساعِداً لي .

يُصَدِّقُني : يُوَضِّحُ ما قُلْتُهُ وَيُقيمُ عَلَيْهِ الأَدِلَّةَ .

سَنَشُدُّ عَضُدَكَ : سَنُقَوِيكَ وَنُساعِدُكَ . وَالْعَضُدُ ما بَيْنَ الْمِرْفَقِ وَالْكَتِفِ .

سُلْطاناً : حُجَّةً قَوِيَّةً وَغَلَبَةً وَتَفَوقاً .

سِحْرٌ مُفْتَرَى : سِحْرٌ مُخْتَلَقٌ مَكْذُوبٌ .

عَاقِبَةُ الدَّارِ : النِّهَايَةُ الْحَسَنَةُ فِي الآخِرَةِ ؛ لأَنَّ الدُّنْيا تُوصِلُ إِلَىٰ الآخِرَةِ .

### التفسيرُ :

أَخْبَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ تكليمِ اللهِ لِمُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في تِلْكَ اللَّيلةِ المُباركةِ ، وتَكْليفِهِ بالنُّبوَّةِ والرِّسالةِ ، وأَمْرِهِ بالذَّهابِ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، وإِعْطائِهِ عِدَّةَ بَراهينَ دَالَّةٍ علىٰ صِدْقِهِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ طَلَبِ مُوسَىٰ مُساعَدَتَه بأَخيهِ هارونَ ، وعَنْ مَوْقِفِ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ مِنْهُما ، وبِدايةِ المُواجَهةِ بَيْنَ الفَريقَيْنِ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

لمَّا أَبْلغَ اللهُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالرسالةِ ، وكلَّفَهُ بالذهابِ إلىٰ فِرعونَ ومَلَئِهِ ، تذكَّرَ أَنَّهُ قَتَلَ مِنْهُم رَجُلاً قَبْلَ عَشْرِ سَنواتٍ وَخَشِيَ أَنْ يَقْتلوهُ بِسَبَبِهِ .

ولِذلكَ قالَ مُوسَىٰ : يَا رَبِّ ، لقدْ سَبَقَ أَنْ قَتَلْتُ مِنهُم رَجُلاً قِبْطِيّاً ، وهَرَبْتُ مِنْهُمْ إلىٰ مَدْينَ ، وإذا ذَهَبْتُ إليهِم ورَأَوْني فإنِّي أَخافُ أَنْ يَقْتُلوني بِسَبَبِ ذَلِكَ . ثُمَّ إنَّ أخِي هارونَ هُوَ أَفْصَحُ منِّي لِساناً ، وأَحْسَنُ بَياناً ، فاجْعَلْهُ مَعِيَ نَبيّاً وَوَزِيراً ومُساعِداً ومُعِيناً ، لِيُصَدِّقَني فيمَا أَقولُ ، ويُوضِّحَ كلامِي بالحُجَجِ والأدِلَّةِ والبَراهينِ .

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ اللهُ لِطَلَبِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَبَعثَ مَعَهُ أخاهُ هارونَ وَزيراً ، وطَمْأَنهُ بأَنَّهُ سَيَكُونُ مَعَهُما ، وسَيَنْتَصِرانِ علىٰ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ .

قالَ لَهُ : سَنُقوِّيكَ ونُعينُكَ بأَخيكَ ، ونَشُدُّ عَضُدَكَ بهِ ، وسَيَكونُ وَزيراً مُعِيناً لَكَ ، وسَنَجْعَلُ مَعَكُمَا سُلْطاناً قويّاً وبُرْهاناً واضِحاً ، يَتَمثَّلُ في المُعْجِزاتِ الَّتي نُحَقِّقُها علىٰ أَيْديكُما . ولَنْ يَتَمكَّنوا مِنَ الوُصُولِ إِلَيْكُما وإيقاعِ الأذىٰ بِكُما ، لأنَّنا مَعَكُما بالتَّأْييدِ والتَّوْفيقِ .

ثُمَّ وعَدَهُ اللهُ بالنَّصْرِ علىٰ القَوْمِ الكافِرينَ فَقالَ لَهُ : سيَتَّبِعُكَ أَنْتَ وأَخوكَ مُؤْمِنونَ ، وسَتَكُونونَ أَنتُمُ الغالِبينَ . وسَتكونُ العاقِبةُ لكُمْ ، والدَّمَارُ والهَلاكُ لأَعدائِكُمْ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

غادرَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ المَكانَ المُقَدَّسَ نَبيّاً رَسولاً ، مُؤَيَّداً بالآياتِ الباهِراتِ ، مُسْتَبْشِراً بأَنَّهُ سَيَكونُ أَخوهُ مَعَهُ ، وعادَ إلىٰ أَهْلِهِ ، وتابَعوا سَيْرَهُم إلىٰ مِصْرَ ، والْتَقىٰ هُناكَ بأَخيهِ هارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وذَهبا مَعاً إلَىٰ فِرْعَوْنَ ؛ بَعْدَ أنْ طمأَنَهُما اللهُ .

قَالَ تَعالَىٰ : ﴿قالا رَبَّنا إنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغَى قالَ لا تَخافا إنَّني مَعَكُما أَسْمَعُ وأَرَى فَأْتِياهُ فَقولا إنَّا رَسولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَني إسْرائِيلَ ولا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾ [طه : ٤٥ـ٤٧] .

قدَّمَ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ الآياتِ الدَّالَّةَ علىٰ صِدْقِهِ ونُبُوَّتهِ ، وأَنَّ اللهَ رَبُّ العالَمينَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ ، وأراهُمُ العصَا يُحوِّلُها اللهُ إِلَىٰ ثُعْبانٍ مُبينٍ ، ويَدَهُ السَّمراءَ يُحوِّلُها اللهُ بَيْضاءَ .

وبَدَلَ أَنْ يُؤْمِنَ فِرْعَوْنُ ومَلَؤُهُ لِقِيامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بالآياتِ البيِّناتِ ، كَفروا وكَذَّبوا تَكَبُّراً وعِناداً ، واتَّهموا موسَىٰ بأَنَّهُ سَاحِرٌ ولَيْسَ رَسولاً ، وأَنَّ مَا مَعَهُ هُوَ سِحْرٌ مَصْنوعٌ مُفتَعَلٌ مُخْتَلَقٌ ، وقالوا لَهُ : يا أَيُّها السَّاحِرُ ، مَا تقولُهُ لنا كَذِبٌ وسِحْرٌ مُفْترىً ، ولا يُمْكِنُ أَنْ يكونَ صَحيحاً ، لأَنَّنا ما سَمِعْنا عَنْهُ فيمَا مضَىٰ ، ولمْ يكنْ أَحَدٌ مِنْ آبائِنا السَّابقينَ يَدينُ بهِ ، ونَحْنُ مُتابِعونَ لَهُم .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ ﴾ .

ردَّ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تُهْمَتَهم بأَنْ أَحالَ الأَمْرَ إِلىٰ عِلْمِ اللهِ ، فقالَ لهُم : ربِّي هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلـٰهَ إِلاَّ هُوَ ، وهُوَ عالِمُ الغَيْبِ والشهادةِ ، ولا تَخفَى عليهِ خافيةٌ ، فَهُوَ أَعْلَمُ مِنِّي ومِنْكُم بالمُحِقِّ مِنَ المُبْطِلِ ، وبِمَنْ جاءَ بِالهُدَىٰ مِنْ عندِهِ الدَّاعِي إِلىٰ الرَّشادِ .

وهوَ الأَعْلَمُ بالمُنْتَصِرِ الفَائِزِ ، المُفْلِحِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، الَّذِي تَكونُ لَهُ العاقِبَةُ المَحْمودةُ والنِّهايةُ الحَسَنَةُ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ .

ثُمَّ قدَّمَ لَهُم سُنَّةً رَبَّانيَّةً مُطَّرِدةً لا تَتخَلَّفُ ، وهِيَ أَنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمونَ ولا يفوزونَ ولا يَنجَحونَ ، لا فِي الدُّنْيا ولا فِي الآخِرَةِ ، وإِنَّما هُمْ في خَسارةٍ وَخَيْبَةٍ ، لأَنَّ الفلاحَ والفَوْزَ إِنَّما هُوَ لِلْمُؤْمِنينَ الصَّالِحينَ .

وموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي رَدِّهِ عَلَيْهِم مُؤَدَّبٌ مُهَذَّبٌ ، كُلُّهُ ثِقَةٌ بِالفَوْزِ والنَّصْرِ ، وَهُوَ لَهُم ناصِحٌ أَمينٌ ، يُرَهِّبُهُمْ ويُحَذِّرُهُمْ عاقبةَ ضَلالِهِمْ وكُفْرِهِمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ النَّاسَ مُتفاوِتينَ في المواهِبِ والقُدراتِ ، فهَا هُوَ هارونُ أَفْصَحُ مِنْ مُوسَىٰ لساناً ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ .

٢ـ يَحتاجُ الدَّاعِيَةُ إِلَىٰ مَنْ يكونُ مُساعِداً مُعاوِناً لَهُ فِي تَبْليغِ الدَّعْوةِ ، ولِذلكَ طَلَبَ موسَىٰ مِنْ ربِّهِ هارونَ مُعيناً .

٣ـ الغَلَبَةُ والنَّصْرُ لا يكونُ إلاَّ بالالتزامِ الصَّادِقِ التَّام بآياتِ اللهِ .

٤ـ كانتِ العصا آيةً دالَّةً على صِدْقِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبهَا غَلَبَ فِرْعَونَ ومَلأَهُ .

٥ـ الكُفَّارُ مُعانِدونَ رافِضونَ لِلحقِّ ، ويتَّهِمونَ أصْحابَ الحقِّ بالتُّهَمِ الباطلة .

٦ـ وُجوبُ اسْتِخْدامِ أدَبِ الخِطابِ والمَوْضوعيَّةِ في الحوارِ والنِّقاشِ مَعَ المُخالِفينَ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا طلَبَ موسَىٰ أخاهُ هارونَ ؟ وماذا قالَ اللهُ لَهُ ؟

٢ـ ماذا قالَ قومُ فِرْعَونَ لِموسَىٰ ؟ وَبِماذا اتَّهَموهُ ؟

٣ـ بِماذا ردَّ موسَىٰ عَلَيْهِم تُهْمَتَهم ؟ وَما الدَّرسُ الَّذي تَتعلَّمُهُ أنتَ مِنْ ذلكَ ؟

٤ـ اسْتَخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ سُنَّةً ربانيَّةً تتعلَّقُ بالمُؤْمِنينَ ، وسُنَّةً أُخرىٰ تتعلَّقُ بالظَّالِمينَ .

## تَعَلَّمْ :

قولُهُ تَعالَىٰ : ﴿فلا يَصِلونَ إلَيْكُما بآياتِنَا أنتُما ومَنْ اتَّبعَكُما الغالِبونَ﴾ مُكوَّنٌ مِنْ جُمْلَتينِ :
الجملةُ الأُولىٰ : ﴿فلا يَصِلونَ إلَيْكُما﴾ . والجُمْلَةُ الثَّانيةِ : ﴿أَنْتما ومَنِ اتَّبَعَكُما الغَالِبونَ﴾ فشِبْهُ الجُملةِ « بآياتِنا » مُتعلِّقةٌ بِمَا بَعْدَها . والتَّقديرُ : أنتُما ومَنِ اتَّبَعَكُما غالِبونَ بآياتِنا .

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلِ الآياتِ ( ٢٧ـ٣٢ ) مِنْ سورةِ طَهَ ، واسْتَخْرِجْ مِنها ما طَلَبَهُ مُوسَىٰ مِنْ ربِّهِ ، واذكرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآياتِ (٣٣ـ٣٤) .

٢ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيتيْنِ ( ٢٥ـ٢٦ ) مِنْ سورةِ سَبأٍ ، في النِّقاشِ بَيْنَ رسولِ اللهِ ﷺ وبَيْنَ المُشْركينَ ، واذْكُرْ وجهَ الشَّبهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٣٧) .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مُلَخَّصاً بلُغتِكَ تَحْتَ عُنوانِ المَشْهدِ الثَّاني مِنْ قِصَّةِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ خُروجهِ مِنْ مِصْرَ حتَّىٰ رُجوعهِ إلَيْها .

## الدرس الخمسون

# سورة القصص ـ القسم الثامن

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

## معاني المفردات :

أَوْقِدْ لِي يَا هامانُ عَلَى الطِّينِ : اصْنَعْ لِي يَا هامانُ الطُّوبَ وَالآجُرَّ .

صَرْحاً : قَصْراً عالياً .

أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ : أَصْعَدُ وَأَرْقَىٰ لأَصل إِلَىٰ مُوسَىٰ .

فَنبَذْناهُم فِي ٱلْيَمِّ : طَرَحْناهُم وَأَلْقَيْناهُمْ فِي الْبَحْرِ .

أَئِمَّةً يَدْعونَ إِلَى ٱلنَّارِ : قادَةً يَقودُونَ أَتْباعَهُمْ إِلَىٰ النَّار بِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ .

أَتْبَعْناهُمْ : أَلْحَقْناهُمْ وَأَوْقَعْنا بِهِم .

لَعْنَةً : طَرْداً مِنْ رَحْمَةِ الله .

مِنَ ٱلْمَقْبوحِينَ : مِنَ ٱلْمَخْزِيِّينَ الْمَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

ٱلْقُرونَ الأُولَىٰ : الأَقوامَ السَّابِقينَ الْكافِرينَ .

بَصائِرَ : أَنْواراً لِلْقُلُوبِ ، لِلتَّمْييزِ بَيْنَ الْحَقِّ والباطِلِ .

أخبَرتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ تَوَجُّهِ النَّبِيَّيْنِ موسَىٰ وهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ إلىٰ فِرْعَوْنَ وقومهِ ، ودعوَتِهِم إلى اللهِ ، ورَفْضِ القَوْمِ الظَّالِمينَ لِلدَّعْوةِ ، واتهامِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالسِّحْرِ والكَذِبِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ اسْتكبارِ فِرْعَوْنَ ، وادِّعائهِ الأُلوهيَّةَ ، واسْتِكبارِهِ هُوَ وجُنودِهِ ، وكَيْفَ انتُهتْ قِصَّةُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرْعَوْنَ بِنجاةِ المُؤْمِنينَ وإِهْلاكِ الكافِرينَ الظَّالِمينَ .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

رفَضَ فِرعونُ دَعْوَةَ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبالغَ في طُغيانهِ وتَجبُّرِهِ ، فادَّعىٰ الأُلوهيَّةَ ، ونادَى المَلأَ مِنْ كبارِ رجالِ دَوْلَتِهِ ، وقالَ لَهُمْ : مُوسَىٰ يَزْعُمُ أَنَّ لكُمْ إلهاً غيري ، وهُوَ كاذِبٌ ، فأَنا ما عَلِمْتُ لكُم مِن إلـٰهٍ غَيْري .

وفِرْعَوْنُ في ادِّعائهِ الأُلوهيَّةَ لَم يدَّعِ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمواتِ والأَرْضِ ، إنَّما طَلَبَ مِنْ قَوْمِهِ تَعظيمَهُ والخُضوعَ لهُ وعِبادَتَهُ ، كما يَخْضَعُ المُؤْمِنُ لِربِّ العَالَمينَ ويَعبُدُهُ .

وهوَ ادَّعىٰ الرُّبوبيّةَ أَيْضاً ، حَيْثُ قالَ لِقَوْمِهِ : أنا ربُّكُمُ الأَعْلَىٰ ، قالَ تعالَىٰ : ﴿فَحَشَرَ فَنادَى فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى﴾ [النازعات : ٢٣ـ٢٤] .

وقَدْ بَلَغَ النِّهايةَ في الكُفْرِ والفُجورِ والطُّغيانِ ، عِنْدَما ادَّعىٰ الأُلوهيَّةَ والرُّبوبيَّةَ مَعاً . وقَدْ تلَقَّىٰ قَوْمُهُ دَعْوَتَهُ بالإقرارِ والتَّسْليمِ والطَّاعةِ .

وبَعدَما ادَّعىٰ فِرْعَوْنُ الأُلوهيَّةَ تَظاهرَ بالجِدِّ في البَحْثِ عَنِ الحَقيقةِ ، والتَّفكيرِ في دَعْوَةِ موسَىٰ إلىٰ الإِيمانِ بإلـٰهٍ آخَرَ غَيْرِه ، فاسْتَدعَىٰ هامانَ وَزيرَهُ الأَوَّلَ وساعِدَهُ الأَيْمَنَ ، الَّذي يَحْكُمُ مِنْ خِلالِهِ هُوَ ورجالُهُ ، وقَالَ لَهُ : اصْنَعْ لي يَا هامانُ آجُرّاً وطُوباً ، بأَنْ تَحْرِقَ الطِّينَ ، وعِنْدَما يَيْبَسُ ابْنِ لي مِنْهُ قَصْراً عالِياً جِدّاً ، شَامِخاً في الفَضاءِ ، لأَصْعَدَ عَلَيْهِ وأَرْتقِي إِلىٰ السَّماءِ ، وأَبْحَثُ فيها عَنِ الإلٰهِ الَّذي يَعْبُدُهُ موسَىٰ ، فإِنْ وَجَدْتُهُ هناكَ آمنتُ بهِ ، وإِنْ لَمْ أَجِدْهُ سَيكونُ موسَىٰ كاذِباً ، مَعَ أَنِّي لَنْ أَجِدَهُ ، لأَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ إِلَهٌ غَيْري ، وأَنَّ موسَىٰ كاذِبٌ .

وهـٰذا كقولهِ تعالَىٰ : ﴿وقالَ فِرْعَوْنُ يا هَامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ أسبابَ السَّمواتِ فأَطَّلِعَ إلى إِلهِ مُوسى وإِنِّي لأَظنُّهُ كَاذِباً﴾ [غافر : ٣٦ـ٣٧] .

﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) ﴾ .

لِماذا رَفَضَ فِرْعَوْنُ وجُنودُهُ الحَقَّ ، وكَذَّبوا موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ؟

السَّبَبُ هُوَ اسْتِكبارُهُمْ في الأرْضِ بغيرِ الحَقِّ ، بِحَيْثُ طَغَوْا وبَغَوْا وتجبَّروا ، وأكْثروا في الأرْضِ الفَسادَ ، ورأَوْا كُلَّ مَنْ سِواهُم صَغيراً حَقيراً لا يُساوي شَيْئاً .

وسَببٌ آخَرُ في اتِّخاذِهِمْ ذٰلكَ المَوْقِفَ هُوَ إنكارُهُمْ لِلآخِرَةِ ، فقدْ كانوا يرَوْنَ أَنَّ الدُّنيا هِيَ كُلُّ شيءٍ ، وأَنَّ المَوْتَ هُوَ النِّهايةُ ، وأَنَّهُ لاَ قِيامةٌ ولا بَعْثٌ ولا حِسَابٌ ولا جَزاءٌ ، ومَعْلومٌ أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بالآخِرةِ يَهونُ عَلَيْهِ الطُّغيانُ والاسْتِكبارُ والفَسادُ .

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾

وقَعَ بِفرْعَوْنَ وجُنودِهِ نَتيجةَ اسْتِكبارِهِم ، حَيْثُ عجَّلَ اللهُ العُقوبةَ فِي الدُّنْيا ، تَمْهيداً لِعذابِهِمُ الشَّديدِ في الآخِرَةِ ، فقدْ لَحِقوا بموسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ ، فَشَقَّ اللهُ البَحْرَ ، وأنجَىٰ المُؤْمنينَ ، وأَخَذَ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ ، وجَعَلَهُمْ يَدْخلونَ البَحْرَ لِيَلْحَقوا بالمُؤْمنينَ ، ولمَّا كانُوا فِي وسَطِ الطَّريقِ أطْبَقَ اللهُ عليْهِمُ الماءَ ، فأغْرَقَهُمْ فيهِ .

وجَعَلَ هلاكَهُمْ علىٰ هذهِ الصُّورةِ عِبْرةً لِغيْرِهِمْ ، حَيْثُ دَعا كُلَّ ناظِرٍ باحِثٍ مُتَأَمِّلٍ مُسْتَبْصِرٍ إلىٰ الاعْتِبارِ مِمَّا حَدَثَ ، ومُلاحَظَةِ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ وعَظَمَتِهِ ، ومَعْرِفَةِ النِّهايةِ السَّوداءِ الحَتميَّةِ الَّتي يَنْتَهِي إلَيْها كُلُّ الظَّالِمينَ والمُجْرِمينَ .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) ﴾

كانَ إغْراقُ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ في البَحْرِ عِقاباً مِنَ اللهِ لَهُمْ في الدُّنْيا ، ولَكِنَّهُ لَيْسَ كُلَّ شيءٍ ، فهُناكَ عَذابُهُمُ الشَّديدُ الَّذي أعَدَّهُ لَهُمْ في الآخِرَةِ .

ولِذلَكَ جَعَلَهُمُ اللهُ أئِمَّةَ كُفْرٍ وقَادةَ ضَلالٍ ، قُدْوةً لِغيرِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ فِي ذَلِكَ ، يَدْعونَهم إلى النَّارِ . وهُمْ بذٰلِكَ ارتكَبُوا جَريمتَيْنِ : جَريمةَ كُفْرِهِمْ ، وجَريمةَ دَعْوَةِ غَيْرِهِمْ لِلْكُفْرِ ، وبذلكَ اسْتَحقُّوا عِقابَيْنِ : عقابَ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ ، وعِقابَ إضْلالِهِمْ لِغيرِهِمْ .

وهؤلاءِ الأَئِمَّةُ في الآخِرَةِ لا يَجِدونَ مَنْ يَنْصُرُهُمْ ويُدافِعُ عَنْهُم ويُنْقِذُهُمْ مِنْ جهنَّمَ ، وهُمُ الخاسِرونَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، ففي الدُّنْيا أوْقَعَ اللهُ بِهِمْ لَعنَتَهُ وطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وجَعَلَها لازِمةً لَهُمْ ، دائِمَةً عَلَيْهِمْ . وجَعَلَهُمْ في الآخِرَةِ مِنَ المَقبوحينَ المَذْمومينَ ، البَعيدِينَ عَنْ رَحْمةِ اللهِ . قالَ اللهُ ـ تَعالَىٰ ـ : ﴿وأُتْبِعُوا في هَذهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفودُ﴾ [هود : ٩٩] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآيةُ مِنْ ذِكْرِ نِهايةِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ الأَليمَةِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ إِلىٰ الحَديثِ عَنْ ما أنْعَم بِهِ علىٰ بنِي إِسْرائيلَ بَعْدَ نَجاتِهِمْ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ علىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كِتابَهُ « التَّوراةَ » ، ومَكَّنَ لبنِي إِسْرائيلَ في الأرْضِ ، بعدَما أهْلَكَ فِرْعَوْنَ وجُنودَهُ ، وأهْلَكَ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الكُفَّارِ السَّابِقينَ ، كقومِ نوحٍ وعادٍ وثَمودَ .

وجَعَلَ اللهُ التَّوْراةَ بَصائرَ لِلنَّاسِ ، يُبْصِرونَ بها الحَقَّ ، ويُمَيِّزونَ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، كَما جَعَلَها هُدىً لَهُم ، يَهْتَدُونَ بها مِنَ العَمَىٰ والضَّلالِ ، ورَحْمةً مِنْهُ لهُمْ ، يَرْحَمُهُمْ بها ، عِنْدَما يُطبِّقونَ ما فِيها ، وذِكْرَىٰ لَهُمْ يَتذكَّرونَ ويتَّعظونَ ويَعْتَبِرونَ .

والتَّوراةُ المَوْصوفةُ بهذهِ الصِّفاتِ هِيَ الَّتي أَنْزَلَها اللهُ علىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ولَيْسَتِ التَّوراةُ الَّتِي حرَّفَها اليَهودُ بعدَ ذلكَ ، وسَمَّوْها « العَهْدَ القديمَ » فَهِيَ كلامٌ مُحرَّفٌ ، لا بَصيرةَ فيهِ ولا هُدىً ولا رَحْمةً .

وهكَذا تَنْتَهي قِصَّةُ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرعونَ فِي هذهِ السُّورةِ ، مُنْذُ وِلادةِ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ونَشْأَتِهِ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ إلى إِهْلاكِ فِرْعونَ وَجُنودِهِ ، وإِنزالِ التَّوراةِ بصائرَ ورَحْمةً وهُدىً لِبنِي إِسْرائيلَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ قدْ يغتَرُّ الطَّاغيةُ بِقُوَّتِهِ ، فَيدَّعِي الأُلوهيَّةَ والرُّبوبيَّةَ ، ويُعَبِّدُ النّاسَ لَهُ من دونِ اللهِ .

٢ـ جهَلُ فِرْعَوْنَ بِعَظَمةِ السَّمواتِ حَيْثُ ظنَّ أَنَّهُ يُمْكِنُ الوُصولُ إِلى السَّماءِ بواسِطةِ بِناءٍ يَظْهَرُ عَلَيْهِ .

٣ـ التكَبُّرُ علىٰ الآخَرينَ واحْتِقارُهُمْ واسْتِعْبادُهُمْ يَقودُ إِلى رَفْضِ الحَقِّ ومُحارَبَةِ أَهْلِهِ .

٤ـ مِنْ أَسْبابِ طُغْيانِ النَّاسِ وانْحِرافِهِمْ في الدُّنْيا إِنكارُهُمْ لِلآخِرَةِ ، والإِيمانُ بالآخِرَةِ صَمَّامُ الأَمانِ لِلمُؤْمِنِ .

٥ـ يَجِبُ علىٰ المُؤْمِنِ النَّظَرُ في عَواقِبِ الهَالِكينَ لِلْعِبْرَةِ والعِظَةِ .

٦ـ الأَئِمَّةُ نوعانِ : أَئِمَّةُ هُدىً وقُدْواتٌ في الخَيْرِ ، وأَئِمَّةُ ضَلالٍ دُعاةٌ إِلىٰ النَّارِ ، وقُدْواتٌ فِي الشَّرِّ .

٧ـ الكُفَّارُ مَلْعونونَ خاسِرونَ مَذمومُونَ مَقبوحُونَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٨ـ إهلاكُ الظَّالِمينَ والتَّمْكينُ لِلمُؤْمِنينَ بَعْدَ الصَّبْرِ والثَّباتِ ، سُنَّةٌ رَبانيَّةٌ مطَّرِدَةٌ .

٩ـ كُلُّ كُتُبِ اللهِ بصائرُ وهُدىً ورَحْمةٌ وذِكْرىٰ ، لَكنَّ تَحْرِيفَ اليَهودِ والنَّصارىٰ لِكُتبِهِمْ أَزالَ عنْها ذَلِكَ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ادَّعىٰ فِرْعَوْنُ الأُلوهيَّةَ والرُّبوبيَّةَ ؛ أَوْرِدْ آيةً مِنَ القُرآنِ علىٰ كُلِّ دَعوىٰ مِنهُما .

٢ـ مَنْ هُوَ هامانُ ؟ وَما عَمَلُهُ عِنْدَ فِرعونَ ؟ وماذا طَلَبَ فِرْعَوْنُ مِنهُ ؟ ولِماذا ؟

٣ـ استخرجْ من الآيةِ ( ٣٩ ) مِنْ آياتِ الدَّرسِ سَبَبيْنِ لِطغْيانِ وعِنادِ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ .

٤ـ كانَ فِرْعَوْنُ وجُنودُهُ أئِمَّةً! كَيْفَ ؟ وماذا كانَتْ نَتائجُ إمامَتِهِمْ علىٰ الآخَرِينَ ؟

٥ـ مَا المُرَادُ بالقُرونِ الأُولَى ؟ واذْكُرْ أَرْبَعةَ أَمْثِلَةٍ لَها .

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ أَرْبَعَ صِفاتٍ إيجابيَّةٍ لِلتَّوراةِ ؟ وبيِّن مَدَى انْطباقِها علىٰ العَهْدِ القديمِ .

## نَشاطٌ :

١ـ فسَّرَ القُرآنُ سَبَبَ طَاعةِ القوم لِفرعونَ بالرَّغمِ مِنِ اسْتِخْفافِهِ بِهِمْ . اذْكُرْ آيةً مِنْ سورةِ الزُّخْرُفِ صَريحَةً في ذٰلِكَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها مَظاهِرَ اسْتِخْفافِهِ بهِمْ وسَبَبَ طاعَتِهم لَهُ ، واكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ كَلِمَةُ « أَئِمَة » في القُرآنِ وَرَدَتْ بمعنيَيْنِ ، اكتبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اقرأْ سورة القَصَصِ إلىٰ هذا الموضوعِ ( ١ـ٤٣ ) ، واسْتَخْرِجْ مِنْها عَشْرَ دَلالاتٍ ، مَعَ الإشارةِ إلىٰ وَجْهِ الاسْتِدْلالِ .

٤ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مُلَخَّصاً بلُغتِكَ تَحتَ عُنوانِ : « المَشْهدُ الثَّالِثُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ وُصُولهِ إلىٰ مِصْرَ حَتَّىٰ نَجاتِهِ وهَلاَكِ فِرْعَونَ » .

* * *

## الدَّرسُ الحادي والخمسونَ

# سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

### معاني المُفْردات :

ٱلغَرْبِيّ : الجبَلِ الغَرْبيِّ الّذي كَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَهُ .

قَضَيْنا إِلَىٰ مُوسَى ٱلأَمْرَ : عَهِدْنا إِلَىٰ مُوسَىٰ بالرّسالَةِ .

تَطاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلعُمُرُ : طالَتْ أَعْمارُهُمْ وبَعُدَ عَهْدُهُمْ بِالرِّسالَةِ .

ثاوِياً : مُقيماً .

ٱلطُّورِ : جَبَلِ الطُّورِ الّذِي نادَىٰ اللهُ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ عِنْدَهُ .

لَوْلا أَرْسَلْتَ : هَلاَّ أَرْسَلْتَ .

### التّفسير :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السّابِقَةُ عَنِ أَحْداثِ قِصَّةِ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلاَمُ ـ مَعَ فِرعونَ وجُنودِهِ ، الّتي انتهَتْ بإغْراقِ القَوْمِ الكافِرينَ ، ونجاةِ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأَتْباعِهِ المُؤْمِنينَ .

ويَأْتي بَعْدَ ذَلِكَ التّعقيبُ القرآنيُّ علىٰ تلكَ الأحداثِ ، لاسْتِخلاصِ الدَّلالاتِ ، وتَوظيفِ ذِكْرِ

تِلْكَ الأحْداثِ في القُرآنِ دَليلاً لإثباتِ أنَّ القُرْآنَ هو كلامُ اللهِ ، وأنَّ مُحَمَّداً هُوَ رَسولُ اللهِ ﷺ لأنَّه أُميٌّ لَمْ يَتعلَّمْ مِنْ أَحَدٍ ، فمِنْ أينَ لَهُ أنْ يَعْرِفَ التَّفاصيلَ الدَّقيقةَ لِتلكَ الأَحْداثِ ؟ إنَّ اللهَ هُو الّذي أَوْحَىٰ بِها إليْهِ .

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لِنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ : لم تَكُنْ يا مُحَمَّدُ حاضِراً هُناكَ بجانِبِ جَبَلِ الطَّورِ الغَربيِّ ؛ غَرْبَ الجِهَةِ الّتي كانَ يقفُ فيها موسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ حَيْثُ كلَّمَ اللهُ موسَىٰ ،وبُلِّغَ بالرِسالَةِ ، وأَمَرَهُ بالذَّهابِ إلىٰ فِرْعَوْنَ وقومِهِ . إنَّكَ لَمْ تكنْ حاضِراً ولا شاهِداً تِلْكَ الليلةَ المُبارَكَةَ ، فمنْ أيْنَ عَرَفْتَ تَفاصيلَ تِلْكَ الحادِثَةِ .

نحنُ الّذين أَعْلمناك بتِلْكَ التَّفاصيلِ ، حَيْثُ أنزلْنا عَلَيْكَ آياتِ القُرآنِ المُتَضَمِّنةِ لَها ، وأَنْتَ تُخْبِرُ النَّاسَ بِها ، كأنَّها واقِعَةٌ أمامَك ، وهٰذا مِنْ أفْصَحِ الأدِلَّةِ علىٰ نُبوَّتِك .

﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ رسولَه ﷺ أنَّهُ أَنْشأ بَعْدَ موسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ أُمَماً كَثيرةً ، ومَرَّتْ علىٰ النَّاسِ قُرونٌ كثيرةٌ ، تَطاولَ عَلَيْهِمْ فيها العُمُرُ ، وطالَ عَلَيْهِمُ العَهْدُ ، وبَعُدَ بِهِمُ الأَمَدُ بالوَحْيِ ، فانْدَرَسَتِ العُلومُ ، وتَغيَّرَتِ الشَّرائِعُ ، ونَسِيَ النَّاسُ الدِّينَ الحَقَّ . . فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً رَسولاً ﷺ لِيُجَدِّدَ لَهُمُ العَهْدَ ، ويُبيِّنَ لهُمُ الرِّسالَةَ . وأَخْبَرَهُ بأخْبارِ السَّابِقينَ ، وجَعَلَ ذَلِكَ دَليلاً عَلىٰ نُبوَّتِهِ ، لأنَّ الإخْبارَ عَنِ التّفاصيلِ الدَّقيقةِ لِقِصَّةٍ حَدَثَتْ قَبْلَ قُرونٍ مُتَعدِّدَةٍ مِنْ رَجُلٍ أُميٍّ ، لَمْ يَحْضُرْها ، ولَمْ يَدْرُسْها ، دَليلٌ علىٰ أنَّه رسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

وجَعَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسولاً ، ولَوْلا الوَحْيُ لما عَلِمْتَ أَنْتَ بِذلكَ ، ولا أَخْبَرْتَ أَحداً بهِ .

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

لم تَكُنْ مَعَ موسَىٰ ـ عليه السلام ـ وهو يَسْمَعُ كلامَنا ، ولَمْ تَكُنْ واقِفاً بِجانبِ جَبَلِ الطُّورِ تَحْضُرُ ذلكَ المَشْهَدَ العَجيبَ .

اللهُ هوَ الّذي جَعَلَكَ رَسولاً ، وأَنْزَلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ رَحْمَةً مِنْهُ ، وأَخْبَرك فيهِ بِتفاصيلِ مُناجاةِ موسَىٰ ـ عليهِ السَّلامُ ـ على جَبَلِ الطُّورِ ، وغَيْرِها مِنْ قَصَصِ السَّابِقينَ .

وأمَرَكَ اللهُ أنْ تُنْذِرَ قَوْمَكَ بَأْسَ اللهِ وعَذابَهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، إذا اسْتَمَرُّوا علىٰ الكُفْرِ والشِّرْكِ

باللهِ ، وتُبَشِّرَهُمْ بالجَنَّةِ والنَّعيمِ إذا آمَنوا واسْتَقاموا ، ولَعَلَّهُمْ يَتذكَّرونَ فيهتَدونَ عِنْدَما يَسْمَعونَ إنْذارَكَ .

ولَقَدْ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ رسولاً إلىٰ قَوْمِهِ ، الّذينَ لَمْ يأْتِهِمْ رَسولٌ نَذيرٌ مِنْ قَبْلِهِ .

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ رَسولاً إلىٰ قَوْمِهِ رَحْمَةً بِهِمْ ، ولإقامةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وقَطْعاً لأَعْذارِهِمْ قَبْلَ أَنْ تُصيبَهُمْ مُصيبَةٌ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ ، فَيوقِعُ اللهُ بِهِمُ العَذابَ ، وعِنْدَ ذَلِكَ يَقولُونَ : يا رَبَّنا لِمَاذا عَذَّبْتَنا ؟ هلاَّ أَرْسَلْتَ إلينا رَسولاً لِنُؤْمِنَ! إنَّكَ لَوْ أَرْسَلْتَ إلَيْنا رَسولاً لآمَنَّا واتّبعنا آياتِكَ .

فَمِنْ أَجْلِ أنْ لا يَقولوا ذَلِكَ ، ولِئَلاَّ يَعتذِرُوا بهذَا العُذْرِ ، بَعَثَ اللهُ لَهُمْ مُحَمَّداً رسولاً ﷺ .

قالَ تعالىٰ : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ لِئَلاَّ يَكونَ لِلنَّاسِ عَلى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ ـ تَحْرِصُ الآياتُ على ذِكْرِ الأدلَّةِ الواضِحَةِ علىٰ نُبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيَقْتَنِعَ المُشْرِكونَ بذلِكَ .

٢ ـ ذِكْرُ تَفصيلاتِ قَصَصِ السَّابِقينَ في القُرْآنِ مِنْ أَوْضَحِ الأدِلَّةِ عَلىٰ الوَحْيِ والنُبوَّةِ .

٣ ـ علىٰ الدَّاعِيَةِ أنْ يُقَدِّمَ الأدِلَّةَ المُقْنِعَةَ لِلمَدْعوّينَ ، لِيُقْنِعَهُمْ بدَعْوَتِه ، ويُزيلَ شُكوكَهُمْ حَوْلَها .

٤ ـ اللهُ يَرْحَمُ النَّاسَ ، ويَقْطَعُ أَعْذارَهُمْ ، ويُقيمُ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، فَيقَدِّمُ لَهُمُ الحَقَّ على أَيْدِي رُسلِهِ ودُعاتِهِ .

٥ ـ الكُفَّارُ كاذبونَ في أُمْنِياتِهِمْ ، فَقَدْ تَمَنَّوْا إرْسالَ رَسولٍ لِيُؤْمِنوا بِهِ ، ولَمَّا أَرْسَلَ اللهُ لَهُمْ رَسولاً كفرُوا بِهِ .



## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتِيةِ :

١ ـ مَا معنَى قولِه ﴿وَمَا كُنْتَ بجانبِ الغَرْبيِّ إذْ قَضَيْنَا إلىٰ موسَىٰ الأَمْرَ﴾ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثَلاثَةَ أَدلةٍ مِنْ أَخْبارِ السَّابِقينَ في القُرْآنِ علىٰ صِدْقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ قولِه ﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الغَرْبِيِّ﴾ وقولِه ﴿وما كُنْتَ بجانبِ الطُّورِ﴾ مَعَ أَنَّ الآيَتَيْنِ تَتحدَّثانِ عَنْ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ حِكْمَةَ إِرْسالِ مُحَمّدٍ ﷺ رَسولاً .

## نَشاطٌ :

١ـ الآيَةُ ( ١٩ ) مِنْ سورةِ المَائِدةِ تُبيِّنُ أنَّ اللهَ بَعَثَ رَسولَنا عَلى فَتْرةٍ مِنَ الرُّسُلِ . سجِّلِ الآيةَ واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٤٥) .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ آياتٍ في التَّعقيبِ على قَصَصِ السَّابِقينَ ، عُدَّتْ تِلكَ القَصَصُ دَليلاً علىٰ نُبُوَّةِ مُحَمدٍ ﷺ : قِصَّةُ مَرْيمَ في سورةِ آلِ عِمرانَ ، وقِصَّةُ نوحٍ في سورةِ هودٍ ، وقِصَّةُ يوسُفَ في سورةِ يوسفَ .

* * *

## الدرس الثاني والخمسون

# سورة القصص - القسم العاشر

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

لَوْلاَ : هَلاَّ .

قَالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا : قالُوا : التَّوْراةُ والقُرْآنُ سِحْرانِ ، اجْتَمَعا وتَعاوَنا عَلَىٰ خِداعِ النَّاسِ .

إن لَّمْ يَسْتَجِيبوا لَكَ : إنْ لَمْ يَأْتوا بالكِتابِ الَّذي طَلَبْتَهُ مِنْهُم .

يَتَّبِعونَ أَهْواءَهُمْ : يَكْفُرونَ مِنْ دونِ دَليلٍ وَإنَّما باتِّباعِ الهَوَىٰ .

وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ : أَنْزَلْنا القُرْآنَ مُنَجَّماً مُتَتابِعاً ، مُتَّصِلاً بَعْضُهُ بِبَعْضٍ .

### التَّفْسيرُ :

أَقامَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ الأدِلَّةَ مِنْ ذِكْرِ أَخْبارِ السَّابِقينَ في القُرْآنِ ، عَلَىٰ حَقيقَةِ الوَحْيِ وصِدْقِ النُّبُوَّةِ ، وأَشارَتْ إلىٰ حِكْمَةِ إرْسالِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسولاً .

وتُخْبِرُ الآياتُ عَنْ سوءِ مَوْقِفِ الكُفَّارِ مِنَ الرَّسولِ ﷺ فبالرّغمِ مِنْ أنَّهُمْ هُمُ الّذين تَمَنَّوْا إرْسالَه إلاّ أنَّهُمْ كفرُوا بهِ .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ .

لوْ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ لِلْمُشْرِكينَ رَسولاً لَقالوا : هلاَّ أرْسَلْتَ إلَيْنا رَسولاً لنتبعَ آياتِكَ ونكونَ مِنَ المُؤْمنينَ ، فلَمَّا بَعَثَ لَهُمْ رَسولاً ، وأَنْزلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ بالحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحانَهُ وتعالَىٰ ، كَفروا بهِ ، ولَمْ يُعْجِبْهُمْ إنْزالُ القُرْآنِ مُنَجَّماً مُفرَّقاً ، وطَلبوا مُعْجزاتٍ مَادِّيَّةً ، وقالُوا : هلاَّ آتَىٰ اللهُ مُحَمَّداً مُعْجزاتٍ مِثْلَ تِلْكَ الّتي آتاها موسَىٰ ، مِثْلَ العَصا واليدَ ، لَوْ كانَ مُحَمَّدٌ رَسولاً حَقّا لَقَدَّمَ لنا مُعْجزاتٍ ماديَّةً!

وهٰذا الطَّلَبُ مِنْهُمُ مِنْ بابِ العِنادِ والمُكابرةِ والتَّهرُّبِ مِنَ الإيمانِ واتّباعِ الحَقِّ ، ولَمْ يكونوا جادِّينَ فيهِ . فَقَدْ سَبَقَ أنْ كفروا بمَا أُوتِيَ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ التَّوْراةِ والمُعْجزاتِ المَاديَّةِ ، ولَمْ يَعْتَرِفوا أنَّه رَسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فمَا معنَىٰ أَنْ يَطْلُبوا الآنَ هٰذا الطَلَبَ ؟!

لقدْ كفروا بموسَىٰ وبِمُحَمّدٍ ـ عليْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وكَفروا بمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِما مِنَ التَّوْراةِ والقُرْآنِ ، وقالوا عَنْ هَذيْنِ الكِتابَيْنِ : هُما كتابا سِحْرٍ ، وقالوا عَنِ الرَّسولَيْنِ : هُما ساحِرانِ تَظَاهرا وتَعاونا وتآزَرا علىٰ السّحْرِ والتَّضْليلِ ، وصَدَّقَ كلٌّ مِنْهُما الآخَرَ وشَهِدَ لَهُ ، ونَحْنُ كافرونَ بِكُلٍّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ ، مُكذِّبونَ بكلٍّ مِنَ الكِتابَيْنِ .

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

بمَا أنَّ الكُفّارَ كذَّبوا الكِتابَيْنِ التَّوْراةَ والقُرْآنَ ، واعتبرُوهُما سِحْرَيْنِ مُتعاونَيْنِ ، فلْيُقدِّموا البَديلَ عَنْهُما ، الّذي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُما .

يَقولُ اللهُ لِرسولِه ﷺ : قلْ لِهؤلاءِ الكافِرينَ : هَلُمُّوا وأْتُوا بكتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، هُوَ أَفْضَلُ مِنَ التَّوْراةِ والقُرْآنِ ، وأكْثَرُ هِدايةً لِلبَشرِ مِنْهُما ، واطْلُبوا مِنَ اللهِ أنْ يُنزِّلَه عَلَيْكُمْ! لِكَيَ أتبَعَهُ أنَا وغَيْري ، إنْ كُنتُمْ صَادِقِين في دَعْواكُم ، وَجادِّينَ في كَلامِكُمْ وطَلباتِكُمْ .

وهٰذا التّحدي لَهُم لِيَعْرفوا عَجْزَهُمْ عَنِ الإتْيانِ بالمَطْلوبِ ، ويَكونَ عَجْزُهُمْ دَليلاً آخَرَ علىٰ أنَّ القُرْآنَ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وليْسَ كتابَ سِحْرٍ!

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولهِ ﷺ : أَنْتَ تَطْلُبُ مِنَ الكُفَّارِ المُكذِّبينَ الإتْيانَ بِكِتابٍ أهدَىٰ مِنَ التَّوراةِ والقرآنِ ، فإنْ لَمْ يَأْتوا بالمَطْلوبِ فَعَليْهِم أنْ يُؤْمنُوا بكَ ويَسْتَجيبوا لَكَ ويتَّبعُوكَ .

فإنْ لَمْ يَسْتَجيبوا لَكَ ، ولَمْ يتَّبعوا الحقَّ الّذي مَعَكَ ، فاعْلَمْ أنَّهُمْ مُعانِدونَ مُكابِرونَ ، وأَنَّهُمْ

يتَّبعونَ أهْواءَهُمُ الباطلةَ ، بلا دَليلٍ أوْ حُجَّةٍ .

إنَّ اتباعَهُمُ الأَهْواءَ هُوَ الّذي أهْلَكَهُم ، ودَفَعَهمْ إلىٰ العِنادِ والمُكَابَرَةِ ، وهُوَ سَبَبُ كلِّ جَريمةٍ ، لأنَّه لا يُوجَدُ أَحَدٌ أشدُّ ضَلالاً وانْحرافاً مِنْ ذَلكَ الّذي يتَّبعُ هواهُ ، لأنَّهُ بذلكَ يَكونُ علىٰ غَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ ، ومَعْلومٌ أنَّه لا يَجْتمِعُ الهَوَىٰ والهُدَىٰ .

والكُفَّارُ باتّباعِهِمُ الهَوَىٰ ظالِمون ، ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ باخْتيارِهِمُ الكُفْرَ ، حَيْثُ حرَموها مِنَ الهدَىٰ والخَيْرِ ، وبِذلكَ حَكَموا علىٰ أنفُسِهِمْ بالضَّلالِ والهَلاكِ ، لأنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ الكافِرينَ ولا يوفِّقُهُمْ لِلإيمانِ ، وهَذهِ سُنَّةٌ رَبانيَّةٌ مُطَّرِدَةٌ تَنْطَبِقُ علىٰ كُلِّ كافرٍ .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

الكُفّارُ مُتَّبعونَ لِلْهوَىٰ ، وهذا الّذي دَفعَهُمْ إلى التَّكذيبِ بالقُرْآنِ ، مُكابرةً وعِناداً ، ومَعَ ذلِكَ وَصَّلَ اللهُ لَهُمُ القرْآنَ ، وجعَلَ نُزولَه مُنجَّماً مُفرَّقاً ، مُتواصِلاً مُتَتابِعاً ، تَنْزِلُ آياتُهُ حَسَبَ الحَوادثِ والوَقائِعِ ، يَتْبَعُ بَعْضُها بَعْضاً ، ولَمْ يَنْزِلْ دُفْعَةً واحِدَةً كالتَّوْراةِ والإنجيلِ .

ومِنْ حِكَمِ إنزالِهِ مُفرَّقاً مُتواصِلاً مُتَتابعاً أَنْ يَتَذَكَّرُوا ويتَّعِظوا ويَعْتَبِروا ، لأنَّهُمْ على امْتِدادِ الزَّمانِ يَجدونَ فِي آياتِهِ حِكْمَةً جَديدةً ، ومَعْلومَةً مُفيدَةً ، وتَوْجيهاً حَكيماً ، فَيَسْتَمِرُّ ذِكْرُهُمْ وانْتِباهُهُمْ وتَفاعُلُهمْ مَعَ القُرْآنِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الكفَّارُ غَيْرُ جادِّينَ في ما يَطْلبُونَهُ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ آياتٍ ، وَلوِ اسْتُجيبَتْ طَلَبَاتُهُمْ لمَا آمنوا .

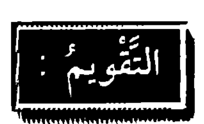
٢ـ الّذينَ يُنْكِرونَ الحَقَّ مُعانِدونَ مُكابِرونَ ، ويَفْعَلونَ ذَلكَ بالرَّغْمِ مِنْ وُضوحِ الأَدِلَّةِ عِنْدَهُمْ .

٣ـ اتِّباعُ الهَوىٰ هُوَ سَبَبُ رَفْضِ أَصْحابِ الباطِلِ لِلْحَقِّ ، وسَيْرِهِمْ مَعَ الضَّلالِ ، وأَشَدُّ النّاسِ ضَلالاً هُمْ أَتباعُ الهوىٰ ، فَهُوَ الَّذي يَحْجُبُهم عنِ الهُدَىٰ .

٤ـ الهُدَىٰ والهَوَىٰ خَطَّانِ مُتقابِلانِ لا يَلْتَقيانِ ، ولا يُمْكِنُ أنْ يَجْمَعَ الإنسانُ بَيْنَهما ، فإمّا أنْ يكونَ مُتَّبِعاً لِلْهُدَىٰ ، أوْ يكونَ مُتّبعاً لِلهَوَىٰ .

٥ـ لا يَهْدِي اللهُ الظَّالِمينَ ، ولا يُوفقُهُمْ لِلإيمانِ ، لأنَّهُمْ رَفضوهُ ، وهذهِ سُنَّةٌ ربَّانيَّةٌ مُطَّرِدَةٌ .

٦ـ آياتُ القُرْآنِ مُتَواصِلَةٌ مُتَتابعةٌ ، في مَوْضوعاتِها وتَوْجيهاتِها ، وهٰذا أَدْعَىٰ لِلتَّذَكُّرِ والتَّفاعُلِ مَعَ القُرْآنِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما الّذي طَلبَه المُشْرِكونَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ في قَوْلِهِمْ : ﴿لَولا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ موسَىٰ﴾ ؟

٢ـ ماذا قالَ الكُفّارُ عَنْ موسَىٰ ومُحَمّدٍ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ وعَنْ كِتابَيْهِما ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ ( ٥٠ ) سِرَّ انْحِرافِ الكُفّارِ وتَكذيبِهِمْ بالحَقِّ .

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ الآيةِ المَذْكورةِ نَفْسِها سُنَّةً ربانيَّةً ثابتةً .

٥ـ اذْكُرِ المَعنَىٰ الإجمالِيَّ مِنَ الدَّرْسِ رقمِ ( ٥٢ ) .

## نَشَاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قَالَه فِرْعَونُ عَنْ مُوسَىٰ وهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سورةِ الجَاثيةِ آيةً تَذُمُّ الّذي اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَوَاهُ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بيْنَهما وبَيْنَ الآيةِ (٥٠) ، وسجِّلْ مِنها صِفاتِ ذٰلِكَ الّذي يَعْبُدُ هَوَاهُ .

٣ـ ذَكَرَتْ الآيةُ (٥١) حِكْمَةً لإنزالِ القُرْآنِ مُنجّماً . اسْتَخْرِجْ حِكْمَةً أُخْرَىٰ لإنزالِهِ مُفصَّلاً مِنَ الآيةِ ( ١٠٦ ) مِنْ سورةِ الإسْراءِ . وحِكْمَةً ثالثةً مِنَ الآيةِ ( ٣٢ ) مِنْ سورةِ الفُرْقانِ ، واكْتُبْهُما في دَفْتَرِك .

٤ـ تَحدَّىٰ اللهُ الكُفَّارَ الإتيانَ بمثلِ القُرْآنِ ، أوْ بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ ، أوْ بِسُورةٍ . اذْكرْ آياتِ التّحدِي فِي سورِ : البَقَرَةِ ويونسَ وهودٍ والإسْراءِ والطُّورِ واكْتبْهَا في دَفْتَرِكَ .

* * *

## الدرس الثالث والخمسون

# سورة القصص - القسم الحادي عشر

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| آتيناهُمُ ٱلكِتابَ مِنْ قَبْلِه | : أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ ٱلتَّوْراةَ وَٱلإِنْجيلَ مِنْ قَبْلِ ٱلْقُرْآنِ . |
| كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمينَ | : كُنَّا خاضِعينَ مُنْقادينَ لله قَبْلَ إِنْزالِ ٱلْقُرْآنِ . |
| يَدْرَءُونَ | : يَدْفَعونَ . |
| ٱللَّغْوَ | : ٱلكَلامَ التَّافِهَ السَّاقِطَ ، ٱلَّذي حَقُّهُ أَنْ يُلْغَىٰ وَيُتْرَكَ . |
| أَعْرَضوا عَنْهُ | : تَرَكوا اللَّغْوَ تَكَرُّماً . |
| لاَ نَبْتَغي ٱلْجاهِلينَ | : لاَ نُريدُ أَنْ نَكُونَ مِنْ أَهْلِ السَّفَهِ وَالْجَهْلِ ، وَلاَ أَنْ نُصاحِبَهُمْ . |

### التَّفْسيرُ :

تَحدَّثتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنْ عِنادِ المُشْرِكينَ ومُكابرَتِهِمْ ، حَيْثُ كفروا بالتَّوراةِ وبالقُرْآنِ ، وكذَّبوا موسَىٰ ومُحَمَّداً - عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ والسَّلامُ - .

وتَتَحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ الصُّورَةِ المُشْرِقَةِ ، وتُقدِّمُ لنا صِفاتِ أَهْلِ الكتابِ الصَّالِحينَ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

إذا كانَ المُشْرِكونَ قَدْ كَذَّبوا بالقُرْآنِ ، فإِنَّ فَريقاً مِنْ أَهْلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارىٰ قدْ آمَنوا

بهِ ، وهُمُ الصّالِحونَ الصّادِقونَ في إيمانِهِمْ ، الّذينَ يَجِدونَ البِشاراتِ في كُتُبِهِمْ بالنّبيِّ الخاتَمِ وبالقُرْآنِ الّذي يُنزِلُهُ اللهُ عَليْهِم ، فلمّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدا ﷺ نَبيّاً آمنوا بهِ ، وبالقرآنِ الّذي أنزلَهُ اللهُ عليْهِ .

ومِنْ هؤلاءِ : عَبْدُ اللهِ بنُ سَلام ، وزَيْدُ بنُ سَعية ، ومُخيريقُ ، كانوا يَهوداً فأسْلَموا ، ومنهُم : سَلْمانُ الفارِسيُّ وصُهَيْبٌ الرُّوميُّ وعَديُّ بنُ حاتِمٍ الطّائيُّ ، كانوا نَصارَىٰ فأسْلَموا ـ رَضِيَ اللهُ عنهُم ـ .

﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ ﴾ .

كانَ مُؤمنو أهْلِ الكِتابِ يُؤْمِنونَ بالقُرْآنِ قَبْلَ أنْ يُتلَىٰ عَلَيْهِم ، أيْ : كانوا يَنْتَظِرُونَ إنْزالَهُ علىٰ رسولِ اللهِ الخاتَمِ ﷺ لِما عِنْدَهُمْ مِنَ البِشاراتِ لهُ في كُتُبِهِمْ .

فلمّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً رَسولاً ﷺ أَنْزَلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ ، وتَلَىٰ القُرْآنَ علىٰ هَؤلاءِ الصّالِحينَ الّذينَ يَنْتَظِرونَهُ ، آمَنوا بهِ فِعْلاً ، وقالوا : آمَنّا بالقُرْآنِ ، وشَهِدْنَا أنَّهُ الحَقُّ مِنْ ربِّنا ، أنْزَلَهُ علىٰ رَسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ وقدْ كُنَّا مِنْ قَبلِ بَعثةِ مُحَمّدٍ ﷺ مُسْلِمينَ ، خَاضِعينَ مُنْقادينَ للهِ ، لأنَّنا اتَّبعنَا رُسُلَنا وطَبَّقنا ما فِي كُتُبِ اللهِ إليْنا ، وها نَحْنُ بَعْدَ بَعْثةِ مُحَمّدٍ ﷺ مُسْلمونَ أَيَضاً ، حَيْثُ آمنَّا بالقُرْآنِ وبه ، ودَخَلْنا في دينِه ، وصِرْنَا مُسْلِمينَ مِنْ أُمَّتِهِ .

إنَّ إسْلامَ أهْلِ الكِتابِ يَدُلُّ علَىٰ أنَّه لا يَكْفِي مُجَرَّدُ التَّصْديقِ والإيمانِ النَّظريِّ بالقُرْآنِ والنُبوَّةِ ، ولا بُدَّ مِنَ الإسْلامِ العَمَليِّ ، بالنّطقِ بالشّهادَتيْنِ ، والدُّخولِ ضِمْنَ الأُمَّةِ المُسْلِمَةِ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ .

يُكْرِمُ اللهُ مُسْلمِي أَهْلِ الكِتابِ ، ويُؤْتيهِمْ أَجْرَهُمْ مَرَّتَينِ :

ـ المرةَ الأُولَىٰ : مُكَافأةً لَهُم على إيمانِهِمْ بكُتُبِهِمُ السّابقةِ ، التَّوْراةِ والإنْجيلِ .

ـ والمَرَّةَ الثانيةَ : مكافأةً لَهُم علىٰ إيمانِهِمْ بالقُرْآنِ ، وتَصْديقِهِمْ بالنبيِّ ﷺ .

ونظيرُ هذهِ الآيةِ قَولُه تعالَىٰ : ﴿اتَّقوا اللهَ وآمِنوا برَسولِه يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد : ٢٨] .

وروَىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ عن أبي موسَىٰ الأشْعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « ثلاثَةٌ يُؤْتوْنَ أجْرَهُمْ مرّتَينِ » وذكَرَ منْهُم : « رَجُلٌ مِنْ أهلِ الكتابِ ، آمنَ بنبيِّهِ ، ثم آمنَ بي »[1] .

وقدْ أثنَىٰ اللهُ علَىٰ هؤلاءِ المُؤْمِنينَ لاتّصافِهِمْ بالصِّفاتِ الطيّبةِ ، وقيامِهِمْ بالعِباداتِ والأعْمالِ الصّالِحةِ ومِنها :

---

(١) أخرجه البخاري : ( ٣ ) من كتاب العلم ( ٣١ ) باب تعليم الرجل أهله . حديث رقم : ٩٧ . ومسلم : ( ١ ) كتاب الإيمان ( ٦٨ ) باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ . حديث رقم : ١٥٤ .

ـ الصَبْرُ : فقدْ صَبرُوا علىٰ اتّباعِ الحَقِّ ، والاسْتقامةِ علىٰ الدّينِ في الأُولَىٰ والآخِرَةِ .

ـ حُسْنُ الخُلُقِ : حَيْثُ يَدفعونَ السَّيئةَ بالحَسَنَةِ ، فإذَا أَساءَ أَحَدٌ إليْهِمْ يَعفونَ عنْهُ ويُحْسِنونَ إليهِ ، وهٰذا مِنَ الصّبْرِ أيْضاً! فمَا أجْمَلَ أَنْ يُرَدَّ القَبيحُ بالجميلِ ، وأنْ يُقابَلَ السَّفيهُ بالإحسانِ .

ـ الإنفاقُ في سبيلِ اللهِ : إنّهم يُنفِقونَ فِي سبيلِ اللهِ مِنْ ما رَزَقَهُمُ اللهُ ، فيُخْرِجونَ الزَّكاةَ الواجِبةَ ، والصَّدَقةَ المُسْتَحبَّةَ ، ويُنْفِقونَ على أهْلِهِمْ وأقارِبِهِمْ .

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

هؤلاءِ المُسْلِمُون الصَّالِحونُ يَترفَّعونَ عنِ الّلغوِ والبَاطِلِ ، فإذا سَمِعوهُ أعْرَضوا عَنْهُ وترَكوهُ ؛ واللّغوُ هُوَ التافِهُ السّاقِطُ مِنَ القَوْلِ أَوِ الفِعْلِ ، كالأذَىٰ والفُحْشِ والسَبِّ والشّتمِ .

فالمُؤْمِنونَ يُعرِضونَ عَنِ اللّغوِ ، وإذا تَعرَّضَ لَهُمْ أَحَدُ السُّفهاءِ الجَاهِلين بالأذَىٰ ، وكلَّمَهُمْ بالسّوءِ ، لَمْ يردُّوا عَليْهِ بمِثْلِ سُوئِهِ ، ويَترَفَّعونَ عَنْ ذٰلكَ . ويَقولونَ لِلمُعتدِينَ : لنَا ثوابُ أعْمَالِنا الحَسَنَةِ ، ولَكُمْ تَبِعَاتُ أعْمَالِكُمُ السَّيئةِ وعَذابُها ، ولِذلكَ لا نَرُدُّ عليْكُمْ ولا نُجاريكُمْ ، ولا نُضَيِّعُ وقتَنا الثَّمينَ مَعَكُمْ ، سَلامٌ عليْكُمْ سَلامُ مُتارَكَةٍ وترَفُّعٍ ، ونَحْنُ لا نُريدُ اتِّباعَ طريقِ الجاهِلينَ ، ولا نُصاحِبُ أَهْلَها ، ولا نُقابِلُ القَبيحَ بمِثلِهِ .

وهٰذا كقولِه تعالى : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان : ٦٣] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يُعَدُّ أهلُ الكِتابِ مُؤْمِنين إلاّ بَعْدَ دُخولِهِمْ في الإسلامِ ، واتِّباعِهِمُ الرَّسولَ ﷺ .

٢ـ الإسْلامُ هُوَ دينُ الأنبياءِ جميعاً ، ولا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكونَ النَّاسُ جَميعاً مِنَ الأُمةِ الإسْلاميَّةِ .

٣ـ علىٰ المُسْلِمِ الاتِّصافُ بالسّماحةِ ، ومُقابلةُ الإساءةِ بالإحْسانِ وَرَدُّ القَبيحِ بالجميلِ ، والإعراضُ عنِ اللَّغوِ .

٤ـ الإيمانُ الحَقُّ لا بدَّ وأنْ يَظْهَرَ أثَرُهُ علىٰ صاحِبِهِ ، وأنْ يَنْتُجَ عَنْهُ العَمَلُ الصَّالحُ .

٥ـ اللهُ كَريمٌ رَحيمٌ ، ويُجازِي بالإحْسانِ إحْساناً ، ولِذَلكَ يُضاعِفُ للمُحْسِنينَ الأَجرَ والثَّوابَ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لا يُعَدُّ أهلُ الكتابِ مُؤْمِنينَ مُسلِمينَ إلاّ بشرطٍ ، مَا هُو ؟ ومَا الدّليلُ عَليْهِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ؟

٢ـ كيفَ كانَ أَهْلُ الكِتابِ مُسْلِمينَ قَبْلَ سَماعِهِمُ القُرْآنَ ودُخولِهِمْ في الإِسْلامِ ؟

٣ـ اذكرْ آيةً أوْ حَديثاً صَحيحاً في مُضاعَفَةِ الأَجْرِ لِمُسْلِمِي أهْلِ الكتابِ .

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أرْبَعَ صِفاتٍ لِلْمُسْلِمينَ الصَّالِحينَ ، مَعَ الاسْتِدْلالِ علىٰ ذَلِكَ بالآياتِ .

٥ـ لِماذا يُعْرِضُ الصَّالِحونَ عَنِ اللَّغْوِ ؟ ومَاذَا يَقولُونَ لِمَنْ يَجْهَلُ عَلَيْهِمْ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ الآياتُ الّتي تَمْدَحُ مُسْلِمي أَهْلِ الكتابِ كَثيرَةٌ . سَجِّلِ الآياتِ الأَرْبعَ مِنْ سورةِ المَائدِةِ في أوَّلِ الجُزْءِ السَّابعِ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٣) .

٢ـ أثنىٰ اللهُ علىٰ المُؤْمِنِينَ بالإعراضِ عَنِ اللَّغوِ في سورةِ ( المُؤْمِنونَ ) وفِي سورةِ ( الفُرقانِ ) . سجِّلِ الآيَتَيْنِ مِنْ السورَتَيْنِ في دَفْتَرِك ، واذْكُرْ فَرْقاً في التَعبيرِ بَيْنَ الآيَتَيْنِ .

* * *

## الدَّرسُ الرَّابعُ والخَمْسونَ

# سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَر

إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| إنكَ لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ | : إنَّكَ لاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ إِدْخالِ الإِسْلامِ وَالهِدايَةِ فِي قَلْبِ مَنْ أَحْبَبْتَ . |
| نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا | : يَخْطَفُنا الأَعْداءُ مِنْ بلادِنا ، وَيُخْرِجُونَنا مِنْها . |
| نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً | : جَعَلْنا عِنْدَ أَهْلِ مَكَّةَ المَسْجِدَ الحَرامَ الَّذي يَأْمَنونَ حَوْلَهُ . |
| يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ | : تُحْمَلُ إِلَىٰ الحَرَمِ وَأَهْلِهِ أَنْواعُ الثَّمَراتِ مِنْ مُخْتَلَفِ البُلْدانِ . |
| بَطِرَتْ مَعِيشَتَها | : بَغَتْ وَتَجَبَّرَتْ ، وَلَمْ تَحْفَظْ حَقَّ اللهِ فِي رِزْقِها وَمَعِيشَتِها . |
| يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسولاً | : يَبْعَثَ رَسُولاً فِي أَعْظَمِ وَأَكْبَرِ قَرْيَةٍ مِنَ القُرَىٰ المُتَجاوِرَةِ . |

### التَّفسيرُ :

تحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ مُسْلِمي أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ آمَنوا بالقُرْآنِ لَمَّا سَمِعوهُ اهتدَوْا بِهِ ، وذَكَرَتْ مَجموعةً مِنْ صِفاتِهِمُ الحَسَنَةِ .

وتَحدَّثُ هذهِ الآياتُ عنِ المُشْرِكينَ الّذينَ لَمْ يُؤْمِنوا ولَمْ يَهْتَدوا ، بالرَّغمِ مِمّا بَذَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنْ جُهْدٍ كَبيرٍ .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ أنَّ الهدايةَ بِيَدِ اللهِ وَحْدَه ، وهِيَ الهِدايةُ الّتي يُدْخِلُ اللهُ بها القُلوبَ الإيمانَ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : إنَّكَ يا مُحَمَّدُ لا تَقْدِرُ علىٰ هِدَايةِ مَنْ أَحْبَبتَ هِدايتَهُ ، بمعنىٰ أنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تَجْعَلَ الإيمانَ في قَلْبه ، وَأنْ تُوَفِّقَهُ للإيمانِ ، أَوْ تَأْخُذَ بيدِهِ إليهِ ، لأنَّ هذا بِيدِ اللهِ وَحْدَهُ ، أمَّا أَنْتَ فَعلَيْكَ البَلاغُ والإرْشادُ والبَيْانُ والنصَّيحةُ .

هِدايةُ التَّوفيقِ لِلإيمانِ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَمَنْ أرادَ هِدايتَهُ يُوفِّقُهُ وَيَشْرحُ صَدْرَهُ ، ويَفْتَحُ قلبَهُ لأنْوارِ الإيمانِ . هوَ ـ سُبحانَه ـ الأعْلَمُ بالنَّاسِ الرَّاغبينَ في الهِدايةِ ، المُسْتَعدِّينَ لَها ، فَيَشْرَحُ صُدورَهُمْ ويُوفِّقُهُمْ لَها ، فَيُؤْمِنون ويَهْتَدونَ .

## سَبَبُ نُزولِ الآيةِ :

نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ مُواساةً لِلنَّبي ﷺ بِشَأْنِ مَوْقِفِ عَمِّهِ أبي طالبٍ ، فَقَدْ حَزِنَ ﷺ لأنَّهُ ماتَ على الكُفْرِ ، بالرَّغْمِ مِنْ أنَّه كانَ حَريصاً علىٰ إيمانِه .

رَوىٰ البُخاريُّ وَمُسْلِمٌ عنْ سعيدِ بنِ المُسَيّبِ ، عَنْ أبيهِ ، قالَ : لمَّا حَضَرَتْ أبا طالبٍ الوفاةُ ، جاءَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَه أبا جهلٍ وعَبْدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ أميَّةَ ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : يَا عمُّ ، قُلْ : لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، كَلمَةً أشْهَدُ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ . فقالَ أبُو جَهْلٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ أميَّةَ : يَا أبَا طالبٍ : أَتَرْغَبُ عنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ؟ فلمْ يَزَلْ رَسولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُها عَلَيْهِ ، ويُعيدُ لَهُ تِلْكَ المَقالَةَ ، حتّىٰ قالَ أبو طالبٍ آخِرَ ما كلّمَهُم بِهِ : هوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ ، وأبىٰ أنْ يقولَ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ .

فأنزلَ اللهُ فيهِ قَوْلَه لِرَسولِه ﷺ : ﴿إنّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، ولكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[1]

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

اللهُ يهدِي مَنْ يَشاءُ الهِدايةَ لِنَفْسِهِ ، والمُشْرِكونَ لا يُريدونَ ذَلِكَ ، ولِذٰلكَ لَمْ يَهْدِهِمُ اللهُ ، ولَمْ يُوفِّقْهُمْ لِلإيمانِ . وقَدْ سَجَّلتِ الآيةُ شُبْهَتَهُمْ في رَفْضِهِمُ الهُدىٰ ، وردَّتْ عَلَيْها .

---

(١) أخرجه : البخاري : ( ٢٣ ) كتاب الجنائز ( ٨٠ ) باب إذا قال المشرك . حديث رقم : ٩٧ .
ومسلم : ( ١ ) كتاب الإيمان ( ٩ ) باب أول الإيمان . حديث رقم : ٢٤ .

قالُوا لِلنَّبي ﷺ : إذا آمَنَّا بكَ ، واتَّبعْنا مَا مَعَكَ مِنَ الهُدىٰ ، فإنَّنا سَنُخالِفُ الدِّينَ الَّذي عَلَيْه قَبائلُ العَرَبِ مِنْ حَوْلِنا ، وبذٰلكَ سَيُحاربونَنا ويُخْرِجونَنا مِنْ بلادِنا ، وَسَيتخطَّفونَنا أينما كُنَّا .

وقدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ ، بِتكذيبِهِمْ فِي شُبْهَتِهِمْ ، وذَكَّرَهُمْ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِم ، فَقَدْ جَعَلَهمْ فِي حَرَمٍ آمِنٍ ، ومَكَّنَ لهُمُ الإقامَةَ فيهِ ، ويَسَّرَ لهُمُ الرِّزقَ الكَثيرَ ، فبالرَّغمِ مِنْ أنَّ أرْضَهُم لا تُنبِتُ إلاَّ أنَّ اللهَ سخَّرَ لهُم المناطِقَ الأُخرىٰ ، يَحْمِلُ أهلُها مُخْتَلِفَ ثَمَراتِها ، ويأْتُونَ بِها إليهِمْ ، وهٰذا الرِّزقُ تَفضُّلٌ مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ .

إنَّ اللهَ هُوَ الَّذي يَسَّرَ لَهُمُ الرِّزقَ ، وَوهبَهمُ الأَمْنَ ، بِمُجاوَرَتِهِمْ لِلمسْجِدِ الحرام ، فَلِماذا يَخافونَ أنْ يَتَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ لو اتَّبعوا الهُدىٰ ؟ أفمَنْ أَمَّنَهُمْ وهُمْ مُشْرِكون يَتخلَّىٰ عَنْهُمْ وهُمْ مُؤْمِنونَ ؟

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

فِي هذهِ الآيةِ الرَّدُّ الثَّاني علىٰ شُبْهَةِ المُشْرِكينَ ، فَقَدْ ابْتَعَدُوا عَنِ الإيمانِ خَوْفاً مِنْ زَوالِ النِّعَمِ عنْهُمْ ، فَبيَّنَ اللهُ لهُمْ أنَّ عَدَمَ الإيمانِ هُوَ سَبَبُ زوالِ النِّعَمِ ، فَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ كثيراً مِنَ القُرىٰ عِنْدما رَفَضَ أهلُهَا الإيمانَ باللهِ ، وأَصَرُّوا علىٰ الكُفْرِ ، وطَغَوْا وبغَوْا ، وبَطِروا مَعيشَتَهُمْ ، وجَحَدوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ، واسْتَخْدَموها في مَا يُغْضِبُ وَجْهَ اللهِ .

وبَعْدَما أهْلَكَ اللهُ أَصحابَ تِلْكَ القُرىٰ أصْبَحَتْ مَساكِنُهُمْ خَاوِيةً ، لَمْ يَسْكُنْ فيها أَحَدٌ ، إلاَّ مَنْ كانَ مارًّا بِها ، يُقيمُ فيها ثُمَّ يَتْرُكُها ، واللهُ هوَ الوارِثُ لَها ، لأنَّه لَمْ يُبْقِ لأَهْلِهَا أَحَداً يَخْلُفُهُمْ فِيها ، واللهُ هوَ المالِكُ لِكُلِّ مَا في الكَوْنِ .

ونَظيرُ هذهِ الآيةِ قولُه تعالَىٰ : ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [النحل : ١١٢] .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وبِمناسبةِ الحَديثِ عَنْ إهْلاكِ أَهْلِ القُرىٰ السَّابقينَ ، بَعْدَ كُفْرِهم وبَطَرِهِمْ تُقرِّرُ الآيةُ سُنَّةَ اللهِ فِي الإهْلاكِ والعِقابِ ، القَائِمَةَ على عَدْلِ اللهِ ـ سبحانَه ـ فَهُوَ لا يُهْلِكُ الكُفَّارَ إلاَّ بعدَ إقامةِ الحُجَّةِ عليهِم ، بِإرْسالِ الرَّسولِ إليهِمْ ، فَعِندَما يَكْفُرونَ بِهِ يُوقِعُ اللهُ بِهِمْ عِقابَهُ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ : سُنَّةُ ربِّكَ يا مُحمَّدُ ، أنَّه لاَ يُهْلِكُ أهْلَ المُدُنِ والقُرىٰ إلاَّ بَعْدَ أنْ يُرْسِلَ رَسولاً إِلَيْها ، ويَبْعَثَهُ إلىٰ أُمِّها وأكْبرِها وعَاصِمَتِها ، فيَتلوا علىٰ أَهْلِ تِلْكَ القُرىٰ آياتِ اللهِ ،

ويبيِّنُ لهُم الحقَّ ، ويُقيمُ عَليْهِمُ الحُجَّةَ . وكانُوا يُكذِّبونَه ويَكْفرونَ بهِ ، وبذلِكَ يَظْلِمُونَ أنْفُسَهُمْ ، فَيُعَذِّبُهمُ اللهُ لِكُفْرِهِمْ وظُلْمِهِمْ ، ولا يَظْلِمُ ربُّكَ أَحَداً .

إنَّ اللهَ عَادِلٌ مَعَ خلقِه ، فلاَ إهْلاكَ مَعَ الإيمانِ ، ولا عِقابَ إلاَّ بَعْدَ البَيانِ وإقامَةِ الحُجَّةِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الدَّاعِيَةُ مَأْمورٌ بالدَّعْوَةِ والبَلاغِ ، وهُو يَهدِي النَّاسَ هِدايةَ البَيانِ والإرشادِ وبها تَنْتَهِي مُهِمَّتُهُ .

٢ـ الهِدايةُ الّتي بمعنَىٰ التَّوفيقِ والثَّباتِ وإدْخالِ الإيمانِ القُلوبَ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ ، وليْسَتْ بيدِ أحَدٍ مِنَ البَشَرِ .

٣ـ علىٰ الدَّاعيةِ أنْ يَحْرِصَ علىٰ دَعْوَةِ النَّاسِ ، وأنْ يُحِبَّ هِدايَتَهُمْ مِنْ كلِّ قَلْبِهِ ، كما فَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ .

٤ـ الكفَّارُ يُقدِّمونَ الأعْذارَ الباطِلَةَ الواهِيَةَ ، ويُسَوِّغونَ بها رَفْضَ الهِدايةِ ويَعُدُّونَ الالْتِزامَ بالحَقِّ مُتعارِضاً مَعَ الأمْنِ والرِّزقِ .

٥ـ الأمانُ والرَّخاءُ مُلازِمانِ لِلإيمانِ والهُدىٰ والاسْتِقامَةِ ، ويَجِبُ علىٰ المُؤْمِنِ شُكْرُ اللهِ عَليْهِما .

٦ـ بَطَرُ المَعيشَةِ وارْتِكابُ المَعاصِي والذُّنوبِ نَذيرُ شُؤْمٍ ، يَرْفَعُ البَرَكاتِ ويَقودُ لِلعَذابِ .

٧ـ اللهُ عَادِلٌ في خَلْقِهِ ، فلا يُعاقِبُ النَّاسَ إلاّ بَعْدَ قِيامِ الحُجَّةِ عَليْهِمْ ، بِإرْسالِ الرَّسولِ وتَبليغِ الدَّعْوَةِ .

٨ـ الكُفْرُ سَبَبُ الهَلاكِ في الدُّنْيا والعَذابِ في الآخِرَةِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ الأُولَىٰ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٢ـ مَا الهِدايةُ الّتي يَقْدِرُ عليهَا الرسولُ ؟ وما الهِدايَةُ الّتي اخْتَصَّ اللهُ بهَا نَفْسَهُ وَحْدَه ؟

٣ـ مَنِ الَّذي يَهْديهِ اللهُ ؟ وَلِماذا ؟

٤ـ بماذَا برَّرَ الكفَّارُ مِن قُرَيشٍ عَدَم إيمانِهِمْ ؟

٥ـ أَبْطَلَ اللهُ تَبْريرَ كُفّارِ قُرَيشٍ بتذكيرِهِمْ بِنِعْمَتَيْنِ أنْعَمَ عَليْهِمْ بِهِما ، ما هُما ؟

٦ـ اسْتَخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْس سَبَبيْنِ لِلهلاكِ وزَوالِ النِّعَمِ ، مَعَ ذكْرِ الدّليلِ علىٰ ذَلِكَ .

٧ـ مَا مَعنى قولِه : ﴿ومَا كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القُرىٰ حتّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾ ؟

## فكِّرْ :

تَسْمعُ بَعْضَ النَّاسِ يَقولونَ لِمَنْ يدعُو إلىٰ الخَيْرِ : ﴿لاَ تَهْدِي مَنْ أحبَبْتَ﴾ .

١ـ كَيْفَ تُصَحِّحُ هٰذا الفَهْمَ الخَاطِيءَ ؟

٢ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ هٰذا الفَهْمِ وبَيْنَ الآيَةِ : ﴿إنَّكَ لاَ تهدِي مَنْ أحْبَبْتَ﴾ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ في سورةِ البَقَرَةِ آيَةٌ يَقولُ اللهُ فيها لِرَسولِه بأنَّه ﴿لَيسَ عَليْكَ هُداهُم﴾ اذْكُرْ تِلْكَ الآيَةَ ، وبيِّنْ وَجْهُ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٦) ، واكْتُبْها في دَفْتَرِك .

٢ـ اكْتُبْ سورةَ قُرَيشٍ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٧) ، واسْتَخْرِجْ منهَا ثلاثَ نِعَمٍ مَنَّ اللهُ عليْهِمْ بها والوَاجِبُ عَليْهِمْ مُقَابِلَها .

٣ـ في الآياتِ الأُولَىٰ مِنْ سورةِ الإسْراءِ آيَةٌ تُقرِّرُ أنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ النَّاسَ إلا بَعْدَ إرسالِ الرَّسولِ إليهِمْ . سجِّلِ الآيَةَ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٥٩) .

* * *

## الدرس الخامس والخمسون

## سُورَةُ القصص - القِسمُ الثَّالث عشَر

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

### معاني المفردات

مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ : مِنَ الَّذينَ يُؤْتَىٰ بِهِم لِلعَذَابِ .

حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ : ثَبَتَ القَوْلُ عَلَيْهِم بِدُخُولِ النَّارِ لِكُفْرِهِم .

أَغْوَيْناهُم كَما غَوَيْنا : أَضْلَلْناهُمْ كَما ضَلَلْنا .

تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ : نَحْنُ بَرِيئُونَ مِنْهُمْ ، وَلاَ نَعْتَرِفُ بِعِبادَتِهِم لَنا .

لَمْ يَسْتَجِيبوا لَهُمْ : لَمْ يُجِيبوهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ ، لِعَجْزِهِمْ عَنْ ذٰلكَ .

عَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَنْبَاءُ : خَفِيَتْ عَنْهُمُ الحُجَجُ وَغابَتْ عَنْهُمُ الأَخْبارُ الَّتي تُنَجِّيهِمْ مِنَ العَذابِ .




تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنِ الهِدايَةِ الّتي بِيَدِ اللهِ ، وأَبْطَلَتْ شُبْهَةَ الكُفَّارِ في عَدَمِ الإِيمانِ خَوْفاً علىٰ الأَمْنِ والرِّزْقِ .

وتُبيِّنُ هذهِ الآياتُ قِيمَةَ الدُّنيا بالنِّسْبَةِ للآخِرَةِ ، وفَلاحَ المُؤْمِنِ في الآخِرَةِ وخَسارةَ الكافِرِ .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

هذا رَدٌّ آخَرُ علىٰ اعْتِذارِ المُشْرِكينَ عنْ عَدَمِ إيمانِهِمْ ، فهُمْ لَمْ يُؤْمِنوا لِئَلاَّ تفوتَهُمُ الخَيْراتُ والأَرْزاقُ ، فبيَّنَ اللهُ لَهُمْ أنَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ نعيمِ الجَنَّةِ خَيْرٌ وأبقىٰ مِنْ كُلِّ ما فِي الدُّنْيَا .

وكلُّ مَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ نِعَمٍ وخَيْراتٍ ، كالأَمْوالِ والأَوْلادِ والزَّخارِفِ ، فَهِيَ مُجَرَّدُ مَتاعٍ دُنْيَوِيٍّ مُؤَقَّتٍ ، وَزِينةٌ دُنْيَوِيَّةٌ زَائِلَةٌ ، وكُلُّ ما فِي الدُّنْيا مِنْ مَتاعٍ وَزينَةٍ إلىٰ زَوالٍ ، ولا يُساوِي شيئاً إذا ما قِيسَ بالآخِرَةِ ونَعيمِها .

إنَّ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ النَّعيمِ هُوَ خَيْرٌ في طَبيعَتِهِ وَصِفَتِهِ ، وأَبْقَىٰ في مُدَّتِهِ وَوَقْتِهِ ، لأنَّه لا زَوالَ ولا نَفادَ لَهُ .

أفلاَ تَعْقِلُون أيّها النَّاسُ وتُفَكِّرونَ ؟ لوْ كُنْتُمْ تَعْقِلونَ حَقًّا لَمَا اخْتَرْتُمُ الدُّنيَا علىٰ الآخِرَةِ ، ولَما آثرْتُمُ الفانِيَ الزائلَ علىٰ الباقِي الدَّائِمِ !

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

تدعُو الآيَةُ النَّاسَ إلىٰ المُقَارَنةِ بَيْنَ المَصيرَيْنِ في الآخِرَةِ ، مَصيرِ المُؤْمِنِ المُسْتَقيمِ ، والكافِرِ الضَّالِ ، لِيَخْتاروا ما عِنْدَ اللهِ ، ويُفَضِّلوا الآخِرَةَ الباقيةَ علىٰ الدُّنْيا الزَّائِلةِ .

يَقولُ اللهُ لَهُمْ : أفمَنْ كانَ في الدُّنْيا مُؤْمِناً صالِحاً ، مُصَدِّقاً بالوَعْدِ والثَّوابِ في الآخِرَةِ ، والأَجْرِ الحَسَنِ الّذي سَيُلاقيهِ ، كَمَنْ كانَ كافِراً في الدُّنْيا ، مُكَذِّباً بوَعْدِ اللهِ وَوَعيدِهِ ، مُمَتَّعاً في دُنْياهُ القَصيرةِ مَتاعاً قَصيراً ؛ أَيَّاماً قَلائِلَ ثُمَّ سُرْعانَ ما تَقومُ السَّاعَةُ ، فَيَحْضُرُ بَيْنَ يدَي اللهِ ، لِيُلاقِي جَزاءَ أَعْمالِه . هَلْ يَسْتَوِيانِ ؟ لا . فإِنَّ الأوَّلَ مُفْلِحٌ فَائِزٌ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَهُ وَعْدَهُ ، وسَيُنَعَّمُ في الجَنَّةِ ، أَمَّا الثاني فإنَّهُ خاسِرٌ يَوْمَ القيامَةِ ، لأنَّ اللهَ سَيَأْمُرُ المَلائكَةَ بإِحْضارِهِ والإِتْيانِ بهِ ، وإيقافِهِ لِلحِسابِ العَسيرِ !

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

بمَا أنَّ الكُفَّارَ يُحْضَرُونَ ويُؤْتَىٰ بهِم يَوْمَ القيامةِ لِلحِسابِ ، فإِنَّهُمْ يُوقَفُونَ أَذِلاَّءَ مُهانينَ ، ويُنادَىٰ عَلَيْهِمْ لِيَشعُروا بالخِزْيِ ، ويُسْأَلونَ أَسْئِلَةً مِنْ بابِ التَّوْبيخِ والذَّمِ والتَّأْنيبِ .

يُنادِي عَلَيهِمُ اللهُ ـ سبْحانَهُ وتَعالَىٰ ـ ويَسْأَلُهُمْ مُوَبِّخاً لَهُمْ : أَيُّها المُشْرِكونَ ، أَيْنَ الآلِهَةُ الّتي عَبَدْتُموهَا فِي الدُّنْيا ، وجَعَلْتُموهُمْ شُرَكاءَ لِي ؟ هلْ يَنْصُرونَكُمْ أَوْ يَشْفَعونَ لَكُمْ أَوْ يَنْفَعونَكُمْ ؟

وأنَّ اللهَ يَعْلَمُ أنْ لا نَفْعَ لِهؤلاءِ الشُّرَكاءِ ، ولكنَّ السُّؤالَ لِفَضْحِ المُشْرِكِينَ وخَزْيِهِمْ وتأْنيبِهِمْ .

والمُشْرِكونَ المُوَجَّهُ لهُمُ السُّؤالُ صِنفانِ : المُتَّبَعونَ مِنَ الرُّؤساءِ والقادةِ ، والأَتْباعُ مِنَ الرَّعيّةِ والغَوْغاءِ ، يُجيبُ الرُّؤساءُ على السُّؤالِ ، وهُمُ الّذينَ حَقَّ عليْهِمُ القَوْلُ مِنَ اللهِ ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ عَذابُهُ فِي النّارِ لِكُفْرِهِمْ ، كَمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمعينَ﴾ [السجدة : ١٣] .

يُجيبون علىٰ السُّؤالِ مُحاوِلينَ التَّبرُّؤَ مِنْ إغْواءِ أتباعِهِم وإضْلالِهِمْ ، فيقولُونَ : يَا ربَّنا ، هَؤلاءِ أتباعُنا الّذينَ أغْوَيناهُمْ وأضْلَلْناهُمْ ، ولَمْ نُجبرْهُمْ علىٰ ذَلِكَ أوْ نُكْرِهْهُمْ ، إنَّما فَعلُوا ذَلِكَ باخْتيارِهِمْ ، كَمَا أنَّنا نَحْنُ غَوْينا وضَلَلْنا باخْتِيارِنا ، فَتَبِعَةُ غَيِّهِمْ وضَلالِهِمْ عَلَيْهِمْ ولَيْسَتْ عَلَيْنا .

ثمَّ يُفَاجِئونَ أَتْباعَهُمْ بِبَراءَتِهِمْ مِنْهُمْ ، فَيقولونَ : يَا ربَّنا ، نَحْنُ نَتبرَّأُ إليْكَ مِنْهُمْ ، ومِنْ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ وما كانُوا يَعْبدونَنا في الحَقيقةِ ، إنَّما كانُوا يَعْبُدونَ أهْواءَهُمْ ، ويُطيعونَ شَياطينَهُمْ .

﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

كانَ السُّؤالُ الأوّلُ لِلمُشْرِكينَ عَنْ وُجودِ شُرَكائِهِم وقُوَّتِهِمْ ، والسُّؤالُ الثّاني فِي هذهِ الآيةِ عَنْ جَوابِ شُرَكائِهِمْ عِنْدَما طلبُوا نُصْرَتَهُمْ ، حَيْثُ تَخلَّوْا عنْهُمْ ، فَمَشْهَدُ الخِزْيِ والذُّلِّ ما زالَ مَعْروضاً .

يُقالُ لِلْمُشْرِكينَ يَوْمَ القيامةِ : ادْعوا ونادوا شُرَكاءَكُمُ ، الّذينَ جَعَلتمُوهُمْ آلِهَةً في الدُّنْيا ، واطْلبُوا مِنهُمْ أنْ يُخَلِّصوكُم مِمَّا أنتُمْ فيهِ .

فَيَتوجَّهُ المُشْرِكونَ إلىٰ شُرَكائِهِمْ ، ويَدْعونَهُمْ ويَطْلبون ذلكَ منهُم ، ولكنَّهُمْ لا يَسْتجيبونَ لهُمْ ، ولا يُنَفِّذونَ لهُمْ طلَبَهُمْ ، لِعَجْزِهِمْ عَنِ الجَوابِ وعَنِ الإنقاذِ والنُّصْرَةِ ، ولا يُتَوَقَّعُ مِنْهُم غَيْرُ ذَلِكَ ، لأنَّهُمْ ضُعَفاءُ .

ويرَىٰ المُشْرِكونَ العَذابَ أمامَهُمْ ، وعَجْزَ آلِهَتِهِمْ عَنْ إنقاذِهِمْ ، ويُوقِنونَ أنَّهُمْ ذاهِبونَ إلىٰ النَّارِ ، عِنْدَ ذَلِكَ يَتمنَّوْنَ لَوْ أنَّهُمْ كانُوا في الدُّنْيا مِنَ المُؤْمِنينَ المُهْتَدينَ ، لأَنقذُوا أنْفُسَهُمْ مِنَ العَذابِ ، فَيَزْدادُونَ حَسْرَةً ونَدامَةً .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

هذا هُوَ السُّؤالُ الثَّالثُ الّذي يُوجَّهُ لِلْمُشْرِكينَ يَوْمَ القيامةِ ، كمَا تَذْكُرُ آياتُ الدّرْسِ ، لِلْمُبالغةِ في تَأْنيبِهِمْ وتَوْبيخِهِمْ .

يُناديهُمُ اللهُ ، ويُذَكِّرُهُمْ بِسوءِ مَوْقِفِهِمْ مِنَ الرُّسُلِ ، لَقَدْ بَعَثْتُ لَكُمْ رُسُلاً ، ودعَوْكُمْ إلىٰ الإيمانِ والتَّوْحيدِ ، فماذا كانَ مَوْقِفُكُم مِنْهُمْ ؟ وماذا كانَ جَوابُكُمْ لهُمْ ؟

فَيُواجهونَ السُّؤالَ بالذُّهولِ والصَّمْتِ ، لأنَّهم يَعْلَمونَ أنَّ اللهَ يَعْلَمُ جوابَهُمْ لِلمُرْسَلينَ ، وأنَّ هَدَفَ السُّؤالِ ذمُّهُمْ وتَوْبيخُهُمْ ، ويَتذَكَّرونَ ما فَعَلوا بالمُرْسَلينَ وما قالُوا لهُمْ ، فَيَزْدادُونَ ذُلاًّ وَحَسْرَةً ، فَيَصْمِتونَ صَمْتَ الأذلاَّءِ .

وبذَلِكَ تَخفَىٰ عَلَيْهِمُ الأَنْباءُ ، وتَضيعُ عَنْهُمُ الحُجَجُ الّتي يُسَوِّغونَ بِها مَوْقِفَهُمْ ، ولا يَجِدُونَ ما يَقولُونَهُ ويُدافِعونَ بِهِ عَنْ أنفُسِهِمْ ، فَيَخْرَسونَ خاسِئينَ ، ويَلوذونَ بالصَّمْتِ ، ولا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مِنَ الدَّهشَةِ والذُّهولِ .

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

تَترُكُ الآياتُ المُشْرِكينَ في حَسْرَتِهِمْ وصَمْتِهِمْ وعَذابِهِمْ ، وتَنْتَقِلُ لِلصَّفحةِ المُقَابِلَةِ ، وتَعْرِضُ الصُّورَةَ المُشْرِقَةَ ، صُورَةَ المُفْلحينَ الفَائِزينَ بالجَنَّةِ ، وتُعَرِّفُنا عَلَيْهِمْ :

إنَّهُمُ الَّذينَ آمَنُوا في الدُّنْيا باللهِ ، وصَدَّقُوا الرُّسُلَ وابْتَعدُوا عَنِ الكُفْرِ والشِّرْكِ والذُّنوبِ والمَعاصِي ، وأكْثَروا مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، هؤلاءِ مُفْلِحونَ ناجونَ فائِزونَ في الآخِرَةِ ، يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ مُنَعَّمينَ خالِدينَ فيهَا .

ولاَ يَدلُّ قولُه : ﴿فعسَىٰ أنْ يَكونَ مِنَ المفلِحينَ﴾ على التَّرَجِّي والتَوقُّعِ والاحْتِمالِ ، وإنَّما يَدلُّ علىٰ التَّحقُّقِ والجَزْمِ القاطِعِ ، لأنَّ ﴿عسَىٰ﴾ مِنَ اللهِ لِلقَطْعِ واليَقينِ ، ولأنَّه لا يُخْلِفُ الميعادَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الدُّنْيا لا تُساوِي شَيْئاً بالنِّسبةِ للآخِرَةِ ، لأنَّ ما فيها مِنْ مَتاعٍ وَزينةٍ إلىٰ زَوالٍ ، والخَيْرُ الباقِي هُو الجنَّةُ ونَعيمُها .

٢ـ المُؤْمِنُ يَثِقُ بِوَعْدِ اللهِ ، لأنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ ولِذَلِكَ يَرْجُو التَنعُّمَ بالجَّنةِ ونعيمِها .

٣ـ تَوْجيهُ الأَسْئلةِ لِلكُفَّارِ يَوْمَ القيامَةِ مِنْ بابِ تَوْبيخِهِمْ وذمِّهِمْ وإِشْعارِهِمْ بالذِّلَةِ والحَسْرَةِ وإقامَةِ الحُجَّةِ عليْهِمْ .

٤ـ يَتبرَّأُ المتَّبَعُونَ المَعْبودونَ مِنْ تابِعيهِمُ الّذينَ عَبَدوهُمْ في الدُّنْيَا ، ويَتَخلَّوْنَ عَنْهُمْ لِعَجْزِهِمْ عَنْ نُصْرتِهِمْ .

٥ـ لا يَجِدُ الكُفَّارُ حُجَّةً أَوْ مُبَرِراً يُدافِعونَ بِهِ عَنْ كُفْرِهِمْ في الدُّنْيا ، فَيلوذونَ بالصَّمْتِ والسُّكوتِ .

٦ـ طَريقُ الفَوْزِ والفَلاحِ في الآخِرَةِ مُصَوَّرٌ في الإيمانِ والتَّوْبَةِ والعَمَلِ الصَّالحِ في الدُّنْيَا .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا كانَ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأبقَىٰ مِنْ ما فِي الدُّنْيا ؟

٢ـ ما الوَعْدُ الحَسَنُ الّذي وَعَدَ اللهُ بِهِ المُؤْمِنَ في الدُّنْيا ؟ ومَا نَظْرَةُ المُؤْمِنِ لِذلكَ الوَعْدِ ؟

٣ـ بِماذا يَعْتَرِفُ الرُّؤساءُ علىٰ أنْفُسِهِمْ وعلىٰ أَتْباعِهِمْ يَوْمَ القيامةِ ؟ وما الدَّلالةُ الّتي تَخْرُجُ بِها مِنْ ذلكَ ؟

٤ـ بِماذا تُفَسِّرُ سُؤالَ اللهِ لِلْمُشْرِكِينَ يَوْمَ القيامةِ عَنْ شُركائِهِمْ ؟

٥ـ لِماذا لا يَسْتَجيبُ الشُّرَكاءُ لِطَلَبِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ القيامةِ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأَخِيرةِ الشُّروطَ الثُّلاثةَ لِلفَلاحِ في الآخِرَةِ .

٧ـ علىٰ ماذا يدلُّ الفِعْلُ « عسَىٰ » في قولِه تعالىٰ ﴿فعسَىٰ أنْ يَكونَ مِنَ المُفْلِحينَ﴾ ؟ ولماذا ؟

نَشاطٌ :

١ـ آياتُ بَراءَةِ المَتْبوعِينَ مِنْ أَتْباعِهِمْ يَوْمَ القيامةِ كَثيرةٌ . سَجِّلْ في دَفْتَرِك الآياتِ : ( ٨١/ ٨٢ ) مِنْ سورَةِ مريمَ و( ٥ـ٦ ) مِنْ سورةِ الأَحْقافِ ، و( ٢٥ ) مِنْ سورَةِ العَنْكَبُوتِ ، و( ١٦٦ ) من سورةِ البَقَرَةِ .

٢ـ اذْكُرْ آيةً مِنْ سورةِ الكَهْفِ بمعنىٰ الآيةِ (٦٠) ، تَدْعُو إلىٰ اخْتيارِ ﴿البَاقياتِ الصَّالِحاتِ﴾ لأنَّها هِيَ الخَيْرُ عِنْدَ اللهِ واكتُبْهَا في دَفْتَرِك .

٣ـ في مُنْتَصَفِ سورةِ الكَهْفِ آيتانِ تَتحدَّثانِ عَنْ عَدَمِ اسْتِجابةِ الشُّرَكاءِ لِلْمُشْرِكينِ ، سجِّلْهُما وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ (٦٤) .

* * *

# الدَّرسُ السَّادسُ والخمسونَ

## سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عشَرَ

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| ما كانَ لَهُمُ ٱلخِيَرَةُ | : لَيسَ لِلنَّاسِ اخْتِيارٌ لأَنَّ الاخْتِيارَ للهِ وَحْدَهُ . |
| سُبْحانَ ٱللهِ | : تَنْزِيهٌ للهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ . |
| تَعالَىٰ عَمَّا يُشْرِكونَ | : تَعَظَّمَ اللهُ وَتَقَدَّسَ ، وَتَنَزَّهَ عَنِ ٱلشُّرَكاءِ والأَنْدادِ . |
| تُكِنُّ صُدُورُهُمْ | : تُخْفي وَتُسِرُّ قُلوبُهُمْ ، فَلاَ يُظْهِرونَ عَلَيْهِ أَحَداً . |
| لَهُ ٱلحُكْمُ | : اللهُ لَهُ القَضاءُ النافِذُ فِي كُلِّ شَيْءٍ . |

### التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عنْ مَشْهدِ ذُلِّ المُشْرِكِينَ وخِزْيِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ، وعَجْزِ شُرَكائِهِمْ عَنْ نَصْرِهِمْ والدِّفاعِ عَنْهُمْ .

وتَرُدُّ هذهِ الآياتُ أمْرَهُمْ وأَمْرَ كلِّ شَيْءٍ إلىٰ اللهِ وَحْدَهُ ، وتَذْكُرُ بَعْضَ الأَفْعالِ الخَاصَّةِ باللهِ تعالَىٰ .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لِرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ربُّكَ يا مُحَمَّدُ ، هُوَ رَبُّ العَالَمينَ جَميعاً هُوَ الخالِقُ وَحْدَهُ ،

يَخْلُقُ ما يَشاءُ ، ولا يُشْرِكُهُ أَحَدٌ في الخَلْقِ ، وهُوَ وَحْدَهُ يَختارُ ما يَشاءُ ، والأُمورُ كُلُّها بِيَدِهِ ، ومَرْجِعُها إليْهِ ، يَخْتارُ مَنْ يَشاءُ لِلرِّسالَةِ ، ويَخْتارُ مَنْ يَشاءُ لِلإيمانِ والشَّهادَةِ في سَبيلِهِ ، ويَمْنَحُ مَنْ يَشاءُ الشَّفاعَةَ ، ولا يُشارِكُهُ في اخْتيارِهِ شَريكٌ ، وهُوَ حَكيمٌ في ما يَخْتارُهُ لِعِبادِهِ ، لأنَّهُ لا يُريدُ لهُمْ إلاّ الخَيْرَ .

ولَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَخْتارَ غَيْرَ ما اختارَهُ اللهُ ، أوْ أنْ يَقْتَرِحَ عَلَيْهِ شَيْئاً ، أوْ أنْ يُغيِّرَ فِي اخْتيارِ اللهِ شَيْئاً ، لأنَّ النَّاسَ لا يَمْلِكونَ اخْتياراً ، لا لأنْفُسِهِمْ ولا لِغَيْرِهِم .

ولَيْسَ لِلنّاسِ أَنْ يُحَدِّدوا مَنْ يَكونُ رَسولاً أَوْ نَبيّاً أَوْ يُحدِّدوا مَنْ يَكونُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فاللهُ أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ الّذينَ يَسْتَحِقُّونَ فَضْلَهُ وإنْعامَهُ ، ولَيْسَ ذَلِكَ لِزُعماءِ الكُفْرِ الّذينَ يَدَّعونَ ذَلِكَ .

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

الاخْتِيارُ للهِ وَحْدَهُ ، وهُوَ سُبْحانَه حَكيمٌ في اخْتَيارِهِ ، واخْتِيارُهُ صَوابٌ دائِماً ، لأنَّهُ عالِمٌ بما في السَّمواتِ والأَرْضِ ، أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، فاخْتِيارُهُ مَبْنِيٌّ على عِلْمٍ صَحيحٍ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : ربُّكَ يا مُحَمَّدُ عالِمٌ بكُلِّ شَيْءٍ ، وبمَا عِنْدَ النَّاسِ جَميعاً ، فَهُوَ يَعْلَمُ ما تُخفيهِ صُدورُهُمْ ، ومَا تَنْطَوي عَلَيْهِ ضَمائِرُهُمْ ، ويَعْلَمُ ما يُظْهِرونَهُ لِلنَّاسِ الآخَرينَ . فكِلا الأَمْرَيْنِ مِنَ السِّرِّ والجَهْرِ سَواءٌ عِنْدَ اللهِ ، لأنَّه لا تَخْفىٰ عَلَيْهِ خافِيَةٌ ، كَمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، ومَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللّيْلِ وسَارِبٌ بالنَّهارِ﴾ [الرعد : ١٠] .

﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

اللهُ المُتَفرِّدُ بالخَلْقِ والاخْتيارِ ، والعِلْمِ الشَّامِلِ المُطْلَقِ ، وَحْدَهُ الإِلٰهُ والرَّبُّ والمَعْبودُ ، الفَرْدُ الصَّمَدُ ، لا شَريكَ مَعَهُ في العِبادَةِ ، لأَنَّهُ لا شَريكَ لَهُ في الخَلْقِ والاخْتيارِ .

وهُوَ سُبْحانَه المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ والشُكْرِ والثَّناءِ ، لأَنَّه مَحْمودٌ فِي كُلِّ ما يَفْعَلُهُ ويَرْحَمُ بهِ عِبادَهُ مِنْ نِعَمٍ وخَيْراتٍ وأَرْزاقٍ وبَرَكاتٍ .

إنَّهُ مَحْمودٌ فِي الحَياةِ الدُّنيا ، ومَحْمُودٌ في الآخِرَةِ ، يَحْمَدُهُ المُؤْمِنونَ المُنَعَّمونَ في الجَنَّةِ .

والحُكْمُ للهِ وَحْدَهُ ، يَحْكُمُ في خَلْقِهِ ، بما يَشاءُ ، وحُكْمُهُ وقَضاؤهُ هُوَ النافِذُ ، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لِقضائِهِ .

ومَرْجِعُ جَميعِ الخَلائِقِ إليهِ سُبْحانَهُ ، يَبْعَثُ النَّاسَ جَميعاً يَوْمَ القِيامةِ ، ويُوقِفُهُمْ لِلحِسابِ ، ويَقْضِي بيْنَهمُ قَضاءَهُ الأَخِيرَ ، فَيَجْزي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ ، ويُثيبُ المُحْسِنَ بالجَنَّةِ ، ويُعاقِبُ المُسيءَ العاصِي بالنَّارِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ المُتَفرِّدُ وَحْدهُ بالخَلْقِ والاخْتيارِ ، لا يُشارِكُهُ في ذلكَ أَحَدٌ .

٢ـ الرِّضىٰ باخْتيارِ اللهِ للإنْسانِ يَمْنَحُهُ الطُّمأنينةَ والسَّكينةَ والسَّعادَةَ ، ويُبْعِدُ عَنْهُ القَلَقَ والاكْتِئابَ .

٣ـ عِلْمُ اللهِ شامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، لا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خافيةٌ مِمَّا يُخْفيهِ النَّاسُ أَوْ يُظهِرونَهُ .

٤ـ علَىٰ المُؤْمِنِ تَنفيذُ حُكْمِ اللهِ وقَضائِهِ ، والالتزام بِشَرْعِهِ وأَحْكامِهِ ، لأنَّهُ لا رادَّ لِحُكْمِهِ سُبْحانَه .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ أَرْبعةَ أَفْعالٍ خاصّةٍ باللهِ ، ذاكِراً الدَّليلَ علىٰ ذَلكَ مِنْ كَلماتِ الآياتِ .

٢ـ مَا مَوْقِفُكَ مِمَّا يَخْتارُهُ اللهُ لَكَ ، ويَقْضيهِ عَلَيْكَ ؟ وَلِماذا ؟

٣ـ هلِ اختيارُ اللهِ لَكَ يُعَطِّلُ تَفْكيرَكَ ويَمْنَعُكَ مِنَ السَّعي ؟ ولِماذَا ؟

٤ـ اذْكُرْ ثلاثةَ آثارٍ تَظْهَرُ عَلَيْكَ نَتيجةَ إيمانِكَ بِعِلْمِ اللهِ بِمَا تُخفيهِ وتُظْهِرُهُ .

٥ـ ما معنَى قولِه : ﴿لَهُ الحَمْدُ في الأولىٰ والآخرةِ﴾ ؟ ومَا الدَّلالةُ الّتي تَخْرُجُ بِها من ذلكَ ؟

٦ـ ماذا يَنْتُجُ عَنْ رُجوعِ النَّاسِ جَميعاً إلىٰ اللهِ يَوْمَ القيامةِ ؟

## لطيفةٌ :

« ما » مَذْكورةٌ في قَوْلِهِ تعالَىٰ : ﴿وربُّكَ يَخلقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ ، ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وتعالَىٰ عمَّا يُشْرِكونَ﴾ ثلاث مراتٍ ، ولهَا في كُلِّ مَرّةٍ معنًى خاصٌّ ، وعَمَلٌ خاصٌّ .

ـ المَرَّةُ الأُولَىٰ : في قَوْله : ﴿يَخْلُقُ مَا يَشاءُ﴾ . وهيَ اسْمٌ مَوْصولٌ بمعنَىٰ « الّذي » ، فِي مَحَلِّ

نَصْبِ مَفْعولٍ بِهِ لِلفعْلِ « يَخْلُقُ » أيْ : رَبُّكَ يَخْلُقُ الّذِي يشاءُ خَلْقَهُ .

ـ المرةُ الثانيةُ : في قولِه : ﴿ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾ ، وَهي حَرْفُ نَفْيٍ ، تنفِي عَنِ النَّاسِ الخِيَرَةُ . أيْ : لَيْسَ لِلنَّاسِ الخِيَرَةُ .

ـ المرةُ الثالثةُ : فِي قولِه : ﴿عمَّا يشركونَ﴾ . وهيَ حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ . والمَصْدَرُ منهَا ومنْ ما بعدَها فِي مَحَلِ جَرٍّ بِحَرْفِ « عَنْ » . أيْ : عن شِرْكِهِم .

## نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ آيةً مِنْ سورةِ الأَحْزابِ تَنهَىٰ أيَّ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ أَنْ يكونَ لهُمُ الخِيَرَةُ خِلافَ ما اخْتارَهُ اللهُ وقَضاهُ لهُمْ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِك .

٢ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ العاشِرَةَ مِنْ سورَةِ يُونسَ والآيَةَ الأُولىٰ مِنْ سورةِ سَبأ ، واسْتَخْرِجْ منهُما حَمْدَ اللهِ في الدُّنيْا والآخِرَةِ ، وآخِرَ دَعْوىٰ المُؤْمِنينَ في الجَنَّةِ .

* * *

# الدرس السابع والخمسون

## سورة القصص ـ القسم الخامس عشر

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| أَرَأَيْتُمْ | : أَخْبِروني . |
| سَرْمَداً | : دائِماً مُتَّصِلاً مُتَتابِعاً . |
| بِضِياءٍ | : بنهارٍ . |
| تَسْكُنونَ فِيهِ | : تَسْتَقِرّونَ فِيهِ وتَسْتَريحونَ مِنْ مَتاعِبِ العَمَلِ . |
| لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ | : لِتَطْلبوا الرِّزْقَ مِنْ فَضلِ اللهِ . |
| تَزْعُمونَ | : تُكَذِّبونَ وتَدَّعونَ . |
| نَزَعْنا | : أَخْرَجْنا . |
| ضَلَّ عَنْهُم | : غابَ عَنْهُمْ . |

### التفسير :

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ أنَّهُ الخالِقُ الّذي يَخْتارُ مِنْ خَلْقِهِ ما يَشاءُ ، وأنَّهُ العالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، ولَهُ الحَمْدُ

والحُكْمُ والأَمْرُ ، في الدُّنْيا والآخِرَةِ ؛ ذَكَرَ بَعْضَ نِعَمِهِ على عِبادِهِ ، الّتي لا يَقْدِرُ عليْها إلا هُوَ ، ومنْها تَعاقُبُ اللّيلِ والنّهارِ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

يأمُرُ اللهُ رَسولَه ﷺ أنْ يَقولَ لِلْمُشْرِكينَ : أَخْبِروني ماذا تَفْعلونَ إنْ جَعَلَ اللهُ وقْتَكُمْ كُلَّهُ ظَلاماً ، وجَعَلَ اللَّيْلَ عَليْكُمْ دائِماً مُتَتابِعاً إلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ ؟ هلْ تَجِدونَ إلٰهاً غَيْرَ اللهِ يَقْدِرُ علىٰ إزالَةِ الظَّلامِ عَنْكُمْ ، والإتيانِ بِنهارٍ وضِياءٍ مَكانَهُ ؟

أفلا تَسْمعونَ ما يُقَدَّمُ لَكُمْ مِنَ الحُجَجِ والبَراهينِ سَماعَ تَدبُّرٍ وتَفَكُّرٍ ؟ لوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَتَخلَّيْتُمْ عَنِ الشِّرْكِ باللهِ ، لأَنَّ كُلَّ ما سِواهُ عاجِزٌ عَنْ إذهابِ اللّيلِ والإِتْيانِ بالنَّهارِ مَكانَهُ . فهَذا الأَمْرُ وغَيْرُهُ بيدِ اللهِ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

ويأْمُرُ اللهُ رَسولَه ﷺ أنْ يَذْكُرَ لِلْمُشركِينَ الصُّورَةَ المُقابِلَةَ ، ويَقولُ لَهُمْ : أخْبِروني ماذا تَفْعلونَ إنْ جَعَلَ اللهُ وقْتَكُمْ كُلَّهُ ضِياءً ، وجَعَلَ النَّهارَ دائِماً مُتَّصِلاً مُتَتابِعاً إلىٰ يَوْمِ القيامَةِ ، هَلْ تَجِدونَ إلٰهاً غَيْرَ اللهِ يَقْدرُ على إزالَةِ النَّهارِ عَنْكُمْ ، والإتيانِ بِلَيْلٍ وظَلامٍ ، تَسْكُنونَ وتَسْتَقِرّونَ فيهِ ، وتَسْتَريحونَ مِنْ عناءِ الحَرَكَةِ .

أفلاَ تُبْصِرونَ هٰذهِ الظَّاهِرَة ، الّتي يَنْتُجُ عَنْها تَعاقُبُ اللّيلِ والنَّهارِ ، وأنَّهُ لاَ يَقْدِرُ علىٰ ذَلِكَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ ، فَتَعْلَمونَ أنّ اللهَ هُوَ المُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بهذِهِ النِّعَمِ ، وأنَّهُ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلعِبادَةِ .

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

مِنْ رَحْمةِ اللهِ بالنَّاسِ أنَّهُ جَعَلَ اللّيْلَ والنَّهارَ مُتعاقِبيْنِ مُتَخالِفَيْنِ مُتفاوِتَيْنِ ، إذَا حَلَّ أَحَدُهُما ذَهَبَ الآخَرُ ، وذَلكَ لاسْتِقامةِ الحياةِ علىٰ الأرْضِ .

وجَعَلَ اللهُ اللّيْلَ مُظْلِماً ، صالِحاً لِلرَّاحةِ والسُّكونِ ، وهُوَ دَالٌّ علىٰ عَظَمتِهِ وكَمالِ قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ ، وأنَّهُ المُسْتَحِقُّ وَحْدَه لِلعبادَةِ ، وهٰذا يُوجِبُ علىٰ النَّاسِ الاعْتِرافَ لَهُ وحْدَهُ بالفَضْلِ والإنْعامِ ، وشُكْرَهُ علىٰ ذلكَ ، والاسْتِفادةَ مِنَ اللّيْلِ والنَّهارِ في ذِكْرِهِ وَعِبادتِهِ .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

اللهُ لَيْسَ لهُ شَريكٌ في تَدْبيرِ الكَوْنِ ، وتَعاقُبِ اللّيْلِ والنَّهارِ ، وهُوَ المَعْبودُ المَحْمودُ وحْدَهُ ، ومَعَ ذلكَ أشْرَكَ المُشْرِكون باللهِ ، وعَبَدوا آلِهَةً مِنْ دُونِه .

وعِنْدَمَا يَبْعَثُ اللهُ هَؤلاءِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ القيامةِ ، ويُوقِفُهُمْ لِلحساب ، يُنادِيهِمْ لِفَضْحِهِمْ وإخْزائِهِمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ لِتَوْبيخِهِمْ وتَأْنِيبِهِمْ ، ويَقولُ لَهُمْ : أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذينَ كُنْتُمْ في الدّنْيا تَزْعُمونَ أنَّهُمْ آلِهَةٌ ، وعَبَدْتُمُوهُمْ مِنْ دوني ؟ لِماذا لَمْ يُنْقِذُوكُمُ اليَوْمَ مِمَّا أنتُمْ فيهِ ؟

وهُمْ لا يُجيبونَ علىٰ السُّؤالِ ، لأنَّ الخِزْيَ والذُّلَ أَسْكَتَهُمْ ، فلوْ كانتْ مَعْبوداتُهُمْ آلِهَةً لَنَصَرَتْهُمْ ودَفَعَتْ عَنْهُمُ العَذابَ .

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

إذَا كانَ المُشْرِكونَ يَصْمِتونَ يَوْمَ القيامةِ ، فإنَّ اللهَ يُقيمُ عَليْهِمْ شاهِداً ، يَشْهَدُ عَليْهِمْ بِكُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ في الدُّنْيا .

إنّ اللهَ يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ كلِّ أُمَّةٍ شَهيداً ، ويُقيمُهُ شاهِداً عَليْهَا بأَعْمالِها ، سَواءٌ أكانَتْ خَيْراً أَمْ شَرّاً ، وهٰذا الشَّاهِدُ هُوَ رسولُهُمُ الّذي بَعَثَه اللهُ إليْهِمْ . قالَ اللهُ تعالَىٰ : ﴿فَكَيْفَ إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهيدًا﴾ [النساء : ٤١] .

وبَعْدَما يُقدِّمُ الشَّهيدُ شَهادَتَهُ يَقولُ اللهُ لِلْمُشْرِكِينَ : قَدِّموا دَليلَكُمْ علىٰ صِحَّةِ ما ادَّعيتُموهُ مِنْ أنَّ للهِ شَريكاً . فَلَمْ يَتَمكَّنوا مِنْ ذَلِكَ ، لأنَّهُم لا يَجِدون ذلكَ الدَّليلَ . وعِنْدَ ذلِكَ يَعْلَمُونَ عِلْماً يَقينيًّا جَازِماً أنَّ الحَقَّ للهِ وَحْدَهُ ، هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والعِبادَةِ ، لاَ إلٰهَ غَيْرُهُ ، ولاَ رَبَّ سِواهُ ، ولا شَريكَ مَعَهُ ، ويَغيبُ عَنْهُم ما كانوا يَفْتَرونَهُ في الدَّنْيا مِنْ وُجودِ شَريكٍ مَعَ اللهِ سُبْحانَهُ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَعاقُبُ اللّيْلِ والنَّهارِ نِعْمَةٌ ورَحْمَةٌ مِنَ اللهِ ، لاسْتحالةِ الحَيْاةِ مِنْ دُونِ ذلكَ ، والواجِبُ شُكرُ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ علَىٰ ذَلِكَ .

٢ـ الأَصْلُ التَّوافقُ مَعَ سُنَّةِ اللهِ في الكَوْنِ ، وتَخصيصُ اللّيْلِ لِلسُّكونِ والرَّاحَةِ ، والنَّهارِ لِلْكَسْبِ والسَّعْيِ .

٣ـ لا يَمْلِكُ الكُفَّارُ أيَّ بُرْهانٍ مَقْبولٍ علىٰ الشِّرْكِ ، لأنَّ كُلَّ البَراهينِ تَدعو إلىٰ الوَحْدانيَّةِ .

٤ـ يُقيمُ اللهُ الشُّهودَ مِنَ الأنبياءِ وغَيْرِهِمْ ، لِيَشْهَدُوا علىٰ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنَىٰ جعْلِ اللّيْلِ سَرْمَداً وجَعْلِ النّهارِ سَرْمَداً ؟

٢ـ اسْتَخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ وَظِيفَةَ اللّيلِ والنّهارِ فِي حياتِنا .

٣ـ لِماذا خَتَمَ اللهُ آيةَ اللَّيلِ بقولِه : ﴿أَفَلاَ تَسْمَعونَ﴾ وخَتَمَ آيةَ النَّهارِ بقولِه ﴿أَفَلاَ تُبْصِرونَ﴾ ؟

٤ـ ما مَعنَىٰ قولِه : ﴿ونَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهيداً﴾ ؟

٥ـ لِماذا لا يُقَدِّمُ المُشْرِكُون البُرْهانَ المَطْلوبَ مِنْهُم يَوْمَ القيامةِ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورةِ الفُرْقانِ تَجْعَلُ تَعاقُبَ اللّيْلِ والنَّهارِ عِبْرَةً لِلشّاكرِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ (٧٣) .

٢ـ تَخَيَّلْ أنَّ الدُّنْيَا نهارٌ لا لَيْلَ بَعْدَه ، ثمَّ تَخَيَّلْ أنَّها لَيْلٌ لا نَهارَ بَعْدَهُ ؛ واكتبْ في دَفْتَرِك مَوْضوعاً يبيِّنُ مَشَقةَ الحَياةِ في الحَالَتَيْنِ ، واليُسْرَ في تَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ .

* * *

## الدَّرسُ الثَّامِنُ والخَمسونَ

## سُورَةُ القَصَصِ - القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ | : كانَ مِنْ بَني إسْرائيلَ . |
| بَغَىٰ عَلَيْهِمْ | : تَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ وَظَلَمَهُمْ . |
| ٱلكُنوز | : ٱلأَمْوالِ الكَثيرَةِ ٱلمُدَّخَرَةِ . |
| مَفاتِحَهُ | : ٱلخَزائِنَ وَٱلصَّناديقَ ٱلّتي تُوضَعُ فِيها ٱلكُنوزُ . |
| تَنوءُ | : تَثْقُلُ وَيُتْعِبُ حَمْلُها . |
| ٱلعُصْبَةِ | : ٱلجَماعَةِ الكَثيرَةِ مِنَ النَّاسِ . |
| لاَ تَفْرَحْ | : لاَ تَبْطَرْ وَتَتَكَبَّرْ وَتَفْسُدْ بِسبَبِ كَثْرَةِ ٱلمالِ . |
| ٱبْتَغِ | : ٱطْلُبْ . |
| أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندي | : جَمَعْتُ ٱلمالَ بِمَعْرِفَةٍ وَمَهارَةٍ وَخِبْرَةٍ مِنّي . |



بعدَ أنْ ذكَرَ اللهُ خِزْيَ الكافِرينَ المُشْرِكينَ وذٰلكَ يومَ القيامَةِ ، وهٰذا عامٌّ يَشْمَلُ جَميعَ الكافِرينَ ، جاءَ الحَديثُ عَنْ أَحَدِ الكُفّارِ فَذَكَرَ قِصَّةَ قَارونَ ، الّذي أطْغاهُ مالُه فأهْلَكَهُ اللهُ ، وذلكَ لِبيانِ عاقِبَةِ المُشْرِكينَ والمُتَجبِّرينَ ، وخَسارتِهِمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ أنَّ قارونَ كانَ مِنْ بَنِي إسْرائيلَ ، وكانَ مُعاصراً لِمُوسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ولَكنَّهُ خالَفَ قَوْمَهُ ، وانْضَمَّ إلىٰ عَدوِّهِم فِرْعَوْنَ .

وقدْ بغَىٰ قارونُ علىٰ قَوْمِهِ الإسْرائيلِيِّينَ ، وتَجبَّرَ عَلَيْهِم وظَلَمَهُمْ ، لأنَّه رأىٰ نَفْسَهُ خَيْراً مِنْهُمْ ، بِسَبَبِ كَثْرةِ أموالِهِ .

وآتىٰ اللهُ قارونَ أَمْوالاً كَثيرَةً ، وكُنوزاً عديدةً ، وكانَ يَضَعُها في خَزائِنَ مَنيعةٍ ثَقيلةٍ ، وكانَتْ مَفاتيحُ كُنوزِهِ تُتْعِبُ المَجْموعَةَ مِنَ الرِّجالِ الأَقْوياءِ ، فإذا كانَتَ مفاتيحُ الكُنوزِ كذلك ، فما بَالُكَ بِثِقَلِ الكُنوزِ نَفْسِها ؟!!

وكانَ في قَوْمِهِ أُناسٌ صالِحونَ ، لَمْ تُغْرِهِمْ كُنوزُهُ الكَثيرةُ ، ولَمْ يَقبلوا بَغْيَهُ وتَكَبُّرَهُ ، ولِذلكَ نَصَحوه قائِلينَ : لا تَفْرَحْ لِكَثْرةِ كنوزِكَ فَرَحاً يَقودُ إلى البَطَرِ والتَّكَبُّرِ والخُيَلاءِ ، لأنَّ اللهَ لا يُحِبُّ هؤلاءِ الفَرِحينَ البَطِرينَ .

ويَدلُّ نَهْيُهُم عنِ الفَرَحِ أنَّ الفرَحَ نَوْعَانِ : نَوْعٌ مُحَرَّمٌ ؛ وهوَ ما كانَ عَلَيْهِ قارونُ ، ونَوْعٌ مُباحٌ مَحْمودٌ ؛ وهُوَ سُرورُ المُؤْمِنِ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ وتَوْفيقِهِ إلىٰ طاعَتِهِ .

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

تابَعَ الناصِحونَ الصَّالحونَ نُصْحَهُمْ لِقارونَ ، فقالُوا لهُ :

ـ اسْتَعْمِلْ مَا مَنَحَكَ اللهُ مِنَ النعمِ الكَثيرةِ ـ منْها الأَمْوالُ الطَّائِلَةُ ـ في طاعتِهِ ، والتَّقرُّبِ إليهِ بالأعْمالِ الصَّالِحَةِ ، لِيَحْصُلَ لَكَ ثوابُها فِي الدَّارِ الآخِرَةِ ، فإنَّ نَعيمَ الآخِرَةِ هوَ الباقِي .

ـ ولا تَنْسَ نَصيبَك مِنَ الدُّنْيا منْ هَذهِ النِّعَمِ ، وخُذْ حَظَّكَ مِنْ لَذّاتِ الدُّنْيا المُباحةِ ، مِنَ المآكِلِ والمشارِبِ والملابسِ والمَسْكنِ والزَّواجِ والمالِ وغَيْرِ ذلكَ .

ـ وقابِلْ إحْسانَ اللهِ إلَيْكَ بالإحْسانِ إلىٰ خَلْقِهِ ، وذلكَ بإعانَتِهِمْ بالمالِ والجَاهِ وغَيْرِ ذلكَ ،

لِيَزيدَكَ اللهُ مِنْ إحْسانِه وإنْعامِهِ ، لأنَّ اللهَ يَجْزي المُحْسِنَ بالمَزيدِ مِنَ الإحْسانِ .

ـ ولاَ تَكُنْ مُفسِداً في الأرْضِ ، ولا تَسْتَعْمِلْ مالَكَ في الإفسادِ وظُلْمِ النَّاسِ واسْتِعْبادِهِمْ ، فإنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَاقَبَكَ اللهُ ، لأنَّهُ لا يُحِبُّ المُفْسِدينَ ، وإنَّما يُعاقِبُهُمْ ويُعذِّبُهُمْ .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

رفضَ قارونُ المُتَكَبِّرُ نَصيحَةَ النَّاصِحينَ ، وَرَدَّ عليْهِمْ بِجُمْلةٍ واحِدَةٍ ، كلُّها غُرورٌ وبَطَرٌ وجُحودٌ لِلنِّعْمَةِ ، وكُفْرٌ بالْمُنْعِمِ ، فقالَ لهُمْ : لَقَدْ أُوتيتُ هَذهِ الكُنوزَ لِعْلمِي وخِبْرَتي ومَهارَتي في جَمْعِها وتَحْصيلِها ، فالفَضْلُ لي ولِعِلْمِي في الحُصولِ عَلَيْها .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

ردَّ اللهُ قَوْلَ قارونَ الفَاجِرِ ، وهَدَّدَهُ وتَوَعَّدَهُ بالهَلاكِ ، وبَيَّنَ جَهْلَهُ المُطْبِقَ مَعَ أنَّهُ يَدَّعي العِلْمَ ، فَهُوَ جاهِلٌ لَمْ يَعْلَمْ أنَّ اللهَ قَدْ أهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ أُناساً كافِرينَ مُتَكَبِّرينَ ، كانَ الواحِدُ مِنْهُم أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ قارونَ ، وأكْثَرَ جَمْعاً لِلمالِ مِنْهُ ، ومَعَ ذلكَ لَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ قُوَّتُهُ وأمْوالُهُ الهَلاكَ والعَذابَ .

وإنَّ قارونَ يَسيرُ على طريقِهِمْ ، في الكُفْرِ والبَغْيِ والبَطَرِ والفَسادِ ، ولِذَلِكَ يَنْتَظِرُهُ ما وقَع بهِمْ مِنَ العَذابِ والهَلاكِ .

وعِنْدَما يُريدُ اللهُ عِقابَ الكافِرين وإهْلاكَ المُجْرِمينَ فإنَّهُ لا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذُنوبِهِمُ الكَثيرةِ سُؤالَ اسْتِفسارٍ عَنْهَا ، لأنَّهُ عالِمٌ بها كُلِّها ، فلا حاجَةَ لِيَسْأَلَهُمْ عنها .

ويومُ القيامَةِ لا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذُنوبِهِمْ سُؤالَ اسْتعلامٍ لِعِلْمِه بِها ، قالَ تعالَىٰ : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ ولا جَانٌّ . .﴾ [الرحمن : ٣٩] .

ولَكنَّهُ يَسْأَلُهُمْ سُؤالَ تَوْبيخٍ وَذَمٍّ وتَأْنيبٍ ، لِيَشْعُروا بالخِزْيِ والذُّلِّ . قالَ تعالَىٰ : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَرَكَ قارونُ قَوْمَهُ الإسْرائيليّينَ المُؤْمِنينَ وانْحازَ إلىٰ أعْدائِهِمُ الكافِرينَ ، بِسَبَبِ بَغْيِهِ وتَكَبُّرِه وَفسادِهِ .

٢ـ اللهُ يُعطي مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ أَمْوالاً كَثيرَةً للابتلاءِ والامْتِحانِ ، لِيَبْلُوَهُمْ أيشْكُرونَ أَمْ يَكْفرونَ .

٣ـ كَثْرةُ المالِ مَعَ عَدَمِ الإيمانِ والتَّقوىٰ تَقودُ إلىٰ الفَرحِ والبَطَرِ والإسْرافِ والإفْسادِ .

٤ـ يَجِبُ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يُحْسِنَ الاسْتفادةَ مِمَّا آتاهُ اللهُ مِنَ النِّعَمِ وأنْ يَطْلُبَ بها الدَّارَ الآخِرَةَ .

٥ـ لاَ يَتعارَضُ طَلَبُ الآخِرَةِ مَعَ الاسْتِمْتاعِ المُباحِ بالطَّيباتِ في الدُّنْيا .

٦ـ مَنْ شَكَرَ اللهَ علىٰ إحْسانِه اسْتَخْدَمَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ في الإحْسانِ إلىٰ خَلْقِهِ .

٧ـ الجاهِلُ يَجْحَدُ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ ، ويدّعي أنَّه حَصَّلَ ذلكَ بِعِلْمِه وجُهْدِهِ ومَهارتِهِ .

٨ـ جُحودُ فَضْلِ اللهِ سَبَبٌ لِزوالِ النِّعَمِ عَنْ صاحِبها ، وإيقاعِ العِقابِ بهِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنَىٰ قولِه : ﴿وآتيناهُ مِنَ الكُنوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتنوءُ بالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ﴾ ؟

٢ـ لِماذا نَهىٰ النَّاصِحونَ قارونَ عَنِ الفَرَحِ ؟ ومتىٰ يكونُ الفَرَحُ مَحْموداً ؟

٣ـ اسْتخرجْ مِنَ الآيةِ ( ٧٧ ) أرْبَعَ نَصائحَ مُوَجَّهَةٍ لِقارونَ .

٤ـ لا يُحِبُّ اللهُ صِنفَيْنِ مِنَ المُجْرِمِينَ ؛ اسْتَخْرِجْهُما مِنْ آياتِ الدَّرسِ .

٥ـ بِماذا ردَّ قارونُ علىٰ النَّاصِحينَ ؟ وما معنَىٰ ردِّهِ ؟

٦ـ متى يُسْأَلُ المُجرِمونَ عَنْ ذُنوبِهِمْ ؟ ومتى لا يُسْأَلونَ ؟ اشْفَعْ إجابَتَكَ بالدّليلِ مِنَ القُرْآنِ .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك الآيَةَ الّتي وَرَدَ فيهَا اسْمُ قارونَ فِي سورةِ العَنْكَبوتِ ، وفِي سُورَةِ غافِرٍ ، اذْكُرْ حِكْمَةَ قَرْنِهِ معَ فِرعونَ وهامانَ في الآيَتَيْنِ .

٢ـ سجِّلْ في دَفْتَرِك الآيَةَ ( ٥٨ ) مِنْ سورةِ يونُسَ الّتي تَدْعو إلىٰ الفَرَحِ المَحْمودِ ، واسْتَخرِجْ مِنْهَا طبيعةَ ذلكَ الفَرَحِ .

٣ـ سَجِّلْ في دفترِك الآيةَ ( ٤٩ ) مِنْ سورةِ الزُّمَرِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ ردِّ قارونَ .

* * *

# الدَّرْسُ التَّاسِعُ والخَمْسونَ

## سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ : صاحِبُ نَصِيبٍ وَافِرٍ فِي الدُّنْيا .

وَيْلَكُمْ : كَلِمَةُ زَجْرٍ وَرَدْعٍ ، لِلتَّوَقُّفِ عَمّا لاَ يَنْبَغِي .

خَسَفْنَا بِهِ : شَقَقْنا الأَرْضَ فَغارَ فِيها .

فِئَةٍ : جَماعَةٍ وَأَعْوانٍ .

وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ . مُكَوَّنَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ « وَيْ » : لِلتَّعَجُّبِ . وَ« كَأَنَّ » لِلتَّقْرِيرِ .

يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ : يُكَثِّرُ ٱلرِّزْقَ وَيَزِيدُهُ .

يَقْدِرُ : يُضَيِّقُ وَيُقَلِّلُ الرِّزْقَ .

### التَّفْسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ كَثْرَةِ كُنوزِ قارونَ ، واسْتِخْدامِهِ لها فِي البَغْيِ والفَسادِ ، ورَفْضِهِ نَصيحةَ النَّاصِحينَ مِنْ قَوْمِه . وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنِ افْتِتانِ بَعْضِ قَوْمِهِ بِهِ ، وإهلاكِ اللهِ لَهُ .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

خَرَجَ قارونُ يَوْماً على قومِهِ مِنْ بني إسْرائيلَ ، مُسْتَخْدِماً زِينَةً عَظيمَةً فَخْمَةً ، مِنْ مَراكِبَ ومَلابِسَ وجَواهِرَ ، بِقَصْدِ التَّكبُّرِ والتَّعالِي ، وإظْهارِ العَظَمَةِ والأُبَّهةِ والفَخامَةِ .

ولَمَّا رآهُ بعْضُ قومِهِ علىٰ تِلْكَ الصُّورةِ الفاتِنَةِ افْتَتنُوا بهِ ، وهُمُ السُّذَّجُ الجُهَّالُ مِنَ النَّاسِ ، الّذينَ يُريدونَ الحَياةَ الدُّنْيا ، ويُحِبُّونَ زَخارِفَهَا وزِينَتَها ، ويَنْسَوْنَ الآخِرَةَ ونَعيمَها . تمنَّى هؤلاءِ المَفْتونونَ أنْ لَوْ كانَ لَهُمْ مِثْلُ ما عِنْدَ قارونَ مِنَ الأمْوالِ والمَتاعِ والزِّينةِ ، لِيَسْتمتِعوا بهَا مِثْلَهُ ، واعْتَبرُوهُ مَحْظوظاً مُنَعَّماً ، صاحِبَ نَصيبٍ وافِرٍ كَبيرٍ مِنَ الدُّنيا ومَتاعِها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

إذَا كانَ الرّاغبونَ في الحَياةِ الدُّنْيا قَدْ فُتِنوا بزينَةِ قارونَ ، فإنَّ فَريقاً آخَرَ مِنْ بني إسْرائيلَ لَمْ يُفتَنوا بهِ ، وهُمُ الّذينَ آتاهُمُ اللهُ العِلْمَ والحِكْمَةَ وبُعْدَ النَّظرِ في تَقْديرِ الأمُورِ ، هؤلاءِ تَوجَّهوا بالنَّصيحَةِ إلىٰ الجُهَّالِ المَفْتونينَ ، وقالوا لَهُمْ : وَيْلَكُمْ ، لا تُخدَعوا بقارونَ وأَمْوالِه وزينَتِهِ ، وتَوَقَّفوا عَنْ هذهِ التَمنيّاتِ الباطِلَةِ ، واعْلمُوا أنَّ جَزاءَ اللهِ وثَوابَه ونَعيمَه لِعبادِهِ المُؤْمِنينَ الصّالِحينَ خَيْرٌ مِمَّا تَرونَ وتَتمنَّوْنَ ؛ لأنَّ نَعيمَ الجَنَّةِ باقٍ ما لهُ مِنْ نفادٍ ، وزينةَ الدُّنيا إلىٰ زَوالٍ .

وهٰذهِ الجَنَّةُ ونعيمُها لَيْستْ إلاّ لِلمُؤْمنينَ الصّابرينَ علىٰ فِعْلِ الطّاعاتِ وتَرْكِ المَعاصِي ، الّذينَ يَرْغبونَ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ ، ويَتَرفَّعونَ عَنْ مَحبّةِ الدُّنْيا ، ويَرْضَوْنَ بمَا قَسَمَ اللهُ لَهُم مِنْ رِزقٍ .

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

قضَىٰ اللهُ على قارونَ ، وهُوَ في ذَرْوَةِ بَغْيِهِ وتَكَبُّرِهِ واسْتعلائِهِ ، حَيْثُ خَسَفَ بهِ وبدارِهِ الأَرْضَ ، فانْشقَّتِ الأَرْضُ وابتلعَتْهُ هُوَ وَزينتَهُ ودارَهُ وكُنوزَهُ ، وغاروا فيها ، وغَيَّبَتْهُمْ داخِلَها .

روَىٰ البخاريُّ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ـ رضيَ اللهُ عنْهُما ـ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « بينَما رَجُلٌ يجرُّ إزارَهُ ، إذْ خُسِفَ بهِ ، فَهُوَ يتَجلْجلُ في الأرْضِ إلىٰ يوم القيامةِ » .

وذَهَبَ قارونُ المُتَجبِّرُ المُتَكبِّرُ ضَعيفاً عاجزاً ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ العَذابُ ، ولَمْ تنفَعْهُ كُنوزُهُ ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ غَضَبَ اللهِ ، ولَمْ يَجِدْ جَماعةً تَنْصُرُهُ وتَدْفَعُ عَنْهُ أَمْرَ اللهِ ، ولَمْ يَكُنْ هُوَ فِي نفسِهِ مُنْتَصِراً ، فلاَ ناصِرٌ لَهُ مِنْ نفسِه ولاَ مِن غيرِه .

وهٰكذَا كُلُّ مَنْ طغَىٰ وتَجبَّرَ ، واعْتَزَّ بمالِهِ وسُلْطانِهِ ، يُوقعُ اللهُ بهِ عِقابَهُ ، فلاَ يَسْتَطيعُ دَفْعَهُ ، ويَذْهَبُ إلىٰ لَعْنَةِ اللهِ وعَذابِهِ ، مِثْلُ فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنودِهِما .

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

بعدَما أهْلَكَ اللهُ قارونَ عَرَفَ المَفْتونونَ بهِ الحَقيقةَ ، لكنْ مُتَأخرينَ ، ولمْ يكونوا كالّذينَ أُوتوا العِلْمَ والحِكْمةَ ، الّذين عَرفوها مِنْ قَبْلُ فَلَمْ يُخْدَعوا بِهِ .

فَصارَ الّذينَ تمنَّوْا فِي الماضِي القَريبِ أنْ يَكونوا مِثْلَ قارونَ يَحْمَدونَ اللهَ لأنَّهمْ لَيْسوا مِثْلَهُ .

وصاروا يَقولونَ مُتعجِّبينَ : ألمْ ترَ أنَّ اللهَ يَمُدُّ الرِّزقَ لِمَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، ويُكَثِّرُهُ عَلَيْهِ ، ويَزيدُهُ مِنْهُ ، ويُضَيِّقُ هذا الرِّزقَ علىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، ويُقَلِّلُهُ عَلَيْهِ . فَهُوَ سُبحانَهُ يُعطِي ويَمْنَحُ ، ويُضَيِّقُ ويُوَسِّعُ ، ويَفْعَلُ ذَلِكَ بِحِكْمَتِه التَّامَّةِ . ولَيْسَ كَثْرَةُ الرِّزْقِ للإنسانِ دَليلَ مَحَبَّةِ اللهِ لَهُ ، فهَا هُو قارونُ آتاهُ اللهُ الكثيرَ ؛ ومَعَ ذَلِكَ خَسَفَ بهِ وقَضَىٰ عَلَيْهِ .

وتابَعوا يَقولونَ : إنَّ اللهَ لَطَفَ بنا وأَحْسَنَ إلَيْنا عندَما لَمْ يُكثِرِ المالَ عِنْدَنا ، ولَوْ كَثَّرَ أموالَنا لَخَسَفَ بنا كَما خَسَفَ بقارونَ وكُنوزِهِ . وإنّ إهْلاكَ قارونَ يَدلُّ علىٰ أنَّ اللهَ لا يُحقِّقُ الفَوْزَ والفَلاحَ والنَّجاحَ لِلكافِرينَ ، وإنَّما عاقِبَتُهُمْ هيَ الخَسارَةُ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَحْذيرُ مَنْ يَسيرُ سِيرَةَ قارونَ مِنْ مَصيرٍ مِثْلِ مَصيرِهِ .

٢ـ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِناً مُسْتقيماً ، يَعْتَزُّ بمالِهِ ، ويَتكَبَّرُ ويَخْتالُ بزينتِهِ ، ويَتيهُ علىٰ الآخَرِينَ .

٣ـ مِقْياسُ أصْحابِ الدُّنْيا خاطِىءٌ ، لأنَّهُمْ يَعتبرُونَ التَّوفيقَ والفَلاحَ مَحْصورٌ بِكَثْرةِ المالِ والمَتاعِ والزِّينةِ .

٤ـ أهْلُ العِلْمِ والحِكْمَةِ والبَصيرةِ لا يُخْدَعونَ بما عِنْدَ الآخَرِينَ ، ويُوقِنونَ أنَّ الجَنَّةَ ونعيمَها خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنينَ .

٥ـ يَقْضِي اللهُ علىٰ المُتكبِّرِينَ المُخْتالِينَ وهُمْ في ذَرْوةِ انْتِفاشِهِمْ ، ولا يجدُونَ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماذَا قالَ المَفتُونونَ بِزينةِ قَارونَ ؟ وبِماذا وصَفَتْهُمُ الآيةُ الأُولىٰ ؟

٢ـ بِماذا ردَّ عليْهِمُ الّذينَ أُوتوا العِلْمَ ؟

٣ـ ماذا قالَ الّذينَ تَمنَّوْا مكانَ قارونَ بَعْدَ الخَسْفِ بهِ ؟ وعلىٰ ماذا حَمِدوا اللهَ ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الجُمْلةِ الأخيرةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ سُنَّةً رَبانيَّةً مطَّرِدَةً .

٥ـ ماذا تُفيدُ كَلِمةُ : « ويّ » في الآيةِ ؟ ولِمَ كَرَّرَها مَرتيْنِ ؟

## تَعَلَّمْ :

« وَيْكَأَنَّ » مَذْكورةٌ في آياتِ هٰذا الدّرْسِ مَرَّتَينِ ، ولَمْ تردْ فِي غَيْرِ هٰذا المَوْضِعِ مِنَ القُرْآنِ ، وَهِيَ مكوَّنَةٌ مِنْ كَلِمَتَينِ « وَيْ » : كَلِمَةٌ لِلتّعجُبِ . وَ « كَأَنَّ » لا يُرادُ بها هُنا التشبيهُ ، وإنَّما يُرادُ بها التَّقريرُ ، وتُقرِّرُ الجُمْلَةَ المَذْكورةَ بَعدَها . فمعنَىٰ قولِه : ﴿وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ﴾ : ألَمْ تَرَ أنَّ الله يَبْسُطُ الرِّزقَ .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْترِك الآياتِ ( ١٨ـ٢١ ) مِنْ سورةِ الإسْراءِ ، واسْتَخرجْ مِنْهَا صِفاتِ الّذينَ يُريدونَ الحَياةَ الدُّنْيا ، والّذينَ يُريدونَ الآخِرَةَ .

٢ـ لَيْسَتْ كَثْرةُ المالِ دَليلَ تَكْريمِ اللهِ للإنْسانِ ولا قِلَّةُ المالِ دَليلَ هَوانِهِ علىٰ اللهِ . اذْكُرْ آيتيْنِ مِنْ سورةِ الفَجْرِ ، تُقرِّرانِ هذهِ الحقيقةَ ، واسْتَخْرِجِ الشَّاهدَ علىٰ ذَلِكَ منْهُمْا ، واكْتُبْ ذلكَ فِي دفْتَرِك .

* * *

## الدَّرسُ السّتونَ

# سُورَةُ القَصَصِ ـ القِسْمُ الثامِنَ عَشَرَ

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

عُلُوًّا فِي ٱلأَرْضِ : تَكَبُّراً وَقَهْراً وَبَغْياً .

فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلقُرْآنَ : أَوْجَبَ عَلَيْكَ تَنْفِيذَ أَحْكامِهِ وَتَبْليغَهُ وَدَعْوَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ .

رَادُّكَ إِلَىٰ مَعادٍ : يَرُدُّكَ وَيُعيدُكَ إِلَىٰ مَكَّةَ ظافِراً مَنْصُوراً .

ظَهيراً : ناصِراً وَمُعيناً .

لا يَصُدُّنَّكَ : لاَ يَصْرِفَنَّكَ الكافِرُونَ .

هالِكٌ : مَيِّتٌ فانٍ .

### التفسيرُ :

ذَكَرتْ سورةُ القَصَصِ قصّةَ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرْعونَ مُفَصَّلَةً ، وذَكَرتْ هَلاكَ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ ، كَما ذَكَرَتْ قِصَّةَ قارونَ والخَسْفَ بِهِ وَبِمَلَئِهِ ، وبيَّنَتْ عاقِبَةَ طُغيانِ الحُكْمِ المُتَمَثِّلِ في

فِرْعَوْنَ ، وطُغيانَ المالِ المُتَمَثِّلَ فِي قارونَ .

وناسَبَ أنْ تُخْتَمَ السّورةُ بهذهِ التّوجيهاتِ لِلْمُسلمينَ ، تَعْقيباً علىٰ القَصَصِ السّابقةِ .

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ هيَ الباقيةُ ، ونَعيمُها هُوَ الدّائمُ الّذي لا يَزولُ ، يَجْعَلُها اللهُ لِعبادِهِ المُؤْمنينَ الصّالِحينَ المُتواضِعينَ ، الّذينَ لا يُريدُونَ في حياتِهم الدُّنْيا عُلُوًّا في الأرْضِ ، ولا تَكَبُّراً على النّاسِ ، ولا تَجبُّراً وظُلْماً للآخَرينَ ، ولا فَساداً في الحَياةِ ، وإنّما يَعيشونَ حَياتَهُمْ بطاعةِ اللهِ وتَرْكِ مَعْصيتِهِ والإحْسانِ إلىٰ عبادِهِ .

هَؤلاءِ هُمُ الفائِزونَ المُفْلِحونَ ، لأنَّهم كانُوا في دُنْياهُم مُتَّقينَ ، والعاقِبَةُ الحَسَنَةُ إنّما هيَ لِلْمُتَّقينَ ، الّذينَ اتَّقَوْا عذابَ اللهِ وخافُوا عِقابَهُ ، وأحَلُّوا حَلالَهُ ، وحَرَّموا حَرامَهُ .

وفَرْقٌ بَعيدٌ بَيْنَ عاقبةِ فِرْعَوْنَ وهامانَ وقارونَ حَيْثُ الخُسْرانُ والنّارُ ، وعاقبةِ المُتَّقينَ حَيْثُ النَّعيمُ والجَنَّةُ .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ الجَزاءَ في الدّارِ الآخِرَةِ ، وأنَّ النَّعيمَ فيهَا لِلْمُتَّقينَ ذَكَرَ الجَزاءَ علىٰ الأعْمالِ فيهَا ، وإكرامَ اللهِ لِلْمُحْسنينَ ، وعَدْلَهُ في مُحاسَبةِ المُسيئينَ .

المُؤْمِنُ المُتَّقِي المُحْسِنُ يَجيءُ يَوْمَ القيامةِ بالحَسَناتِ ، ويَجْزيهِ اللهُ خَيْراً مِنْها ، فَيُضاعِفُها لهُ في الثّوابِ ، ويُعطيهِ عَلَيْها عَشْرَ أمْثالِها وأكْثَرَ ، ويُدْخِلُهُ الجَنَّةَ مُنَعَّماً مُخَلَّداً فِيها ، وهٰذا فضلٌ وإحسانٌ ورَحْمَةٌ مِنَ اللهِ ، وهُوَ خيرٌ مِنْ حَسَناتِهِ الّتي جاءَ بِها .

والكافِرُ أوِ العاصي يَجيءُ يَوْمَ القيامَةِ بالسَّيِّئاتِ ، وهِيَ ما حرَّمَه اللهُ مِنَ الأَفْعالِ والأقْوالِ ، فَيُعاقِبُهُ اللهُ عَلَيْها ، ولَكنَّه يَكونُ عادِلاً مَعَهُ في الإحْسانِ والمُجازاةِ ، فلا يُضاعِفُها أوْ يَزيدُها عَلَيْهِ ، وإنَّما يُحاسِبُه بِمِثْلِها ، ويُجازيهِ نَتيجةَ عَمَلِهِ ، والجَزاءُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ . قالَ تعالَىٰ : ﴿مَنْ جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها ، وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنونَ . وَمَنْ جاء بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجوهُهُمْ في النّارِ . هَلْ تُجْزَوْنَ إلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ﴾ [النمل : ٨٩-٩٠] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾

وبعدَما قدَّمَ اللهُ لِرَسولِه الوَعْدَ والبُشرى أمَرَهُ أنْ يقولَ لِلْمُشرِكين : اللهُ رَبِّي عالِمٌ بكلِّ شيءٍ ، ومِنْ ذلكَ عِلْمُهُ بالصّالِحِ المُهْتَدِي الّذي جاءَ بالهُدىٰ ، وعِلْمُهُ بالكافرِ الضّالِّ ضَلالاً مُبيناً واضِحاً ظاهِراً .

يقولُ هذا لِلْمُشْرِكينَ من بابِ توبيخِهِمْ ، لأنَّهم اتَّهموا رَسولَ اللهِ ﷺ بالضَّلالِ ، لِيعْرِفوا أنَّه هوَ المُهتدِي الَّذي جاءَ بالهُدىٰ ، وهُوَ القرآنُ ، وهُمُ الضَّالُّون ضَلالاً مُبيناً .

﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

بعدَما قدَّمَ اللهُ البُشْرىٰ لِنبيِّه ﷺ ذكَّرَهُ بِنِعْمتِه العَظيمةِ عَليْهِ وعلىٰ النَّاسِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ نَبيّاً وأنزلَ عَليْهِ الوَحْيَ .

قالَ اللهُ لَهُ : لمْ تكنْ أيُّها النَّبيُّ تظنُّ أنَّكَ سَتكونُ نبيّاً ، ولَمْ تَتوقَّعْ ذلكَ أوْ تَرْجوهُ أوْ تنتظرْهُ ، واللهُ هوَ الَّذي اصْطفاكَ نَبيّاً ، وبعثَكَ رَسولاً ، وأَنْزَلَ عَليْكَ القُرآنَ ، رَحْمةً منْهُ بكَ وبالنَّاسِ .

إنَّ النُّبوَّةَ اصطفاءٌ واختيارٌ مِنَ اللهِ ، ولَمْ يَكُنِ النَّبيُّ يَنْتَظِرُها أَوْ يَتوقَّعُها ، وإنَّما تَكونُ بِتَدبيرٍ مِنَ اللهِ وَحْدَه ، فَموسَىٰ ـ عَليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ذَهَبَ إلىٰ جَبَلِ الطّورِ لِيَجِدَ خَبَراً عندَ النَّارِ ، أو يَأخذَ منْها قَبَساً ، فإذا بنداءِ اللهِ لَهُ واخْتيارِهِ نَبيّاً ، ومُحَمَّدٌ ﷺ كانَ في غارِ حِراءٍ يَتعبَّدُ ، فأَنْزلَ اللهُ الوَحْيَ عَلَيْهِ . قالَ اللهُ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

هٰذهِ تَوْجيهاتٌ مِنَ اللهِ لِرَسولِه ﷺ بعدَما ذكَّرَه بِنِعْمَتِهِ عَليْهِ وَرَحمتِه بهِ :

ـ لا تَكُنْ مُعيناً لِلكافرِين مُساعداً لَهُمْ ، ولا تُؤيِّدْهُمْ ولا تَنْصُرْهُمْ ، فلا تَعاوُنَ بَيْنَكَ وبينَهُمْ .

ـ احْذَرِ الكافرينَ ، وإيَّاكَ أنْ يَصُدوكَ عَنْ آياتِ اللهِ الّتي أنزلَها عَلَيْكَ في القُرْآنِ ، وآمُرُكَ أنْ تنفِّذَ ما فيهَا ، وتُبَلِّغَهَا لِلنَّاسَ . واعْلَمْ أنَّ هَدَفَ الكُفّارِ هُوَ صَدُّ النَّاسِ وصَرْفُهُمْ عَنِ الإيمانِ بهذا الدِّينِ لِيسيرُوا فِي طريقِ الباطِلِ .

ـ ادْعُ النَّاسَ إلىٰ تَوْحيدِ اللهِ ، وعبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، ولاَ بُدَّ وأنْ تَكونَ الدَّعْوةُ خَالِصةً للهِ ، لا يشوبُها أيُّ غرَضٍ دُنْيويٍّ .

ـ احْذرْ أنْ تَكونَ واحِداً مِنَ المُشْرِكِينَ ، الّذينَ يُشْرِكونَ مَعَ اللهِ غَيْرَه مِنَ الأَصْنامِ والأَوْثانِ .

ـ لاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ ، فِي أيِّ عَمَلٍ مِنْ أعمالِكَ ، لأنَّ غَيْرَ اللهِ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ والدُّعاءُ لا يكونُ إلا للهِ ، لأنَّ العِبادَةَ لا تَصِحُّ إلاَّ للهِ ، فَهُوَ الإلٰهُ الواحِدُ ، لا إلٰهَ إلاّ هُوَ .

وهٰذهِ التَّوجيهاتُ الخَمْسَةُ مُوَجهَةٌ في ظاهِرِها لِلرَّسولِ ﷺ لكنَّها مَقْصودٌ بهَا أُمَّتَهُ ، تُقدِّمُ لَهُمُ التَّحذيرَ مِنْ تَرْكِ الحَقِّ إلىٰ الباطِلِ ، وتُكَلِّفُهُمْ أنْ يكونُوا ثابِتينَ علىٰ الحقِّ .

بعدَ تِلْكَ التَّوجيهاتِ الخَمْسَةِ تَخْتِمُ الآياتُ بِبَعْضِ الصِّفاتِ الّتي تَفرَّدَ بها اللهُ ، وتدلُّ علىٰ أنّه لا إلٰهَ إلاّ هُوَ :

ـ لا إلهَ إلاّ اللهُ ، فَهُوَ الخالِقُ ، وكُلُّ ما سِواهُ مَخْلوقٌ ، وهو الباقي ، وكُلُّ ما سِواهُ هالِكٌ فانٍ ، سَيموتُ ويَفنىٰ ويَزولُ ويَنْتَهي . كما قالَ ـ تعالىٰ ـ : ﴿كلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ ، ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرَام﴾ [الرحمن : ٢٦ـ٢٧] .

ـ بِمَا أنَّ اللهَ وحْدَهُ هُوَ الحَيُّ القيُّومُ الباقِي ، فإِنَّهُ لَهُ الحُكْمَ والأَمْرَ وحْدَهُ ، ولَه المُلْكُ والتَّصَرُّفُ وحْدَهُ ، ولَهُ القَضاءُ النَّافِذُ وَحْدَهُ ، لا مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لِقَضائِهِ .

ـ واللهُ قدَّرَ أنْ يُهلكَ جميعَ المَخْلوقِينَ ويُميتُهُمْ ، وقَدّرَ أنْ يُحيِيَهُمْ يَوْمَ القيامةِ ، لِيُحاسِبَهُمْ علىٰ أعْمالِهِمْ ، إنْ خَيْراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فَشَرٌّ ، فَمَرْجِعُهُمْ ومَصيرُهُمْ إلىٰ اللهِ الّذي خَلَقَهُمْ وأحْيَاهُمْ وأماتَهُمْ ، وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الأوّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ ، وإليهِ المَرْجِعُ والمَصيرُ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ العاقِبَةُ الحَسَنةُ السَّعيدَةُ في الآخِرةِ لِلمُتَّقينَ .

٢ـ مِنْ أهمِّ صِفاتِ الرَّاغبينَ في الجَنَّةِ ، التَّقوىٰ والتَّواضعُ ، وعَدَمُ العُلوِّ وتَرْكُ الفَسادِ .

٣ـ الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ، ويَجِدُ الإنسانُ في الآخِرَةِ ما قَدَّمَهُ وعَمِلَهُ في الدُّنْيا ، ويُكْرِمُ اللهُ المُحْسِنين بِمُضاعَفَةِ الحَسَناتِ بالجَنَّةِ ، وهُوَ عادِلٌ في عِقابِ المُسيئِينَ وتعذيبِهِمْ .

٤ـ أصحابُ الحَقِّ هُمُ المُنْتصِرُون على أصْحابِ الباطِلِ ، والعَاقِبةُ لَهُمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٥ـ مِنْ شُكْرِ اللهِ علىٰ نِعَمِهِ وإِحْسانِه اسْتِخْدامُها في طاعةِ اللهِ ، والثَّباتُ علىٰ الحَقِّ وتَرْكُ الباطِلِ .

٦ـ وُجوبُ الحَذَرِ مِنَ الكافِرينَ وأَساليبِهِمْ وخِداعِهِمْ ، لأنَّ هَدَفَهُمْ صَرْفُ المُسْلِمينَ عَنِ الحَقِّ .

## التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفاتِ الفائزينَ في الدَّارِ الآخِرَةِ .

٢ـ اذْكُرْ قاعِدةَ المُحاسَبةِ علىٰ الحَسَناتِ والسَّيئاتِ يَوْمَ القيامةِ .

٣ـ ما وَجْهُ البُشْرىٰ في قولِه ﴿إنَّ الّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إلىٰ مَعادٍ﴾ ؟ ومتَىٰ تحقَّقتِ البُشرىٰ ؟

٤ـ سجِّلِ التَوْجيهاتِ الخَمْسَةَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ، مَعَ ذكرِ الدَّليلِ عَلىٰ كُلٍّ واحِدَةٍ مِنَ الآياتِ .

٥ـ سجِّلِ الصِّفاتِ الثَّلاثَ الّتي تَفرَّدَ اللهُ بِها في الآيةِ الأخيرةِ .

## نَشاطٌ :

١ـ متىٰ تحقَّقَ وَعْدُ اللهِ لِرَسولِه في هذهِ الآيةِ؟ ومتَىٰ عادَ الرَّسولُ ﷺ إلىٰ مكَّةَ فاتِحاً ؟ وَما السُّورةُ القَصيرةُ الّتي أنزلَها اللهُ عَلَيْهِ بالنَّصْرِ؟ وَسَجِّلْها في دفترِك .

٢ـ سَجِّلْ فِي دَفْتَرِك الآيةَ (٦٧) مِنْ سورةِ المَائِدةِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٨٨) .

٣ـ النَّبيُّ ﷺ فُوجِىءَ بالوَحْيِ في غارِ حِراءٍ ، وما كانَ يَتوقَّعُهُ أوْ يَنتظِرُهُ . سَجِّلْ فِي دَفترِكَ قِصَّةَ نُزولِ جِبريلَ علىٰ الرَّسولِ ﷺ في الغارِ بما لا يَزيدُ علىٰ سِتَّةِ أَسْطُرٍ .

* * *



# الجُــزْءُ الثّاني

مِنْ سُورَةِ العَنْكَبوتِ ـ نِهايَةِ سُورَةِ السَّجْدَةِ

# قائمة المحتويات

# قائمة المحتويات



* * *

# الدرس الأول

## سورة العنكبوت ـ القسم الأول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

### تعريفٌ بالسّورةِ :

سورةُ العَنكبوتِ كلُّها مَكيَّةٌ ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ ، لِذكْرِ بَيْتِ العَنكبوتِ في قَوْلِهِ تعالىٰ : ﴿وإنَّ أَوْهنَ البُيوتِ لَبَيْتُ العَنكبوتِ﴾ .

وتَعرِضُ السّورةُ حَقائِقَ العَقيدةِ الإسْلاميّةِ ، كالوَحْدانيّةِ والرِّسالَةِ ، والبَعْثِ والجزاءِ ، وتُبْطِلُ دعوىٰ الكُفّار وتُقَدِّمُ الأدِلَّةَ علىٰ الحَقِّ ، وتُبيِّنُ أهمية ابتلاءِ المُؤْمنينَ واخْتبارِهِمْ ، ونَتيجةَ ذَلِكَ الابْتلاءِ ، وتُكَلِّفُ المُسْلِمينَ بِبَذْلِ أقْصىٰ جُهْدِهِمْ لِنُصْرةِ دينِهِمْ ومُواجَهةِ أعدائِهِمْ .

### معاني المُفْرداتِ :

| | |
|---|---|
| أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ | : هَلْ ظَنَّ ٱلنَّاسُ وَتَوَقَّعوا . |
| لاَ يُفْتَنونَ | : لاَ يُمْتَحَنونَ وَيُخْتَبَرونَ ، وَلاَ يَقَعُ عَلَيْهِمُ ٱلابْتِلاءُ . |
| أَنْ يَسْبِقونا | : أَنْ يَفُوتُونا ويُعْجِزُونا ، فَلاَ نَقْدِرُ عَلَىٰ عِقابِهِم . |
| ساءَ ما يَحْكُمونَ | : قَبُحَ ذَلِكَ الظَّنُّ الَّذي ظَنُّوهُ . |
| يَرْجو لِقاءَ اللهِ | : يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيُبْعَثُ وَيُحاسَبُ وَيُثابُ أَوْ يُعاقَبُ . |

## التفسيرُ :

افْتَتحَ اللهُ هذهِ السورةَ بالحُروفِ المُقطَّعَةِ الثَّلاثةِ « ألفْ . لامْ . ميمْ » . الّتي تُشيرُ إلىٰ مَصْدرِ القُرْآنِ ، وأنّه كَلامُ اللهِ ، وفيهِ تَحدّي الكُفّار ، ودَعْوَتُهُمْ إلىٰ مُعارَضَةِ القُرْآنِ ، والإتْيانِ بمثلِهِ ، مَعَ أنَّهُ مُكوَّنٌ مِنْ هذهِ الأَحْرفِ العَرَبيَّةِ ، الّتي تتكوَّنُ مِنْها لُغَتُهُمْ .

ثمَّ أخْبَرَ المُؤْمنينَ عَنْ فِتْنَتِهِمْ وامْتِحانِهِمْ وابْتِلائِهِمْ ، وقالَ لهُمْ : هلْ ظنَّ المُؤْمنونَ أنْ يَقولوا آمنَّا باللهِ ورَسوله ، ثُمَّ يُتْرَكونَ مِنْ دونِ ابْتلاءٍ وفِتْنةٍ وامْتِحانٍ ؟

وهٰذا الاسْتفهامُ إنكاريٌّ ، يُنْكِرُ اللهُ علىٰ بَعْضِ المُسْلمينَ هٰذا الظَّنَّ ، ويُقرِّرُ لهُمْ أنَّهُ لا بدَّ مِنَ الابْتلاءِ لِلمُؤْمِنينَ علىٰ مَدارِ التَّاريخِ ، فَقَدِ ابتلَىٰ وامْتَحَنَ المُؤْمِنينَ السَّابِقينَ ، مِنَ الأنْبياءِ وأتْباعِهِمْ .

والهَدَفُ مِنْ فِتْنةِ المُؤْمنينَ وابْتِلائِهِمْ أَنْ يَكْشِفَ اللهُ عِلْمَهُ في النَّاسِ ، فَيَعْرِفَ المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ الثَّابِتينَ علىٰ الحَقِّ ، ويَعْرِفَ الأَدْعِياءَ الكاذِبينَ ، الَّذينَ لَمْ يَثْبُتُوا على الحَقِّ ، وساروا مَعَ الباطِلِ . فَلَنْ يَعْرِفَ النّاسُ هؤلاءِ وهؤلاءِ إلاّ بَعْدَ الابْتِلاءِ . وعلىٰ هٰذا قولُه تعالىٰ : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخلوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابرينَ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

بعدَ إخْبارِ المُؤْمِنينَ عَنْ حَتْمِيَّةِ الابْتِلاءِ ، تَنْتَقِلُ الآيةُ إلىٰ أعْدائِهِمُ ، الّذينَ يُؤْذونَهمْ ويَفْتِنونَهُمْ ، وتُهدِّدُهُمْ بالعذابِ ، فَهُمْ يظنُّونَ أَنَّهُمْ سَيُفْلِتونَ مِنَ العِقابِ ، وسَيُعْجِزونَ اللهَ فَلا يَقْدِرُ عليْهِمْ! وهٰذا مِنْ سُوءِ نَظَرِهِمْ وتَفْكيرِهِمْ .

إنَّهم لَنْ يُعجزوا اللهَ ، ولَنْ يَفْلِتوا مِنْ عِقابِهِ ، لأنَّ اللهَ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ ، ولاَ يَحْسَبَنَّ مُفْسِدٌ أَنَّهُ سابقٌ ناجٍ مِنَ العَذابِ ، ومَنْ ظنَّ هٰذا فَقَدْ ساءَ حُكْمُهُ ، وفَسَدَ تَقْديرُهُ ، فَكمَا أنَّ ابْتلاءَ المُؤْمِنينَ سُنَّةٌ لا تَتخلَّفُ ، كذلِكَ أَخْذُ المُسيئينَ وعقابُهُمْ سُنَّةٌ لا تَتبدَّلُ . كَما قالَ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذين كَفروا سَبَقوا . إنَّهُم لا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال : ٥٩] .

ابتلاءُ المُؤْمنينَ وعِقابُ الكَافِرينَ سُنَّةٌ لا تَتبدَّلُ ، وعلىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَتوجَّهَ إلىٰ اللهِ ويُوَثِّقَ صِلتَه

بِهِ ، ويَرْجو لقاءَهُ ، فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ اللهِ يَوْمَ القيامةِ ، ويَطْمَعُ في الفَوْزِ بالجَنَّةِ والنَّعيمِ ، فَعَلَيْهِ أنْ يُخْلِصَ للهِ فِي الدُّنْيا ، ويَعْمَلَ الأعْمالَ الصَّالِحَةَ ، وإنَّ اللهَ سَيُحَقِّقُ لهُ رجاءَهُ ، ويُعطيهِ ثَوابَهُ غَيْرَ مَنقوصٍ .

وأَجَلُ اللهِ آتٍ لا مَحالةَ ، ويَكونُ يَوْمَ القيامَةِ ، حَيْثُ يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ ويُحاسِبُهُمْ ، ويُعاقِبُ العُصاةَ ، ويُثيبُ المُحْسِنينَ .

واللهُ سَميعٌ لِكُلِّ ما يقولُهُ المخْلوقونَ ، وعَليمٌ بكلِّ ما يَصْدرُ عَنْهُمْ ، فَيُجازيهِمْ بِعَدْلِهِ ، ويُثيبُ الصَّالِحينَ بِرَحْمتِهِ .

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ .

وإذَا كانَ اللهُ قَدْ كلَّفَ المُؤْمِنينَ بالتَّكاليفِ والمُجاهَدَةِ والجِهادِ ، فإنَّ ذَلِكَ لِمَصْلَحتِهِمْ وَمَنْفَعَتِهِمْ ، وهُوَ لا يَنْتَفِعُ بذلك سُبْحانَه وتعالَىٰ .

ولِذَلِكَ يُخْبِرُنا اللهُ بأَنَّ مَنْ جاهَدَ النَّفْسَ والهوَىٰ والأَعْداءَ ، فإنَّ ثَمَرَةَ جِهادِهِ تَعودُ لَهُ ، ونَفْعَ عَمَلِهِ لِنفسِهِ لا لِغَيْرِهِ ، واللهُ غَنِيٌّ عَنِ العالَمينَ المَخْلوقينَ جَميعاً ، مِنَ المَلائِكَةِ والإنْسِ والجِنِّ ، وهُمُ الّذينَ يَحتاجونَ إليْهِ . كَمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿يا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَراءُ إلى اللهِ ، واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَميدُ﴾ [فاطر : ١٥] .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ .

مَعَ أنَّ اللهَ غنيٌّ عَنِ العالَمينَ ، فإنَّهُ لا يُضيعُ لِلْمُؤْمِنينَ أَعْمَالَهُمْ ، وإنَّما يُثيبُهُمْ عليْها أَحْسَنَ الثَّوابِ ، فَقَدْ كانُوا في الدُّنْيا حَريصينَ علىٰ عَمَلِ الصَّالحاتِ والإكْثارِ منْها ، راجينَ بِذلكَ الأَجْرَ مِنَ اللهِ ، وسَيُكْرِمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القيامةِ بِتَكْفيرِ سَيِّئاتِهِمْ ، ومَغْفِرَةِ ذُنوبِهِمْ ، ومُضاعَفَةِ حَسَناتِهِمْ ، الواحدةِ بِعَشْرِ أَمْثالِها إلىٰ سبعِمائةِ ضِعْفٍ ، وبِذلكَ يَجزيهِمْ علىٰ إحْسانِهِمْ إحْساناً ، لأنَّ الإحْسانَ هُوَ جَزاءُ الإحْسانِ . وعلىٰ هذا قَوْلُهُ تعالَىٰ : ﴿إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ . وإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ، وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجراً عَظيما﴾ [النساء : ٤٠] .

## دُروسٌ وَعِبَرٌ

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ ابتلاءُ المُؤْمِنينَ وفَتْنُهُمْ وامتحانُهُمْ سُنَّةٌ لا تَتخلَّفُ ، ولا بُدَّ مِنْ أنْ يُواجِهوا ذَلِكَ بالصَّبرِ .

٢ـ مِنْ حِكْمةِ الابْتلاء ونَتائِجهِ أنَّ اللهَ يُبيِّنُ للنَّاسِ الصَّادِقينَ الثَّابتينَ ، والكاذِبينَ الرَّاسِبينَ .

٣ـ لنْ يَفلِتَ الأَعْداءُ مِنْ عِقابِ اللهِ ، ويَنْتَظِرُهُمُ العَذابُ الشَّديدُ الرَّهيبُ يَوْمَ القيامةِ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَطْمعَ في جَنَّةِ اللهِ وثَوابِهِ ، وأَنْ يُخْلِصَ العَمَلَ لَهُ .

٥ـ نَفْعُ الجِهادِ ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يَعودُ علىٰ صَاحِبِهِ ، واللهُ غَنِيٌّ عنِ العالَمينَ ، فلا تَنْفَعُهُ طاعةٌ ، ولا تَضُرُّهُ مَعْصيَةٌ .

٦ـ يُكافِىءُ ويُجازِي اللهُ المُحْسِنينَ ويُجازيهِمْ بإِحْسانِهِمْ ، فَيُضاعِفُ لَهُمْ حسناتِهِمْ ، ويُخَلِّدُهُمْ في الجَنَّةِ مُنَعَّمينَ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا حِكْمَةُ افْتِتاحِ بَعْضِ السُّورِ بالحُروفِ المُقَطَّعة ، مِثْلِ « ألفْ ، لامْ ، ميمْ » ؟

٢ـ ما المُرادُ بِفِتْنةِ المُؤْمنينَ المَذكورةِ في الآياتِ ؟

٣ـ اسْتَخرجْ مِنَ الآيةِ الثَّالثةِ حِكْمَتَين لِفِتْنةِ المُؤْمنينَ .

٤ـ كَيْفَ يَرجو المُؤْمنُ لِقاءَ اللهِ ؟ ومَا المُرادُ بأَجَلِ اللهِ ؟

٥ـ يُكافِىءُ اللهُ المُؤمِنين بمُكافأتَينِ . اسْتَخْرِجْهُما مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

## نشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ ثلاثةَ نَماذجَ مِنَ ابْتِلاءِ المُسْلِمينَ المُسْتَضعَفينَ في مَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ ، وتَعذيبَ المُشْرِكينَ لهُمْ . ونَموذجاً مِنْ إيذاءِ مشرِكِي مكَّةَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ واكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِك الآيةَ الشَّبيهةَ بهذِهِ الآيةِ ( ٤ ) مِنْ سورةِ الجِنِّ .

٣ـ سجِّلْ في دَفْترِك الآيةَ ( ٧ ) مِنْ سورةِ الإِسْراءِ ، والآيةَ ( ٤٦ ) مِنْ سورةِ فُصِّلَتْ . واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَ الآيتيْنِ وبَيْنَ هٰذه الآيةِ رقم ( ٦ ) .

* * *

# الدَّرسُ الثَّاني

## سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّاني

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| وَصَّيْنَا ٱلإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ | : أَمَرْنَا ٱلإِنْسَانَ بالإحْسَانِ لِوَالِدَيْه . |
| أُوذِيَ فِي ٱللهِ | : عَذَّبَهُ الأَعْداءُ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ . |
| جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذابِ ٱللهِ | : جَعَلَ عَذَابَهُمْ كَعَذابِ اللهِ . |

### التَّفسيرُ :

أَخْبَرَنا اللهُ في الآياتِ السَّابقةِ عَنِ ابْتلاءِ المُؤْمنينَ ، وعِقابِ الكافِرينَ ، ومُكَافأةِ المُحْسِنينَ ، وغِناهُ سُبْحانَهُ عَنِ العالَمين ، وانْتِفاعِ المُجاهدينَ بجهادِهِمْ .

وتَعْرِضُ هذهِ الآياتُ مَظاهِرَ وألواناً مِنْ فِتْنةِ المُؤْمِنينَ ، كَفِتْنَتِهِمْ في أهْلِهِمْ وإيذاءِ الكُفّارِ لَهُمْ ، كمَا تعرْضُ سوءَ مَوْقفِ بَعْضِهِمِ مِنَ الفِتَنِ حَيْثُ لا يَثْبُتُونَ ولا يَصْبِرونَ .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ أنّه أَمَرَ كُلَّ إنْسانٍ بالبِرِّ بوالدَيْه ، والإحْسانِ إليْهِما في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ وسُلوكِهِ ، وعَدَمِ

الإساءةِ لهُما أوْ إيذائِهما ، حتّى لو كانا كافرَيْنِ ، ودعَواهُ إلىٰ الكُفْرِ ، وجاهَداهُ علىٰ الشِّرْكِ باللهِ ، ودَفعاهُ إليهِ ، فلا يَجوزُ لهُ أنْ يُطيعَهُما في ذَلِكَ ، لأنَّه لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ في مَعْصيةِ الخالِقِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَبْقَىٰ بارًّا بهما ، ومُحْسِناً إليْهِما ، يُصاحِبُهُما في الدُّنْيا مَعْروفاً ، بالرَّغْمِ مِنْ كُفْرِهِما .

ومَرْجِعُ الجَميعِ إلىٰ اللهِ يَوْمَ القيامَةِ ، مُؤْمِنينَ وكافِرينَ ، بَرَرَةً وعاقِّينَ ، يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بما عَملوهُ في الدُّنْيا ، فَيُثيبُ المُؤْمِنَ والبارَّ بوالِدَيْهِ ، ويُعاقِبُ الكافِرَ والعاقَّ لِوالِدَيْهِ .

## سبب نزول الآية

نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ في مَوْقِفِ سَعْدِ بنِ أَبي وقّاصٍ ـ رضِيَ اللهُ عنْهُ ـ مِنْ أُمِّهِ الكافِرَةِ ، عِنْدَما طَلَبَتْ منْهُ التَّخَلّي عَنِ الإسْلامِ ، ولكنَّهُ أَصَرَّ علىٰ مَوْقِفِهِ .

رَوىٰ التِّرمِذيُّ عَنْ سعدِ بنِ أَبِي وقاصٍ ـ رضِيَ اللهُ عنْهُ ـ قالَ : « قالَتْ أُمُّ سَعْدٍ : أَلَيْسَ قدْ أَمَرَ اللهُ بالبِرِّ ؟ واللهِ لاَ أَطْعَمُ طعاماً ولاَ أَشْرَبُ شراباً حَتَّىٰ أموتَ أَوْ تَكْفُرَ! . . فَنَزَلَتْ هذهِ الآيةُ : ﴿وَوَصَّينا الإنْسانَ بوالديهِ حُسْناً﴾[1] » .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصَّٰلِحِينَ ﴾

المُؤْمِنُ مَأْمورٌ ببِرِّ والديْهِ الكافرَيْنِ في الدُّنْيا ، لكنَّهُ يَنْفَصِلُ عنْهُما في الآخِرَةِ ، حَيْثُ يُدْخِلُهُما اللهُ النَّارَ لِكُفْرِهِما ، أمّا هُوَ فإنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ الجَنَّةَ لإيمانِهِ ، ويَكونُ فيها مَعَ إخْوانِهِ المُؤْمِنينَ العامِلينَ لِلصَّالِحاتِ .

وقدْ وَعَدَ اللهُ أنْ يَحْشُرَ المُؤْمِنينَ المُتّقِينَ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحينَ ، مِنَ الأنبياءِ والأَوْلياءِ ، لأنَّ المُؤْمِنينَ أَهْلٌ وأُخْوَةٌ ، ولوْ لَمْ يَجْمعْ بَيْنَهُمْ نَسَبٌ ولا صِهْرٌ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ﴾ .

إذَا كانَ المُؤْمِنونَ الصَّالِحونَ يَثْبُتُونَ عِنْدَ الفِتَنِ والابْتِلاءِ فَهُناكَ فَريقٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسوا كذلِكَ ، إنَّهُمْ يُظهِرونَ الإيمانَ ويَقولونَ آمَنَّا باللهِ ، لَكِنَّ الإيمانَ لَمْ يَدْخُلْ قُلوبَهُمْ ، ولِذلكَ لا يَثْبُتونَ عِنْدَ المِحْنَةِ ، فإذا آذاهُمُ المُشْرِكونَ وعَذَّبوهُمْ ؛ بِسَبَبِ إيمانِهم باللهِ ، لم يَثْبُتوا على الإيمانِ ، ولَمْ يَتَحمَّلوا الأذَىٰ ، ويَسْهُلُ عليْهِمُ التَّخلي عَنِ الإيمانِ ، ويعتبرونَ فتنةَ الكفَّارِ وأذاهُمْ مُساوِياً لِعَذابِ اللهِ ، ويدَّعونَ أَنَّهُمْ يَتَحمَّلونَ عَذابَ اللهِ في الآخِرَةِ ، ولا يَتَحمَّلُونَ أذىٰ النَّاسِ فِي الدُّنْيا .

---

(١) سنن الترمذي : ٤٨ كتاب تفسير القرآن : ٣٠ باب « ومن سورة العنكبوت » حديث رقم : ٣١٨٩ .

وهؤلاءِ الّذينَ لا يَثبُتونَ علىٰ الإيمانِ عِنْدَ الفِتْنةِ يتَّبعونَ مَصْلَحَتَهُمْ ومَنْفَعَتَهُمْ ، فإذا نَصَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ ، وآتاهُمْ خَيْراً كثيراً ، يَجيءُ هؤلاءِ النَفعيُّونَ رَغْبَةً في ذلكَ ، ويَقولونَ لِلْمُؤْمِنينَ : إنَّنا إخْوانُكُمْ ، ومُؤمِنونَ مِثْلُكُمْ ، وكنَّا مَعَكُمْ ، فَشارِكونا في الخَيْرِ .

وقدْ تَوَعَّدَ اللهُ هَؤلاءِ النَّفعيّينَ بأنَّه يَعْلَمُ كلَّ شَيْءٍ عَنْهُمْ ، ولا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ ما يُخفونَهُ ، لأنَّه يَعْلَمُ ما في صُدورِ العَالَمينَ جَميعاً ، مِنْ خَيْرٍ أوْ شَرٍّ .

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾

يَبْتَلِي اللهُ الّذينَ يُظهِرونَ الإيمانَ ، ويُعرِّضُهُمْ لِلفِتْنَةِ والاخْتِبارِ ، لأنَّ هذهِ هِيَ سُنَّتُهُ الّتي لا تَتَبدَّلُ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَبْتلي عِبادَهُ المُؤْمنينَ بِالسَّرَّاءِ والضَّراءِ ، لِيَتميَّزَ المُؤْمِنونَ مِنَ المُنافِقينَ ، لأنَّ نَتيجةَ الابْتلاءِ أنْ يُعْرَفَ المُؤْمِنونَ الصَّادِقونَ الثَّابِتونَ علىٰ الإيمانِ ، ويُعْرَفَ المُنافِقونَ ، الّذين لَمْ يَدْخُلِ الإيمانُ قُلوبَهُمْ ، ولِذلكَ تخلَّوْا عنْهُ عِنْدَ الفِتْنةِ .

وإنّ اللهَ يَعْلَمُ المُؤْمِنينَ ويَعْلمُ المُنافِقينَ قَبْلَ الابْتلاءِ ، لكنَّه يُظهِرُ عِلْمَه لِلنَّاسِ بِتَمْييزِهِمْ وكَشْفِهِمْ . وعلىٰ هٰذا قولُه تعالَىٰ : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتَّى نَعْلَمَ المُجاهِدينَ والصَّابِرينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ﴾ [محمد : ٣١] .




تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وجوبُ برِّ الوالدَيْنِ والإحسانِ إليْهِما ، حتّىٰ لو كانا كافِرَيْنِ .

٢ـ لا طاعةَ لِمَخلوقٍ في مَعْصيةِ الخالِقِ ، ولاَ يَجوزُ تَلْبيَةُ دَعْوَةِ الأبوَيْنِ لِلكُفْرِ أوِ المَعاصي .

٣ـ تَزولُ رَوابِطُ الدَّمِ والقَرابةِ يَوْمَ القيامةِ ، وتَبْقَىٰ رابطةُ الإيمانِ والعَقيدةِ .

٤ـ المُؤمِنُ الصَّادِقُ يَثْبُتُ علىٰ الحَقِّ عِنْدَما يُؤْذَىٰ بِسَبَبِ إيمانِهِ .

٥ـ المُنافِقونَ نَفْعِيُّونَ يَتودَّدونَ لِلْمُؤْمِنينَ عِنْدَ النَّصْرِ والخَيْرِ طَمَعاً في ما عِنْدَهُمْ .

٦ـ مِنْ فوائدِ الابتلاءِ تَمييزُ المُؤْمِنينَ عَنِ المُنافِقينَ ، وكَشْفُ المُنافِقينَ لِلنَّاسِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ الأُولَىٰ الآمرةِ بالبرِّ بالوالدَيْنِ .

٢ـ اذكرْ آيتينِ وحَديثاً فِي وجُوبِ البرِّ بالوالدَيْنِ .

٣ـ لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ فِي مَعْصيةِ الخالِقِ ؛ اشْرَحْ هذهِ العبارةَ ، واسْتَدِلَّ عَلَيْها منْ آياتِ الدَّرْسِ .

٤ـ ما مَوْقفُ المُنافِقينَ مِنَ الإِسلامِ إذَا أُوذوا بِسَببِ إيمانِهِمُ الظَّاهِريِّ ؟

٥ـ مَا مَوْقِفُ المُنافِقينَ مِنَ المُسْلمينَ عِنْدَما يَنْصُرُهمُ اللهُ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ ابْتلاءَ المُسْلمينَ وامْتِحانَهُمْ .

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلِ الآيتيْنِ الآمِرَتَيْنِ بالإحْسانِ إلىٰ الوالِدَيْنِ ، وعَدَمِ قَوْلِ « أُفٍّ » لهُما ، في سورةِ الإسْراءِ ، ثمَّ سجِّلْ وَجْهَ الشَبَهِ بَيْنهُما وبَيْنَ الآيةِ الثامنةِ .

٢ـ سَجِّلِ الآيةَ الّتِي تَتحدَّثُ عَنْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ علىٰ حَرْفٍ مِنْ سورةِ الحَجِّ ، واسْتَخْرِجْ منها مَوْقِفَ ذلكَ العابدِ مِنَ الخَيْرِ والفِتْنةِ ، وَوَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ العاشرةِ .

* * *

## الدَّرسُ الثَّالثُ

# سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنا : كونوا عَلَىٰ دِينِنا .

وَلْنَحْمِلْ خطاياكُمْ : وَلْنَتَحَمَّلْ تَبِعَةَ ذُنوبِكُمْ .

أَثْقالَهُمْ : ذُنُوبَهُمْ وَمَعاصيهِمْ .

يَفْتَرُونَ : يَكْذِبونَ .

أَخَذَهُمُ ٱلطُّوفانُ : أَغْرَقَهُمُ اللهُ بالطُّوفانِ .

### التفسيرُ :

كانَ الكَلامُ فِي الآياتِ السَّابِقَةِ عَنْ أَلْوانٍ مِنْ فتنةِ المُسْلِمينَ ، فِتْنةِ الواحِدِ مِنْهُم فِي أبوَيْهِ الكَافِرَيْنِ ، وتخلِّي ضِعافِ الإيمانِ عَنِ الحَقِّ في حالِ فِتْنَتِهِمْ وإيذائِهِم .

وتَتَكَلَّمُ هٰذه الآياتُ عَنْ فِتنةٍ جَديدةٍ ، تتمَثَّلُ في إغراءِ الكُفّارِ لِلمُؤْمنينَ ، بِدعوتِهِمْ لِلتَّخلِّي عنِ الإيمانِ ، وعِقابِ اللهِ لِلكُفّارِ . وتَعْرِضُ نَموذَجاً لِذَلكَ مِنَ السَّابقِينَ ، وهُوَ ما جَرىٰ لِقومِ نوحٍ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) ﴾ .

عِنْدمَا يدعو المُؤْمِنونَ الكُفَّارَ للدُّخولِ في الإسلام يَرْفضونَ ذَلِكَ ، ويُصِرُّونَ علىٰ كُفْرِهِمْ ، ولا يَكْتفونَ بذلِكَ ، وإنَّما يُحاولونَ فِتْنَةَ المُسْلِمينَ ورِدَّتَهُمْ عَنْ دينِهِمْ ، حَيْثُ يَطْلُبونَ منْهُمْ مُتابَعَتَهُمْ علىٰ كُفرِهِمْ ، ويُغْرونَهُمْ بِذلِكَ قائِلينَ : ارجعوا عَنْ دينِكُم إلىٰ دينِنا ، وَسيرُوا مَعَنا فِي طريقِنا ، وإنِ ارْتكبتُمْ ذُنوباً ومَعاصِيَ وآثاماً فإنَّنا نَتحمَّلُها عَنْكُمْ ، ونَرْضَىٰ أنْ نُعاقَبَ عليْها بَدَلاً مِنْكُمْ!

وهذهِ الدَّعْوَةُ مِنَ الكُفَّارِ تَدلُّ علَىٰ خَطأِ نَظْرَتِهِمْ وفَسادِها لِلْمَسْؤُولِيَّةِ والتَّبَعةِ والجَزاءِ ، مَعَ أَنَّهُمْ قالوا ذَلِكَ لِلْمُسْلِمين مِنْ بابِ السُّخْرِيةِ والاسْتهزاءِ بهِمْ ، لأنَّهُمْ لا يُؤْمنونَ بالحِسابِ والعَذاب .

ورَدَّ اللهُ عَلَيْهِم رَدًّا حاسِماً ، حَيْثُ بيَّنَ أنَّهُمْ لا يَحْمِلُونَ شَيْئاً مِنْ ذُنوبِ غَيْرِهِمْ ، لأنَّ كُلَّ إنْسانٍ يَتَحَمَّلُ مَسْؤوليةَ عَمَلِهِ ، ولا يَحْمِلُ ذَنْبَ غَيْرِهِ ، حتّىٰ لوْ كَانَ أقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ .

وعلىٰ هذا قولُه تعالَىٰ : ﴿ولا تزرُ وَازِرةٌ وِزْرَ أُخْرى ، وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيءٌ ولو كانَ ذا قُرْبى﴾ [فاطر : ١٨] .

وبِمَا أَنَّ الكافِرينَ لا يَحْمِلُونَ خَطَايا المُسْلِمين فَهُمْ كاذِبونَ فِي ادعائِهِمْ بِحَمْلِ ذُنوبِ المُسلمين إنْ تخلَّوْا عَنْ إسلامِهِمْ .

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) ﴾

الكفّارُ لا يَحْمِلونَ خَطايا المُسْلِمينَ كمَا زَعَموا ، وإنَّما يَحْمِلونَ ذُنوبَهُمْ ، ويَتَحمَّلونَ نَتائِجَ خَطاياهُمْ ، فَيُحاسِبُهُمُ اللهُ عَلَيْها ، ويُعَذِّبُهُمْ فِي النَّارِ ، كَمَا يُحاسِبُهُمْ ويُعَذّبُهُمْ علىٰ افْتراءاتِهِمْ وأكاذِيبِهِم ومَزاعِمِهِمْ .

وبِمَا أنَّ الكُفَّارَ دُعاةُ ضَلالٍ ، يَحْرِصُونَ علىٰ إضْلالِ الآخَرين ، فإنَّهُمْ يَتحمَّلونَ نَتائِجَ الّذين يُضلِّونَهُمْ ، ويُحَمِّلُهُمُ اللهُ أَثْقالَ أُولئكِ الضّالّينَ ، ويُعذّبُهمْ عَلَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ أنْ يَعْفِيَ الضَّالِّينَ مِنْ نتائِجِ ضَلالِهِمْ واسْتجابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ أَئِمَةِ الضَّلالِ .

وهذهِ هيَ سُنَّةُ اللهِ ، المُتَّفِقةُ مَعَ عَدْلِه سُبحانَه ، فَمَنْ دَعا إلىٰ هُدىً ورَشادٍ ، فإنَّ اللهَ يُعطيهِ مِثْلَ أجْرِ مَنْ اهْتدَىٰ علىٰ يَدَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ أنْ يُنْقِصَ مِنْ أُجورِهِمْ شَيْئاً ، ومَنْ دعا إلىٰ ضَلالٍ ، فإنَّ اللهَ يُحاسِبُه علىٰ آثام كُلِّ مَنْ ضَلَّ علىٰ يَديهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنقِصَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئاً .

ويُؤَكِّدُ هٰذا المَعنىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ فَقَدْ روَىٰ مُسْلمٌ عَنْ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ ـ رضِيَ اللهُ عنْهُ ـ عنْ

رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ سَنَّ فِي الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فلهُ أجْرُها وأجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجورِهم شَيْءٌ ، ومَنْ سَنَّ فِي الإسْلامِ سُنَّةً سيِّئَةً كانَ عَلَيْهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِها بَعْدَهُ ، مِنْ غيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوْزارِهِمْ شَيْءٌ »[1] .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

رَفَضَ الكُفَّارُ دَعْوَةَ المُؤْمِنينَ للإيمانِ ، وتَوَعَّدَهُمُ اللهُ بالعَذابِ ، ولَيْسوا وَحْدَهم في هٰذا ، فَقَدْ سَبَقَهُمْ كُفَّارٌ كَثيرونَ ، رَفضوا الحَقَّ ، وكَذَّبوا بالرُّسُلِ ، فاسْتَحقُّوا عَذابَ اللهِ .

وفِي مُقَدِّمةِ هَؤلاءِ قَوْمُ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الذينَ كانوا أوَّلَ قَوْمٍ يَكْفرونَ في التَّاريخِ ، فَقَدْ كَفروا باللهِ وعَبَدوا الأصْنامَ والأوْثانَ ، فَبَعثَ اللهُ لهُمْ نَبيَّهمْ نُوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأمَرَهُ أنْ يَدْعوَهُمْ إلىٰ الإيمانِ ويَنْهاهُمْ عَنِ الكُفْرِ .

قامَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِدَعْوتِهِمْ ، وسَلَكَ فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفَ الأَساليبِ باللَّيلِ والنَّهارِ ، والجَهْرِ والإسْرارِ ، ونَهاهُمْ عَنْ عِبادةِ الأصْنامِ .

وقدْ أقامَ نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بَيْنَهم تِسعمائةٍ وخَمسينَ عاماً ، يَدعوهُمْ ويَنْصَحُهُمْ ويُجادِلُهُمْ ، ولَمْ يُصَبْ بالمَلَلِ أوِ اليَأْسِ ، ولَكنَّهُمْ أصرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ، ولمْ يُؤْمِنْ مَعَهُ إلاّ عَدَدٌ قَليلٌ مِنْهُمْ .

عِنْدَ ذَلِكَ أوْقَعَ اللهُ بِهِمْ عِقابَه ، حَيْثُ جاءَ بالطُّوفانِ الكَبيرِ عَلَيهِمْ ، فأَخَذَهُمْ وأغْرَقَهُمْ ، بِسَببِ ظُلْمِهِمْ وكُفْرِهِمْ .

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

لمَّا جاءَ اللهُ بالطُّوفانِ لَمْ يُهْلِكْ بِهِ إلاّ القَوْمُ الكافِرونَ ، أمَّا نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأتْباعُهُ المُؤْمِنونَ القَلائِلُ فَقَدْ أنْجاهُمُ اللهُ ، حَيْثُ أمَرَ اللهُ نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَصْنَعَ السَّفينةَ ، ولمَّا بَدأَ الطُّوفانُ أمَرَهُ أنْ يَحْمِلَ فيهَا أتْباعَهُ المُؤْمِنينَ ، وبَعْدَ انْتهاءِ الطّوفانِ هَبطوا بِسَلامٍ ، واسْتُؤْنِفَتِ الحَياةُ مِنْ جَديدٍ مَعَ الفِئَةِ المُؤْمِنةِ ، بَعْدَ أنْ أراحَ اللهُ الأرْضَ مِنَ الكافِرينَ .

وجَعَلَ اللهُ السَّفينةَ ونَجاةَ المُؤْمِنينَ فيهَا آيَةً وعِبْرَةً وعِظَةً لِلناسِ . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿إنَّا لمَّا طَغى المَاءُ حَمَلناكُمْ في الجاريةِ . لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذكرَةً وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١١ـ١٢] .

---

(١) صحيح مسلم ( ١٢ ) كتاب الزكاة ( ٢٠ ) باب الحث على الصدقة . حديث رقم : ١٠١٧ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَحْرِصُ الكُفَّارُ علىٰ فِتْنةِ المُسْلِمينَ عَنْ دينِهِمْ بِمُخْتَلَفِ الأَساليبِ .

٢ـ كلُّ إنْسانٍ يَتَحمَّلُ نَتائجَ عَملِهِ يَوْمَ القيامةِ ، ولا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ آخرَ وَوِزْرَهُ .

٣ـ دُعاةُ الكُفْرِ والضَّلالِ يُحاسَبونَ علىٰ مَنْ أضلُّوهُمْ ، ويَحْمِلونَ أثْقالَهُمْ ، مِنْ غَيْرِ نُقْصانٍ لأوزارِ الضَّالِّينَ .

٤ـ علىٰ الدَّاعِيةِ أنْ لا يَمَلَّ مِنَ المَدْعوِّينَ ولا يَتوقَّفَ عَنْ دَعْوَتِهِمْ ، ويَقتدِي بِنوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي بَقِيَ يَدْعو قَوْمَه أَلْفَ سَنةٍ إلاّ خَمْسينَ عاماً .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا دَعا الكُفَّارُ المُؤْمِنينَ لاتِّباعِ سَبيلِهِمْ ؟ ومَا الّذي تَعَهَّدوا بهِ ؟

٢ـ متَىٰ يَحْمِلُ الكافِرُ ذَنْبَ غَيْرِه يَوْمَ القيامةِ ؟ ومَا دَليلُكَ علىٰ ذَلِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ؟

٣ـ حدِّدِ المُدَّةَ الّتي مَكَثَها نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَدعو قَوْمَهُ .

٤ـ أـ بِماذا أهْلَكَ اللهُ قَوْمَ نوحٍ الكافِرينِ ؟ ب ـ وبِماذَا أنجَىٰ أَتْباعَهُ المُؤْمِنينَ ؟ ج ـ وكَيْفَ جَعَلَ ذَلِكَ آيةً ؟

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ النَّحْلِ تُقرِّرُ أنَّ الكُفَّارَ يَحْملُون أَوْزارَ مَنْ يُضلُّونَهُمْ إضافةً إلى أَوْزارِهِمْ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ الثالثةَ عشرةَ .

٢ـ اقْرَأْ سورةَ نوحٍ واسْتَخْرِجْ مِنْهَا أَسَاليبَهُ فِي الدَّعْوَةِ ، وأَسْماءَ الأَصْنامِ الّتي كانَ يَعْبُدُها قَوْمُهُ واكْتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

## الدرس الرابع

# سورة العنكبوت ـ القسم الرابع

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾

### معاني المفردات :

أَوْثاناً : جَمْعُ وَثَنٍ . وَهُوَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ ٱللهِ ، وَكانَ عَلَىٰ شَكْلِ حَجَرٍ .

تَخلُقونَ إِفْكاً : تَقولونَ كَذِباً فِي تَسْمِيَةِ الأَوْثانِ آلِهَةً .

ٱبْتَغوا عِنْدَ ٱللهِ الرِّزْقَ : ٱطْلُبوا الرِّزْقَ مِنَ ٱللهِ .

يُبْدِءُ ٱللهُ ٱلخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ : يَخْلُقُ ٱللهُ النَّاسَ ابْتِداءً ، ثُمَّ يُعِيدُهُمْ إِلَىٰ الحَياةِ بَعْدَ المَوْتِ .

ٱللهُ يُنْشِيءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ : يُعِيدُ ٱللهُ الخَلْقَ لِلحَياةِ مَرَّةً ثانِيَةً يَوْمَ القِيامَةِ .

إِلَيْهِ تُقْلَبونَ : تُرَدُّونَ وَتُرْجَعونَ إِلَىٰ ٱللهِ .

### التفسير :

أَشارتِ الآياتُ السَّابِقَةُ إِلَىٰ قِصَّةَ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ قَوْمِهِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ إبْراهيمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ أَبِي الأَنْبياءِ ، وتَعْرِضُ الأَدِلَّةَ الَّتِي قَدَّمَها

لِقَوْمِهِ ، والحُجَّةَ الَّتي أَقامَها عَلَيْهِمْ .

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

أَرْسَلَ اللهُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَسولاً إلىٰ قَوْمِهِ ، فدَعاهُمْ إلىٰ اللهِ ، وأَقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، وقالَ لَهُمْ : اعبُدُوا اللهَ وحْدَه لا شريكَ لَهُ ، وأَخْلِصوا لَهُ ، واتَّقُوه حَقَّ التَّقوىٰ ، بأداءِ ما أوجبَ عَلَيْكُمْ ، وتَرْكِ ما حَرَّمَ مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ .

وأَخْبَرَهُمْ أَنَّ عِبادَةَ اللهِ وَحْدَهُ وتقْواه خَيْرٌ لَهُمْ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، لأَنَّهم يَعيشونَ في الدُّنْيا حَياةً طَيِّبَةً ، ويَنْجون فِي الآخِرَةِ مِنَ النَّارِ ، ويَدْخُلونَ الجَنَّةَ . ولَوْ كانوا يَعْلَمونَ هٰذا لاسْتَجابُوا لِدَعوتِه .

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

يُتابِعُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ دَعْوَتَه لِقَوْمِهِ ، ويَدعُوهُمْ إلىٰ عِبادةِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَغَيْرُهُ سُبْحانَهُ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، وإذا عَبدوا غَيْرَهُ يَكونونَ مُخْطئينَ :

ـ قالَ لهم : إنَّ الآلِهَةَ الّتي تَعْبدُونَها مِنْ دونِ اللهِ مَا هِيَ إلاَّ أَوْثانٌ ، أَنْتُمْ صَنَعْتُموها مِنْ أَحْجارٍ أَوْ غَيْرِها بِأَيْديكُمْ ، وهيَ جَماداتٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، وأَنتُمْ كَذَبْتُمْ عِنْدَما اخْتلقتُمْ لها أَسْماءً ، واعْتَبَرْتُموهَا آلِهَةً ، وهٰذا باطِلٌ وَزورٌ .

ـ وَقالَ لَهُم : هٰذه الآلِهَةُ التي تَعْبُدونها مِنْ دونِ اللهِ عاجِزَةٌ ، لا تَقْدِرُ أَنْ تَجْلِبَ لَكُمْ رِزْقاً أَوْ مالاً أَوْ خَيْراً ؛ فَكَيْفَ تَعْبُدونَ الآلِهَة العاجِزَةَ وتَتْرُكونَ عِبادَةَ اللهِ القادِرِ على كُلِّ شَيْءٍ ؟ وعَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبوا الرِّزقَ عِنْدَ اللهِ ، لأَنَّه وَحْدَهُ القادِرُ علىٰ مَنْحِكُمْ إيَّاهُ . وعَلَيْكُمْ أَنْ تَشْكُروه علىٰ ما أَنْعَمَ بهِ عَلَيْكُمْ ، وعندَما تَشْكرونَهُ يَزيدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ وفَضْلِهِ .

ويَوْمَ القيامةِ تُرْجَعونَ إلىٰ اللهِ ، فَيُحاسِبُكُمْ علىٰ أَعْمالِكُمْ ، ولا بُدَّ مِنْ أَنْ تَسْتَعِدُّوا لِذَلِكَ بِعِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وشُكْرِهِ علىٰ فَضْلِه .

﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ .

انْتَقَلَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِقَوْمِهِ مِنَ الحَديثِ عَنِ الوَحْدانيَّةِ إلىٰ الحَديثِ عَنِ الرِّسالَةِ ، لأَنَّه هُوَ رَسولُ اللهِ إِلَيْهِمْ ، مُكَلَّفٌ بِإبْلاغِهِمُ الدَّعْوَةَ ، فقالَ لَهُمْ : إذَا كَذَّبْتُموني فِي رِسالَتِي ، وَرَفَضْتُم دَعْوَتِي ، فإنَّكُمْ لَنْ تَضُرُّوني بِذَلِكَ ، إنَّما تَضرُّونَ أَنْفُسَكُمْ ، لأَنَّكُمْ تُعَرِّضُونَ بذلك أَنْفُسَكُمْ لِلْعَذابِ . ولَسْتُم أَوَّلَ قَوْمٍ كذَّبوا رَسولَهُمْ ، فَقَدْ كَذَّبَ أَقْوامٌ مِنْ قَبْلِكُمْ رُسلَهُمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ .

والواجِبُ عَلَيَّ دَعْوَتُكم إلىٰ اللهِ ، وتَبْليغُكُمُ الحَقَّ ، وإقامَةُ الحُجَّةِ عليْكُمْ ، فإنْ آمنْتُمْ فُزْتُمْ ، وإنْ كَفَرْتُمْ خَسِرْتُمْ ، لأنَّ الرُّسُلَ مأمورونَ فَقَطْ بالبَلاغِ المُبينِ الوَاضِحِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

بعدَما أقامَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأدِلَّةَ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ وَصِدْقِ الرِّسالَةِ ، أَقامَ الأدِلَّةَ علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّ قَوْمَه كانوا يُنكِرونَ مَجيئَهُ .

هٰذا الدَّليلُ هُوَ أنْ يَنْظُروا كَيفَ يُبدِىءُ اللهُ الخَلْقَ ، وهُوَ أَمْرٌ مُشاهَدٌ أمامَهُمْ . فاللهُ خَلَقَهُمْ مِنَ العَدَمِ ، وخَلَقَ المَخْلوقاتِ كُلَّها مِنْ حَوْلِهِمْ ، فَلِماذا لا يُفَكِّرونَ فِي هٰذا الدَّليلِ ؟ ولِماذا لا يَتَّخِذُونَهُ دَليلاً صادِقاً علىٰ قُدْرةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ علىٰ العَرْضِ ، وإحياءِ النّاسِ بَعْدَ موتِهِمْ .

إنَّ اللهَ هُوَ الّذي يَبْدَأُ الخَلْقَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وهٰذا دَليلُ قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ ، وهٰذا يعنِي قُدْرَتَهُ علىٰ إعادةِ الخَلْقِ ثانِيَةً ، عِنْدَما يَبْعَثُ الناسَ يَوْمَ القيامةِ ، فالبِدْءُ يَدُلُّ علىٰ الإعادَةِ . والأَمْرَانِ يَسيرانِ علىٰ اللهِ ، لأنَّهُ لا يُعْجِزُهُ أيُّ شَيْءٍ ، وهُوَ فَعَّالٌ لما يُريدُ .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

بَعْدَ أنْ دَعا إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَه إلىٰ تَوْظيفِ الخَلْقِ دَليلاً علىٰ الإعادَةِ والبَعْثِ ، طَلَبَ مِنْهُمْ أنْ يَسيروا في الأَرْضِ لِرُؤيَةِ ذَلِكَ ، فقالَ لهُمْ : أيُّها المُنْكِرونَ لِلبَعْثِ ، سيروا فِي الأرْضِ ، وانْظُروا إلىٰ ما تُشاهِدونَ مِنْ مَخْلوقاتٍ ، ولاحِظوا كَيْفَ بَدَأَ اللهُ خَلْقَها وإنْشاءَها ، كالسَّماءِ وما فيها مِنْ كَواكِبَ ، والأَرْضِ ومَا فيها مِنْ جِبالٍ وأشْجارٍ وأنْهارٍ ، والمَخْلوقاتِ الحَيَّةِ مِنْ حَيواناتٍ وطُيورٍ .

إنَّ اللهَ الّذي خَلَقَ هَذهِ المَخْلوقاتِ قَادِرٌ علىٰ أنْ يُنْشِىءَ النَّشأةَ الآخِرَةَ ، وأنْ يُعيدَ المَخْلوقينَ لِلحياةِ يَوْمَ القِيامَةِ ، وهُوَ سُبْحانَه علَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ .

﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾

يُنشِىءُ اللهُ النّشأةَ الآخِرَةَ ، ويَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ مِنْ قُبورِهِمْ لِلْحِساب ، حَيْثُ يُحاسِبُهُمْ على كُلِّ ما عَمِلوهُ فِي الدّنْيا ، وهوَ الحاكِمُ المُتَصَرِّفُ فيهِمْ ، ويَرْحَمُ عِبادَهُ الصَّالِحينَ بِرَحْمتِهِ ، ويُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ .

فالنَّاسُ جَميعاً يُقْلَبونَ إلىٰ اللهِ ، ويَرْجِعونَ إلَيْهِ ، مَهْمَا طالَ عَليهِمُ الأَمَدُ فِي قُبورِهِمْ ، لأَن الدُّنْيا إلىٰ زوالٍ ، والآخِرَةُ آتيةٌ لا رَيْبَ فِيها .

## دروس وعبر :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ دَعْوَةُ الرُّسُلِ واحِدَةٌ ، فكلُّهُمْ يَدعو إلى تَوْحيدِ اللهِ ، وعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ .

٢ـ علىٰ الدَّاعِيَةِ أنْ يَسْتَمِرَّ في تَذْكيرِ قَوْمِهِ ، ودَعْوَتِهِمْ إلىٰ عِبادَةِ اللهِ وتَقْواهُ ، ولوْ لمْ يَستجيبوا لَهُ .

٣ـ لا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ الْعِبادةَ إلاّ اللهُ ، لأنَّه هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ القادِرُ ، وعِبادَةُ غَيْرِهِ باطِلَةٌ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَطْلُبَ الرِّزقَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، لأنَّ غَيْرَهُ عاجِزٌ عَنْ مَنْحِهِ لَهُ ، وعَلَيْهِ أنْ يَشْكُرَه علىٰ نِعَمِهِ .

٥ـ مِنَ الأساليبِ النَّاجِحَةِ في الدَّعْوَةِ اسْتِخْدامُ الأدِلَّةِ المُشاهَدَةِ ممَّا حَوْلَ النَّاسِ مِنْ آياتٍ ، في النّفسِ والآفاقِ .

٦ـ وُجوبُ السَّيْرِ فِي الأَرْضِ لِلنَّظَرِ والاعْتِبارِ ، وتَوْظيفِ ما يُشاهِدُهُ لِتَقْوِيَةِ إيمانِهِ والتزامِهِ .



## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ السّابعةَ عَشْرةَ الدَّليلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدَّمَهُما إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلْوَحدانيَّةِ .

٢ـ مَا الواجِبُ علىٰ الرَّسولِ بالنِّسبةِ لِلْمَدْعُوِّينَ ؟ ومَاذا يَتَرَتَّبُ علىٰ تَكْذيبِ المَدْعُوِّينَ لَهُ ؟

٣ـ مَا معنَىٰ قولِه ﴿يُبْدِىءُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُهُ﴾ ؟ وكَيْفَ تَسْتَخْرِجُ مِنْهُ دَليلاً علىٰ البَعْثِ ؟

٤ـ ماذا عَنِ السَّيْرِ في الأَرْضِ ، والنَّظَرِ في الآياتِ المَوْجودةِ فيها ؟

٥ـ اذْكُرْ معنَىٰ كلٍّ مِنْ : وَإليْهِ تُقْلَبُونَ . يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرةَ . تَعْبُدونَ أَوْثاناً وتَخْلُقونَ إفْكاً .

## نشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أَقْوامٍ قَبْلَ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي القُرْآنِ .

٢ـ سجِّلْ في دَفْتَرِك آيَةً مِنْ سورةِ الرُّوم تَعْتَبِرُ الإعادَةَ أَهْونَ مِنَ البِدْءِ ، وآيةً مِنْ سورةِ يسٓ تُقَرِّرُ قُدْرَةَ اللهِ علىٰ إحْياءِ العِظامِ وهِيَ رَميمٌ ، لأنَّهُ خَلَقَها أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وبيِّنِ الدَّلالَةَ مِنْهُما .

## الدَّرْسُ الخامِسُ

# سُورَةُ العَنْكَبوتِ - القِسْمُ الخامِسُ

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

### معاني المُفْرداتِ :

| | |
|---|---|
| وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ | : إنَّكُمْ لاَ تَجْعَلون اللهَ عاجزاً عَنْكُمْ . |
| يَئِسوا مِن رَحْمَتي | : أيْقَنوا أنَّهُمْ لاَ يَسْتَحِقُّونَ رَحْمَةَ اللهِ لِكُفْرِهِمْ . |
| مَوَدَّةَ بَيْنِكُم | : لإيجادِ المَحَبَّةِ بَيْنَكُمْ . |
| قالَ إنّي مُهاجِرٌ إلَىٰ رَبّي | : أَعْلَنَ إبْراهِيمُ الهِجْرَةَ مِنْ أَرْضِ العِراقِ إلَىٰ أَرْضِ فِلَسْطِينَ . |

### التَّفسيرُ :

تَحدَّثتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ دَعْوَةِ إبْراهيمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - لِقَومِهِ ، حَيْثُ قَدَّمَ لهُمُ الأدِلَّةَ على الوَحْدانيَّةِ والبَعْثِ ، وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ رَفْضِ القَوْمِ لِدَعْوَتهِ ، وعَزْمِهِمْ على إحْراقِهِ بالنَّارِ ، وإنْجاءِ اللهِ لَهُ مِنْها ، وهِجْرَتِهِ مِنَ العراقِ إلىٰ فِلَسْطينَ مَعَ لوطٍ - عَلَيْهما السَّلامُ - .

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يُقرِّرُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَقيقةً قاطِعَةً ، وهِيَ أنَّه لا يَسْتَطيعُ مَخْلوقٌ في السَّمواتِ والأَرْضِ أنْ يَجْعَلَ اللهَ عاجِزاً عنْهُ ، ولا يَقْدِرُ علىٰ الهَرَبِ مِنْ قَضائِهِ ، لأنَّ اللهَ القَويَّ القادِرَ هُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ، والحاكِمُ فيهِمْ بأَمْرِهِ ، وهُمْ خاضِعونَ مُنْقادونَ مُسْتَسْلِمونَ لَهُ .

واللهُ هُوَ الوَلِيُّ الَّذي يَتولَّىٰ عِبادَهُ ويَحْفَظُهُمْ ويَرْعاهُمْ ، لاَ وليَّ لَهُمْ مِنْ دونِهِ ، وهُوَ المُعينُ النَّاصِرُ لهُمْ ، لاَ ناصِرَ ولا مُعينَ لَهُمْ غَيْرُهُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

الكفَّارُ لا يُعْجِزونَ اللهَ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ ، وهُمْ خاسِرونَ لأنَّهُمْ كَفروا باللهِ ، وأشْرَكوا بهِ غَيْرَهُ ، وأنْكَروا البَعْثَ والآخِرَةَ ، وكذَّبُوا بلقاءِ اللهِ وحِسابِهِ ، وبِسَبَبِ تِلْكَ الجَرائِمِ كُلِّهَا حُرِموا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، ويَئِسوا مِنْ دُخولِ جَنَّتِهِ ، وأَعَدَّ اللهُ لَهُمُ العذابَ الأليمَ الشَّديدَ المُوجِعَ .

هٰذا ما واجَهَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِهِ قَوْمَهُ ، كَي يَعبُدوا اللهَ ويَتْرُكوا عِبادَةَ الأَصْنامِ ، فماذا كانَ مَوْقِفُ قَوْمِهِ ؟

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

لَقَدْ كذَّبوهُ وكفروا بهِ ورَفَضوا دَعْوَتَهُ وقرَّروا قَتْلَهُ وإهْلاكَهُ ، عَنْ طريقِ إحْراقِهِ بالنَّارِ ، ولمَّا أَلْقَوْهُ في النَّارِ المُشْتَعِلَةِ ، أنْجاهُ اللهُ منْها ، وجَعَلَها بَرْداً وسَلاماً عَلَيْهِ ، وبِذلِكَ نَصَرَهُ اللهُ علىٰ أعْدائِه ، وجَعَلَ نَجاتَه ونَصْرَهُ آيةً وعِبْرَةً ، يَتذكَّرُها المُؤْمِنونَ وَيَعْتَبِرونَ ويتَّعِظونَ .

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

لمَّا انْتَصَرَ القَوْمُ لأَصْنامِهِمُ المُحَطَّمَةِ ، واجْتَمعوا عَلَيْهَا ، وآذَوْا إبراهيمَ بِسَبَبِها ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ذَلِكَ ، وقالَ لَهُمْ : لَقَدِ اتَّخذْتُمْ هَذهِ الأَوْثانَ آلِهَةً مِنْ دونِ اللهِ ، واجْتَمَعْتُمْ علىٰ عِبادَتِها ، وجَعَلْتُموها سَبَباً لِتَقْوِيَةِ مَوَدَّتِكُمْ وصَداقَتِكُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا . ولكنْ ماذا سَيكونُ حالُكُمْ يَوْمَ القيامَةِ ؟ سَتزولُ الأَوْثانُ ، ولَنْ تَنفعَكُمْ ، وتَنْتَهي المَوَدَّةُ الّتي بَيْنَكُمْ ، ويَتبرَّأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ . قالَ تعالَىٰ : ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف : ٣٨] .

وبَعْدَ الحِسابِ سَيكونُ مَصيرُكُمُ النَّارَ ، خالِدينَ فيها أَبَداً ، ولَنْ تَجِدوا لَكُمْ ناصِراً يَنْصُرُكُمْ ويُنْقِذُكُمْ مِنَ النَّارِ .

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

انْتَهَتْ مُهِمَّةُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَوْمِهِ ، فَقَدْ أَمَرَهُ اللهُ بالهِجْرةِ مِنَ العِراقِ إلىٰ الأَرْضِ المُبارَكَةِ . ونفَّذَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَمْرَ اللهِ ، وأَخَذَ مَعَهُ مَنْ آمَنَ بهِ ، ولَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إلاّ ابنُ أَخيهِ نبيُّ اللهِ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وزَوْجَتُهُ سارةُ ، وأَعْلَنَ إبْراهيمُ هِجْرَتَهُ ، وقالَ : إنِّي مُهاجِرٌ مِنْ هذهِ البَلْدَةِ ، الّتي أَصَرَّ أَهْلُها علىٰ الكُفْرِ ، ومُتَوَجِّهٌ إلىٰ حَيْثُ أَمَرَني ربِّي ، وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ ، يَحْفَظُني ويَرْعاني ، ويُقَدِّرُ لِيَ الخَيْرَ بِحِكْمَتِهِ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

لَمَّا هاجَرَ إبْراهيمُ إلىٰ رَبِّهِ ، وتَحَمَّلَ المَشاقَّ فِي سَبيلِ اللهِ ، وأَقامَ فِي الأَرْضِ المُبارَكَةِ ، أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِنِعَمٍ كثيرةٍ ، منْها أَنَّهُ وَهَبَه ابنَهُ إسْحاقَ ـ بَعْدَ ابنهِ الأَوَّلِ إسْماعيلَ ـ وَوَهَبه مِنْ إسْحاقَ حَفيدَهُ يَعْقوبَ أَيْضاً ، وَجَعلَهُمْ أَنْبياءَ .

ومِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ أيضاً أَنَّهُ جَعَلَ النُّبوَّةَ فِي ذُرِّيتِهِ ، فَكُلُّ الأَنْبياءِ المَذْكورينَ في القُرْآنِ الّذين جاءُوا بَعْدَهُ هُم مِنْ ذُرِّيتِهِ ، وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ ، حَيْثُ أَنْزَلَ التَّوراةَ علىٰ موسَىٰ ، والزَّبورَ علىٰ داودَ ، والإنجيلَ علىٰ عيسَىٰ ، والقُرْآنَ علىٰ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وكلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيتِه .

وآتىٰ اللهُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامَ ـ أَجْرَهُ في الدّنْيا ، وكَتَبَ لهُ الثَّناءَ الحَسَنَ مِنْ بَعدِهِ ، وهُوَ في الآخِرَةِ يُحْشَرُ فِي زُمْرَةِ الصّالِحينَ المُحْسِنينَ . وبِذلِكَ جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ سَعادَةِ الدُّنْيا وسَعادةِ الآخِرَةِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ هُوَ القَويُّ القادِرُ ، ولا يَقْدِرُ مَخْلوقٌ علىٰ تَعْجيزِهِ ، وعلىٰ المَخْلوقينَ اتِّخاذُهُ وَحْدَهُ وَليّاً ونَصيراً .

٢ـ الكفَّارُ يَوْمَ القيامَةِ يَيْأَسونَ مِنْ رَحْمةِ اللهِ وَجَنَّتِهِ ونَعيمِهِ ، لأَنَّهمْ خالِدونَ في النَّارِ .

٣ـ اللهُ يَتَولَّىٰ أَوْلياءَهُ بِحِفْظِهِ ورِعايتِهِ ، ويُنْجيهِمْ مِنْ أَعْدائِهِمْ ، كما فَعَلَ مَعَ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ كلُّ مَوَدَّةٍ وصَداقةٍ في الدُّنْيا علىٰ غَيْرِ طاعةِ اللهِ تَنْقَلِبُ عَداوةً ، وبَغْضاءَ يَوْمَ القِيامَةِ .

٥ـ المُؤْمِنُ يُوالي المُؤْمِنينَ ويَتَخَلَّىٰ عَنْ أعْداءِ الدِّينِ ، حتّىٰ لَوْ كانوا أَقْرَبَ النَّاسِ إلَيْهِ ، كما فَعَلَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٦ـ يُكْرِمُ اللهُ كلَّ مَنْ يَتوكَّلُ عَلَيْهِ ، وَيَمْنَحُهُ السَّعادةَ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ .

٧ـ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هُوَ أَبو الأنبياءِ ، وجَعَلَ اللهُ النُّبوَّةَ والكِتابَ في ذُرِّيتِهِ تَكْريماً لَهُ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَتىٰ يَيْأَسُ الكافِرونَ مِنْ رَحْمةِ اللهِ ؟ ولِماذا يَيْأَسونَ ؟

٢ـ اذْكُرِ المُعْجِزةَ الّتي جَعَلَها اللهُ لإبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عندَما أَلْقاهُ قَوْمُهُ في النَّارِ .

٣ـ عَبَدَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأَصْنامَ مَوَدّةَ بينِهِم فِي الدُّنيَا ، وضِّحْ ذَلكَ .

٤ـ مَا نَتيجَةُ المَودَّةِ والصَّداقَةِ الّتي تَكونُ بَيْنَ الكُفَّارِ في الدُّنْيا ؟ واسْتَشْهِدْ علىٰ ذَلِكَ بآياتِ الدَّرْسِ .

٥ـ أـ بأمرِ مَنْ هاجَرَ إبْراهيمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟ ب ـ وإلىٰ أَيْنَ توجَّهَ ؟ ج ـ ومَنِ الرَّجُلُ الذِي هاجرَ مَعَهُ ؟

٦ـ اذْكُرْ أَسْماءَ سَبْعةِ أَنْبياءَ مِنْ ذُرِّيَةِ إبْراهيمَ ، وأَسْماءَ أَرْبَعةِ كُتُبٍ أَنْزَلَها اللهُ عَلَيْهِم .

نَشاطٌ :

١ـ اقرأْ قِصَّةَ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي تَحْطيمِه الأَصْنامَ ونَجاتِهِ مِنَ النَّارِ فِي سورةِ الأَنْبياءِ ، واذْكُرْ خُلاصةَ ذلِكَ في دَفْتَرِك بمَا لا يزيدُ علىٰ خَمْسَةِ أَسْطُرٍ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ آيَةً مِنْ سورَةِ مَرْيمَ تُصَرِّحُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَهَبْ لإبْراهيمَ إسْحاقَ ويَعقوبَ إلاّ بَعْدَ اعْتزالِ قَوْمِهِ ، وأَنَّ اللهَ جَعَلَهُما نَبِيَّيْنِ ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِك .

* * *

# الدَّرسُ السَّادِسُ

## سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

### معاني المفردات

- ٱلفاحِشَةَ : ٱلفِعْلَةَ ٱلقَبيحَةَ ، وَهِيَ إِتْيانُ الرِّجالِ ( اللُّواطُ ) .
- تَقْطَعونَ ٱلسَّبيلَ : تَقِفونَ عَلَىٰ الطَّريقِ وَتَعْتَدونَ عَلَىٰ المارَّةِ .
- ناديكُم : مَجْلِسُكُمُ ٱلخاصُّ ٱلَّذي تَجْتَمِعونَ وَتَتَحَدَّثونَ فيهِ .
- ٱلغابِرينَ : ٱلباقينَ فِي ٱلعَذابِ .
- سِيءَ بِهِمْ : أُصيبَ بالسّوءِ وٱلهَمِّ لِخَوْفِهِ عَلَىٰ ضُيوفِهِ مِنْ قَوْمِهِ .
- ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً : ضاقَتْ قُدْرَتُهُ عَنْ تَدْبيرِ أَمْرِهِمْ .
- رِجْزاً : عَذاباً شَديداً مِنَ السَّماءِ .
- آيَةً بَيِّنَةً : عِبْرَةً واضِحَةً ظاهِرَةً .



## التفسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنْ هِجْرَةِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ نَبيِّ اللهِ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

يأْمُرُ اللهُ رَسولَه مُحَمَّداً ﷺ أنْ يَذْكُرَ لِقَومِهِ قِصَّةَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَقَدْ بَعَثَه اللهُ لَهُمْ نَبيًّا رسولاً ، وكانوا يُشْركونَ باللهِ ، ويَرْتَكِبونَ الفواحِشَ القَبيحَةَ الشَّنيعةَ ، وقَدِ ابْتَدَعوا فاحِشَةً شاذَّةً لَمْ يَسْبِقْهُمْ إليْهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ذَلِكَ وقالَ لَهُمْ : كَيْفَ تَرْتَكِبونَ الفِعْلَةَ القَبيحَةَ ، الّتي لَمْ يَرْتَكِبْها أَحَدٌ قَبْلَكُمْ ؟

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

يُتَابِعُ لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إنْكارَهُ علىٰ قَوْمِهِ ، ويُفَسِّرُ لَهُمُ الفاحِشَةَ الّتِي ابْتَدعوها ، بأنَّها إتيانُهُمُ الرِّجالَ فِي أدْبارِهِمْ ، وهِيَ فاحِشَةٌ شاذَّةٌ قَذِرَةٌ ، تَدُلُّ على فَسادِ فِطْرَتِهِمْ وانْحِرافِها .

كما أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ قَطْعَهُمُ السَّبيلَ ، حَيْثُ كانوا يَقِفونَ في طَريقِ النَّاسِ ، ويَتَعَرَّضونَ لَهُمْ بالقَتْلِ أَوْ سَلْبِ الأَمْوالِ أَوْ فِعْلِ الفاحِشَةِ بهِمْ .

وأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ثَالِثَةً وهِيَ أَنَّهم كانوا يَجْتَمِعونَ في نَوادِيهِمْ ومَجالِسِهِمْ ، ويَرْتَكِبونَ فيها المُنْكَراتِ والفَواحِشَ ، ومِنْها إِتْيانُهُمُ الرِّجالَ في أَدْبارِهِمْ ، بصورةٍ جَماعيَّةٍ عَلَنِيَّةٍ .

وقَدْ رَفَضَ القَوْمُ الشَّاذُّونَ نُصْحَ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقالوا لَهُ ساخِرينَ مُسْتَهزِئينَ : إنْ كُنْتَ صادِقاً فيمَا تُهدِّدُنا بِهِ ، فَعَجِّلْ لنَا عَذابَ اللهِ ، وأَسْرِعْ فِي إيقاعِه بنا .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

لم يَعُدْ فِي قَوْمِ لوطٍ خَيْرٌ ، وعَلِمَ أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَجيبوا لَهُ ، عِنْدَ ذَلِكَ دعا اللهَ عَلَيْهِمْ ، وقالَ : يا رَبِّ إنَّ هؤلاءِ قَوْمٌ مُفْسِدونَ في الأَرْضِ ، مُرْتَكِبونَ لِلْفَواحِشِ ، فانْصُرْني عَلَيْهِمْ ، ونَجِّني مِنْ مَكْرِهِمْ .

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبَعَثَ المَلائِكَةَ لِتَدْميرِ القَوْمِ المُفْسِدِينَ ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يَمُرُّوا علىٰ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الّذي كانَ قَريباً مِنْ قُرَىٰ قَوْمِ لوطٍ ، فَدَخلوا عَلَيْهِ وَهُمْ في صُورَةِ بَشَرٍ ، ولَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُمْ مَلائِكَةٌ ، فَجاءَهُمْ بمَا يَنْبَغِي لِلأَضْيافِ ، وأَخْبَروه أَنَّهُمْ رُسُلٌ مِنَ اللهِ ، جاءُوا لِتَبْشيرِهِ بالوَلَدِ .

ثُمَّ أخْبروهُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ لإهلاكِ قَوْمِ لوطٍ ، بِسَببِ فِسْقِهِمْ وكُفْرِهِمْ وظُلْمِهِمْ ، وتَمادِيهِمْ فِي الفَسادِ والانْحِرافِ والشُّذوذِ .

فأشْفَقَ إبْراهيمُ عَلىٰ لوطٍ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وخَشِيَ أَنْ يُصيبَهُ شَيْءٌ مِنَ الأَذىٰ ، فَذَكَّرَهُمْ بهِ قائِلاً : إنَّ لوطاً فِي القَرْيَةِ ، وهُوَ نَبِيٌّ ورَسولٌ!

فقالُوا لَهُ : نَحْنُ أعْلَمُ بمَنْ فِيها مِنَ المُؤْمنِينَ والكافِرينَ ، وإنَّ الهَلاكَ سَيَقَعُ علىٰ الكافِرينَ ، أَمّا المُؤْمِنونَ فَهُمْ ناجونَ ، ولِذَلِكَ سَنُنْجي النَّبيَّ لوطاً ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ وأَهْلَ بَيْتِهِ المُؤْمِنينَ ، أَمّا امْرَأَتُهُ العَجوزُ فَستَكونُ مِنَ الهالِكِينَ ، لأنَّها كَفَرَتْ مَعَ قَوْمِها الكافرينَ .

﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

قَدِمَ المَلائِكَةُ علىٰ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في صورةِ شُبَّانٍ حِسانٍ ، ولَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُمْ مَلائِكَةٌ ، وخَشِيَ عَلَيهِمْ مِنْ قَوْمِهِ الشَّاذينَ أَنْ يَفْجُروا بهِمْ ، ولِذَلِكَ أُصيبَ بالغَمِّ والسُّوءِ ، وضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وثَقُلَ عَلَيْهِ أَمْرُ تَدبيرِ حِمَايتِهِمْ ، وخافَ أَنْ يَعْجزَ عَنْ ذَلِكَ .

ولاحَظَ المَلائِكَةُ حالَهُ فَطَمْأَنوهُ ، وكَشَفوا لَهُ عَنْ حَقيقَتِهِمْ ، وقالوا لَهُ : لا تَخَفْ عَلَيْنَا ، ولاَ تَحزَنْ مِنْ أَجْلِنَا ، إنَّا رُسُلُ ربِّكَ ، أَرْسَلَنَا اللهُ لإهْلاكِ قَوْمِكَ الكافِرينَ ، وسَيكونُ هَلاكُهُمْ فِي الصَّباحِ، وأنْتَ سَتنجو مَعَ أَهْلِكَ المُؤْمِنينَ؛ أَمّا امْرأَتُكَ الكافِرَةُ فَستكونُ مَعَ القَوْمِ الهَالِكينَ الغابرينَ!

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

تابَعَ المَلائِكَةُ كلامَهُمْ مَعَ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ووَصفوا لهُ العَذابَ الّذي سَيَحِلُّ بقَوْمِهِ ، وقالوا لَهُ « سَنُنْزِلُ عَلَيْهِمُ العَذابَ رِجْزًا مِنَ السَّماءِ ، يَأْتيهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، بِسَببِ فِسْقِهِمْ وظُلْمِهِمْ وانْحِرافِهِمْ ، وفِي اللَّيلِ اقْتَلَعَ جِبْريلُ بُيوتَهُمْ ، وَرَفَعَها إلىٰ السَّماءِ ، ثُمَّ جَعَلَ عالِيَها سافِلَها ، وأَلْقَىٰ بها إلىٰ الأَرْضِ » .

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

أَنْجَىٰ اللهُ لوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأتْباعَهُ المُؤْمِنينَ ، وأَهْلَكَ القومَ الفاسِقينَ ، وأَبْقَىٰ بَعْضَ آثارِهِمْ وأَخْبارِهِمْ ، لِتكونَ عِبْرَةً وَعِظَةً لِقَوْمٍ مُؤْمِنينَ ، يَعْقِلونَ ويَتدبَّرونَ ، وَيَأْخُذونَ منْها الدّلالاتِ والدّروسَ ، فِي نِهايةِ الكافِرينَ وحُسْنِ عاقِبَةِ المُؤْمِنينَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَجِبُ علىٰ الدّاعِيَةِ نُصْحُ الآخَرينَ ، ونَهْيُهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ، وتَقْبيحُ ارْتِكابِهِمْ لِلفواحِشِ والمُحَرَّماتِ .

٢ـ عِنْدَما تَفْسُدُ فِطْرَةُ النّاسِ يَتبجَّحونَ في ارتْكابِ الفَواحِشِ بلا خَجَلٍ ، ويَفْعلونَ ذَلِكَ عَلَناً وجَماعيًّا .

٣ـ مِنْ جَهْلِ الكفَّارِ وسوءِ تَقْديرِهِمْ اسْتِعْجالُهُمُ العَذابَ ، ولاَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عاقِلٌ !

٤ـ جَوازُ الدُّعاءِ علىٰ القَومِ الكافِرينَ ، عِنْدَمَا يُصِرُّونَ علىٰ كُفْرِهِمْ ورَفْضِهِم الْحَقَّ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يُشْفِقَ علىٰ المُؤْمِنينَ ويَهْتَمَّ بهِمْ ويُدافعَ عَنْهُمْ ، ويُذَكِّرَ الآخَرينَ بهِمْ .

٦ـ عِنْدَ وُقوعِ العِقابِ لا نَجاةَ إلاّ لِلْمُؤْمِنينَ الصّالِحينَ المُصْلِحينَ ، ولا يَنْفَعُ صِلَةٌ ولا قُربَى .

٧ـ إهْلاكُ الكُفّارِ والمُجْرمينَ ونَجاةُ المُؤْمنينَ المُصْلِحينَ سُنَّةٌ رَبانيَّةٌ لا تَتَخَلَّفُ .

٨ـ المُؤْمِنُ يَعْتَبِرُ ويتَّعِظُ عِنْدَمَا يَمُرُّ بآثارِ القَوْمِ المُعَذَّبينَ ، فَيزْدادُ طاعةً للهِ ، وتَرْكاً لِما حَرَّمَ اللهُ .




أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ ثَلاثةَ أَشْياءَ أَنْكَرَها لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ قَوْمِهِ .

٢ـ مَا الّذي طَلَبَه القَوْمُ مِنْ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟ وَمَا تَفْسيرُكَ لِذَلِكَ الطَّلَبِ ؟

٣ـ مَا الّذي قالَهُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلمَلائِكةِ عِنْدَما عَلِمَ بِمُهِمَّتِهِمْ ؟ وبماذا رَدُّوا عَلَيْهِ ؟

٤ـ لِماذا سِيءَ لوطٌ بِضُيوفِهِ وَضاقَ بهِمْ ذَرْعاً ؟

٥ـ صِفِ العَذابَ الّذي أَوْقعَهُ اللهُ بقومِ لوطٍ .



١ـ اقرأْ قِصَّةَ لوطٍ في سورةِ الأَعْرافِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا جَواباً آخَرَ أَجابُوا بهِ لوطاً ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ يَتَضمَّنُ حُكْمَهُمْ عليْهِ ، وسَبَبَ ذَلِكَ الحُكْمِ . واكتبْ ذَلِكَ في دفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأْ قِصَّةَ لوطٍ في سورةِ الصَّافَاتِ ، وسَجِّلْ مِنْها الآيتينِ اللّتيْنِ تَتحدَّثانِ عَنْ مُرورِ تُجَّارِ قُرَيْشٍ بِقُرىٰ قَوْمِ لوطٍ ، ثُمَّ حَدِّدِ المَوْقعَ الجَغرافيَّ لهَا .

* * *

# الدَّرْسُ السَّابِعُ

## سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| لاَ تَعْثَوْا فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدينَ | : لاَ تَسْعَوْا فِي ٱلأَرْضِ ناشِرينَ لِلفَسادِ . |
| ٱلرَّجْفَةُ | : ٱلزَّلْزَلَةُ ٱلشَّديدَةُ ٱلَّتي حَرَّكَتِ ٱلأَرْضَ . |
| جاثِمينَ | : مَيِّتِينَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ . |
| كَانوا مُسْتَبْصِرينَ | : كَانوا قادِرينَ عَلَىٰ النَّظَرِ وَٱلاسْتِبْصارِ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلوا . |
| ما كَانوا سابِقينَ | : لَمْ يَقْدِروا عَلَىٰ الإِفْلاَتِ مِنْ عَذابِ ٱللهِ . |
| حاصِباً | : ريحاً عاصِفَةً رَمَتْهُمْ بِٱلحَصْباءِ وَهِيَ الحِجارَةُ ٱلصَّغيرَةُ . |




ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ مُجْمَلَ قَصصِ نوحٍ وإبْراهيمَ ولوطٍ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ مَعَ أقوامِهِمْ ، الَّتي

انْتهَتْ بإهْلاكِ الكافِرينَ ونَجاةِ الرُّسُلِ وأتْباعِهِمُ المُؤْمِنينَ .

وأشارَتْ هٰذهِ الآياتُ إلىٰ قَصَصِ هودٍ وصالحٍ وشُعَيْبٍ وموسَىٰ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ مَعَ أقْوامِهِمْ ، وعَجَّلَتْ بِذِكْرِ عاقِبَةِ أقْوامِهِمْ الكافِرينَ ، تَحْقيقاً لِسُنَّةِ اللهِ .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

أرْسَلَ اللهُ إلىٰ قَوْمِ مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيباً رَسولاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ تَدْميرِ قَوْمِ لوطٍ ، وكانوا يَسْكُنونَ في جَنوبِ الأردنِّ قَريباً مِنْ قوم لوطٍ .

طَلَبَ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْهُمْ أنْ يُؤْمِنوا باللهِ وَحْدَهُ ، وأنْ يَعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، ولا يُشْرِكوا بِهِ شيئاً ؛ كمَا أمَرَهُمْ أنْ يُؤْمِنوا باليَومِ الآخِرِ ، وأنْ يَعْمَلوا الأعْمالَ الصَّالِحَةَ الّتي يَرْجونَ بها الثَّوابَ مِنَ اللهِ يَوْمَ القيامَةِ .

ونَهاهُمْ عَنِ الإفْسادِ في الأَرْضِ ، لأنَّهُمْ كانوا يَسْعَوْنَ في نَشْرِ الفَسادِ ، والاعْتِداءِ علىٰ الآخَرينَ ، وأكْلِ أمْوالِهِمْ ظُلْماً ، وتَطْفيفِ المِكْيالِ والميزانِ .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

ردَّ قَوْمُ مَدْيَنَ علىٰ دَعْوَةِ شُعَيْبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالتَّكذيبِ ، والإصْرارِ علىٰ الكُفْرِ ، فأَوْقعَ اللهُ عَلَيْهِمْ عِقابَه ، حَيْثُ أهْلَكَهُمْ بالرَّجْفَةِ ، عِنْدَما زَلزلَ بِهِمُ الأرْضَ ، وجَعَلَها تَرْتَجِفُ وتَتَحَرَّكُ بِهِمْ ، ونَتَجَ عَنْ ذَلِكَ صَيْحةٌ شَديدةٌ قَضَتْ عَلَيْهِمْ ، وجَعَلَتْهِمْ جُثَثاً هامِدَةً لا حَراكَ فِيها .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أهْلَكَ اللهُ أقواماً قَبْلَ مَدْيَنَ ، مِنْهُمْ قَوْمُ عادٍ وقومُ ثمودَ ، فَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ عادٍ نبيَّهُمْ هوداً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وكانوا يَسْكُنونَ في الأحْقافِ ، فِي الجَنوبِ الشَّرقِيِّ لِلْجَزيرةِ العربيَّةِ ، فدمَّرَهُمُ اللهُ ، وجاءَ بِقَوْمِ ثَمودَ بَعْدَهُمْ ، وكانُوا يَسْكُنونَ في الحِجْرِ ، فِي الشّمالِ الغَرْبيِّ لِلْجَزيرةِ العَرَبِيَّةِ ، ولكنَّهُمْ كذَّبوا رَسولَهُمْ صالِحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فأهلكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ .

وخاطَبَ اللهُ كُفّارَ قُرَيْشٍ ومُشْرِكي العَرَبِ بأنَّهُمْ عَرَفُوا قِصَّةَ عادٍ وثمودَ ، وَرأَوْا آثارَهُمْ ، وتَبيَّنَ لَهُمْ هَلاكُهُمْ مِنْ مُشاهَدَتِهِمْ لِمَساكِنِهِمْ ، فَعَلَيْهِمْ أنْ يَتَّعِظوا ويَعْتَبِرُوا مِمَّا حَلَّ بهِمْ ، فَيتخلَّوْا عَنِ الكُفْرِ ، ويُصَدِّقُوا النَّبيَّ ﷺ .

ولَقَدْ دَعاهُمُ الشَّيْطانُ إلىٰ الشِّرْكِ باللهِ وعِبادَةِ غَيْرِ اللهِ ، وزَيَّنَ لَهُمْ أَعْمالَهُمُ السَّيئةَ ، فأُعْجِبوا بِها

وَرأَوْهَا حَسَنَةً ، وبِذَلِكَ صَدَّهُمْ عَنْ سبيلِ الحَقِّ ، وَجَعَلَهُمْ يَسيرونَ في سَبيلِ الباطِلِ ، مَعَ أنَّ اللهَ مَنَحَهُمُ العَقْلَ والحَواسَّ لِلنَظرِ والتَّفكيرِ ، وكانَ بإمْكانِهِمْ أَنْ يَسْتَبْصِروا ويَخْتارُوا الحَقَّ ، ولكنَّهُمْ عَطَّلوا عُقولَهُمْ وأَنْظارَهُمْ ، واتَّبعوا الشَّيْطانَ ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ العَذابُ .

﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

كمَا أهْلَكَ اللهُ عاداً وثَمودَ الّذين كانوا قَبْلَ مَدْيَنَ ، كَذلكَ أهْلَكَ كُفّاراً طُغاةً كانوا بَعْدَ مَدْيَنَ ، مِنْهُمُ الطُّغاةُ الثَّلاثَةُ : قارونُ وفرعونُ وهامانُ ، وقَدْ أَرْسَلَ اللهُ لَهُمْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَسولاً ، وجَاءَهُمْ بالبَيِّناتِ والمُعْجزاتِ ، وأَقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ .

ولكنَّهُمْ رَفضوا دَعْوَتَهُ ، وكَذَّبوهُ وكَفروا بهِ ، واسْتَكْبروا فِي الأَرْضِ ، وطَغَوْا وبغَوْا ، واسْتَعبَدُوا الآخَرينَ ، وكانَ طُغْيانُ قارونَ بِسَبَبِ أَمْوالِهِ وكُنوزِهِ العَظيمةِ ، وطُغيانُ فِرْعَوْنَ بِسَببِ ما آتاهُ اللهُ مِنْ مُلْكِ مِصْرَ ، وهامانُ هُوَ وَزيرُ فِرْعَوْنَ وشَريكُهُ فِي الاسْتِكبارِ والطُّغْيانِ .

وهَؤلاءِ الطُّغَاةُ الثَّلاثَةُ لَمْ يُعْجزوا اللهَ ، ولَمْ يَنْجوا مِنْ عِقابِهِ ، فهُمْ كَغيْرِهِمْ مِنَ الطُّغاةِ ، لا يَفْلِتُونَ مِنَ العَذابِ ، ولا يَهْرُبونَ مِنْ قَدَرِ اللهِ ، لأنَّ اللهَ هُوَ القَادرُ القَاهِرُ العَزيزُ الجَبَّارُ .

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

عاقَبَ اللهُ الكُفّارَ الطُّغاةَ الخَمْسَةَ ، المَذْكورينَ في الآياتِ السَّابِقَةِ : قَومَ عادٍ ، وقومَ ثَمودَ ، وقارونَ ، وفِرْعَوْنَ ، وهامانَ .

أخَذَ كلاً مِنْهُمْ بِذَنْبِهِ ، وأَوْقَعَ بِهِ عاقِبَةَ كُفْرِهِ وطُغْيانِهِ ، وعاقَبَهُ بمَا يُناسِبُه مِنَ العِقابِ ، وكانَ عِقابُهُمْ أَرْبَعَةَ أنواعٍ :

ـ قَوْمَ عادٍ : أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ حاصِباً : حَيْثُ أهْلَكَهُمْ بالرِّيحِ الصَّرْصَرِ العاتِيَةِ ، شَديدةِ الهُبوبِ ، تَحْمِلُ الحِجارَةَ الصَّغيرةَ ، تَحصِبُهُمْ وتَرْميهِمْ بها ، فَصاروا صَرْعَىٰ جُثثاً هامِدَةً .

ـ قومَ ثمودَ : أَخَذَهُمُ اللهُ بالصَّيْحَةِ ـ كَقَوْمِ مَدْيَنَ ـ حَيْثُ زَلْزَلَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ ، فَرَجَفَتْ بِهِمْ ، وخَرَجَ مِنْهَا صَيْحَةٌ شَديدةٌ قضَتْ عَلَيْهِمْ .

ـ وقارونَ : خَسَفَ اللهُ بِهِ وبِدارِهِ وكُنوزِهِ وأَمْوالِهِ الأَرْضَ ، فانْشَقَّتْ وابْتَلَعَتْهُ .

ـ وفِرْعَوْنَ وهامانَ : أغْرَقَهُما اللهُ ، لَمَّا خَرَجا بِجُنودِهِما ، ولَحِقا موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأتْباعَهُ المُؤْمِنين ، فَفَرَقَ اللهُ البَحْرَ ، وأنجَىٰ موسَىٰ ومَنْ مَعَهُ ، وأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنودَهُما .

وكانَ اللهُ عادِلاً فِي عِقابِهِ لِهؤلاءِ الكُفَّارِ ، ولَمْ يَكُنْ ظالِماً لَهُمْ ، ولَكنَّهُمْ هُمُ الَّذينَ ظلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ طَلَبَ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ قَوْمِهِ عِبادَةَ اللهِ وَحْدَهُ ، رَجاءَ ثَوابِ الآخرةِ وعَدمَ الإفْسادِ فِي الأرْضِ .

٢ـ أَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ مَدْيَنَ بِسَبَبِ تَكْذيبِهِمْ شُعَيْباً ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ لأنَّ عَاقِبَةَ التَّكْذيبِ العِقابُ .

٣ـ كانَ يُمْكِنُ لِلْكُفَّارِ أنْ يَسْتَبصِروا ويَتَّبِعوا الحَقَّ لكِنَّهُمُ اتَّبعوا الشَّيْطانَ الّذي صَدَّهُمْ عَنْ سبيلِ الحَقِّ .

٤ـ لا يُمْكِنُ لِلْكُفّارِ أنْ يَفْلَتوا مِنْ عِقابِ اللهِ ، لأنَّ عَذابَ اللهِ يُدْرِكُهُمْ أينَما كانوا .

٥ـ اللهُ حَكيمٌ فِي عِقابِ الكُفَّارِ الطُّغاةِ ، ويَخْتارُ لِكُلٍّ مِنْهُمُ العِقابَ والهَلاكَ الّذي يَتناسَبُ مَعَ طُغْيانِهِ .

٦ـ اللهُ عادِلٌ فِي عِقابِ الكُفَّارِ ، لَمْ يَظْلِمْهُمْ شَيْئاً ، وهُمُ الّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وطُغْيانِهِمْ .

ـ الكُفْرُ غَالِبٌ على البَشَرِ ، ومِنْ هُنا كَثُرَ أَهْلُ النَّارِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بِماذا أَمَرَ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ ؟ وعَنْ ماذا نَهاهُمْ ؟

٢ـ مَا نَوْعُ العَذابِ الّذي عَذَّبَ اللهُ بِهِ قَوْمَ مَدْيَنَ ؟

٣ـ حدِّدِ المَوْقِعَ الجَغرافيَّ لِعادٍ وثَمودَ ، واسْمَ الرَّسولَيْنِ اللَّذَيْنِ أُرْسِلا إليْهِما .

٤ـ مَا سَبَبُ اسْتِكبارِ وطُغيانِ كلٍّ مِنْ : قارونَ وفِرْعَوْنَ وهامانَ ؟

٥ـ بِماذا عاقَبَ اللهُ كُلاً مِنْ: عادٍ، وثَمودَ، وَقارونَ، وَفِرْعَوْنَ؟ ومَا دَليلُكَ مِنْ كلماتِ آياتِ الدَّرسِ؟

## نَشاطٌ :

اذْكُرْ أَسْماءَ ثَلاثِ سُوَرٍ تَحدَّثَتْ عَنْ قَوْمِ مَدْيَنَ ، واذْكُرْ كَيْفِيةَ هَلاكِهِمْ فِي كُلِّ سُورَةٍ واكْتبِ الإجابَةَ فِي دَفْتَرِك .

## الدَّرْسُ الثَّامِنُ

# سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ | : أَضْعفَ ٱلْبُيُوتِ . |
| ٱلأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ | : ٱلأَمْثالُ نُقَرِّبُها لِعُقولِ ٱلنَّاسِ لِيَفْهَموها . |
| يَعْقِلُها | : يَفْهَمُها . |
| ٱلعالِمُونَ | : ٱلْمُتدبِّرونَ ، ٱلَّذينَ يَفْهَمونَ ٱلْقُرْآنَ . |
| ذِكْرُ ٱللهِ أَكْبَرُ | : ذِكْرُ ٱللهِ فِي الصَّلاةِ وَخارِجِها أَفْضَلُ وَأَكْبَرُ مِمَّا سِواهُ مِنَ ٱلطَّاعاتِ . |

### التفسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ إهْلاكَ كُفَّارٍ سابِقينَ ، ولَمْ تَنْفَعْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتي عَبَدُوها مِنْ دونِ ٱللهِ ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ عذابَ اللهِ .

وَتَذْكُرُ هٰذِهِ الآياتُ مَثَلاً لِمَنِ اعْتَمَدَ علىٰ غَيْرِ اللهِ ، ودَعَتِ النَّاسَ إلىٰ الإيمانِ وتِلاوةِ القُرْآنِ وإقامةِ الصَّلاةِ .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يَصِفُ اللهُ ـ تعالَىٰ ـ الّذينَ اتَّخذوا أَوْلياءَ مِنْ دونِ اللهِ ، طَمَعاً في رِزْقِهِمْ ونَفْعِهِمْ ونَصْرِهِمْ كحال العَنْكَبوتِ حَيْثُ اتَّخذَتْ لِنَفْسِها بَيْتاً ، يَقِيها الأَذَىٰ والخَطَرَ ، فَلَمْ يُفِدْها شَيْئاً ، لأنَّه أَوْهَنُ البُيوتِ وأَضْعَفُها ، لأنَّ أَدْنَىٰ شَيْءٍ يَقْضي عَلَيْهِ ويَذْهَبُ بِهِ .

وكمَا أنَّ بَيْتَ العَنْكبوتِ لا يَقِيها ولاَ يَنْفَعُها كَذلِكَ الأَوْلياءُ الّذينَ يتّخذُهُمُ الكُفّارُ مِنْ دونِ اللهِ ، لا يَنْفَعُونَ مَنْ تولَوْهُمْ ، ولا يَرْزقونَهُمْ ، ولا يَنْصُرونَهُمْ ، لِضَعْفِ هَؤلاءِ الأَوْلياءِ وعَجْزِهِمْ .

والعاقِلونَ هُمُ الّذينَ يتَّخِذونَ اللهَ وَحْدَه وَلِيًّا ، يَطْلُبونَ مِنْهُ الرِّزْقَ والنَّفْعَ والنَّصْرَ ، لأَنَّهُ هُوَ القَوِيُّ القَادِرُ ، والقُوَّةُ جَميعاً لَهُ وَحْدَهُ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

إذَا كانَ الأَوْلياءُ مِنْ دونِ اللهِ ضُعَفاءَ عاجِزينَ ؛ فإنَّ اللهَ يَعْلَمُ أنَّهُمْ لَيْسوا بِشَيْءٍ ، وأنَّهُمْ لا يَنْفعونَ مَنْ يُوالونَهُمْ ويَعْبدونَهُمْ ، لأنَّه سُبْحانَه هُوَ القادِرُ علىٰ النَّفْعِ والضَّرِّ .

واللهُ هُوَ العَزيزُ الغالِبُ ، يَنْتَقِمُ مِمَّنْ كفَرَ بهِ ، واتَّخذَ غَيْرَهُ وَلِيًّا مَعْبوداً ، وهُوَ الحكيمُ في فِعْلِهِ وقَدَرِهِ وتَدْبيرِه .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

ضَرَبَ اللهُ مَثَلَ الأَوْلياءِ في ضَعْفِهِمْ بالعَنْكَبوتِ اتّخذَتْ بَيْتاً ضَعيفاً ، وقَدِ اتَّخَذَ بَعْضُ الكُفّارِ هٰذا المَثَلَ ، وغَيْرَهُ في القُرْآنِ ، وسَيلةً لِلْسُّخْرِيَةِ والتَّهَكُّمِ ، فبَيَّنَ اللهُ حِكْمةَ ذِكْرِ الأَمْثالِ فِي القُرْآنِ ، وهِيَ تَقريبُ المَعانِي والحَقائِقِ لإفهامِ النَّاسِ ، ولكنَّ الكُفَّارَ مُغْلَقِي القُلوبِ والعُقولِ لا يَعْقِلُونَها ، ولا يَتأَثَّرونَ بها ، لأنَّه لا يَفْهَمُ هذهِ الأَمْثالَ القُرْآنيَّةَ وُيْدِركها ويَعْقِلُها إلاّ العُلَماءُ الأَثْباتُ ، الّذينَ يَتدبَّرونَها ويَتَأَمَّلون فيها .

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

غَيْرُ اللهِ ضُعَفاءُ عاجزونَ ، لأنَّهم مَخْلوقونَ ، فلا يَصْلُحونَ أنْ يكونُوا آلِهَةً مَعْبودِينَ ، واللهُ وَحْدَه هُو القويُّ ؛ لأنَّه هُوَ الخالِقُ ، فَقَدْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وما فيهما بالحَقِّ والصَّوابِ ، ولَمْ يَخْلُقْهُما عَبَثاً أَوْ لَهْواً . قالَ تعالَىٰ : ﴿ما خَلَقْنا السَّمَاءَ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبينَ ، لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوا لاَتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء : ١٦-١٧] .

وفِي خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ بالحَقِّ آياتٌ ودَلالاتٌ وعِبَرٌ ، ولَكِنْ لا يَلْتَفِتُ لها الكافِرُونَ ، لأنَّ

قُلوبَهُمْ وعُقولَهُمْ مَحْجوبَةٌ عنْها بِكُفْرِهِمْ ، إنَّما يَنْتَفِعُ بها ويَتَدبَّرُها المُؤْمِنونَ .

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ البَيانِ الإلٰهِيِّ عَنْ قُدْرةِ اللهِ الخالِقِ وضَعْفِ المَخْلوقينَ ، يَأْمُرُ اللهُ نبيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ وكُلَّ مُسْلِمٍ مِنْ بَعْدِه بتلاوَةِ القُرْآنِ الكَريمِ ، الّذي أوْحىٰ بهِ إليْهِ ، ومَا يَنْتُجُ عَنْ تِلاوَتِه مِنْ تدبُّرِه وفَهْمِهِ وتَطْبيقِ أَحْكامِهِ ودَعْوَةِ النَّاسِ إليْهِ .

كَذٰلِكَ أَمَرَ اللهُ بإقامَةِ الصَّلاةِ . وإقامَتُها تكونُ بحُسْنِ أَدائِها والالْتِزام بهَدْي رَسولِ اللهِ ﷺ في ذَلِكَ ، مَعَ الخُشوعِ والخُضوعِ للهِ فِيها ، وهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ المُؤْمِنِ وسَعادَتُهُ ، لأنَّهُ يُناجي فيهَا رَبَّ العالَمينَ .

رَوىٰ النَّسَائِيُّ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « **حَبَّبَ إليَّ مِنَ الدُّنيا الطِّيبُ والنِّساءُ ، وجَعلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ** »[1] .

وعِنْدَما يُقيمُ المُؤْمِنُ الصَّلاةَ علىٰ هَدْيِ رَسولِ اللهِ ﷺ فإنَّها تَنْهاهُ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ، وتُقيمُ لَهُ حَياتَهُ علىٰ شَرْعِ اللهِ ، فآثارُها التَّرْبَوِيَّةُ عَلَيْهِ واضِحَةٌ بَعْدَ أدائِها .

والمُؤْمِنُ يَذْكُرُ اللهَ فِي الصَّلاةِ بالتَّسْبيحِ والحَمْدِ والثَّناءِ ، ويَذْكُرُهُ خارِجَ الصَّلاةِ بتلاوَةِ القُرْآنِ والتَّسبيحِ والاسْتِغْفارِ والدّعاءِ ، وهٰذا الذِّكْرُ للهِ أكْبَرُ وأَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَا سِواهُ مِنَ الطَّاعاتِ ، لأنَّهُ بالذِّكْرِ يُثْنِي علىٰ اللهِ ، واللهُ يُحِبُّ الثَّناءَ ، وهُوَ بِذِكْرِهِ للهِ يَجْعَلُ اللهَ يَذْكُرُهُ ، وذِكْرُ اللهِ لَهُ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِهِ هُوَ للهِ . قالَ تعالَىٰ : ﴿فاذْكُروني أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

واللهُ عالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، يَعْلَمُ كلَّ ما يَصْنَعُهُ النَّاسُ ويَفْعَلونَهُ ، سَواءٌ أكانَ خَيْراً أم شرّاً ، فَيُثيبُ المُطيعَ الذَّاكِرَ لَهُ مِنْهُمْ ، ويُعاقِبُ العاصِي المُذْنِبَ مِنْهُمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مَن اعتزَّ بغَيْرِ اللهِ ذَلَّ ، ومَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ اللهِ وَلِيّا فَقَدْ خَسِرَ ، ولَمْ يُفِدْهُ ذَلِكَ شَيْئاً .

٢ـ القُوَّةُ كُلُّها للهِ وَحْدَهُ ، وغَيْرُ اللهِ ضُعَفاءُ عاجِزونَ ، مَهْما مَلَكُوا مِنَ الدُّنْيا .

٣ـ لا يفهمُ ولا يعقلُ الأمثالَ القرآنيَّةَ إلا أُولو البصائرِ والألبابِ .

---

(١) سنن النسائي ( ٣٦ ) كتاب عشرة النساء ( ١ ) باب حب النساء . حديث رقم : ٣٩٣٩ .

٤ـ خَلَقَ اللهُ السَّموات والأَرْضَ وما فيهما لِحِكْمَةٍ ، وجَعَلَ لِلنَّاسِ وظيفةً مُحَدَّدَةً ، وهي الإخْلاصُ في عِبادَتِهِ وَحْدَهُ .

٥ـ علَىٰ المُؤْمِنِ الإكْثارُ مِنْ تِلاوَةِ القُرْآنِ وذِكْرِ اللهِ . وذِكْرُ اللهِ أفْضَلُ وأَكْبَرُ مِنَ جَميعِ الطَّاعاتِ .

٦ـ إقامَةُ الصَّلاةِ وحُسْنُ أَدائِها تُؤَثِّرُ في سُلوكِ صاحِبِها ، فتَنْهَاهُ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ .

## التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَ الّذينَ يُوالونَ غَيْرَ اللهِ وبَيْنَ بَيْتِ العَنكبوتِ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الثّانية ( رقم : ٤٢ ) دَلالةً عَنِ المَدْعُوِّينَ مِنْ غَيْرِ اللهِ .

٣ـ اذْكُرْ حِكْمَةَ ضَرْبِ الأَمْثالِ في القُرْآنِ بالذُّبابِ والعَنْكَبوتِ وغَيْرِهِما .

٤ـ مَا معنَىٰ خَلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ بالحَقِّ ؟ ومَا وَظيفةُ الإنْسانِ المُحدَّدةِ فِي الدُّنيا ؟

٥ـ مَا الفَرْقُ بَيْنَ أداءِ الصَّلاةِ وإقامَةِ الصَّلاةِ ؟ ومتَىٰ تَنْهَىٰ الصَّلاةُ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ؟

٦ـ سَجّلْ مَعْنيَيْنِ مُتَكامِلَيْنِ لِقولِه تعالَىٰ : ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ .

## نَشاطٌ :

١ـ اقْرأ الآياتِ ( ١٩١ـ١٩٨ ) مِنْ سورةِ الأعْرافِ ، واسْتَخْرِجْ مِنها حَديثاً عَنْ ضَعْفِ كلِّ الأَوْلياءِ المَدْعُويينَ مِنْ دونِ اللهِ وعَجْزِهِمْ واكتبْه فِي دفترك .

٢ـ ذَكَرَ اللهُ أنَّهُ لا يَسْتحيِي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً بِالبَعوضَةِ فمَا فَوْقَها . اذْكُرِ الآياتِ الّتي أَخْبرَتْ عَنْ ذَلِكَ فِي سورةِ البَقَرَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا أثَرَ الأَمْثالِ القُرآنيَّةِ علىٰ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِك .

٣ـ لِمَاذَا تَنْهَىٰ الصَّلاةُ صَاحِبَها عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ؟ ولِماذَا تَجِدُ بَعْضَ المُصَلِّينَ لا يَنْتَهونَ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكرِ ؟ سَجِّلِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدَّرسُ التَّاسِعُ

## سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (٤٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ (٤٨) بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٩) ﴾

### معاني المُفْرداتِ :

لاَ تُجادِلوا : لاَ تُناقِشوا وتُحاجِجوا .

أَهْلَ ٱلكِتابِ : ٱليَهُودَ وٱلنَّصارىٰ .

بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : بالخَصْلَةِ الطَّيِّبَةِ الحَسَنَةِ .

يَجْحَدُ بآياتِنا : يُنْكِرُ آياتِنا .

اْرْتابَ ٱلمُبْطِلونَ : شَكَّ الكافِرونَ المُتَّبِعونَ لِلباطِلِ .

### التفسيرُ :

أَمَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ المُؤْمنينَ بتلاوَةِ القُرْآنِ وذِكْرِ اللهِ وإقامةِ الصَّلاةِ ، وَوجّهتْ هٰذه الآياتُ المُؤْمنينَ إلىٰ كَيْفيَّةِ جِدالِ أَهْلِ الكِتابِ بالحُسْنىٰ ، وقدَّمتْ أَدِلَّةً مِنْ سِيرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ تُثْبِتُ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ .

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ .

يَقولُ اللهُ للْمُسلِمينَ : لاَ تُجادِلوا ولا تُناقشوا أَهْلَ الكِتابِ مِنَ اليَهودِ والنَّصارَىٰ إلاّ بالطَّريقَةِ الحَسَنةِ ، والأُسْلوبِ الهادِىءِ ، حتَّىٰ تُقْنِعوهُمْ وتُقيموا الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ ، لأنَّ الدَّاعِيَةَ لا يَنْجَحُ في دَعْوَتِه إلاّ إذا بلَّغَها بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ .

والجِدالُ بالّتي هِيَ أحْسَنُ يَنْفَعُ مَعَ المُنصِفينَ المَوْضوعِيِّينَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ، ولَكنَّهُ لا يَنْفَعُ مَعَ الظَّالِمينَ المُعاندينَ المُعْتَدينَ مِنْهُمْ ، الّذينَ لا يَسْمعونَ ولا يُفكِّرونَ ، ويَلْجَأونَ لِلْعُدْوانِ ، فَهؤلاءِ يُعامَلونَ بِالمِثْلِ ، ويُحارَبونَ لِوَقْفِ عُدوانِهِمْ وظُلْمِهِمْ .

وأَمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ بِدعْوةِ أهْلِ الكِتابِ إلىٰ الدُّخولِ فِي الإسْلام عِنْدمَا يُجادِلونَهُمْ ، وذَلِكَ بأنْ يَقولوا لَهُمْ : نَحْنُ المُسْلِمينَ آمَنَّا بالقُرْآنِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ علىٰ نَبيِّنا مُحَمّدٍ ﷺ وآمنَّا بالتَّوْراةِ الّتي أَنْزَلها اللهُ علىٰ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وبالإنْجيلِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ عيسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وإلَهُنا وإلَهُكُم واحدٌ ، وهُوَ اللهُ ربُّ العالَمينَ لا شَريكَ لَهُ ، وقَدْ أَسْلَمْنا وخَضَعْنا لهُ ، واتَّبعْنا رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ وإذَا أَرَدتُمُ النّجاةَ والجَنَّةَ فادْخُلوا فِي الإسْلام مَعَنا .

قالَ اللهُ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ ، أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضَاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ ، فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا : اشْهَدوا بِأَنّا مُسْلِمونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

ومِنَ المَعْلوم أنَّ اللهَ نَسَخَ الكُتُبَ السَّابقةَ بالقُرْآنِ ، وأَوْجَبَ علىٰ اليَهودِ والنَّصارَىٰ الدُّخولَ في الإسلامِ ، فإنْ لَمْ يَفْعلوا ذَلِكَ كانوا كُفّاراً مُخلَّدينَ في النّارِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ .

يُؤْمِنُ المُؤْمِنونَ بالكُتُبِ الّتي أَنْزَلَها اللهُ عَلَىٰ الرُّسُلِ السَّابقينَ ، كالتَّوْراةِ والزَّبورِ والإنْجيلِ ، ويُؤْمِنونَ بالقُرْآنِ ، ولِذَلِكَ يَقولُ اللهُ لِرَسوله مُحَمَّدٍ ﷺ : كمَا أَنْزَلْنا الكُتُبَ علىٰ الرُّسُلِ الّذينَ مِنْ قَبْلِكَ ، كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إلَيْكَ هٰذا الكِتابَ ـ القرآنَ الكَريمَ ـ وجَعَلْناهُ هُدىً لِلنّاسِ ، وأَمَرْنا النَّاسَ جَميعاً بالإيمانِ به .

وبَعْضُ أهْلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارَىٰ يُؤْمنونَ بالقُرْآنِ ، ويَشْهدونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، ويَدْخُلونَ فِي الإسلامِ ، مِثْلُ عَبدِ اللهِ بنِ سَلامِ اليَهوديِّ ، وصُهَيْبٍ الرُّوميِّ ، وسَلْمانَ الفارِسيِّ والنَّجاشيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ ـ .

وبَعْضُ هؤلاءِ العَرَبِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وغَيْرِهِمْ يُؤْمِنون بالقُرْآنِ ، ويَدْخلونَ فِي الإسلامِ ، وهُمْ مُعْظَمُ الصَّحابةِ مِنَ المُهاجِرينَ والأنْصارِ الّذينَ أَسْلَموا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ .

وكَثيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمْ يُؤمنوا بالقُرْآنِ وكانُوا كباقي الكافِرينَ مُعانِدينَ مُتَّبِعينَ لِلباطِلِ ، ولِذَلِكَ جَحدُوا بآياتِ القُرْآنِ ، وأَنْكروا أنْ تَكونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وبِذَلِكَ اسْتَحقَّوا عذابَ اللهِ .

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

الكافِرونَ يُنكِرونَ أنْ يَكونَ القُرْآنُ كلامَ اللهِ ، ويَزْعُمونَ أنَّه مِنْ تَأْليفِ مُحَمَّدٍ ﷺ وهٰذا ضَلالٌ مِنْهُمْ ، فَكيْفَ يَكتُبُهُ ويُؤَلِّفُهُ رَسولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ لمْ يَقْرأ ولَمْ يَكْتُبْ ؟

ولِذَلِكَ يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : ما كُنْتَ تَقْرَأُ كُتُباً قَبْلَ إنْزالِ القُرْآنِ عَلَيْكَ ، ولَمْ يَسْبِقْ لَكَ أنْ كَتَبْتَ شَيْئاً بيَمينِكَ ، وقَوْمُكَ يَعْرفونَ أنَّك أُمِّيٌّ ، ولمْ تَتَعلَّمْ شَيْئاً مِنْ أَهْلِ الكتابِ أوْ غَيْرِهِمْ ، ولوْ كُنْتَ تَقْرَأُ أَوْ تَكْتُبُ قَبْلَ إنْزالِ القُرْآنِ عَليْكَ لَشَكَّ الكافرونَ بِكَ ، وقالوا : هٰذا الكِتابُ مِنْ كِتابَتِكَ وتَأْليفِكَ! فلماذَا يَرْتابونَ ويَشُكُّونَ وأَنْتَ أُمِّيٌّ ؟

وقَدْ أَكَّدَ هٰذا المَعنَىٰ قولُه تعالَىٰ : ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْراكُمْ بهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ ، أَفَلا تَعْقِلونَ﴾ [يونس : ١٦] .

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

لاَ يجوزُ للمُبْطِلينَ الكافرينَ أنْ يَرْتابوا ويَشُكُّوا فِي القُرْآنِ ، لأنَّ الأَدِلَّةَ البَيِّنَةَ كَثيرةٌ ، تُثْبِتُ أنَّ هذا القُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

وهٰذهِ الأَدِلَّةُ آياتٌ بَيِّناتٌ ، وبَراهينُ واضِحاتٌ ، مُسْتَقِرَّةٌ في صُدورِ وقُلوبِ الّذينَ أُوتوا العِلْمَ ؛ مِنْ أَهْلِ الكتابِ وغَيْرِهِمُ ، الّذينَ عَرَفوا الحَقَّ واتَّبعوهُ وصاروا مُسْلِمينَ ، وبذلكَ كانوا صادِقينَ مَعَ أنْفُسِهِمْ .

أمَّا المُبْطِلونَ الكافِرونَ فَقَدْ جَحدوا بآياتِ القُرْآنِ ، وأَنْكَروا الأَدِلَّةَ الواضِحَةَ الّتي تُثْبِتُ أنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ وفَعَلُوا ذَلِكَ عِناداً واسْتِكباراً ، وبذلكَ كانوا ظالِمينَ مُجْرِمينَ . والمُعانِدُونَ لا تَنْفَعُ مَعَهُمْ آيَةُ دَلالةٍ أوْ حُجَّةٍ ، لأنَّهُمْ مُتَّبِعونَ للباطلِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وجوبُ الدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظةِ الحَسَنةِ ، وجِدالُ أهْلِ الكِتابِ وغَيْرِهِمْ بالّذِي هوَ أَحْسَنُ .

٢ـ الظّالمونَ المُعْتَدونَ لا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الحُسْنىٰ ، ولا بدَّ مِنْ أنْ يُعامَلوا بالمِثْلِ .

٣ـ المَسْلِمونَ يُؤْمِنونَ بِجميعِ الكُتُبِ وجَميعِ الرُّسُلِ ، ويَدْعونَ أهْلَ الكتابِ إلىٰ أنْ يكونوا مِثْلَهُمْ فِي هٰذا .

٤ـ المُنصِفونَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ آمَنوا بالرّسولِ ﷺ وبالقُرْآنِ ، ودَخَلوا فِي الإسْلامِ ، ومَنْ لمْ يَفْعَلْ مِثْلَهُمْ مِنْ أهْلِ الكتابِ لَمْ يَكُنْ مُوحِّداً ولا مُؤْمناً .

٥ـ أُمِّيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي كَوْنِهِ لمْ يَقْرَأْ ولَمْ يَكْتُبْ ، دَليلٌ علىٰ أنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ .

٦ـ الّذينَ يَجْحدونَ بالقُرْآنِ همُ المُعانِدونَ المُتَكبِّرونَ ، وهُمْ ظالِمونَ كافِرونَ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ حدِّدِ المَطْلوبَ مِنْ أَهْلِ الكتابِ لِيكونوا مُؤْمِنينَ مَقْبولينَ عِنْدَ اللهِ .

٢ـ سَجِّلْ آيَتَيْنِ مِنَ القرْآنِ في أُسْلوبِ الدَّعوة والجِدال ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُما ذَلِكَ الأُسْلوبَ النَّاجِحَ .

٣ـ اذْكُرِ اثنينِ مِنَ اليَهودِ والنَّصارىٰ أسْلَموا علىٰ عهدِ الرّسولِ ﷺ .

٤ـ كَيْفَ تَجْعَلُ أُمِّيَّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ دَليلاً عَلىٰ أنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثَلاثَ صِفَاتٍ لِلْمُؤْمِنينَ مَعَ الإشارةِ إلىٰ كَلماتِ الآياتِ الدَّالَّةِ علىٰ ذَلِكَ .

٦ـ مَنِ الّذينَ يَجْحدُونَ بآياتِ اللهِ ؟ اسْتَخْرِجْ لَهُمْ مِنَ الآياتِ ثَلاثَ صِفاتٍ .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ رقم ( ١٢٥ ) مِنْ سورةِ النَّحْلِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّادسةِ والأَربعينَ ، واسْتَخْرِجْ منْهَا الأُسْلوبَ النَّاجِحَ في الدَّعوةِ .

٢ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ ( ١٠ ) مِنْ سورةِ الأَحْقافِ . واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ والأَربعينَ .

# الدَّرسُ العاشِرُ

## سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

لَوْلاَ : هَلاَّ .

آياتٌ : مُعْجزاتٌ مادِّيَّةٌ .

أَجَلٌ مُسَمًّى : مُدَّةٌ مُحَدَّدَةٌ مَعْلومَةٌ .

بَغْتَةً : فَجْأَةً .

يَغْشاهُمُ : يُصِيبُهُمْ وَيُحيطُ بِهِمْ .

### التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ القُرْآنِ ، وعَرَضَتْ أدلةً عِدَّةً على أنَّهُ كلامُ اللهِ ، ومَدَحَتِ الَّذينَ آمَنوا بهِ ، وَذَمَّتِ الَّذينَ جَحَدوا بآياتِهِ .

وتَتَحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ بَعْضِ شُبُهاتِ المُشْرِكِينَ حَوْلَ القُرْآنِ والوَحْيِ والنُّبوَّةِ ، وتَعْرِضُ بَعْضَ مَطالِبِهِمُ التَعْجيزيَّةِ ، وتَرُدُّ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

مِنْ شُبُهاتِ المُشْرِكينَ علَىٰ النُّبوَّةِ أَنَّهم نفَوْا أنْ يَكونَ مُحَمَّدٌ ﷺ رَسولاً لأنّه لَمْ يُقَدِّمْ لَهُمْ مُعْجزاتٍ مادِّيَّةٍ مَحْسوسَةٍ ، وقالُوا : هَلاّ أُنْزِلَ على مُحمدٍ مُعْجزَاتٍ مادِّيَّةٍ ، كما فَعَلَ أنبياءٌ سابِقونَ ، فَقَدْ أتَىٰ صالِحٌ بالنَّاقةِ ، وأتَى موسَىٰ بالعَصا وشَق البَحْرِ ، وأتَى عيسَىٰ بالمائِدَةِ . فلوْ كانَ مُحَمَّدٌ نبيًّا لأتَىٰ بِمِثْلِ ما أتَى بهِ أُولٰئكَ الأَنْبياءُ .

وقَدْ أمَرَ اللهُ رَسولَه ﷺ أنْ يَرُدَّ علَىٰ المُشْرِكينَ قائِلاً : الآياتُ والمُعْجزاتُ عِنْدَ اللهِ ، وأَمْرُ إنزالِها بيدِ اللهِ وَحْدَه ، وهُوَ حَكيمٌ فِي ما يُنْزِلُ مِنَ الآياتِ ، وهُوَ يَعْلَمُ لَوْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنونَ عِنْدَما يَرَوْنَ المُعْجزاتِ لأنزلَها ، ولكنَّه يَعْلَمُ أَنَّهم مُعَانِدون ولنْ يُؤْمِنوا .

وإنّ مُهِمَّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ فيهِمْ مَحْصورةٌ فِي أَنَّهُ نَذيرٌ مُبينٌ ، يُبَلِّغُهُمُ الدَّعْوَةَ ، ويُقيمُ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، ويُنْذِرُهُمْ ويُخَوِّفُهُمْ مِنَ العَذابِ ، ويُحَذِّرُهُمْ مِنَ الاسْتِمْرارِ علىٰ الكُفْرِ والتَّكذيبِ .

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

طَلَبَ الكُفّارُ إنْزالَ مُعْجزاتٍ مادِّيَّةٍ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ فَلَفَتَ اللهُ أَنْظارَهُمْ إلىٰ مَا هُو أعْظَمُ مِمَّا طَلَبوا ، وهُوَ إنْزالُ القُرْآنِ كِتاباً يُتلىٰ عَليْهِمْ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : أَمَا يَكْفِي المُشْرِكينَ دَليلاً علَىٰ نُبوّتِكَ أنّنا أَنْزَلنا عَلَيْكَ القُرْآنَ كتاباً يُتْلىٰ عَليْهِمْ ، مَعَ أَنَّكَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لا تَقْرأُ ولا تَكْتُبُ ؟

إنّ القُرْآنَ هُوَ أعْظَمُ آيةٍ ، ويُغْنِي عَنْ كُلِّ المُعْجزاتِ المَادِّيَّةِ الّتي طَلَبَها المُشْرِكونَ ، ودَلالتُهُ علىٰ النُّبوَّةِ مُسْتَمِرَّةٌ حتّىٰ قيامِ السَّاعةِ ، وجَعَلَ اللهُ القُرْآنَ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنينَ ، وذِكرَىٰ لَهُمْ يَتذكَّرون ما أَوْجَبَهُ اللهُ عَليْهِمْ عِنْدَما يَتلونَهُ .

وقدْ أكَدَّ هذهِ الحقيقةَ رسولُ اللهِ ﷺ . روَىٰ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ عنْ أبِي هريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ـ ؛ عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « ما مِنَ الأنبياءِ مِن نَبيٍّ إلاّ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ مَا مِثْلُهُ آمنَ عَلَيْهِ البَشَرُ ، وإنّما كانَ الّذي أُوتيتُهُ وَحياً أَوْحَاهُ اللهُ إليَّ ، فأَرْجُو أنْ أكونَ أَكْثَرَهُمْ تابعاً يَوْمَ القيامَةِ »[1] .

---

(١) صحيح البخاري ( ٦٦ ) كتاب فضائل القرآن . ( ١ ) باب كيفية نزول الوحي . حديث رقم : ٤٩٨١ .
وصحيح مسلم ( ١ ) كتاب الإيمان . ( ٦٨ ) باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ . حديث رقم : ١٥٢ .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

لِمَاذا يَطْلُبُ المُشْرِكونَ مُعْجِزةً تَشْهَدُ لِرَسولِ اللهِ ﷺ بالنُّبوَّةِ ؟ إنّ اللهَ يَشْهَدُ لَهُ ، وكَفَىٰ بهِ شَهيداً .

ولِذلكَ أَمَرَ اللهُ رَسولَه ﷺ أنْ يَقولَ لِلْمُشْركينَ : كفَىٰ باللهِ شاهِداً وحَكَماً عادِلاً ، بيْنِي وبيْنَكُمْ ، فَهُوَ عالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وقدْ شَهِدَ لِي بالنُّبوَّةِ ، مِنْ خِلالِ ما قَدَّمَ لِي مِنْ آياتٍ ومُعْجِزاتٍ ، وفِي مُقَدِّمتِها إنْزالُ القُرْآنِ ، وعَلَيْكُمْ أنْ تكتَفُوا بِشهادَةِ اللهِ ، وأنْ تُؤمِنوا بِي وتَتَّبعوني .

فإذا رَفَضْتُمْ ذٰلِكَ ، وأَصْرَرْتُمْ علىٰ تَكذيبِكُمْ كُنْتُمْ أنتُمُ الخاسِرينَ ، لأنَّ كلَّ الّذينَ آمنَوا بالباطِلِ ، وكَذَّبوا بالحَقِّ ، وكَفروا باللهِ خاسرون ، خَسِروا الدُّنيا والآخِرَةِ .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

مِنْ جَهْلِ الكُفّارِ وحَماقَتِهِمْ رَفْضُهُمْ شَهادةَ اللهِ لِرَسولِه ﷺ ومِنْ جَهْلِهِمْ وحَمَاقتِهِمْ أيضاً أنَّهُمْ كانُوا يَسْتَعْجِلونَ إيقاعَ العَذابِ بهِمْ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : يَتَعَجَّلُ كُفّارُ قُرَيْشٍ نُزولَ العَذابِ بهِمْ ، ويَطْلُبونَ مِنْكَ الإسْراعَ بِذلكَ ، والّذي يَمْنَعُ مِنْ ذلكَ هُوَ كَوْنُ العَذابِ مُحَدَّداً بأَجَلٍ مُسَمىً ، وَوَقْتٍ مَعْلومٍ ، وسَوْفَ يَأْتيهِمُ العَذابُ فَجْأَةً ، وَهُمْ غافِلونَ عَنْهُ ، لا يَحسُّونَ بِهِ ، ولا يَتوقَّعونَ مَجيئَهُ .

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

العذابُ سَيأتِي الكُفّارَ فَجْأَةً ، فَكَيْفَ يَسْتَعْجِلونَهُ ؟ وهُمْ فِي الآخِرَةِ ذاهبونَ حَتْماً إليْهِ ، فَهُوَ سَيَقَعُ بِهِمْ لا مَحالةَ ، وسَتُحيطُ بهِمْ جهنَّمُ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، وعِنْدَ ذلكَ سَيغشَاهُمُ العَذابُ ويُعُمُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ .

وبينَما هُمْ يُعذَّبونَ يُقالُ لهُم ـ مِنْ بابِ التَّوبيخِ ـ ذوقوا العَذابَ الّذِي اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ فِي الدُّنيا ، وقَدْ أَوْقعَ اللهُ بكُمْ جَزاءَ مَا كُنْتُمْ تَعملونَه فِي الدُّنْيا مِنْ كُفْرٍ وعِصيانٍ .

وعلَىٰ هٰذا قولُه تعالَىٰ : ﴿وَيَقولونَ مَتَى هَذا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صادقِينَ . لَوْ يَعْلَمُ الّذينَ كَفَروا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجوهِهِمُ النّارَ ولا عَنْ ظُهورِهِمْ ولا هُمْ يُنْصَرونَ﴾ [الأنبياء : ٣٨ـ٣٩] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القُرْآنُ أعْظَمُ آيةٍ ومُعْجزَةٍ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وأثَرُهُ مُسْتَمِرٌّ حتّىٰ قيامِ السَّاعَةِ .

٢ـ شَهِدَ اللهُ لِرَسولِه ﷺ بالنُّبوَّةِ والصِّدْقِ ، مِنْ خِلالِ إنْزالِ القُرْآنِ عَليْهِ ونَصْرِهِ .

٣ـ كَيْفَ يَكونُ الرَّسولُ ﷺ كاذِبا على اللهِ وهُوَ ناصِرُهُ ومُؤَيِّدُهُ ومُعْلٍ شأْنَهُ ؟

٤ـ الخَسارَةُ الشَّامِلَةُ مُلازِمَةٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بالباطِلِ وكَفَرَ بالحَقِّ .

٥ـ لا يَسْتَعْجِلُ وُقوعَ العَذابِ إلاّ جاهِلٌ أحْمَقُ ، والعاقِلُ يَسْأَلُ اللهَ دَفْعَ العذابِ .

٦ـ العذابُ واقعٌ بالكُفَّارِ حتماً فِي جهنَّمَ عِنْدَما يَغْشاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا الّذي طَلَبَه المُشْرِكونَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ؟ وبِماذا رَدَّتِ الآيةُ الأُولَىٰ (رقم :٥٠) عَليْهِمْ ؟

٢ـ لماذا كانَ القُرْآنُ أعظمَ آيةٍ لِلنَّبيِّ ﷺ ؟ اسْتَشْهِدْ علىٰ ذَلِكَ بالحديثِ .

٣ـ كَيْفَ كانتْ شَهادةُ اللهِ لِرَسولِه ﷺ ؟

٤ـ لِماذا اسْتَعْجَلَ الكُفَّارُ العَذابَ ؟ وبِماذا رَدَّتِ الآيةُ عَليْهِم ؟

٥ـ اسْتَعرِضْ كَيْفيّةَ عَذابِ الكُفَّارِ فِي جَهنَّمَ كما ذكَرَتْها الآياتُ .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيَةَ ( ٥٩ ) مِنْ سورةِ الإسْراءِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا سَبَبَ عَدَمِ إنْزالِ مُعْجِزاتٍ مادِّيَّةٍ كمَا طَلَبَ المُشْرِكونَ ، والهَدَفُ مِنْ إنْزالِ تِلْكَ الآياتِ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الحَديثِ الَّذي مرَّ مَعَكَ فِي الدّرسِ أَرْبعَ حَقائقَ حَوْلَ مُعْجزاتِ الأنبياءِ السَّابِقينَ ، والمُعْجِزَةَ الأُولَىٰ لِلرَّسولِ ﷺ .

* * *

# الدَّرسُ الحادي عَشَرَ

## سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

ذَآئِقَةُ ٱلمَوْتِ : سَوْفَ تَمُوتُ لاَ مَحالَةَ .

إِلَيْنا تُرْجَعونَ : تَعودونَ إِلَىٰ ٱللهِ يَوْمَ القِيامَةِ .

لَنُبَوِّئَنَّهُم : لَنُنْزِلَنَّهُم .

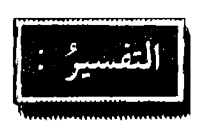
نِعْمَ أَجْرُ ٱلعامِلينَ : أَجْرٌ عَظِيمٌ لِلْعامِلينَ .

كَأَيِّنْ : كَمْ .

أَنَّىٰ يُؤْفَكونَ : كَيْفَ يُصْرَفونَ عَنْ تَوْحيدِ ٱللهِ .

يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ : يُوَسِّعُ الرِّزْقَ وَيَزيدُهُ .

يَقْدِرُ لَهُ : يُضَيِّقُ الرِّزْقَ وَيُقَلِّلُهُ .



التفسيرُ :

ذَكَرتِ الآياتُ السَّابِقةُ بَعْضَ طَلَباتِ المُشْركينَ مِنْ رَسولِ ٱللهِ ﷺ وردَّتْ عَلَيها وهَدَّدتهُمْ بِوقوعِ العَذابِ بِهِمْ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ إنْ استَمرُّوا علَىٰ كُفْرِهِمْ .

وتبيِّنُ هذهِ الآياتُ أنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ المُتَكَفِّلُ بِعبادِهِ ، وتَدعو المُؤْمِنينَ إلىٰ الهِجْرَةِ بدينِهِمْ ، وتُقدِّمُ لهُمْ صورةً مِنَ النَّعيمِ الَّذي يَنْتَظِرُهُمْ فِي الجَنَّةِ .

﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

يَقولُ اللهُ لِعبادِهِ المُؤْمِنينَ : يَا عبادِي المُؤْمِنِينَ : إذَا آذاكُمُ الكُفَّارُ فِي أرْضِكُمْ ، ومَنعوكُمْ مِنَ الإيمانِ والعِبادَةِ وإقامَةِ شَعائِرِ الدّينِ ، فلاَ تَبقوا عِنْدَهُمْ ، وعَلَيْكُمْ بالهِجْرَةِ إلىٰ أرضٍ أُخْرَىٰ ، تَقْدرونَ فِيها علىٰ العبادَةِ وإقامَةِ الدِّينِ .

واعْلَمُوا أنَّ أرضِيَ واسِعَةٌ ، والبِلادَ كَثيرةٌ ، وأنا مَعَكُمْ بالحِفْظِ والرِّعايةِ في أيِّ مَكانٍ تُهاجِرونَ إليْهِ .

وقدْ نَفَّذَ الصَّحابةُ هٰذا التَّوْجيهَ الرَّبانيَّ ، لمَّا اشْتَدَّ أذىٰ قُرَيْشٍ بهِمْ في مَكَّةَ ، حَيْثُ هاجروا إلىٰ الحَبَشةِ ، ثمَّ إلىٰ المَدينةِ ، وانْتَصَرَ الإسْلامُ بَعْدَ الهِجْرَةِ .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ بالإخلاصِ في العبادةِ ، حتّىٰ لَوْ أدَّى ذَلِكَ إلىٰ الهجرةِ ، ذَكَرَ لَهُمْ أنَّ الدُّنيا لَيْسَتْ دارَ بقاءٍ ، فَهِيَ إلىٰ زَوالٍ وفَناءٍ .

قالَ لهُمْ : كلُّ نَفْسٍ سَتموتُ ، سَواءٌ أكانتْ مُؤْمنةً أمْ كافِرَةً ؛ لأنَّ المَوْتَ حَقٌّ ، كَتَبَهُ اللهُ علىٰ كُلِّ مَخْلوقٍ ، وأينَما تكونوا يَدْرِكْكُمُ المَوْتُ ، فكونوا مُطيعينَ للهِ ، لِتَموتوا علىٰ الطَّاعةِ ، وإلىٰ اللهِ المَرْجِعُ والمَآبُ ، حَيْثُ سَيُحاسَبُ كُلُّ إنْسانٍ علىٰ ما عَمِلَ ، مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

بما أنَّ النَّاسَ جَميعاً سيموتونَ ويُحَاسَبونَ يَوْمَ القيامَةِ ، فَمِنَ المُناسِبِ أنْ يَذْكُرَ ثَوابَ المُؤْمِنينَ الصَّالِحينَ ، ونَعيمَهُمْ في الجَنَّةِ ، تَرْغيباً لهُم فِي الطَّاعةِ .

هَؤلاءِ المُؤْمِنونَ المُطيعونَ المُكْثرونَ مِنْ عَمَلِ الصَّالِحاتِ فائِزونَ مُفْلِحونَ يَوْمَ القيامَةِ ، حَيْثُ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ ، ويُنْزِلُهُمُ المَنازِلَ العَالِيَةَ الشَّريفَةَ فِيها ، الَّتي تَجْرِي الأَنْهارُ مِنْ تَحْتِها ، وَهُمْ

مُخَلَّدُونَ في ذَلِكَ النَّعيمِ ، وهَذا جَزاءٌ لَهُمْ علىٰ اسْتِقامَتِهِمْ فِي الدُّنْيا ، ونِعْمَتْ تِلْكَ الغُرَفُ أَجْراً وجَزاءً لَهُمْ علىٰ أعْمالِهِمُ الصَّالِحَةِ .

ومِنْ صِفاتِ هؤلاءِ المُؤْمِنينَ العامِلينَ الصَبْرُ والتَوَكُّلُ علىٰ اللهِ ، فَقَدْ صَبروا علىٰ القيامِ بكلِ ما أَمَرَهُمْ بهِ ، وفوَّضوا أمورَهُمْ إِليْهِ ، وتوكَّلوا عَليْهِ ، ورَضوا بقَضائِه .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

المُؤْمنونَ يَتوكَّلونَ علىٰ اللهِ ، وهُوَ نِعْمَ الوَكيلُ ، وهُوَ الرَّزَّاقُ لَهُمْ ولِغَيْرِهِمْ ، رِزْقُهُ يَشْمَلُ جَميعَ خَلْقِهِ أينَما كانوا سَواءٌ أكانوا إنْساً أَمْ جِنًّا أَمْ حَيواناتٍ . وكَمْ مِنْ دابَّةٍ لا تُطيقُ حَمْلَ رِزْقِها لِضَعْفِها ، أوْ لا تَسْتَطيعُ جَمْعَهُ وادِّخارَهُ ، يَرْزُقُها اللهُ ويُيَسِّرُهُ لَهَ ، إنَّه سُبحانَهُ حَكيمٌ في مَا يُقدِّمُ لِعبادِهِ مِنَ الرِّزقِ ، ويُقَدِّمُ لِكُلِّ مَخْلوقٍ مَا يُصْلِحُهُ مِنَ الرِّزقِ ، وَهُوَ سَميعٌ لأقْوالِ عِبادِهِ ، وعَليمٌ بما فِي ضَمائِرِهِمْ وقُلوبِهِمْ .

وهٰذا كقولِه تعالَىٰ : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ إلاَّ عَلى اللهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها ، كُلٌّ في كِتابٍ مُبينٍ﴾ [هود : ٦] .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

اللهُ الرّازقُ لِكُلِّ المَخْلوقِينَ ، وهُوَ الخالِقُ لمَا فِي السَّمواتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهما ، حتّىٰ المُشْرِكين باللهِ يَعْتَرِفون بهذِهِ الحَقيقةِ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : لئِنْ سَأَلْتَ هؤلاءِ المُشْرِكِينَ باللهِ ، وقُلْتَ لَهُمْ : مَنِ الّذي أَوْجَدَ السَّمواتِ ومَا فِيها ، والأَرْضَ ومَا عَلَيْها ، وذَلَّلَ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، يَجْرِيانِ لِمَصالِحِ النَّاسِ علىٰ الأَرْضِ ؟ فَسَيقولونَ : اللهُ وَحْدَه هُوَ الخالِقُ ، خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ .

ومَعَ إقْرارِهِمْ بأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الخالِقُ ، فإنَّهُم يُشرِكونَ بهِ آلِهَةً أُخرَىٰ ، ويَعْبُدونَها مِنْ دونِهِ ، معَ أَنَّها لا تَخْلُقُ ولا تَرْزُقُ ، فَكَيْفَ يَفْعلونَ ذَلِكَ ، وكَيْفَ يُصْرَفونَ عَنْ تَوْحيدِ اللهِ ويُشْرِكونَ بهِ غَيْرَهُ .

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

اللهُ هُوَ الخالِقُ لِمَا فِي السَّمواتِ والأَرْضِ ، وهُوُ الرّازِقُ لِلْمَخلوقاتِ كُلِّها . وهُوَ حَكيمٌ في ما يَمْنَحُ عِبادَهُ مِنَ الرِّزقِ ، فَيُوسِّعُ الرِّزقَ على مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ويُكثِّرُهُ لَهُ وَيزيدُهُ مِنْهُ . ابتلاءً وامْتِحاناً لَهُ ، ويُضَيِّقُ الرِّزقَ علَىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه ويُقَلِّلُهُ لَهُ ، ابْتِلاءً وامْتِحاناً أَيْضاً .

واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ، فَهُوَ يَعْلَمُ ما يَصْلُحُ لِعبادِهِ مِنَ الأَرْزاقِ والأَمْوالِ ، ولِذَلِكَ مَيَّزَ بيْنَهم فِي الأَرْزاقِ ، فَجَعَلَ مِنْهُمُ الغَنِيَّ والفَقيرَ ، لِيَشْكُرَ الغَنيُّ ، ويَصْبِرَ الفَقيرُ .

ولا يَجوزُ أنْ يَعْتَبِرَ الإنْسانُ كَثْرةَ رِزْقِهِ عَلامةَ مَحَبَّةِ اللهِ لَهُ ، وقِلَّةَ رِزْقِهِ عَلامةَ بُغْضِ اللهِ لهُ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

يَقولُ اللهُ لِنبيِّه ﷺ : لَئِنْ سَأَلْتَ المُشْرِكِينَ وقُلْتَ لهُم : مَنْ نزَّلَ الغَيْثَ مِنَ السَّحابِ إلىٰ الأرْضِ ، فأَحيَا بِهِ الأرْضَ ، بِمَا أنْبتَ فيهَا مِنَ النَّباتِ الأخْضَرِ ، بَعْدَ أنْ كانَتْ مَيْتَةً جَدباءَ لا حَرَكةَ ولا نباتَ فيهَا ؟ سَيَقولونَ : اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الّذي يَفْعَلُ ذَلِكَ! ومَعَ ذَلِكَ يُشْرِكونَ بهِ غَيْرَهُ!

وعِندَما تَسْمَعُ يَا مُحَمَّدُ ذَلِكَ الجَوابَ مِنْهُمْ فَقُلِ : الحَمْدُ للهِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ والثَّناءِ والعِبادةِ ، لأنَّهُ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُتَكفِّلُ وَحْدهُ ، فلا شَريكَ لَهُ .

وَعِندَمَا تَنْظُرُ إلىٰ المُشْرِكِينَ تَجِدُهُمْ لا يَعْقِلونَ ، وإنَّما يَقعونَ في تَناقُضٍ عَجِيبٍ ، فَهُمْ يَعْتَرِفونَ بأنَّ اللهَ وَحْدَه هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ ، المُحْيِي المُميتُ ، ومَعَ ذلكَ يَعْبُدونَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنَ الآلِهَةِ الباطِلَةِ ، الَّتِي يَعْتَرِفونَ بأنَّها لا تَخْلُقُ ولاَ تَرْزُقُ!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إذَا مُنِعَ المُؤْمِنُ مِنْ إقامَةِ شَعائِرِ الدّينِ في بَلَدٍ مُعيَّنٍ فَعَلَيْهِ الهِجْرَةُ إلىٰ بَلَدٍ آخَرَ .

٢ـ المُؤْمِنُ البَصيرُ يَعْمَلُ لِما بَعْدَ المَوْتِ ، ويَسْتَعِدُّ لِلرُّجوعِ إلىٰ اللهِ ، لأنّهُ يُوقِنُ بالمَوْتِ والبَعْثِ .

٣ـ يُكافِىءُ اللهُ المُؤْمِنينَ العامِلينَ المُطيعينَ بالجَنَّاتِ ومَا فيها مِنْ نَعيمٍ ، وهٰذا الأَجْرُ نِعْمَ أَجْرُ العامِلينَ .

٤ـ يَجِبُ أنْ يوقِنَ المُؤْمِنُ بأنَّ اللهَ هوَ الرَّازِقُ ، ولا يَقْلَقُ علَىٰ رِزْقِهِ .

٥ـ مُشْركو العَرَبِ كانوا مُقِرِّينَ بِتَوْحيدِ الرُّبوبيةِ ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ ، لِشِرْكِهِمْ بِتَوْحيدِ الأُلوهيةِ ، وكُفْرِهِمْ باليَوْمِ الآخِرِ .

٦ـ اللهُ حَكيمٌ فِي ما يُوزِّعُ علَىٰ عِبادِهِ مِنَ الرِّزقِ ، فَيُوَسِّعُهُ علَىٰ مَنْ يشاءُ ، ويُضَيِّقُ علَىٰ مَنْ يشاءُ ، ولَيْسَ الرِّزقُ مُصادَفَةً ولا حَظاً ، بَلْ بتقديرِ اللهِ .

٧ـ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ المُسْتَحِقّ لِلْحَمْدِ ، لأنَّهُ هُوَ المُدبِّرُ لأَمْرِ السّمواتِ والأَرْضِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَتىٰ تَجِبُ عَلىٰ المُؤْمِنينَ الهِجْرَةُ ؟

٢ـ اذكُرْ ثَلاثةَ آثارٍ إيجابيَّةٍ علىٰ سُلوكِ المُؤْمِنِ . عِنْدَ يقينِهِ بالْمَوْتِ والرُّجوعِ إلىٰ اللهِ .

٣ـ اذْكُرْ صِفتيْنِ للمؤْمِنينَ الّذينَ يُسْكِنُهمُ اللهُ غُرَفَ الجَنَّةِ ، وَرَدَتا فِي آياتِ الدَّرْسِ .

٤ـ عندَما يَتوكَّلُ المُؤْمِنُ فِي رِزْقِهِ علىٰ اللهِ ؛ ماذَا يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ آثارٍ علىٰ حَياتِهِ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ سُؤالَيْنِ مُوَجّهيْنِ لِلْمُشرِكينَ ، وإجابتَهُمْ عَلَيْهِما .

٦ـ هلْ كَثْرةُ الرِّزقِ هِيَ أَساسُ التَّكريمِ عِنْدَ اللهِ ؟ ولِماذا ؟

٧ـ يَقَعُ الكُفَّارُ فِي تَناقُضٍ عَقْلِيٍّ ، بَيْنَ إيمانِهِمْ باللهِ وشِرْكِهِمْ بهِ ، وضّحْ ذَلِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفترِك الآيةَ ( ١٨٥ ) مِنْ سورةِ آلِ عِمْرانَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ والخمسينَ ، واسْتَخرجْ مِنهَا ثلاثَ حَقائِقَ حَوْلَ الدُّنيا والآخِرَةِ .

٢ـ سجِّلِ الآيةَ ( ٢٧ ) مِنْ سورةِ الشُّورَىٰ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا حِكْمَةَ عَدَمِ تَكْثيرِ الرِّزقِ لِلنَّاسِ جَميعاً ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ الثانية والسِّتينَ .

* * *

## الدَّرسُ الثَّاني عَشَر

# سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

لَهِيَ ٱلحَيَوانُ : هِيَ دَارُ الحَياةِ الحَقِيقِيَّةِ الَّتي لاَ فَناءَ فِيها .

ٱلفُلْكِ : ٱلسُّفُنِ ٱلجَارِيَةِ فِي ٱلبَحْرِ .

مُخْلِصينَ لَهُ ٱلدِّينَ : تَدْعونَ ٱللهَ وَحْدَهُ عِنْدَ ٱلشِّدَّةِ .

لِيَتَمَتَّعوا : لِيَتَلَذَّذوا وَيَسْتَمْتِعوا بالمُتَعِ الدُّنْيَوِيَّةِ .

حَرَماً آمِناً : مَكاناً يَأْمَنُ ٱلنَّاسُ فِيهِ وَهُوَ المَسْجِدُ الحَرامُ .

يُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ : يُخْطَفُ النَّاسُ خارِجَ مَكَّةَ لأنَّهُ لاَ أَمانَ لَهُم .

مَثْوًى : مَأْوىً ومُسْتَقَرٌّ .

سُبُلَنا : طُرُقَ الخَيْرِ الَّتي تُوصِلُ إِلَيْنا .




ذَكَرتِ الآياتُ السَّابِقةُ تناقُضَ الكُفَّارِ ، فَبَيْنَما هُمْ يَعْتَرِفون بأنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ ، يُشْرِكون مَعه آلِهَةً أخرَىٰ .

وتَذْكُرُ هذهِ الآياتُ اضْطرابَ أحْوالِ الكُفَّارِ ، فهُمْ عِنْدَ الشِّدَةِ والمِحْنَةِ لا يَدْعونَ إلاَّ اللهَ ، وعِنْدَ الرَّخاءِ يُشْرِكونَ بهِ غَيْرَهُ ، بالرَّغْمِ مِنْ أنَّهُمْ يُقيمونَ حَوْلَ بَيْتِهِ المُحَرَّمِ . فَهُمْ مُخلَّدونَ فِي النَّارِ ، فِي مُقابلِ خُلودِ المُؤْمنينَ المُجاهِدينَ فِي الجَنَّةِ .

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

يَضَعُ اللهُ أمامَ المؤمنِ الميزانَ الدَّقيقَ ، لِيَعْرِفَ حَقيقةَ الدُّنْيا بالنِّسْبَةِ لِلآخِرَةِ ، فَيَطْلُبُ الدَّارَ الباقِيَةَ ، ولِذلِكَ يُخْبِرُه اللهُ بأنَّ هذهِ الحَياةَ الدّنْيا زائِلةٌ ، وَقائِمَةٌ علىٰ اللَّهْوِ واللَّعِبِ ، يَلْهو النَّاسُ ويَلْعبون ويَسْتَمْتِعونَ فيها ، ويَنْسَوْنَ في أثناءِ لَهْوِهِمْ ولَعِبِهِمُ الآخِرَةَ والاسْتِعدادَ لها .

أمَّا المُؤْمِنُ فإنَّه يَعْلَمُ أنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ هِيَ الّتي تَسْتَحِقُّ الطَّلَبَ ، وأنَّ حياتَها هِيَ الحَياةُ الباقِيَةُ الدَّائِمَةُ الّتي لاَ تَزولُ ولاَ تَنْتَهي .

واعْتَبرتِ الآيةُ الدَّارَ الآخِرَةَ « الحيوانَ » والكَلِمَةُ مَصْدَرٌ بمعنَىٰ الحياةِ ، لكنْ فيها مِنْ تَوكيدِ الحَياةِ والمُبالَغةِ في وصْفِها ، لأنّ الألِفَ والنُّونَ فيهَا تَدُلُّ علىٰ المُبَالَغَةِ .

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ فِي الدُّنْيا يَلْهونَ ويَلْعَبونَ ويُشْركونَ باللهِ عِنْدَ الرَّخاءِ ، لكنَّهُمْ عِنْدَ الشّدَّةِ يَدْعونَ اللهَ وَحْدَهُ بإخلاصٍ وجِديَّةٍ .

فَعِنْدَما يَرْكَبونَ السَّفينةَ ، وتَجْري بهِمْ وَسَطَ البَحْرِ ، وتَأْتيهِمُ الرِّيحُ العاصِفُ والمَوْجُ ، ويُوشِكونَ علىٰ الغرَقِ ، عِنْدَ ذلكَ يَدْعونَ اللهَ وَحْدَه ، ويُخْلِصونَ لَهُ في الدُّعاءِ ، ويُعاهِدونَهُ أنْ يكونوا مِنَ المُؤْمِنينَ الشّاكِرينَ إذا أنقذَهُمْ مِنْ هذهِ الشدَّةِ .

وعِنْدَما يُنَجِّيهِمُ اللهُ ، ويُوصِلُهُمْ إلىٰ البَرِّ سالِمينَ ، ويَعودونَ لِلرَّخاءِ واللَّهْوِ واللَّعِبِ ، يَنْسَوْنَ عَهْدَهُمْ مَعَ اللهِ ، ويُشْرِكُونَ مَعَه آلِهَةً أُخْرَىٰ .

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

عِنْدَما يَخْرُجُ الكُفَّارُ إلىٰ البَرِّ يُشْركونَ باللهِ ، وعاقِبَةُ شِرْكِهِمْ هِيَ الكُفْرُ باللهِ ، وجُحودُ ما آتاهُمْ مِنَ

النِّعَمِ ، والتَّمتُّعِ بِمُتَعِ الحياةِ الدُّنْيا ، ولَكِنْ هٰذا كُلُّهُ سَيزولُ ويَنْتَهِي ، حَيْثُ تَنْتَهِي حَياتُهُمْ بالموْتِ ، ويَوْمَ القيامَةِ يُحاسِبُهُمُ اللهُ علىٰ كُلِّ ما عَمِلوهُ في الدُّنْيا ، ويعاقِبُهُمْ علىٰ كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ ، وعِنْدَ ذَلِكَ سَيَعْلَمونَ كَمْ كانوا في الدُّنْيا مُخْطِئينَ وخاسِرينَ ، لَكِنْ بَعْدَ فَواتِ الأَوانِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

هٰؤلاءِ الكُفّارُ يَكْفرونَ بِنِعَمِ اللهِ ويَجْحَدونَها عِنْدَما يُشْركونَ بهِ ، ومِنْ أَهَمِّ النِّعَمِ الّتي أنْعَمَ بِها علىٰ كُفّارِ قُرَيْشٍ أنَّه جَعَلَهُمْ يَسْكُنونَ في مَكَّةَ ، حَوْلَ الكَعْبةِ المُشَرَّفَةِ والمَسْجدِ الحرامِ ، وجَعَلَهُمْ في أمانٍ بِسَببِ الحَرَمِ الآمِنِ ، بيْنَما القَبائِلُ العَرَبيَّةُ مِنْ حَوْلِهِمْ خائِفَةٌ ، يَتَخَطَّفُ بَعْضُهُم بَعْضاً ، ويَقْتُلُ بَعضُها بَعْضاً .

والأَمْنُ الّذي فيهِ أَهْلُ مَكَّةَ يُوجِبُ عَلَيْهِمْ أنْ يَعْبدوا اللهَ وَحْدَهُ ، وأنْ يَشْكُرُوهُ علىٰ نِعَمِهِ .

ولكنَّهُمْ أَشْرَكوا باللهِ ، وكَفروا نِعْمَتَه ، وآمَنوا بِالباطِلِ ، وتَركوا الحَقَّ ، وبذلكَ اسْتَحقُّوا عِقابَ اللهِ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

آمَنَ الكُفّارُ بالباطِلِ ، وجَحدوا نِعْمَةَ اللهِ وأشْركوا بهِ غَيْرَهُ ، وبذلكَ كانوا ظالِمينَ ، مُرْتَكِبينَ لأعْظَمِ أنْواعِ الظُّلْمِ وأَقْبَحِها ، وهُوَ الشِّرْكُ باللهِ .

ولَيْسَ مِنْ ظُلْمٍ أشَدُّ مِنْ ظُلْمِ مَنِ افترَىٰ علىٰ اللهِ كَذِباً ، بأنْ زَعَمَ أنَّ لَهُ شَريكاً ، أوْ كَذَّبَ بالحقِّ المُتَمَثِّلِ بالقُرْآنِ ، الّذي جاءَهُ مِنَ اللهِ ، أَوْ أَنْكَرَ نُبوَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ .

ونِهايةُ الظَّالِمينَ الكافِرينَ البَوارُ والخُسْرانُ ، حَيْثُ يُدْخِلُهُمُ اللهُ جَهَنَّمَ ، ويُخَلِّدُهُمْ فيها ، ويَجْعَلُها مَثْوىً لهُمْ ، يُقيمونَ فيها أَبَداً .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

بعدَ بيانِ نهايةِ الكافِرينَ الظَّالِمينَ جاءَ بَيانُ حُسْنِ عاقِبَةِ المُؤْمِنينَ المُجاهِدينَ المُحْسِنينَ .

كلُّ المُؤْمِنينَ المُجاهِدينَ في سبيلِ اللهِ ، يَهديهِمُ اللهُ سُبُلَ الخَيْرِ وطُرُقَ الفلاحِ ، ويُوفقُهمْ إلىٰ طريقِ السَّعادةِ في الدّنْيا والجَنَّةِ في الآخِرَةِ ، وبذلكَ يَكونونَ مُحْسِنينَ ، واللهُ مَعَ عِبادِهِ المُحْسِنينَ ، بالتَّأْييدِ والتَّوفيقِ ، والحِفْظِ والرِّعايةِ ، والنَّصْرِ والإعانةِ .

## دُرُوسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ لِلكفَّارِ واللاَّعِبينَ ، لكنَّها ابْتلاءٌ وعَمَلٌ وجِدٌّ عِنْدَ المُؤْمِنينَ .

٢ـ الحَياةُ الحَقيقيةُ الدائِمَةُ هيَ فِي الآخِرَةِ ، لأنَّها لا انْتهاءَ لَها ، بِعَكْسِ الحَياةِ الدُّنْيا الفانِيَةِ .

٣ـ فِطْرةُ الإنْسانِ تتَّجهُ إلىٰ اللهِ عِنْدَ الشِّدَةِ والضِّيقِ ، حتَّى لوْ كانَ كافِراً .

٤ـ الشُّعورُ بالأَمْنِ نِعْمَةٌ عَظيمَةٌ مِنَ اللهِ ، لا بُدَّ وَأنْ يُقابِلَها المُؤْمِنُ بِحَمْدِ اللهِ وشُكْرِهِ .

٥ـ أَشدُّ أَنْواعِ الظُّلْمِ قُبْحاً الافْتِراءُ علىٰ اللهِ ، أوِ التَّكذيبُ بالحَقِّ ، أوْ تَكْذيبُ الرَّسولِ .

٦ـ المُجاهِدُونَ صادِقونَ مُحْسِنُونَ ، يُكْرِمُهُمُ اللهُ بالتَّوْفيقِ لِسُبُلِ الخَيْرِ وطُرُقِ الفَلاحِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ سَجِّلِ الفَرْقَ بَيْنَ نَظْرَةِ الكافِرِ ونَظْرةِ المُؤْمِنِ لِلحَياةَ الدُّنْيا .

٢ـ لماذَا اعْتَبرتِ الآيةُ « الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ » ومَا معنَىٰ كونِها حَيواناً ؟

٣ـ ماذَا يَفْعَلُ الكُفَّارُ وَقْتَ الشِّدَّةِ ؟ وماذَا يَفْعلونَ وَقْتَ الرَّخاءِ ؟

٤ـ اذْكُرْ أَهَمَّ نِعَمِ اللهِ علىٰ قُرَيْشٍ ، وماذَا يَجبُ عَلَيْهِمْ تُجاهَها ؟

٥ـ مَنْ أظْلَمُ النَّاسِ ؟ ومَا مَصيرُهُم ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ (رقم : ٦٩) جَزَاءَ اللهِ لِلمُجاهِدينَ ، وَوضِّحْ ذَلِكَ الجزاءَ .

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفْتَرِكَ الآيتَيْنِ ( ٢٢ـ٢٣ ) مِنْ سورةِ يونُسَ ، وَاذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَهما وبَيْنَ الآيةِ الخامسةِ والسِّتينَ .

٢ـ اكْتُبْ فِي دَفْتَرِكَ سورةَ قُرَيْشٍ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا أَهَمَّ نِعَمِ اللهِ علىٰ قُرَيْشٍ والوَاجبَ عَلَيْهِمْ مُقابِلَها .

* * *

# الدرس الثالث عشر

## سورة الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

### تعريف بالسورة

سورةُ الرُّوم مَكيَّةٌ ، وسُمِّيتْ بذلكَ لِلحَديثِ عَنِ الرُّوم في بِدايتِهَا ، مَوْضوعُها هُوَ تَثْبيتُ أُصولِ الإيمانِ وحَقائِقِ العَقيدةِ في النُّفوسِ ، ونقاشُ الكُفَّارِ وإبطالُ شُبُهاتِهِمْ ودَعواهُمْ .

وهِيَ مُتَناسِبَةٌ مَعَ سورةِ العَنْكبوتِ قَبْلَها ، فَكِلاهُما مُفْتَتَحَةٌ بالحُروفِ المُقَطَّعةِ « ألم » ، وكِلاهُما تَتحدَّثُ عَنِ العَقيدةِ وإبطالِ الشِرْكِ . وقدْ خُتِمَتْ سورةُ العَنْكبوتِ بِوَعْدِ اللهِ بِنَصْرِ المُجاهِدينَ ، وافْتُتِحَتْ سورةُ الرُّومِ بالحَديثِ عَنِ انْتصارِ الكِتابيِّينَ والمُؤْمِنينَ .

### معاني المفردات

- ٱلرُّومُ : اسْمُ أَقْوَىٰ دَوْلَةٍ فِي عَصْرِ نُزُولِ ٱلْقُرْآنِ .
- أَدْنَى ٱلْأَرْضِ : أَقْرَبِ أَرْضِ ٱلرُّومِ إِلَىٰ ٱلْفُرْسِ .
- غَلَبِهِمْ : بَعْدَ هَزِيمَتِهِم أَمامَ الفُرْسِ .
- بِضْعِ سِنِينَ : ٱلسَّنَوَاتِ مَا بَيْنَ ٱلثَّلَاثِ إِلَىٰ ٱلتِّسْعِ .
- لَا يُخْلِفُ : لَا يُلْغِي وَيُبْطِلُ .




﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

« ألفْ . لامْ . ميمْ » : ثلاثةُ حُروفٍ مُقطَّعةٍ ، افتُتِحَتْ بِها هذهِ السورةُ ، للإشارةِ إلىٰ تَحدِّي الكُفَّارِ وعَجْزِهِمْ وإثْباتِ أنَّ القُرآنَ كلامُ اللهِ .

وقدْ أخبرتِ الآياتُ عَنْ هزيمةِ الرُّومِ أَمامَ خُصومِهِمُ الفرْسِ ، وكانتْ الهَزيمَةُ فِي أقْرَبِ البِقاعِ إلىٰ العَرَبِ ، وهِيَ الواقعةُ بينَ الفُرْسِ والرُّومِ ، فِي بلادِ الشَّامِ .

ثم بيَّنَتِ الآياتُ أنَّ الرُّومَ سيَغْلِبونَ الفُرْسَ بعدَ هزيمتِهِمْ ، وسَيَنْتَصِرونَ عَلَيْهِمْ فِي مَعْرَكةٍ قادِمةٍ ، وسَتَقعُ هذهِ المَعْرَكةُ في بِضْعِ سِنينَ مِنَ المَعْرَكةِ الّتي انْهَزَموا فيها ، أيْ : أنَّها سَتكونُ في مُدَّةٍ لا تتجاوزُ تِسْعَ سِنينَ ، وهٰذا مَا أخْبَرَ عَنْهُ رسولُ اللهِ ﷺ .

وهٰذا الوَعْدُ بانْتِصارِ الرُّومِ خلالَ بِضْعِ سِنينَ إخبارٌ عنْ أمْرٍ سَيكونُ فِي المُسْتَقْبَلِ ، وجَزْمٌ بِوُقوعِهِ . وقدْ تَحققَّ هٰذا الخَبَرُ ، حَيْثُ وقَعْتِ المَعْرَكةُ الفاصِلةُ الّتي انْتَصَرَ فِيها الرُّومُ ، وصَدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ .

وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ، لأنَّ اللهَ هوَ الّذي يَعْلَمُ كلَّ شَيْءٍ ، ولَوْ كانَ مِنْ كلامِ النَّبيِّ ﷺ لما جَزَم بِذَلكَ .

﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ .

شاءَ اللهُ أنْ تَغْلِبَ الرّومُ الفُرْسَ ، وقدْ تَحقَّق ذَلِكَ ، لأنَّ اللهَ فَعَّالٌ لِما يُريدُ ، والأَمْرُ كلُّه لَه سُبْحانَه دائِماً ، مِنْ قَبْلِ غَلَبَةِ الرّومِ لِلفُرْسِ ومِنْ بَعْدِها ، فهوَ الّذي يَمْنَحُ دَوْلَةً القُوَّةَ ، فَتَغْلِبَ دَوْلَةً أُخرى بأَمْرِ اللهِ وقَدَرِهِ ، وهُوَ الّذي يَسْلِبُها القُوَّةَ فتَنْهَزِمَ بِأَمْرِ اللهِ وقَدَرِهِ .

ويَوْمُ انْتِصارِ الرّومِ علىٰ الفُرْسِ يُفْرِحُ المُؤْمِنينَ ، لأنَّ ذَلِكَ اليَوم انْتَصرَ فيهِ المُسْلمون على المشركين في غَزْوَةِ بَدْرٍ كَما صَحَّ في السِّيرَةِ .

ويَنْصُرُ اللهُ مَنْ يَشاءُ ، وهُوَ مَعَ أَوْلِيائِهِ دائِماً ، يَنْصُرُهُمْ علىٰ أَعْدائِهِمْ ، وهُوَ العَزيزُ القَويُّ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، وهُوَ الرَّحيمُ بِعبادِهِ المُؤْمِنينَ ، فَيَنْصُرُهُمْ على أَعْدائِهِمُ الكافِرينَ .

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

الإخْبارُ عنَ انْتصارِ الرُّوم علىٰ الفُرْسِ وَعْدٌ مِنَ اللهِ ، وَوَعْدُ اللهِ حَقٌّ لا بدَّ وأنْ يَقعَ ويَتَحقَّقَ كما أَخبرَ اللهُ ، لأنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ ، ولا يَعْجزُ عَنْ تنفيذِ مَا وَعَدَ به .

ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلمُونَ هذهِ الحَقيقةَ ، وهُمُ الكافِرُونَ الّذينَ يَسْتَغْرِبونَ ، ويَسْتَبْعِدونَ تَحقُّقَ ما وَعَدَ اللهُ بهِ ، وذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ بصفاتِ اللهِ ، وقُدْرَتِهِ على فِعْلِ ما يُريدُ .

أمَّا المُؤْمِنونَ بأنَّهم يَعْلمونَ أنَّ اللهَ فَعَّالٌ لِما يُريدُ ، فَهُمْ يُوقِنونَ بِتَحقُّقِ كُلِّ ما وَعَدَ اللهُ بهِ ، وَيَثِقونَ بِنَصْرِ اللهِ .

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

أكثرُ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ، وَهُمُ الكفَّارُ الجاهِلون بِصفاتِ اللهِ ، وسُنَنِهِ الّتي لا تَتبدَّلُ ، إنَّ هؤلاءِ الكفَّارَ يَعْلمونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا ، فَعِلْمُهُمْ مُوَجَّهٌ لِلْحياةِ الدّنْيا ، ومَعْرِفةِ عُلومِها الماديَّةِ ، وإتْقانِ اخْتراعاتِها ، والخِبْرةِ بِتنظيمِها وامْتِلاكِ مَتاعِها وأَمْوالِها ، والارْتِقاءِ بأساليبِ الصِّناعةِ والتِّجارةِ والزِّراعةِ والمَدَنيَّةِ ، والوصولِ في هذهِ العُلومِ إلىٰ مُسْتويَاتٍ عَاليةٍ .

لكنَّ هؤلاءِ الكفّارَ غافِلون عَنِ الآخِرَةِ ، لا يُفكِّرونَ فيها ، ولا يَسْتَعِدُّونَ لأَحْداثِها ، ولا يَهْتَمّونَ بإنقاذِ أنفُسِهِمْ مِنَ النَّارِ ، والفَوْزِ بِنَعيمِ الجَّنةِ ، كمَا أَنَّهُمْ جاهِلُونَ بِحقائِقِ الدِّينِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ دَلائِلِ صِدْقِ القُرْآنِ إخْبارُهُ عَنْ أَنْباء الغَيْبِ الَّتي تَتحدَّثُ عَنِ الأَنْباءِ الآتيةِ .

٢ـ وُجوبُ ثِقَةِ المُسْلِمينَ بتحقيقِ وَعْدِ اللهِ ، وجَزْمُهُمْ بِذلكَ ، كما حَصَلَ مِنَ الصِّديقِ في تَحدِّيهِ لِلْمُشْرِكينَ .

٣ـ يَقينُ المُسْلِمِ بأنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ، يُدَبِّرُ الكَوْنَ كما يَشاءُ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وهُوَ العَزيزُ الرَّحيمُ .

٤ـ يَفْرَحُ المُسْلِمونَ بِنَصْرِ اللهِ لأَوْليائِهِ ، ويُشْفونَ صُدورَهُمْ مِنْ هَزيمةِ أعدائِهِ .

٥ـ الكُفّارُ يَهْتَمّونَ بِتَحْصيلِ العِلْمِ الدُّنيويِّ الماديِّ ، ويَغْفَلونَ عَنِ العِلْمِ الدِّينيِّ النَّافعِ .

٦ـ المُسْلِمونَ مُطالَبونَ بإعدادِ القُوَّةِ الحَربيّةِ وتَحْصيلِ العُلومِ الّتي يَسْتعمرونَ بها الأَرْضَ ، فالعِلْمُ الدُّنيويُّ لَيْسَ قَصْراً على الكُفَّارِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ عنْ أيِّ شَيْءٍ أَخْبَرتِ الآياتُ الأُولَىٰ مِنْ سورةِ الرُّومِ ؟

٢ـ لِمَاذا أحبَّ الصَّحابةُ انْتصارَ الرّومِ ؟ ومَا دَلالةُ ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟

٣ـ مَا المُرادُ بأدنىٰ الأَرْضِ ؟ ومَا تحديدُ مُدَّةِ : بِضْعِ سِنينَ ؟

٤ـ كيفَ تَنْظرُ إلىٰ الوعودِ الّتي وَعَدَ اللهُ بها ؟ ولِماذا ؟

٥ـ مَا العِلْمُ الّذي أثبتَهُ اللهُ لِلكفَّارِ ؟ ومَا العِلْمُ الّذي نفاهُ عنهُم ؟

٦ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ العِلْمِ بظاهرِ الحياةِ الدُّنْيا وحَقيقةِ الحَياةِ الدُّنْيا ؟

## نَشاطٌ :

١ـ اذكرْ ثَلاثَةَ أَحْداثٍ جَزَم القُرْآنُ بِوقوعِها . وَوقَعَتْ كمَا جَزَمَ القُرْآنُ ، واكْتُبْها فِي دَفْتَرِك .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آيةِ قِصَّةِ هاروتَ وماروتَ فِي سورةِ البَقَرةِ ذَمَّ الّذينَ لا يَعْلَمُونَ ، ولاحِظْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهما وبَيْنَ الآيةِ السَّابعةِ ، واكتبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدرس الرابع عشر

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾

## معاني المفردات :

وَقْتٍ مُحَدَّدٍ .

نِهايَةُ .

حَرَثوهَا واسْتَصْلَحوهَا لِلزِّراعَةِ .

: مُؤَنَّثُ الأَسْوأ ، بِمَعْنَىٰ الأَقْبَحِ .

: يَخْلُقُ النَّاسَ ثُمَّ يُعِيدُهُم أَحْيَاءً يَوْمَ القِيامَةِ .

: يَسْكُتُ الكافِرونَ مُتَحَيِّرينَ آيِسينَ لِانْقِطاعِ عُذْرِهِم وَحُجَّتِهِم .

## التفسير :

ذمَّتِ الآياتُ السَّابقةُ الكافرينَ لِغفْلَتِهِمْ عَنِ الآخِرَةِ ، وتَرْكيزِ اهْتِمامِهِم وعِلْمِهِم علىٰ تَحصيلِ متاعِ الدُّنيا ، وهَدَّدَتْهُم بالعَذابِ يَوْمَ القيامَةِ .

وتَدعُو هذهِ الآياتُ إلىٰ التفكُّرِ فِي المَخْلوقاتِ الّتي خَلَقَها اللهُ ، والسَّيْرِ فِي الأَرْضِ للاعتبارِ بمَا يُشاهِدونَه مِنْ آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقينَ لِيُؤْمِنوا ويَنْجوا مِنَ العَذابِ يَوْمَ القيامةِ .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

تُنْكِرُ الآيةُ علىٰ الكُفَّارِ عَدَمَ تفكُّرِهِمْ فِي أنفُسِهِمْ ، وفِي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، وتَدْعوهُمْ إلىٰ التَّفكِيرِ والنَّظَرِ فِي أنْفُسِهِمْ ، وفِي مَشاهِدِ الكَوْنِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، لِيَهْتَدوا بذلكَ إلىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وحِكْمَتِهِ في أفْعالِهِ ، والاسْتِدْلالِ بهِ علىٰ انتهاءِ الدُّنْيا ومَجيءِ الآخِرَةِ .

اللهُ هوَ الّذي خَلَقَهُمْ لِحِكْمَةٍ ، وبالحَقِّ والصَّوابِ ، وجَعَلَ لِحَياتِهِمْ أجَلاً مُحَدَّداً ، تنتَهِي بالمَوْتِ ، واللهُ هوَ الّذي خَلَقَ المَخْلوقاتِ الكَثيرةِ فِي السَّمواتِ والأرْضَ ومَا بينَهُما لِحِكْمَةٍ ، وجَعَلَ لها آجالاً مُحَدَّدةً ، وجَعَلَ اللهُ لِلسَّمواتِ والأرْضِ مُدَّةً مُحَدَّدةً ، تنتهِي عِنْدَ قيامِ السَّاعةِ ، ثمَّ يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ جَميعاً لِلْحِسابِ يَوْمَ القيامةِ .

والكافِرُون يُشْرِكُونَ باللهِ ، ويُنْكِرونَ الحَياةَ بَعْدَ المَوْتِ ، ولاَ يُؤْمنونَ بالآخِرَةِ ، ولاَ يَرْجونَ لِقاءَ اللهِ ، ولوْ تفكَّرُوا في أنْفُسِهِمْ وفِي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ لَما أشْرَكُوا باللهِ ، ولما كفرُوا بالآخِرةِ!

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ دَعْوَةِ الكُفَّارِ إلىٰ التَّفكيرِ في أنْفسِهِمْ وفي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، تَدعوهُمْ هذهِ الآيَةُ إلىٰ الالْتِفاتِ لِمَنْ كانوا قَبْلَهُمْ ، وتَحثُّهُمْ علىٰ السَّيْرِ فِي الأرْضِ ، والتَّحَرُّكِ فِيها ، والوُقوفِ علىٰ آثارِ السَّابِقينَ ، لِلنَّظَرِ والاتِّعاظِ والاعْتبارِ ، كآثارِ قَوْمِ عادٍ وسَبَأٍ فِي الجَنوبِ ، وقَوْمِ ثَمودَ في الشَّمالِ ، وقَوْمِ لوطٍ ومَدْينَ في بلادِ الشَّام .

علىٰ هَؤلاءِ الكفّارِ الاعتبارُ مِنْ عاقبةِ والكُفّارِ الّذينَ كانوا مِنْ قَبْلَهِمْ وَنِهايَتِهِمْ ، وقَدْ كانوا أشَدَّ قُوَّةٍ وأكْثَرَ تَمْكيناً مِنْ كفار قُرَيْشٍ ، حَيْثُ مَكَّنَ اللهُ لهُم فِي الأرْضِ ، وحَرَثوا الأرْضَ وزَرعوها ، وعَمَروها وسَكَنوا فِيها ، أكْثَرَ مِمّا أثارَها وعمرَها كُفّارُ قريشٍ .

بَعَثَ اللهُ لِلْكُفّارِ السَّابقينَ رُسُلاً ، وأَجْرَىٰ علىٰ أيْديهِمُ البيِّناتِ والمُعْجزاتِ ، لَكنَّهُمْ كذَّبوا رُسُلَهُمْ وكفَروا باللهِ ، وعَصَوْا وطغَوْا ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بذُنوبِهِم ، ولمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ ظالِماً لهُمْ ، وإنَّما هُمُ الّذينَ ظَلَموا أنفُسَهُمْ بالكُفْرِ والتَّكذيبِ ، ولمْ تَنْفَعْهُمْ قُوَّتُهُمْ ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ .

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

مِنْ نَتائجِ السَّيْرِ فِي الأرْضِ ، والنَّظَرِ في آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقينَ ، الوقوفُ علىٰ عاقِبَةِ ونهايةِ الكفَّارِ الّذينَ أَساءوا بكفرِهِمْ وعِصْيانِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ ، فَقَدْ كانتْ « السُّوأَىٰ » هِي عاقِبَتُهُمْ .

و« السُّوأَىٰ » مؤنَّثُ « السُّوءِ » وهِيَ تَعنِي النِّهايةَ السَّيِّئةَ القَبيحةَ السَّوْداءَ الأَليمَةَ ، وكانتْ السُّوأَىٰ عَاقِبَةً لهُمْ لأنَّ الجَزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ، فماذا يُتَوقَّعُ أنْ تكونَ عاقِبَةُ المُسيئينَ غَيْرَ السُّوأَىٰ ؟

لقدْ أَساءوا بالتَّكذيبِ بآياتِ اللهِ ، والاسْتَهْزاءِ بهَا ، وعَدمِ اتّباعِ الرُّسُلِ ، والكُفْرِ باللهِ ، وبذلكَ اسْتَحقُّوا العِقابَ ، والهَلاكَ ، جَزاءً وِفاقاً .

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ يُنْكِرونَ الحَياةَ والبَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، ويَكْفُرونَ بالآخِرَةِ وما فِيها ، وهٰذا مِنْ جَهْلِهِمْ وَسوءِ تَفْكيرِهِمْ ، ففِي حَياتِهِمْ وحَياةِ مَا حَوْلَهُمْ أدِلَّةٌ يَقينيَّةٌ علىٰ البَعْثِ ، فاللهُ قَدْ خَلَقَ الخَلْقَ بِقُدْرتِهِ ، وهُوَ الّذِي يُعيدُهُ مَرَّةً ثانِيةً يَوْمَ القِيامةِ ، ومَنْ بدأَ الخَلْقَ وأَنْشأَهُ أوَّلَ مَرَّةٍ قادرٌ علىٰ إعادَتِهِ مَرَّةً ثانِيةً وعِنْدَما يُعيدُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيامةِ يُرْجَعونَ إليهِ ويُوقَفونَ بيْنَ يَديْهِ ، لِيُحاسِبَهمْ علىٰ ما عَمِلوا فِي دُنْياهُمْ .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القيامةِ ، فماذا يَكونُ حالُ المُجْرِمِين الكافِرينَ ؟

إنَّهم يُبْلِسونَ ويَيْأَسونَ ويَحْتارونَ ، وتَنْقَطِعُ عَنْهُمُ الحُجَّةُ ، لِما يُشاهدونَ مِنْ أهوالِ يَوْمِ القِيامةِ ، ولَنْ يَجدوا شُفَعاءَ يَشْفعونَ لهُمْ أَوْ يُنْقِذونَهُمْ ، ولَنْ يَنْفَعَهُمُ الشُّركاءُ الّذينَ جَعلوهُمْ آلِهَةً فِي الدُّنْيا ، وسَيَكْفرونَ بهؤلاءِ الشُّرَكاءِ يَوْمَ القِيامةِ ، لأنَّهُمْ يَتخلَّوْنَ عَنْهُمْ وهُمْ أَحْوَجُ ما كانُوا إليهِمْ . كمَا قالَ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿إذْ تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعوا مِنَ الَّذينَ اتَّبَعوا ورأوْا العَذابَ وَتَقَطَّعتْ بِهِمُ الأَسْبابُ . وقالَ الَّذينَ اتَّبَعوا لَوْ أَنَّ لنا كَرَّةً فَنتبرَّأَ مِنْهُم كَمَا تَبَرَّءوا مِنا﴾ [البقرة : ١٦٦ـ١٦٧] .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تَفَكُّرُ الإنسانِ فِي آياتِ اللهِ ، في نَفْسِهِ وفي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِه يَزيدُ إيمانَهُ باللهِ .

٢ـ خَلَقَ اللهُ السّمواتِ والأرْضَ بالحق ، والحَقُّ أَنْ تَكونَ مُعَبَّدَةً للهِ الواحِدِ الأَحَدِ .

٣ـ وُجوبُ السَّيْرِ فِي الأرْضِ ، والوُقوفُ علَىٰ آثارِ السَّابِقينَ ، والاعْتِبارُ مِمَّا جرَىٰ لهُم .

٤ـ الكفَّارُ غافلونَ مَطْبوعٌ على قُلوبِهِمْ ، فلاَ يَتفكَّرونَ فِي الآياتِ الكَوْنيةِ ، ولاَ يَعْتبِرونَ مِمَّا جرَىٰ لِلسَّابِقينَ .

٥ـ الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العمَلِ ، ولاَ يظْلِمُ اللهُ أحَداً ، فالسُّوأىٰ عاقِبَةُ المُسيِئينَ ، والحُسْنىٰ عاقبةُ المُحْسِنينَ .

٦ـ أدلةُ البَعْثِ مَوْجودةٌ حَوْلَنا ، ومِنْها خَلْقُ اللهِ النّاسَ أوّلَ مَرَّةٍ . فَمَنْ بَدَأَ الخَلْقَ يُعيدُهُ .

٧ـ الكافِرونَ المُجْرِمونَ يائِسونَ يَوْمَ القيامةِ ، لِمَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ عَذابِ جهَنَّمَ .

## التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ ثَمرتيْنِ مِنْ ثِمارِ التَفكُّرِ في آياتِ اللهِ فِي السَّمواتِ والأرْضِ .

٢ـ اذكرْ عِبرتيْنِ تَخْرُجُ بهِما مِنْ نَظَرِك في آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقِينَ .

٣ـ اذْكُرْ خَمْسَةً مِنْ آثارِ الأَقْوامِ السَّابِقينَ مَا زالَتْ قائِمةً فِي بلادِ الشَّامِ .

٤ـ مَا عاقبةُ المُسيِئينَ ، وعاقِبةُ المُحْسِنينَ ؟ ومَا أثرُ ذلكَ عَليْكَ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً علىٰ البَعْثِ ، ووَضِّحْهُ .

٦ـ كَيْفَ تكونُ حَالةُ المُجْرِمينَ يَوْمَ القيامةِ ؟ ولِماذا ؟

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفْترِك الآيةَ ( ٦ ) مِنْ سورةِ الأنْعامِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ هذهِ الآيةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهَا ثَلاثَ حَقائقَ تَتعلَّقُ بموضوعِ الآيةِ التّاسعةِ .

٢ـ عاقبةُ الّذينَ أَحْسنُوا الحُسْنَىٰ . سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ يونسَ وآيةً مِنْ سورةِ الرّحمنِ ، تقرِّرانِ ذَلِكَ ، وبيِّنِ الشَّاهِدَ فيهِما .

* * *

## الدرس الخامس عشر

# سورة الروم - القسم الثالث

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

### معاني المُفْرَدات :

رَوْضَةٍ : بُسْتانٍ .

يُحْبَرونَ : يفرَحونَ وَيُسَرُّونَ سُروراً تَظْهَرُ آثارُهُ عَلَىٰ وُجوهِهِم .

مُحْضَرونَ : يُؤْتَىٰ بِهِمْ وَيُدْخَلونَ فِي العَذَابِ .

سُبْحانَ ٱللهِ : تَنْزِيهَ اللهِ عَمَّا لاَ يَليقُ بِهِ .

تُمْسونَ : تَدْخُلونَ فِي ٱلصَّباحِ عِنْدَ طُلوعِ النَّهارِ .

تُصْبحونَ : تَدْخُلونَ فِي ٱلصَّباحِ عِنْدَ طُلوعِ النَّهارِ .

عَشِيًّا : وَقْتَ العَشِيِّ قُبَيْلَ غُروبِ ٱلشَّمْسِ .

تُظْهِرونَ : تَدْخُلونَ فِي وَقْتِ ٱلظَّهِيرَةِ فِي مُنْتَصَفِ ٱلنَّهارِ .

### التَّفسير :

دَعَتِ الآياتُ السَّابِقةُ إِلىٰ التَّفْكيرِ في آياتِ اللهِ وفِي الأنْفُسِ والآفاقِ ، والنَّظَرِ فِي آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابِقينَ للاعْتِبارِ ، وعَرَضَتْ صورةً لِحَيْرَةِ المُجْرمينَ الرافِضينَ لتلكَ الدَّعوةِ ويأسِهِمْ وخَسارَتِهِمْ .

وتَتحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنِ افتراقِ النّاسِ فِي الآخِرَةِ ، فالكفّارُ فِي جهنَّمَ مُعذَّبونَ ، والمُؤْمِنُونَ فِي الجَنَّةِ مُنعَّمونَ .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

كانَ المُؤْمِنونَ فِي الدُّنيا مُخْتَلِطينَ مَعَ الكُفّارِ ، وكانَ هٰذا يُؤْذيهِمْ ، ولكنَّهُمْ يَوْمَ تَقومُ السّاعةُ يَتفرَّقُونَ ، ويَكونُ هٰذا بَعْدَ الحِسابِ ، حَيْثُ يُوقِفُ اللهُ الجَميعَ فِي ساحَةِ العَرْضِ ، ويُحاسِبُهُمْ علىٰ أعْمالِهِمْ ، فالمُؤْمِنونَ تَثْقُلُ مَوازينُهُمْ ويُفْلِحونَ ، والكافِرونَ تَخِفُّ مَوازينُهُمْ ويَخْسَرونَ ، وبَعْدَ ذٰلِكَ يَفْصِلُ اللهُ بينَهُمْ ، فَيتفرَّقونَ ، أَهْلُ السَّعادةِ الفائِزونَ الّذينَ يأْخُذونَ كُتُبَهُمْ بأيْمانِهِمْ ، يَتفرَّقونَ عَنْ أَهْلِ الشَّقاء الّذينَ يأْخُذونَ كُتُبَهُمْ بشمائِلِهِمْ . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿وامْتازوا اليَوْمَ أيُّها المُجْرِمونَ﴾ [يس : ٥٩] .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

يَفْتَرِقُ المُؤْمِنونَ عَنِ الكافِرينَ يَوْمَ الحِسابِ ، فَيُكْرِمُ اللهُ المُؤْمِنينَ المُتّقينَ ، الّذينَ كانُوا يَعْملونَ الصّالحاتِ في الدُّنْيا ، ويُدْخِلُهُمْ جَناتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ ، يَتنعَّمونَ في رَوْضاتِها وبَساتينِها وأشْجارِها وأزْهارِها وثِمارِها ، ويُسَرُّونَ فيها سُروراً عَظيماً ، يَمْلأُ قُلوبَهُمْ ويَنْعَكِسُ علىٰ وجُوهِهِمْ .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أمّا الفريقُ الثّاني وهُمُ الكفّارُ المُكذِّبونَ بآياتِ اللهِ ، فَسَوْفَ يُدْخِلُهُمْ اللهُ النّارَ ، لأنَّهمْ أَشْرَكوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ، وكذَّبُوا بآياتِ اللهِ الّتي أنْزَلَها علَىٰ رسولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ وأنكَرُوا البَعْثَ والآخِرَةَ ، وعاقَبَهم علىٰ تِلْكَ الجرائِمِ بأنْ أمَرَ بإدْخالِهِمْ فِي جَهَنَّمَ ، وتَعْذيبِهم فيهَا ، مُخَلَّدينَ أبَداً ، لا يَخْرجونَ منْها ، ولاَ يَتوقَّفُ عَذابُهُمْ فيها . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿إنَّ المُجْرِمينَ في عَذابِ جَهنَّمَ خَالِدونَ . لا يُفتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فيهِ مُبْلِسونَ﴾ [الزخرف : ٧٤ـ٧٥] .

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ الحَديثِ عَنِ افْتراقِ المُؤْمنينَ والكافِرينَ فِي الآخِرَةِ ، يَدعُو اللهُ المُؤْمنينَ إلىٰ تسبيحِهِ وحَمْدِهِ ، وتَنْزيهِهِ والثَّناءِ عليْهِ ، فِي الدُّنيا ، لِيَكونوا مُنعَّمينَ في الجَنّةِ فِي الآخِرَةِ .

وتَسبيحُ اللهِ هُوَ تَمْجيدُهُ والثَّناءُ عَلَيْهِ ، وَوَصْفُهُ بصفاتِ الكَمالِ ، وتَنْزيهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .

يَدعُو اللهُ إلىٰ تسبيحِهِ وحَمْدِهِ وذِكْرِهِ والصَّلاةِ لَه فِي جميعِ أَوْقاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ ، مِنْ حينِ ابْتداءِ

المَساءِ إلىٰ نِهايةِ اللَّيلِ ، وحِينِ طُلوعِ الصَّباحِ إلىٰ وَقْتِ الظَّهيرةِ ، وحينِ وَقْتِ الظَّهيرةِ إلىٰ وَقْتِ العَشيِّ قُبَيْلِ غُروبِ الشَّمْسِ .

ويُخبِرُ اللهُ المُؤمِنينَ أنَّه هوَ ـ وَحْدَه ـ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمدِ ، فَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمواتِ والأرْضِ ، يَحْمَدُهُ المَلائِكَةُ الّذينَ في السَّمواتِ ، ويَحْمَدُهُ مَنْ علَىٰ الأرْضِ مِنَ الإنْسِ والجِنِّ والدَّوابِّ وباقِي المَخْلوقاتِ الحَيَّةِ .

ويُريدُ اللهُ مِنَ المُؤمِنينَ الاسْتِمْرارَ بذكرِه وتَسْبيحِهِ ، وأنْ يَشْمَلَ ذلكَ كُلَّ ساعاتِ يَوْمِهِمْ : مِنَ الصُّبْحِ إلىٰ الظُّهْرِ ، ومِنَ الظُّهْرِ إلىٰ العَصْرِ ، ومِنَ العَصْرِ إلىٰ المَغْرِبِ ، ومِنَ المَغْرِبِ إلىٰ العِشاءِ ، ثُمَّ مُناجاتِهِ في اللَّيْلِ حَيْثُ يَعُمُّ الظَّلامُ .

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

هٰذا الإلٰهُ الَّذي يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ والثَّناءَ ، المَوْصوفُ بِصِفاتِ الكَمالِ والجَلالِ والعَظَمَةِ ، هُوَ ـ وَحْدَه ـ رَبُّ العالَمينَ ، وهُوَ الّذي يُدَبِّرُ السَّمواتِ والأرْضَ ومَا فيهِما .

وهُوَ القادرُ علىٰ كلِّ شيءٍ ، يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ ، كمَا أخْرَجَ الإنْسانَ مِنَ التُّرابِ ، والدَّجاجةَ مِنَ البيضةِ ، والنَّبْتَةَ مِنَ الحَبَّةِ ، ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ ، كما أماتَ الإنْسانَ الحَيَّ وأعادَه تُراباً ، وأخْرَجَ البَيْضةَ مِنَ الدَّجاجةِ ، والحَبَّ اليابسَ مِنَ النَّباتِ الأخْضَرِ .

وهوُ الّذِي يُحيي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، حَيْثُ تَكونُ الأَرْضُ جافةً ، فيُنزلُ عَلَيْها المَطَرُ ويُحْييها بِه ، وتَنْبُتُ فيهَا الزُّروعُ والنَّباتاتُ ، وتُصْبِحُ حَيَّةً مُخْضَرَّةً .

وجَعَلَ اللهُ هذا دَليلاً علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القِيامةِ ، فكمَا أخْرَجَ الحَيَّ مِنَ الميّتِ ، وكما أحيَا الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، يُحيِي الأَمْواتَ في قُبورِهِمْ ، ويُخْرِجُهُمْ مِنها أحْياءً لِيُحاسَبوا علىٰ أعْمالِهِمْ ، ثُمَّ يُعاقِبُ اللهُ المُسيءَ مِنْهُمْ ، ويُثيبُ المُحْسِنَ بالجَنَّةِ .

### دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المُؤمِنونَ مُنعَّمونَ فِي الجَنَّةِ ، في غايةِ الفَرَحِ والسُّرورِ الّذي يَنْعَكِسُ علىٰ وُجوهِهِمْ .

٢ـ الكُفَّارُ يَدْخلونَ في العَذابِ ، ويَخْلُدونَ فيهِ أَبَداً ، وبِئْسَتْ حياتُهُمْ في الدُّنْيا الّتي تَنْتَهي بِهِمْ إلىٰ الخُلودِ فِي النَّارِ .

٣ـ اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ هوَ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ والثَّناءِ ، لِما يَتّصِفُ بِهِ مِنْ صِفاتِ الكَمالِ والجَلالِ ، ولِما يَمْنَحُ عِبادَهُ مِنَ النِّعَمِ .

٤ـ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ فَرْضُ الصَّلواتِ الخَمْسِ ، وجَعْلُها مُقَسَّمةً علىٰ مُخْتَلَفِ ساعاتِ اليَوْمِ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وحَمْدِه وتَسبيحِهِ ، وأنْ يَشْمَلَ ذلكَ ساعاتِ يَوْمِهِ ، مُقْتَدياً فِي ذَلِكَ بِرَسولِ اللهِ ﷺ الّذي كانَ يَذْكُرُ اللهَ علىٰ كُلِّ أحْوالِهِ .

٦ـ اللهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، فَعَّالٌ لِما يُريدُ ، فَيُخرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ ، ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَتَىٰ يَخْتَلِطُ المُؤْمنونَ بالكافِرينَ يَوْمَ القيامَةِ ؟ ومتَىٰ يَفْتَرِقونَ ؟

٢ـ كَيْفَ يكونُ حُبورُ المُؤْمنينَ فِي الجَنَّةِ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَوْقاتَ الصَّلواتِ الخَمْسِ ، مَعَ الإشارةِ إلىٰ الكَلِماتِ الدالَّةِ عَلَيْهَا .

٤ـ اذْكُرْ ثَلاثةً مِنْ أذْكارِ الصَّباحِ والمَساءِ ، الّتي أَرْشَدنا إلَيْها رَسولُ اللهِ ﷺ .

٥ـ اسْتَخْلِصْ مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ (رقم : ١٩) دَليلاً علىٰ بَعْثِ النَّاسِ يَوْمَ القيامةِ .




١ـ سَجِّلِ الآياتِ مِنْ سورةِ المُطَفِّفينَ الّتي تَتحدَّثُ عنِ الأبْرارِ ، وهُمْ تَظْهَرُ علىٰ وُجوهِهِمْ نَظْرَةُ النَّعيمِ ، واذكرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ الخامسةَ عشرةَ .

٢ـ سجِّلْ في دفترك الآيةَ ( ٧٨ ) مِنْ سورةِ الإسْراءِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها ومن الآيةِ الثّامنةَ عشرةَ مِنْ سورةِ الرّومِ أَوْقاتَ الصّلاةِ الخَمْسَ ، مَعَ الإشارةِ إلىٰ وَجْهِ الاسْتِدْلالِ مِنَ الآيَتَيْنِ .

* * *

## الدَّرسُ السَّادسَ عَشَرَ

# سُورَةُ الرُّومِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾

### معاني المفردات :

| | |
|---|---|
| مِنْ آياتِهِ | : مِنَ ٱلأَدِلَةِ ٱلدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدانِيَّةِ ٱللهِ وَقُدْرَتِهِ . |
| لِتَسْكُنُوا إِلَيْها | : لِتَميلوا إِلَيْها وَتَأْلَفوها . |
| مَوَدَّةً وَرَحْمَةً | : مَحَبَّةً وَشَفَقَةً . |
| ٱخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ | : ٱخْتِلافُ لُغاتِكُمْ ، مِنْ عَرَبِيَّةٍ وَغَيْرِ عَرَبِيَّةٍ . |
| ٱبْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ | : طَلَبُكُمُ ٱلرِّزْقَ بِالسَّعْيِ وَالعَمَلِ وَالتِّجارَةِ . |
| خَوْفاً وَطَمَعاً | : تَخافونَ مِنْ مَا فِي البَرْقِ مِنْ صَواعِقَ ، وَتَطْمَعونَ فِي مَا يَتْبَعُهُ مِنْ مَطَرٍ . |
| أَنْ تَقومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلأَرْضُ بِأَمْرِهِ | : انْتِظامُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ بِقَدَرِ ٱللهِ وَتَدْبيرِهِ . |



أخبَرتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ افْتراقِ المُؤْمنينَ عنِ الكافِرينَ يَوْمَ القيامةِ ، ودَعَتْ إلىٰ الإكثارِ مِنْ تَسْبيحِ اللهِ وذِكْرِه وعِبادَتِه والصَّلاةِ لَهُ في مُخْتَلَفِ ساعاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ .

وُتقدِّمُ هذهِ الآياتُ بَعْضَ الأدِلَّةِ الدَّالةِ علَىٰ وَحدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِه وعَظَمَتِه ، وهٰذهِ الأَدِلَّةُ مأْخوذةٌ مِنَ الأَنْفُسِ والآفاقِ .

الدَّليلُ الأوّلُ فِي قَوْلِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

مِنَ الآياتِ والأدِلَّةِ الّتِي تَدُلُّ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِه وعَظمَتِه خَلْقُهُ لِلنَّاسِ ، فَقَدْ خَلَقَ أَباهُمْ آدمَ مِنْ تُرابٍ ، ثُمَّ خَلَقَ لَهُ زَوْجَهُ حَوَّاءَ ، ثُمَّ خَلَقَ مِنهُما الرِّجالَ والنِّساءَ ، وتَكاثَرَ النَّاسُ ، وعَمَروا الأَرْضَ ، وانْتَشروا عَلَيْهَا وتَوزَّعوا فيها ، وكَسِبوا المَعايشَ ، وكَسِبُوا الأَرْزاقَ ، وآتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وكَرَمِهِ ونِعَمِهِ .

والدَّليلُ الثَّاني في قولِهِ ـ تَعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

خَلْقُ النّاسِ وانْتِشارُهُمْ مِنْ آياتِ اللهِ ، والالْتقاءُ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ مَحبةٌ ومَودَّةٌ ، ورَحْمَةٌ وشَفَقَةٌ ، وذلكَ لِيبقَىٰ النَّوْعُ الإنْسانِيُّ ، ويَتَحقَّقَ التَّناسُلُ والتَّكاثرُ ، وتَسْتَمِرُّ الحَياةُ الإنسانيَّةُ علىٰ وجْهِ الأرْضِ .

وفِي سُكونِ الرّجالِ لِلنِّساءِ ، وتَحقّقُ المُودَّةِ والرَّحْمَةِ بَيْنَهما آياتٌ لِقَوْمٍ يَتفكَّرونَ فِي الأُسسِ الّتي جَعَلَها اللهُ لِتنظيمِ الحَياةِ ، فَيُؤْمِنونَ بِهِ ويُخْلِصونَ لهُ ويَحْمَدونَه ويَشْكُرونَهُ علىٰ هذهِ الآياتِ .

والدّليلُ الثّالثُ في قولِهِ ـ تعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ الدّالةِ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ وقُدْرَتِه وعَظَمتِهِ ، خَلْقُهُ السَّمواتِ سَبْعاً طِباقاً مِنْ دونِ عَمَدٍ ، وخَلْقُهُ الأَرْضَ وتَهْيِئَتُها لِلحَياةِ .

وبَعدَما خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ وهيَّأَها لِلْحَياةِ خَلَقَ النَّاسَ ، وجَعَلَهُمْ خُلَفاءَ فِي الأَرْضِ ، وبالرَّغْمِ مِنْ

أنَّ النَّاسَ مِنْ أَصْلٍ واحِدٍ ، إلاّ أنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي أَلْسِنَتِهِمْ ولُغاتِهِمْ ، فَلِكُلِّ قَوْمٍ لُغَتُهُمُ الّتي يَتفاهَمونَ فيما بَيْنَهم بِها ، وهُمْ أيْضاً مُخْتَلِفونَ في أَلْوانِهِمْ ، فَمِنْهُمُ الأَبْيَضُ والأحْمَرُ والأَسْوَدُ .

روىٰ أَبُو داودَ عَنْ أبي موسَىٰ الأَشْعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ مِنْ قبضةٍ ، قَبَضَها مِنْ جَميعِ الأَرْضِ ، فَجاءَ بَنُو آدَمَ علىٰ قَدَرِ الأَرْضِ ، جاءَ مِنْهُمُ : الأَحْمَرُ والأَبْيَضُ ، والأَسْودُ ، وبَيْنَ ذَلكَ ، والسَّهْلُ ، والحَزَنُ ، والخَبيثُ ، والطَّيِّبُ ، وبَيْنَ ذلكَ »[1] .

ولا يَلْتَفِتُ لِهَذِهِ الآياتِ الّتي في السَّمواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ الأَلْسِنَةِ والأَلْوانِ إلاّ الناسُ العالِمونَ ، أَصْحابُ العِلْمِ النَّافعِ ، الّذين يَهْديهِمْ إلىٰ تَعْميقِ الإيمانِ باللهِ ، والإكْثارِ مِنْ ذِكْرِهِ .

والدّليلُ الرَّابعُ في قولِهِ ـ تعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ أيضاً تَيْسيرُ حَياةِ النَّاسِ ورَحْمَتُهُ بهِمْ ، فَهُوَ الّذي جَعَلَهُمْ يَنامونَ باللّيْلِ ، لِيَسْتريحوا مِنَ التَّعبِ ، ويُحقِّقوا الهُدوءَ والاسْتقرارَ فيهِ ، وهُوَ الّذي جَعَلَهُمْ يَتحرَّكونَ في النَّهارِ ، ويَسْعَوْنَ بِجِدٍّ ونَشاطٍ ، طَلَباً لِفَضْلِ اللهِ ورِزْقِهِ .

وفِي تَيْسيرِ الحَياةِ في اللّيلِ والنَّهارِ آياتٌ هادِيَةٌ ، لَكِنْ لا يَلْتَفِتُ لَها إلاّ القَوْمُ المُؤْمِنونَ الّذينَ يَسْمَعُونَ سَماعَ تَدَبُّرٍ واتِّعاظٍ واعْتِبارٍ .

والدّليلُ الخامسُ فِي قولِهِ ـ تَعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ أيضاً تَيْسيرُ الحَياةِ الزِّراعيّةِ علىٰ الأرْضِ ، فَعِندَما يَسوقُ اللهُ السَّحابَ ، يَجْعَلُ فيهِ البَرْقَ والرَّعْدَ ، ويُشاهِدُ النَّاسُ البَرْقَ ، فَيخافونَ خَشْيَةَ أنْ يُصيبَهُمْ بِصاعِقَةٍ حارقةٍ ، ولكنَّهُمْ يَطْمَعُونَ في ما يَتْبَعُهُ مِنْ مَطَرٍ نافعٍ لهُمْ ، يُحقِّقُ اللهُ لهُمْ رَجاءَهُمْ ، فَيُنْزِلُ الماءَ مِنَ السَّحابِ ، وتَشْرَبُهُ الأَرْضُ المَيتَةُ الجافَّةُ ، فَيُحْييهَا اللهُ بهِ ، ويُنْبتُ فيها الزَّرْعَ والنَّباتَ ، وتُثْمِرُ بهِ الأَشْجارُ ويَسْتَفيدُ مِنْ ذلكَ الناسُ .

ولا يَلْتَفِتُ لِهذِهِ الآياتِ إلاّ القَوْمُ المُؤْمِنونَ ، الّذين يَعْقِلونَ ويُفكّرونَ ويَتدبَّرونَ ، فَيَشْكرونَ اللهَ علىٰ هذهِ النِّعَمِ ، ويَجْعلونَها دَليلاً علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامةِ .

---

(١) سنن أبي داود : ( ٣٤ ) كتاب السنة . ( ١٧ ) باب في القدر . حديث رقم : ٤٦٩٣ .

والدَّليلُ السَّادسُ فِي قولِهِ ـ تعالَىٰ ـ :

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ أيْضاً حِفْظُهُ لِلسَّماءِ والأرْضِ ، فَهُوَ الَّذي أَقامَ السَّماءَ مِنْ دُونِ أَعْمِدَةٍ نَراها ، وهَيَّأَ الأرْضَ لِلْحَياةِ ، فهُما قائِمتانِ بأمْرِهِ وقُدْرَتِهِ ، لَيْسَ فيهِما اضْطِرابٌ أَوْ خَطأٌ . ولكِنَّ اللهَ جَعَلَ لهُما أجَلاً ، يَنْتَهِيانِ بِهِ عِنْدَ قِيامِ السَّاعَةِ ، وفي ذَلِكَ اليَوْمِ يُحيِي اللهُ النَّاسَ جَميعاً ، ويُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبورِهِمْ ، ويَدعُوهُمْ لِلْحِسابِ ، فَيُلَبُّونَ الدَّعْوَةَ مُسْرِعينَ .

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ .

النَّتيجةُ الّتي يَخْرُجُ بها المُؤْمِنونَ مِنَ الأَدِلَّةِ والبَراهينِ الّتي قدَّمتْها آياتُ الدَّرْسِ أنَّ اللهَ يَمْلِكُ جَميعَ المَخْلوقاتِ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ ، لا شريكَ لَهُ في ذَلِكَ ، وكُلُّ المَخْلوقِينَ خاضِعونَ للهِ ، طَوْعاً أوْ كَرْهاً ، يَقَعُ بِهِمْ قَدَرُهُ ، ويُعْطِيهِمْ مِنْ إنعامِهِ وفَضْلِهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ آياتُ اللهِ الدَّالّةُ على وَحْدانيتهِ مَبْثُوثَةٌ فِي الكَوْنِ ، فكلُّ ما في الكَوْنِ آياتٌ تَدلُّ على وَحْدانية مُبْدِعِهَا .

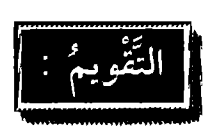
٢ـ مِنْ آياتِ اللهِ خَلْقُنا مِنْ تُرابٍ بِخَلْقِ أَبينا آدمَ ، ثُمَّ خَلْقُنا مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى بَعْدَ ذَلِكَ .

٣ـ مِنْ آياتِ اللهِ اخْتِلافُ النَّاسِ في لُغاتِهِمْ وأَلْوانِهِمْ .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ أنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَ لِلنَّومِ والرَّاحةِ ، والنَّهارَ لِلْعَمَلِ والسَّعْيِ ، ولاَ بدَّ لِلْمُسْلمِ مِنْ أنْ يُنظِّمَ حَياتَه وَفْقَها .

٥ـ اللهُ المالِكُ ـ وَحْدَهُ ـ لِكُلِّ مَا في السَّمواتِ والأرْضِ ، والنَّاسُ خاضِعونَ لَهُ طوعاً أوْ كَرْهاً .

٦ـ لا يَلْتَفِتُ لآياتِ اللهِ في الأنْفُسِ والآفاقِ إلاَّ المُؤْمِنونَ الّذينَ يَتفكَّرونَ ويَعْلَمونَ ويَسْمَعونَ ويَعْقِلونَ .



## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الأَدِلَّةَ الدَّالةَ علىٰ قُدْرَةِ اللهِ ، ورَتِّبْها حَسَبَ وُرودِها .

٢ـ اذكرِ الأُسسَ الثَّلاثةَ لِلْحَياةِ الزَّوجيَّةِ السَّعيدةِ ، كمَا ذَكَرَتْها الآيةُ الحاديةُ والعِشرونَ .

٣ـ كَيْفَ تَعْتَبِرُ اخْتِلافَ الأَلْسِنَةِ والأَلْوانِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ آياتِ اللهِ ؟

٤ـ اذْكُرِ السُّنَّةَ في عَمَلِ المُسْلِمِ في اللَّيْلِ والنَّهارِ .

٥ـ لِماذا يَخافُ النَّاسُ ويَطْمَعونَ عِنْدَما يرَوْنَ البَرْقَ ؟

٦ـ مَا معنَى قيامِ السَّماءِ والأَرْضِ بأَمْرِ اللهِ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيةَ الأُولَىٰ مِنْ سورةِ النّساءِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهَا السُّنَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ فِي تَنْظيمِ الصِّلةِ بَيْنَ الرِّجالِ والنِّساءِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَهَا وبَيْنَ الآيةِ الحادية والعِشْرين .

٢ـ سَجِّلْ فِي دَفْتَرِك آدابَ النَّوْمِ ، والأَذْكارَ الّتي يَقولُها المُسْلِمُ عِنْدَ النَّومِ وعِنْدَ الاسْتيقاظِ .

* * *

## الدَّرسُ السَّابعَ عَشَرَ

# سُورَةُ الرُّومِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| لَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَىٰ | : للهِ الصِّفَاتُ ٱلعُلْيَا ، ٱلقَائِمَةُ عَلَىٰ الكَمالِ وَالجَلالِ وَالعَظَمَةِ . |
| مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم | : مَمالِيكُكُم وَعَبِيدُكُم . |
| أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ | : اتَّبِعِ ٱلدِّينَ الحَقَّ . |
| حَنيفاً | : مائِلاً عَنِ الباطِلِ إِلَىٰ الحَقِّ . |
| فِطْرَةَ ٱللهِ | : ٱلطَّبيعَةَ المُؤْمِنَةَ المُوَحِّدَةَ للهِ الَّتِي خَلَقَ ٱللهُ النَّاسَ عَلَيْها . |
| لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقَ ٱللهِ | : لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُغَيِّرَ ٱلفِطْرَةَ المُؤْمِنَةَ المُوَحِّدَةَ . |
| ٱلدِّينُ ٱلقَيِّمُ | : ٱلدِّينُ المُسْتَقيمُ الصَّحِيحُ القَائِمُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ ٱللهِ . |
| مُنيبينَ إِلَيْهِ | : رَاجِعينَ إِلَىٰ ٱللهِ . |
| شِيَعاً | : فِرَقاً وَجَماعَاتٍ مُتَقاتِلَةً . |



التفسيرُ :

أشارَتِ الآياتُ السَّابقةُ إلىٰ آياتِ وحدانيَّةِ اللهِ وَدلائِلِ قُدْرَتِهِ وعَظَمَتِهِ ، التي دَلَّ عَلَيْها الخَلْقُ ، ونِظامُ الكَوْنِ .

وتَتحدَّثُ هذه الآياتُ عَنْ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ وتَسْتَدِلُّ علىٰ ذلكَ بِضَرْبِ المَثَلِ مِنْ واقعِ النَّاسِ ، لِتَقريرِ هذهِ الحَقيقةِ ، المُتَوافِقَةِ مَعَ الفِطْرةِ الإنسانيَّةِ ، الّتي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عليها .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

اللهُ هُوَ الّذي بَدأَ الخَلْقَ ، وخَلَقَ المَخْلوقاتِ كُلَّها مِنَ العَدَمِ ، وهُوَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمواتِ والأرْضِ ، وقَدْ خَلَقَ الإنْسانَ علىٰ غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ وحَفِظَهُ في حَياتِه ، وهُوَ الّذي يُميتُهُ ، ويَوْمَ القيامةِ يُعيدُهُ لِلحَياةِ مِنْ جَديدٍ ، لِيُحاسِبَهُ علىٰ عَمَلِهِ ، وهُوَ سُبْحانَه قادِرٌ علىٰ ذَلِكَ ، لأنَّ مَنْ بَدَأَ الخَلْقَ قادِرٌ علىٰ إعادَتِهِ مَرَّةً ثانيةً .

ومَعْلومٌ أنَّ الإعَادةَ عِنْدَ البَشَرَ أهْوَنُ مِنَ البَدْءِ ، أمَّا بالنِّسبةِ إلىٰ اللهِ ، فإنَّ الإعادَةَ والبَدْءَ سَواءٌ عِنْدَهُ سُبْحانَهُ ؛ لأنَّه لَيْسَ عِنْدَه سَهْلٌ وصَعْبٌ ، فمَا شاءَ فَعَلَ ، وإذَا أرادَ خَلْقَ شيءٍ يقولُ لهُ : كُنْ فَيكونُ ، ويُوجَدُ كمَا أرادَ اللهُ .

وبمَا أنَّ الأمُورَ كُلَّها بِيَدِ اللهِ وهِيَ مُنقادَةٌ لهُ ، فلَهُ سُبحانَه المَثَلُ الأعْلَىٰ ، والصِّفةُ العُليا الكامِلَةُ فِي السَّمواتِ والأرْضِ ، لأنَّهُ هُوَ المُتَفرِدُ بالألُوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ ، ويَجِبُ علىٰ المُؤْمِنينَ أنْ يُثْبِتوا لهُ الأسْماءَ الحُسْنىٰ والصِّفاتِ العُلْيا التي أثْبَتَها لِنَفسِهِ ، وأخْبَرَ النَّاسَ عنْها ، ومنْها أنَّه عزيزٌ لا يُغْلَبُ ، وحكيمٌ لا يُخْطِئُ .

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

اللهُ لهُ المَثَلُ الأعلىٰ ، وقدْ ضَرَبَ لِلنَّاسِ مَثَلاً لِلدّلالةِ علىٰ أنه واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ ، وهٰذا المَثَلُ مأْخوذٌ مِنْ حَياةِ النَّاسِ وَواقِعِهِمْ لِيَفهموهُ .

يقولُ اللهُ لهُم : أنتُمْ تُشْرِكونَ باللهِ آلِهَةً أخْرَىٰ ، فَهَلْ تَرْضَوْنَ أنْ يكونَ عَبيدُكُمُ الّذينَ تَمْلِكُونَهُمْ ، شُرَكاءَ لَكُم فِي أمْوالِكُمْ ؟ وهلْ تَقْبَلونَ أنْ يُساوِيَكُمْ عَبيدُكُمْ في التَّصرُفِ في أمْوالِكُمْ ؟ وهلْ تَخافونَ أنْ يُقاسِموكُمْ أمْوالَكُمْ ؟

فإذَا كنتُم لا تَرْضَوْنَ ذلكَ لأنفسِكُمْ فكَيْفَ تَرْضَوْنَه للهِ ، وتَجْعلونَ مِنْ عبيدِهِ شُرَكاءَ لهُ ؟

أقامَ اللهُ بهذا المَثَلِ الحُجَّةَ علىٰ المُشْرِكينَ ، لأنَّه يُفَصِّلُ ويُوضِّحُ الآياتِ والأَدِلَّةَ ، ولكنْ لا يَلْتَفِتُ لهَا إلاّ الّذينَ يَسْتَعمِلون عُقولَهُمْ ، ويُفكِّرونَ فيما يُقالُ لَهُمْ .

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

بالرَّغمِ مِنْ أنَّ الأدِلَّةَ علَىٰ نَفْيِ الشِّرْكِ واضِحَةٌ ، إلاّ أنَّ المُشْرِكِين لَمْ يأخُذوا بها ، لأنَّهُمُ اتَّبعوا أهْواءَهُمْ بِغيرِ عِلْمٍ ، ولمْ يُحَكِّموا عُقولَهُمْ ، وساروا علىٰ غَيْرِ هُدًى ، وبذلكَ كانوا مُجْرِمينَ ظالِمينَ ، وقَدِ اخْتاروا الضَّلالَ والكُفْرَ ، وبذلكَ أضَلَّهُمُ اللهُ ، لأنَّ اللهَ يُوقِعُ بِهِمْ نتيجةَ ما اخْتارُوا ، ومَنْ أضلَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ ، ولاَ ناصِرَ لهُ يَدْفَعُ عنهُ عَذابَ اللهِ .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

إذَا كانَ الكافِرونَ يَرْفضُونَ تَوْحيدَ اللهِ عِناداً واتِّباعاً لِلْهَوىٰ ، فإنَّ المُؤْمِنَ يَتَّبِعُ الحَقَّ المُتَوافِقَ مَعَ الفِطْرةِ ، اللهُ فَطَرَ النَّاسَ علىٰ الإيمانِ بِهِ وتَوْحيدِهِ وعِبادَتِهِ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ـ ولِكُلِّ مُسْلِمٍ مِنْ بَعْدِهِ ـ : أَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ الصَّحيحِ ، القائِمِ علىٰ العُبوديَّةِ للهِ ، وكنْ حَنيفاً مُسْتَقيماً عَليْهِ ، وهُوَ دينُ الفِطْرةِ الّتي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ وخَلَقَهمْ عَليْها ، فاللهُ فَطَرَهُمْ علىٰ مَعْرِفَتِهِ وتَوْحيدِهِ والخُضوعِ لَهُ .

ولاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أنْ يُبَدِّلَ هذهِ الفِطْرَةَ السَّليمةَ أوْ يُغَيِّرَها ، ويُحرِّفَها إلىٰ الباطِلِ ، فَهِيَ الدِّينُ القَيِّمُ الصَّحيحُ ، الّذي لا عِوَجَ فيهِ ، ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ يُخالِفونَ تِلْكَ الفِطْرةَ ، فلاَ يُوحِّدونَ اللهَ ، وإنَّما يُشْرِكونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وبِذلكَ يَكونونَ جاهِلينَ غَيْرَ عالِمينَ .

﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

أمَرَ اللهُ النَّاسَ أنْ يُخْلِصوا للهِ حُنفاءَ مُتَوافِقينَ مَعَ فِطْرَتِهِمْ ، وأنْ يكونوا عابِدِين لَهُ ، مُقْبِلينَ عَلَيْهِ ، راجِعينَ إليهِ ، وأنْ يُكثِروا مِنْ إقامةِ الصَّلاةِ ، المَفْروضةِ والنَّافِلَةِ .

ونَهاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ ، فَعَلَيْهِمْ أنْ لا يكونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ ، لأنَّه لا يَجْتَمِعُ الإيمانُ والشِّرْكُ .

وذَكَرَ لهُم أنَّ حَياةَ المُشْرِكين تَقومُ علىٰ الفُرْقَةِ والخِلافِ والنِّزاعِ ، فهُمْ مُتَّبِعونَ لِلْهَوى والباطِلِ ، وقدْ فرَّقوا دِينَهُمْ ، فَصاروا فِرَقاً مُخْتَلِفَةً مُتَقاتِلَةً مُتَنازِعَةً تَفْرَحُ كُلُّ فِرْقَةٍ بما عِنْدَها ، وتَزْعُمُ أنَّها وَحْدَها علَىٰ الحَقِّ ، وأنَّ غَيْرَها علىٰ الباطِلِ ، مَعَ أنَّ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها علَىٰ الباطِلِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ ضَرَبَ اللهُ الأَمْثالَ فِي القُرآنِ لِتَوْضيحِ الحَقائقِ والمَعاني .

٢ـ إذَا كانَ الإنْسانُ لا يَرْضَىٰ شَريكاً لهُ فِي مالِه ، فكَيْفَ يَجْعَلُ شَريكاً للهِ .

٣ـ الكفَّارُ متَّبِعونَ لِلْهوَىٰ مُخْتارونَ لِلضَّلالِ ، ولِذَلِكَ خَتَمَ اللهُ علىٰ قُلوبِهِمْ .

٤ـ فَطَرَ اللهُ النَّاسَ جَميعاً علىٰ تَوْحيدِهِ ومَعْرِفتِهِ وعِبادتِهِ والخُضوعِ إليهِ .

٥ـ الإسْلامُ ـ وَحْدَهُ ـ دِينُ الفِطْرةِ ، والأَدْيانُ الأخرَىٰ مُنْحَرِفةٌ عنها ، كاليهوديَّةِ والنَصرانيَّةِ .

٦ـ الكُفّارُ مُخْتَلِفونَ مُتفرِّقونَ ، وكُلُّ فِرْقةٍ تدَّعي أنَّهاعلىٰ الحَقِّ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا قَالَ اللهُ ﴿وَهُو أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فِي حديثِهِ عَنِ الخلْقِ والإعادَةِ ؟

٢ـ وضِّحِ المثلَ المَضْروبَ فِي الآيةِ الثَّانيةِ (الرقم: ٢٨) ، وكَيْفَ تَسْتَدِلُّ مِنْ خلالِه علَىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ ؟

٣ـ لِماذا أضَلَّ اللهُ الكَافِرينَ ؟

٤ـ عَلىٰ ماذا فَطَرَ اللهُ النَّاسَ ؟ سجِّلِ الحديثَ الدَّالَ علَىٰ ذلكَ .

٥ـ مَا معنَىٰ قولِه عَنِ المُشْرِكينَ ﴿كلُّ حِزْبٍ بمَا لَدَيهِمْ فَرِحُونَ﴾ ؟

٦ـ بيِّنْ معنَىٰ كلٍّ مِنْ : مَلَكتْ أيْمانُكُمْ . حنيفاً . الدِّينُ القَيِّمُ . شِيَعاً .

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورةِ يسٓ تُقَرِّرُ أنَّ اللهَ يَخْلُقُ الشَّيءَ بِقَوْلِهِ : كُنْ .

٢ـ سجِّلِ الحديثَ ، الّذي رواهُ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ ، الّذي جاءَ فيهِ أنَّ كلَّ مُولودٍ يُوَلَدُ علىٰ الفِطْرةِ ، ثُمَّ يَنْحَرِفُ النَّاسُ عَنِ الفِطْرةِ بَعْدَ أنْ يَكْبَروا ، واْذكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَه وبَيْنَ الآيةِ الثلاثينَ .

# الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

## سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

### معاني المُفْردات :

مَسَّ ٱلنَّاسَ : أَصابَهُمْ .

ضُرٌّ : شِدَّةٌ وَبَلاَءٌ .

مُنيبينَ إِلَيْهِ : رَاجعينَ إِلَيْهِ مُتَضَرِّعينَ لَهُ .

أَذاقَهُم : آتاهُم وَمَنَحَهُمْ .

سُلْطاناً : حُجَّةً وَكِتاباً .

يَقْنَطونَ : يَيْأَسونَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ .

يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ : يُوَسِّعُهُ وَيُكَثِّرُهُ .

يَقْدِرُ : يُضَيِّقُ الرِّزْقَ وَيُقَلِّلُهُ .

### التَّفسيرُ :

أَمَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ بإقامةِ الدِّينِ للهِ ، واسْتمرارِ العِبادةِ والإنابةِ لَهُ ، وبيَّنَتْ أَنَّ المُشْرِكينَ يَرْفضُون ذلكَ ، ويَزْعُمونَ أَنَّهم علىٰ حقٍّ بالرَّغْمِ مِنْ كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ .

وبيَّنَتْ هذهِ الآياتُ سُوءَ مَوْقفِ مُعْظَمِ النَّاسِ مِنَ الابتلاءِ بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، فهُمْ يَلْجَأُونَ إلىٰ اللهِ ـ وَحْدَهُ ـ عِنْدَ الشِدَّةِ ، ويُشْرِكونَ بهِ عِنْدَ الرَّخاءِ ، إلاَّ مَنْ آمنَ وعَمِلَ صالِحاً .

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ الآيةُ حالَ الإنْسانِ الكافِرِ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ ، فَهُمْ يَلْجأونَ إلىٰ اللهِ في حالِ نُزولِ الضَّراءِ بهِمْ ، ويَدْعونَه بتَضرُّعٍ وإلْحاحٍ ، ويُنيبونَ إليْهِ ويُقْبِلونَ عَلَيْهِ ، ويُعاهِدونَهُ علىٰ اسْتِمْرارِ تَوْحِيدِهِ والإخْلاصِ لهُ وعِبادتِهِ ، إنْ كَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ .

أَمَّا في حالِ الرَّخاءِ والنَّعْماءِ ، فإنَّهُمْ يُشْرِكونَ بِهِ آلِهَةً أُخرىٰ ، لا تَدْفَعُ ضُرًّا ولا تَجْلُبُ مَنْفَعَةً .

أمَّا المؤْمِنونَ الصَّالِحونَ فإنَّهم يَدْعونَ اللهَ ـ وَحْدَهُ ـ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، ويَعْبدونَهُ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ .

﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

المُشْرِكونَ يَنْسَوْنَ اللهَ عِنْدَ الرَّخاءِ ، ويُشْرِكونَ بهِ بعدَ النَّجاةِ ، ويَؤولُ أَمْرُهُمْ بَعْدَ ذلكَ إلىٰ الكُفْرِ باللهِ ، وجُحودِ نِعْمَتِهِ ، وإنْكارِ فَضْلِهِ ، مَعَ أنَّه هُوَ الّذي رَحِمَهُمْ وأنْجاهُمْ وكَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ .

ويُهدِّدُ اللهُ هؤلاءِ الكافِرينَ ، فَيقولُ لَهُمْ : اسْتَمتِعوا فِي حَياتِكُمُ القَصيرةِ ، وتَمتَّعُوا بِمُتَعِ الدُّنْيا الزَّائِلةِ ، وسَوْفَ تَنتهِي أعْمارُكُمْ ، وتَرْتَحِلُون عنِ الدُّنيا ، ويَوْمَ القيامَةِ تُبْعَثونَ لِلْحسابِ ، وبَعْدَ ذَلِكَ تُعذَّبونَ في نارِ جَهنَّمَ ، وعِنْدَ ذَلِكَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ خَسارتَكُمْ بِكُفْرِكُمْ .

فالأَمْرُ في قَوْلِهِ : « فَتَمَتَّعُوا » لِلتَّهدِيدِ والوعيدِ ، كالأَمْرِ في قولِه : ﴿اعْمَلوا ما شِئْتُمْ إنَّهُ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ﴾ [فصلت : ٤٠] .

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يُنْكِرُ اللهُ علىٰ المُشْرِكينَ شِرْكَهُمْ بِهِ وعِبادتَهُمْ لِغَيْرِهِ ، مَعَ أنَّه هُوَ الّذي كَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ ، وأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بالفَرَجِ والخَيْرِ ، ويُخْبِرُ أنَّه لَمْ يُنزِلْ عليْهِمْ كِتاباً يَأْذَنُ فيهِ بالشِّرْكِ ، لِيَكونَ ذلكَ الكِتابُ حُجَّةً لَهُمْ ، ولَمْ يَبْعَثْ رَسولاً يُجيزُ لهُمُ الشِّرْكَ ، ويَتكلَّمُ بمَا كانوا بهِ يُشْرِكونَ . فَشِرْكُهُمْ باللهِ قائِمٌ علىٰ غَيْرِ دَليلٍ .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

تَعْرِضُ الآيةُ صَفْحةً أُخرَىٰ لِنَظْرةِ مُعْظَمِ النَّاسِ لِلرَّحْمَةِ والشِّدَّةِ ، فهُمْ عِنْدَ الرَّحْمةِ فَرِحونَ بَطِرونَ ، وهُمْ عِنْدَ الشِّدَّةِ يائِسونَ قانِطونَ ، وهذه طَبيعةُ عُمومِ النّاسِ إلاّ المُؤْمِنونَ مِنْهُمْ .

يقولُ اللهُ ـ تعالَىٰ ـ : إذَا أنْعَمْنَا علىٰ النَّاسِ نِعْمَةً ، وآتيناهُمْ منَّا رَحْمةً ، فإنَّهمْ يَفْرَحونَ بها ، فَرَحَ البَطَرِ والغُرورِ ، ويَنْسَوْنَ اللهَ المُنْعِمَ بها عَلَيْهِمْ ، ويَسْتَخْدِمونَها في مَعْصيةِ اللهِ والإفْسادِ في الأرْضِ ، ولا يَشْكُرُونَ المُنْعِمَ .

وإذَا أَوْقَعَ اللهُ بهِمْ عُقوبةً ، جزاءً لَهُمْ علىٰ ما عَمِلوا مِنْ كُفْرٍ وفُسوقٍ وعِصْيانٍ ، لَمْ يَحْتَمِلوا ذَلِكَ ، وأُصيبُوا باليَأْسِ والقُنوطِ مِنْ رَحْمةِ اللهِ ، وتَحطَّمتْ مَعْنوياتُهُمْ ، وضَعُفَتْ إرادتُهُمْ .

وعلىٰ هذا قولُه ـ تعالَىٰ ـ : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنا الإِنْسانَ مِنَّا رَحْمةً ثُمَّ نَزَعناها مِنْهُ إنَّه لَيؤوسٌ كَفورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ لَيقولَنَّ ذَهَبَ السَّيئاتُ عَنِّي . إنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود : ١٠ـ١١] .

أمَّا المُؤْمِنونَ فإنَّهم يَشْكُرونَ اللهَ عِنْدَ السَّرَّاءِ ، ويَسْتَخدِمونَ النِّعْمَةَ في طاعةِ اللهِ ، ويَصْبِرونَ علىٰ الضَّرَّاءِ ؛ لأنَّها سَتزولُ ، ويَرْضَوْنَ بِقَدَرِ اللهِ فيها ، فهُمْ مَأْجورونَ في الحالَتَيْنِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يدْعو اللهُ إلىٰ عَدَمِ البَطَرِ عِنْدَ النِّعْمَةِ ، وعَدَمِ القُنوطِ عِنْدَ المُصيبةِ ، ويُذَكِّرُهُمْ بِحكمتِهِ في تَوْزيعِ الأرْزاقِ ، ويُنْكِرُ عَليْهِمْ عَدَمَ مُلاحَظةِ ذَلِكَ في حَياةِ النَّاسِ .

يقولُ اللهُ عَنْهُمْ : ألَمْ يُشاهِدوا أَوْضاعَ النَّاسِ ، ويرَوْا تَفاوتَهُمْ في الأَمْوالِ والمُمْتَلَكاتِ ، إنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزقَ ويُوسِّعُه لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِهِ ، فَيُكَثِّرُ الأَموالَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ويَقْدِرُ الرِّزق ويُضيِّقُهُ علىٰ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِه ، فَيُقلِّلُ الأَمْوالَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وقدْ يَكونُ مَنْ بَسَطَ اللهُ رِزْقَهُ كافِراً ، وقدْ يكونُ مَنْ ضَيَّقَ اللهُ عَلَيْهِ الرِّزقَ مُؤْمِناً ، فقارونُ أغنَىٰ رَجُلٍ فِي العالمِ كافِرٌ ، ومُحَمَّدٌ ﷺ أفْضَلُ المَخْلوقِين ، ولمْ يَمْلِكْ مِنَ الدُّنْيا إلاَّ قليلاً .

والكفَّارُ لا يَعْرِفونَ حِكْمَةَ اللهِ مِنَ التَفاوُتِ فِي تَوْزيعِ الأَرْزاقِ ، أمَّا المُؤْمِنونَ فإنَّهمْ يَتَّعِظونَ مِنْ ذلكَ ، ويَعْتبرونَهُ آيةً ودَلالةً علىٰ حِكْمَةِ اللهِ ، فَيزدادُوا إيماناً بهِ ، ورِضاءً بِقَضائِهِ ، وزُهْداً فِي الدُّنيا ، وقَناعةً بمَا آتاهُمُ اللهُ مِنها ، ويُؤْثِرونَ الدَّارَ الآخِرَةَ علَيْها .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ- الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكفَّارُ مُتناقضونَ فِي مَواقِفِهِمْ ، فهُمْ فِي الضَّرَّاءِ يَتضرَّعونَ إلىٰ اللهِ ، وفِي السَّراءِ مُشْرِكونَ بِهِ غَيْرَهُ .

٢ـ المُؤْمنُ مَع اللهِ دائِماً ، يَعْبُدُه في السَّرَّاءِ ، ويُخْلِصُ لهُ فِي الضَّرَّاءِ ، يَعْرِفُهُ في الرَّخاءِ لِيَعْرِفَهُ اللهُ فِي الشِّدةِ .

٣ـ الكفَّارُ خاسِرونَ ، لأنَّ اسْتِمْتاعَهُمْ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ قَصيرٌ ، لأنَّهم فِي الآخِرَةِ ذاهِبونَ إلىٰ النَّارِ .

٤ـ لا يَمْلِكُ الكُفَّارُ حُجَّةً أَوْ بُرهاناً علىٰ الكُفْرِ والشِّرْكِ باللهِ ، وهُم يَتَّبعونَ الهوَىٰ فِي ذلكَ .

٥ـ مُعْظَمُ النَّاسِ يَفْرَحُونَ فَرَحَ بَطَرٍ عِنْدَ النِّعْمَةِ ، وقانِطونَ عِنْدَ المُصيبةِ ، وهُمْ ساخِطونَ علىٰ اللهِ .

٦ـ اللهُ حَكيمٌ في قَدَرِهِ وعَطائِهِ ، وفِي تَوْزيعِ الأَرْزاقِ علىٰ النَّاسِ ، ويُعطِيهِمْ مِنْ ذلكَ بِمِقْدارٍ .

٧ـ المُؤْمِنُ راضٍ بِقَدَرِ اللهِ ، فَيَشْكُرُهُ عِنْدَ السَّرَّاءِ وبَسْطِ الرِّزقِ ، ويَصْبِرُ ويَحْمَدُ اللهَ عندَ الضَّرَّاءِ وتَضييقِ الرِّزقِ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ مَوْقِفَ الكُفَّارِ مِنَ اللهِ عِنْدَ الضُّرِّ وعِنْدَ الرَّحْمةِ والخَيْرِ ، وَوَضِّحْ تَناقُضَهُمْ فيهِ .

٢ـ ما عاقِبَةُ اسْتِمتاعِ الكُفَّارِ بالحَرامِ في الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ ؟

٣ـ هلْ يَمْلِكُ الكُفَّارُ دَليلاً علىٰ الشِّرْكِ ؟ وبِماذا تُفَسِّرُ شِرْكَهُمْ باللهِ ؟

٤ـ لِماذا الكافِرُ يَبْطَرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ ويَقْنَطُ عِنْدَ المُصيبةِ ؟

٥ـ مَا مَوْقفُ المُسْلِمِ منْ بَسْطِ الرِّزقِ لَهُ ، ومِنْ تَضْييقهِ عَلَيْهِ ؟

٦ـ اذْكُرِ الفَرْقَ بَيْنَ نَظْرَةِ المُسْلِمِ والكافِرِ لِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِه .

## نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ ( ١٢ ) مِنْ سورةِ يونُسَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيَةِ الثَّالثةِ والثّلاثينَ .

٢ـ اذكرْ حَديثَ رسولِ اللهِ ﷺ الَّذي يُطالِبُ المُؤْمِنَ بالشُّكْرِ عِنْدَ السَّرَّاءِ والصَّبْرِ عِنْدَ الضَّرَّاءِ ، فَلَهُ الخَيْرُ والأَجْرُ في الحالَتَيْنِ ، واكْتُبْهُ فِي دَفْتَرِك .

* * *

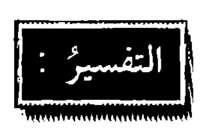
# الدَّرسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

## سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ السَّابِعُ

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | | |
|---|---|---|
| آتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ | : | أَعْطِ ٱلقريبَ ما يَسْتَحِقُّهُ مِنَ ٱلبِرِّ وَٱلْمُساعَدَةِ . |
| ٱلْمِسْكينَ | : | ٱلْمُحْتاجَ ٱلَّذي لاَ يَمْلِكُ مالاً . |
| ٱبْنَ ٱلسَّبيلِ | : | ٱلْمُسافِرَ ٱلْمُحْتاجَ . |
| يُريدونَ وَجْهَ ٱللهِ | : | يقصِدونَ بِعَمَلِهِمْ للهِ مُخْلِصينَ لَهُ . |
| يَرْبُوَ | : | يَزيدُ . |
| ٱلْمُضْعِفُونَ | : | ٱلَّذينَ يُضاعِفُ ٱللهُ لَهُم ٱلثَّوابَ . |
| لِيُذِيقَهُم | : | لِيُعاقِبَهُم . |



ذكرتِ الآياتُ السَّابقةُ سوءَ مَوْقِفِ النَّاسِ مِنَ السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، وبَطَرَهُمْ بالنِّعْمَةِ ، وقُنوطَهم مِنَ الشِّدَّةِ ، وقَرَّرتْ أنَّ اللهَ حَكيمٌ فِي بَسْطِهِ الرِّزْقَ لِبَعْضِ عِبادِهِ ، وتَضْييقِهِ على آخَرينَ ، ولاَ يُدْرِكُ حِكْمَةَ ذَلِكَ إلاَّ المُؤْمِنونَ .

وتَدْعو هذه الآياتُ الرّسولَ ﷺ والمُؤْمنينَ إلىٰ الإنْفاقِ فِي سَبيلِ اللهِ ، وتُذَكِّرُهُمْ بأَنَّ المالَ الّذي عِنْدَهُمْ رِزْقٌ مِنَ اللهِ ، وتُحذِّرُهُمْ مِنْ مُخالَفةِ أَمْرِ اللهِ .

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

الرِّزْقُ بيَدِ اللهِ ، يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ ، وعلَىٰ المُؤْمِنِ أنْ لا يَتوقَّفَ عَنِ الإحْسانِ لِلْمُحتاجينَ ، والإنْفاقِ فِي سَبيلِ اللهِ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ولِكلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِه ، أَعْطِ أَقارِبَكَ حَقَّهُمْ مِنْ مَالِكَ ، ، الّذي رَزَقَكَ اللهُ إيّاهُ ، وذلكَ بأنْ تَبَرَّهُمْ بِهِ وتُحْسِنَ إلَيْهِمْ وتَصِلَهُمْ ، وهُم أَحَقُّ النَّاسِ بالتَّواصُلِ والتَّزاورِ والإحْسانِ والشَّفَقةِ ، لِما بيْنَك وبَيْنَهم مِنْ رَحِمٍ وقُربَىٰ .

كذلكَ أَعْطِ المِسْكينَ حَقَّهُ ، لأنَّ مَا عِنْدَهُ لا يَكْفِيهِ ، وأَعْطِ المُسافِرَ حَقَّهُ ، لأنّهُ انقطَعَ عَنْ أهْلِه ومالِه ، وابْتَغِ بإعطاءِ هَؤلاءِ وَجْهَ اللهِ ، وكُنْ مُخْلِصاً للهِ ، وافْعَلْ ذلكَ مِنْ دونِ رياءٍ أو طَلَبٍ لِلسُّمْعَةِ والشُّهْرَةِ والثَّناءِ مِنَ النَّاسِ .

وإعْطاءُ هؤلاءِ المُحْتاجِينَ خَيْرٌ لِلْمُعْطِينَ المُتَصَدِّقينَ ، بِشَرْطِ أنْ يَقْصِدوا بذلكَ وَجْهَ اللهِ ، وُهوَ خَيْرٌ لهُمْ لِما يَترتَّبُ عَلَيْهِ مَن جَزيلِ الأَجْرِ والثَّوابِ ، وبِذلكَ يَكونونَ مُفلِحينَ فائِزينَ فِي الآخِرَةِ .

وهٰذا الإعطاءُ خَيْرٌ لِلْمُسلمينَ ، لِمَا يَنْتُجُ عنْه مِنْ تكافُلٍ وتَعاوُنٍ ، ومَودَّةٍ ومَحَبَّةٍ ، وتَقويةِ الرَّوابطِ بَيْنَهُمْ ، ومُحاربةِ الحِقْدِ والحَسَدِ والفَقْرِ .

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

إعطاءُ الصَّدَقةِ لِلْمُحتاجينَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ ، وإعْطاءُ المُرابينَ الرِّبَا شَرٌّ قَبيحٌ عِنْدَ اللهِ ، ولِذلكَ يَدعُو اللهُ النَّاسَ إلىٰ إعْطاءِ الزَّكاةِ وعَدمِ إعْطاءِ الرِّبَا ، ويَقولُ لهُم : بَعْضُكُمْ يَتعامَلُ مَعَ الآخَرينَ بالرِّبَا ، فَيُعطيهِمْ مِنْ مالِه بالرِّبا ، لِيَربوَ مَالُهُ ويَنموَ ويَزيدَ ، بِمَا يأْخُذُهُ منهُم مِنْ مالٍ زِيادةً علىٰ المَبْلَغِ

الّذِي آتاهُمْ إيّاهُ ، ولكنْ هٰذا الرِّبَا لا يَربُو عِنْدَ اللهِ ولا يَنْمو ، لأنَّ اللهَ يَبْغُضُ الرِّبَا ، ويُحارِبُ المُرابينَ ، ويَمْحَقُ المالَ ويَقْضِي عَلَيْهِ ، فَصاحِبُه خاسِرٌ فِي النِّهايةِ ، وإنَّ أَخْذَ الزِّيادةِ الماليَّةِ مِنَ المُقْتَرِضِ المُحْتاجِ ، فَهِيَ ورَأسُ المالِ إلىٰ هَلاكٍ .

والعَطاءُ الّذي يُثابُ عَلَيْهِ صاحِبُه هو الزَّكاةُ ، يُعْطِيها المُؤْمِنُ لِلْمُحتاجِينَ ، يَبْتغِي بذلكَ وَجْهَ اللهِ ، فاللهُ يُعطيهِ الثَّوابَ المُضاعَفَ والجَزاءَ الأفْضَلَ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

يُضاعِفُ اللهُ الأجْرَ لِلْمُتصَدِّقينَ المُخْلصِينَ لأنَّ الرِّزْقَ بيدِه وَحْدَهُ ، وهُو المُتَفرِّدُ بالخَلْقِ والرِّزْقِ والإماتةِ والإحْياءِ ، لا يُشارِكُهُ فِي ذلكَ شَريكٌ .

ولِذلكَ يَقولُ اللهُ لِلنَّاسِ : اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ ، خَلَقَكُم مِنَ العَدَمِ ، ورزَقَكُمْ وتَكفَّلَ بِحياتِكم ، وَهُو ـ وَحْدَهُ ـ الّذِي يُميتُكُمْ ، وَهُو الّذِي يُحييكُمْ عِنْدَما يَبْعثُكُمْ لِلْحِسابِ والجَزاءِ في الآخِرَةِ . ولا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الشُّرَكاءِ الّذِينَ جعَلَهمُ المُشْرِكُون آلِهَةً فِعْلَ شَيْءٍ مِنْ ذلكَ ، واللهُ لَيْسَ لَهُ شَريكٌ ، فَهُوَ المُنزَّهُ عمَّا يَنْسُبُه لهُ المُشْرِكونَ ، وهُوَ المُتعالِي عَنْ خَلْقِهِ ، فَهُوَ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ ، لا نِدَّ لهُ ولا صاحبةَ ولا ولداً .

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

مَعَ أنَّ اللهَ ـ وَحْدَهُ ـ هوَ المُتَفرِّدُ بالخَلْقِ والرّزقِ والإحْياءِ والإماتَةِ ، فإنَّ المُشْرِكينَ جَعلوا لهُ الشُّرَكاءَ ، وأدَّىٰ إشْراكُهُمْ باللهِ إلىٰ انْتِشارِ الفَسادِ في الأرْضِ ، فاللهُ عاقَبَ المُشْرِكينَ بأنْ مَحَقَ مَظاهِرَ الخَيْرِ والنَّماءِ في حياتِهم ، وبذلكَ ظَهَرَ الفسادُ في البَرِّ والبَحْرِ ، وعَمَّ الخَلَلُ العالَمَ ، وكَثُرَتْ المَضارُّ ، وقَلَّتْ المَنافِعُ ، ونَقَصَتِ الزُّروعُ والثِّمارُ ، وقلَّتِ الأمْطارُ ، وانْتَشَرَ الجَدْبُ والمَحْلُ والقَحْطُ ، وصارَتْ حياةُ النَّاسِ ضَنكاً ، وكانَ هٰذا عِقاباً مِنَ اللهِ لهُم ، بِسَبَبِ ما عَمِلَتْهُ أيْديهِمْ مِنْ ذنوبٍ ومَعاصٍ ، ومَا نَسَبُوهُ للهِ مِنَ الشُّرَكاءِ . وفَعَلَ اللهُ ذلكَ بهِمْ لَعلَّهمْ يَرْجِعونَ إلَيْهِ ويُوحِّدونَهُ ، ويَتَخَلَّوْنَ عنْ شِرْكِهِم وكُفرِهِم . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿وبَلَوْنَاهُمْ بِالحَسَناتِ والسَّيئاتِ لَعلَّهُمْ يَرْجِعونَ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

ويَدْخُل في الإفْساد البَشَرِيِّ لِلبَرِّ والبَحْرِ ما يَقومُ بهِ النَّاسُ مِنْ إفْسادِ البِيئَةِ ، ومِنْ ذلكَ ما تُحْدِثُهُ مُخَلَّفاتُ المَصانِعِ الصِّناعيةِ والحَرْبيةِ مِنْ تَدميرٍ لِلغاباتِ وقَتْلٍ للأحْياءِ البَرِيَّةِ والمَائيَّةِ ، وتَلْويثٍ لِلْبيئَةِ ، وإفْسادٍ لِلْهواءِ ، وتَأْثيرٍ على المُجْتَمعاتِ الإنْسانيَّةِ .

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

عاقَبَ اللهُ المُشْرِكينَ السَّابقينَ بإفْسادِ حَياتِهِمْ ، ويَدعُو الكُفّارَ مِنْ بَعْدِهِمْ لِمُشاهَدَةِ آثارِهِمْ لِلاعْتبارِ ، ولِذلكَ أَمَرَ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لِلْمُشرِكينَ : سيروا فِي الأَرْضِ ، وتَحرَّكوا في البلادِ ، ولاحِظوا آثارَ القَوْمِ المُعَذَّبينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وانْظُروا كَيْفَ كانَتْ عاقِبَتُهُمْ ، حَيْثُ عاقَبَهَمُ اللهُ بِسَبَبِ شِرْكِهِمْ وذُنوبِهِمْ ، وأَبْقىٰ آثارَهُمْ لِتَكونَ عِبْرةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المُتَصَدِّقِ أنْ يَتَصدَّقَ علىٰ أقاربِهِ وأَرْحامِهِ المُحْتاجِينَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ ، لِيَكونَ لهُ بذلكَ أَجْرُ الصَّدقةِ وصِلَةِ الرَّحِمِ .

٢ـ إنفاقُ المَالِ في سَبيلِ اللهِ يُؤَدِّي إلىٰ تَنْميةِ المالِ وزِيادتِهِ إضافَةً إلىٰ مُضاعَفَةِ الأجْرِ عِنْدَ اللهِ .

٣ـ لا تُقْبَلُ النَّفَقةُ مِنْ صاحِبِها إلاّ إذا ابتَغَى بِها وَجْهَ اللهِ ، وأَخْرَجَها خالِصَةً للهِ .

٤ـ اللهُ هُوَ المُتَفرِّدُ بِخَلْقِ النَّاسِ وإحْيائِهِمْ وإماتَتِهِمْ ، وهُوَ ـ وَحْدَهُ ـ المُتَكفِّلُ بِرِزْقِهِمْ .

٥ـ يُعاقِبُ اللهُ الكُفَّارَ والعُصاةَ بإفسادِ حَياتِهِمْ واخْتلالِ مَظاهِرِ عَيْشِهِمْ ، بِسَببِ ذُنوبِهِمْ .

٦ـ وُجوبُ السَّيْرِ فِي الأَرْضِ ، والاعْتبارِ مِمَّا جَرىٰ لِلْمُعذَّبينَ السَّابِقينَ .

٧ـ تَلْويثُ البِيئةِ وإفْسادُها يَدْخُلُ فيما حَرَّمَهُ اللهُ تعالىٰ .



## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ عرّفْ : ذَا القُربىٰ ، والمَساكِينَ ، وابنَ السَّبيلِ ، ومَا المُرادُ بإيتاءِ هؤلاءِ حَقَّهُم .

٢ـ بيِّنْ عاقِبَةَ التعامُلِ بالرِّبا علىٰ المالِ نَفْسِهِ ، واسْتَشْهِدْ علىٰ ذلكَ بآيَتَيْنِ مِنَ القُرْآنِ .

٣ـ مَنِ المُضْعِفونَ عِنْدَ اللهِ ؟ وكَيْفَ يكونونَ ذلكَ ؟ اسْتَشْهِدْ علىٰ ذلكَ بآيةٍ مِنَ القُرْآنِ .

٤ـ اذْكُرْ صورتَيْنِ مِنْ صُوَرِ ظُهورِ الفَسادِ فِي الأَرْضِ ، ومَا سَبَبُ ذلكَ ؟

٥ـ مَا الهَدَفُ مِنْ دَعْوَةِ القُرْآنِ إلىٰ السَّيْرِ فِي الأَرْضِ ؟

٦ـ سَجّلْ أرْبعَ دَلالاتٍ وعِظاتٍ تَخْرُجُ بهَا مِنْ وُقوفِك علىٰ آثارِ القَوْمِ المُعَذَّبينَ .

**نَشاطٌ :**

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِك حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ فَضْلَ الصَّدَقةِ علىٰ القريبِ .

٢ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورةِ البَقَرةِ تُقرِّرُ مَحْقَ اللهِ للرِّبا ، وآيةً أخرىٰ يُعْلِنُ اللهُ فِيها الحَرْبَ علىٰ المُرابينَ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ التّاسعةِ والثلاثينَ .

٣ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورةِ البقرةِ تُقَرِّرُ مُضاعَفَةَ القَرْضِ الحَسَنِ أضْعافاً كَثيرةً ، وآيةً أخْرىٰ مِنْ السُورةِ نَفْسِها تشبِّهُ ذلكَ بالحَبَّةِ الّتي تُنْبِتُ سَبْعَ سنابلَ .

* * *

## الدَّرْسُ العِشْرونَ

# سُورَةُ الرُّومِ ـ القِسمُ الثَّامِنُ

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

### مَعاني المُفْرداتِ :

أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينَ ٱلقَيِّمِ : وَجِّهْ نَفْسَكَ لِلْعَمَلِ بِالدِّينِ ٱلْمُسْتَقيمِ ، وَهُوَ ٱلإِسْلاَمُ .

لاَ مَرَدَّ لَهُ : لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّهِ أَوْ مَنْعِ وُقوعِهِ .

يَصَّدَّعونَ : يَتَصَدَّعُ ٱلنَّاسُ وَيَتَفَرَّقونَ بَعْدَ ٱلْحِسابِ ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وفَريقٌ فِي النَّارِ .

لأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدونَ : يُجَهِّزونَ وَيُهَيِّئونَ مَنازِلَهُم فِي ٱلجَنَّةِ لأَنْفُسِهِمْ بِعَمَلِهِمْ ٱلصَّالِحِ .

ٱلرِّياحَ مُبَشِّراتٍ : ٱلرِّيَاحَ تُبَشِّرُ بالخَيْرِ ، وَهِيَ ٱلَّتِي تَسْبِقُ ٱلسَّحابَ وَالغَيْثَ .

لِيُذيقَكُم مِن رَحْمَتِهِ : يُنَزِّلَ عَلَيْكُمُ ٱلمَطَرَ رَحْمَةً بِكُم .

ٱلفُلْكُ : ٱلسُّفُنُ .

تَبْتَغوا مِنْ فَضْلِهِ : تَطْلُبوا ٱلرِّزْقَ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ بِٱلتِّجارَةِ .

### التَّفْسيرُ :

كُفْرُ المُشْرِكينَ وعِصْيانُهُمْ يُؤَدِّي إلىٰ ظُهورِ الفَسادِ في البَرِّ والبَحْرِ ، وإيقاعِ العِقابِ الإلَهِيِّ بهِمْ ، وآثارُ المُعَذَّبينَ السَّابِقينَ شاهِدَةٌ علىٰ ذلكَ ، هٰذا ما بيَّنَتْهُ آياتُ الدَّرْسِ السابِقِ .

وتَدعو هذهِ الآياتُ المُؤْمنينَ إلىٰ الاسْتِقامَةِ علىٰ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالحِ ، واسْتِغلالِ حياتِهِمُ الدُّنْيا بذلكَ ، لِيَنالوا الجَنَّةَ في الآخِرَةِ .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ .

يأمُرُ اللهُ رسولَهُ مُحَمّداً ﷺ وكلَّ مُسْلِمٍ منْ بَعْدِهِ ، بالاسْتِقامَةِ علىٰ دينِ اللهِ ، ويَقولُ لَه : اسْتَقِمْ علىٰ طاعَةِ اللهِ ، وأخْلِصِ العَمَلَ للهِ ، وَوَجِّهْ نَفْسَكَ لِلْعَمَلِ بالإسْلامِ ، وبادِرْ إلىٰ الخَيْراتِ والأعْمالِ الصَّالِحَةِ ، واسْتَفِدْ مِنْ فُرْصَتِك المُتاحَةِ في حَياتِك الدّنْيا ، الّتي جَعَلَها اللهُ دارَ تَكْليفٍ وعَمَلٍ .

والإسْلامُ هُوَ الدّينُ المُسْتقيمُ ، الّذي لا عِوَجَ فيهِ ولا خَطأَ ولا انْحِرافَ ، وهُوَ الدِّينُ الوَحيدُ المَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ ، قالَ تعالَىٰ : ﴿وأنَّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فاتَّبِعوهُ . ولا تَتَّبِعُوا السُّبُل فَتَفرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

والمُؤْمِنُ يَسْتَغِلُّ حياتَه لِلْعَمَلِ الصَّالحِ ، قَبْلَ أنْ يَحينَ أجَلُهُ ، ويَنْقَطِعَ عَمْلُهُ بالموْتِ ، وذلكَ لِيَجِدَ جَزاءَ عَمَلِهِ يَوْمَ القيامَةِ .

ويَوْمُ القيامةِ آتٍ مِنْ دونِ شكٍّ ، لا يَقْدِرُ أَحَدٌ علىٰ رَدِّهِ أوْ دَفْعِهِ ، أو مَنْعِ وُقوعِهِ ، لأنَّ اللهَ قَدَّرَ مَجيئَهُ ، وآخَّرَهُ لأجَلٍ مَعْدودٍ ، ومَا قَدَّرَهُ اللهُ وأرادَ مَجيئَهُ فلاَ رادَّ لهُ . كَمَا قَالَ تعالَىٰ : ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْموعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَومٌ مَشْهودٌ . وما نُؤَخِّرُهُ إلاَّ لأَجَلٍ مَعْدودٍ﴾ [هود : ١٠٣-١٠٤] .

وفِي ذلكَ اليَوْمِ يَتصدّعُ النَّاسُ ، ويَنْقَسِمونَ إلىٰ فَريقَيْنِ ، وذلكَ بَعْدَ بَعْثِهِمْ وحِسابِهِمْ ، فَهُناكَ مُؤْمِنون مُنَعَّمونَ فِي الجَنَّةِ ، وهناكَ كافِرونَ مُعَذَّبونَ في النَّارِ .

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ .

الناسُ يَتَصدَّعونَ ويَتفرَّقونَ يَوْمَ القيامَةِ ، ويكونُ جَزاءُ كلٍّ مِنْهُمْ علىٰ أَساسِ عَمَلِهِ الّذي كانَ يَعْمَلُهُ فِي الدُّنْيا ؛ لأنَّ الدُّنْيا دارُ عَمَلٍ ، والآخِرَةَ دارُ جَزاءٍ .

مَنْ كانَ كافِراً في الدُّنْيا فَعَلَيْهِ وَبالُ وعاقِبَةُ كُفْرِهِ فِي الآخِرَةِ ، وهُوَ لَمْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وإنَّما ضَرَّ نَفْسَهُ ، بأنْ أدْخَلها نارَ جهنَّمَ .

ومَنْ كانَ فِي الدُّنْيا مُؤْمِناً حَريصاً علىٰ عَمَلِ الصَّالحاتِ فَقَدْ أنْجَىٰ نَفْسَهُ وأَسْعَدَها ، وبذلكَ كانَ مُفلحاً فائزاً ، حَيْثُ يُدْخِلُهُ اللهُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ .

والمُؤْمِنونَ ذَوُو بَصيرةٍ وهُمْ بَعيدُو النَّظرِ ، فَقَدْ حَرَصُوا علىٰ الإكْثارِ مِنَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ ، لأنَّهم يُريدونَ نَتيجَتَها فِي الآخِرَةِ ، وهِيَ الخُلودُ فِي الجَنَّةِ ، وبذلكَ كانُوا وهُمْ فِي الدُّنيا يَمْهَدُونَ لإقامَتِهِمُ الدّائمةِ فِي الآخِرَةِ . . فالَّذي يَعْمَلُ العَمَلَ الصَّالحَ إنَّما يُمَهِّدُ بذلكَ لِنَفْسِهِ فِي آخِرَتِهِ ، ويُهَيِّىءُ لهَا أَسْبابَ الرَّاحةِ هُناكَ ، فإتْعابُه لِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيا لِيُريحَها يَوْمَ القيامةِ .

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

الآخِرَةُ دارُ جزاءٍ ، والنَّاسُ هُناكَ يَنْقَسِمونَ إلىٰ فريقَيْنِ : مُؤْمِنينَ وكافِرينَ . فعلَىٰ أيِّ أَساسٍ يَكونُ الجَزاءُ ؟ الّذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ فِي الدُّنْيا كانوا مُحْسِنينَ ، واللهُ يَجْزي بالإحْسانِ إحْساناً ، فهؤلاءِ لا يُضيعُ اللهُ لَهُمْ ثَوابَ أعْمالِهِمْ ، إنَّما يَجزيهِمْ عَليْها بالثَّوابِ الجَزيلِ الجَميلِ ، ويَتَفضَّلُ عَليْهِمْ بِمُضاعَفَةِ الثَّوابِ ، حَيْثُ يُعْطِي علىٰ الحَسَنةِ عَشْرَ أمْثالِها ، إلىٰ سَبعمائةِ ضِعْفٍ . ثمَّ يُكْرِمُهُمْ بإدْخالِهِمُ الجَنَّةَ برَحْمتِهِ وفَضْلِهِ .

أمَّا الكافِرونَ فَقَدْ كانوا في الدُّنْيا سَيِّئِينَ مُجْرِمينَ ، وهُؤلاءِ يُحاسِبُهُمُ اللهُ بِعَدْلِهِ ، فلاَ يَزيدُ عَليْهِمْ معاصِيَ لَمْ يَعْملوها ، لأنَّه لا يَظْلِمُ سُبحَانه أَحَداً ، ونَتيجةُ حِسابِهِمْ هِيَ خَسارَتُهُمْ ، حَيْثُ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ ، ويُعَذِّبُهُمْ مُخلَّدينَ فِيها . وهُوَ لا يُحِبُّهُمْ لِكُفْرِهِمْ وجَرائِمِهِمْ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

مِنْ آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على وحْدانِيَّتِهِ وقُدْرَتِه الرِّياحُ المُرْسَلَةُ ، وقَدْ ذَكَرَ في هذهِ الآيةِ ثَلاثاً مِنْ مَنافِعِها :

١ـ أنَّ اللهَ يُرْسِلُها بيْنَ يَدي السَّحابِ تَحْمِلُ عَبَقَ المَطرِ وشَذاهُ فَتكونُ مُبَشِّرَةً لِلنَّاسِ بِقُرْبِ نُزولِهِ ، فَيَفْرَحُ العبادُ ويَسْتَبْشِرون .

٢ـ ثُمَّ تَقْدُمُ الرِّياحُ المُرْسَلَةُ تَحْمِلُ رَحْمَةَ اللهِ : المطر ، فيراهُ النَّاسُ عَياناً يَنْزِلُ بِساحَتِهِمْ بَعْدَ أنْ بَشَّرتْهُمْ بهِ مِنْ قَبْلُ ، فَيَشْربونَ هُمْ وبَهائِمُهُمْ مِنْهُ ، ويُنْبِتُ لَهُمْ بهِ الزَّرْعَ ويُدِرُّ بهِ الضَّرْعَ ، ويُحْيي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها .

٣ـ أنَّ الرِّياحَ المُرْسَلَةَ تَسوقُ السُّفُنَ في البَحْرِ ، ولَقدْ كانتِ الرِّياحُ الوَسيلةَ الأَعْظَمَ في تَسْييرِ السُّفُنِ في البِحارِ قَبْلَ أنْ تُخْتَرَعَ الآلاتُ المُحَرِّكَة لِلسُّفُنِ في العَصْرِ الحديثِ .

وكانتِ السُّفنُ وما زالتِ الوَسيلةَ الأَعْظَمَ في الانْتِقالِ وحَمْلِ الأثْقالِ ، فَعَلَيْها يَتحرَّكونَ ، وهِيَ لا تَجْرِي إلاَّ بأمْرِ اللهِ وإرادَتِه . . ويَتَحرَّكونَ ويَتَنقّلونَ لِلْكَسْبِ والعَمَلِ ، يَبْتَغونَ أنْ يَنالوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ورِزْقِهِ .

وعَليهِمْ أنْ يَشْكرُوا اللهَ علَىٰ هذهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ بهَا عَليْهِمْ ، لِيَزيدَهُمُ اللهُ مِنْها .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١- علىٰ المُسْلِمِ أنْ يَسْتقيمَ علىٰ طاعَةِ اللهِ ، مُلْتَزماً بالدِّينِ القَيِّمِ ، مُخْلصاً فِي ذلكَ للهِ .

٢- يَوْمُ القِيامَةِ آتٍ لاَ رَيْبَ فيهِ ، ولاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ علىٰ رَدِّهِ ودَفْعِهِ ، لأنَّه لاَ رادَّ لأمْرِ اللهِ .

٣- النَّاسُ المُخْتَلِطونَ في الدُّنيا ، يَصَّدَّعونَ مُنْقَسِمينَ إلىٰ قِسْمَيْنِ في الآخِرَةِ ، مُؤْمِنينَ وكافِرينَ .

٤- المُؤْمِنُ بَصيرٌ فَهُوَ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيا يُمَهِّدُ لِحُسْنِ إقامَتِه فِي الجَنَّةِ .

٥- عَلَىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَتعرَّفَ علىٰ الأصْنافِ الّذينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ لِيَتَّصفَ بِصفاتِهِمْ ، ويَتعرَّفَ على الّذينَ لاَ يُحِبُّهمُ اللهُ لِيَبْتَعِدَ عَنْهُمْ ، ويُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنْ صِفاتِهِمْ .

٦- المُؤْمِنُ يُكْثِرُ مِنْ حَمْدِ اللهِ وشُكْرِهِ ، اعْترافاً مِنْهُ بِفَضْلِهِ وإنْعامِهِ ، ونِعَمُ اللهِ لا تُحْصَىٰ .

٧- الرِّياحُ المُرَسَلَةُ آيةٌ مِنْ آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على وَحْدانِيّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، ومَنافِعُهَا كَثيرةٌ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١- مَا مَعنَىٰ قولِه عنْ يوم القيامةِ ﴿يَوْمٌ لا مَردَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ ؟

٢- اذْكُرْ أَقْسامَ النّاسِ حَسَبَ مَصائرِهِمْ يَوْمَ القيامَةِ ، وصِفَةَ كُلِّ قِسْمٍ ، وعاقبتَهُ النِّهائيَّةَ .

٣- كَيْفَ يُمَهِّدُ المُؤمِنُ لِنَفْسه بِعَمَلِهِ الصَّالحِ ؟

٤- اذْكُرْ أَسْماءَ ثلاثةٍ مِمَّنْ لا يُحِبُّهُمُ اللهُ ، وثَلاثةً مِمَّنْ يُحِبُّهمُ اللهُ .

٥- كَيْفَ تَكونُ الرِّياحُ مُبشِّراتٍ لِلنَّاسِ ؟ وبِمَاذا تُبَشِّرُهُمْ ؟

## نَشاطٌ :

١- تَكرَّرَ الأَمْرُ بإقامَةِ الوَجْهِ لِلدِّينِ في هذهِ السُّورةِ مرَّتيْنِ ، فِي الآيةِ ( ٣٠ ) وفِي الآيةِ ( ٤٣ ) . انظرْ مَوْضوعَ الآيتيْنِ ، ولاحِظِ الفَرْقَ بَيْنَ الأمرَيْنِ .

٢- مَنِ الّذينَ لا يُحبُّهُمُ اللهُ ؟ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ القُرْآنِ اثنيْنِ مِنَ الّذينَ لا يُحبُّهُمُ اللهُ . ذاكراً آيةً علىٰ كلِّ صِنْفٍ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

## الدَّرسُ الحادي والعِشرون

# سُورَةُ الرُّومِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

### معاني المُفرداتِ :

| | |
|---|---|
| فَتُثِيرُ سَحاباً | : تُحرِّكُ ٱلرِّياحُ سَحاباً وَتَسوقُهُ . |
| يَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّماءِ | : يُنْشُرُ ٱلسَّحابَ فِي السَّماءِ ، مُتَّصِلاً بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . |
| يَجْعَلُهُ كِسَفاً | : يَجْعَلُ هٰذَا ٱلسَّحابَ قِطَعاً مُتَفَرِّقَةً . |
| تَرَى ٱلوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ | : تَرى ٱلمَطَرَ يَنْزِلُ مِنْ وَسَطِ ٱلسَّحابِ . |
| إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرونَ | : إِذَا هُمْ يَفْرَحونَ بِالمَطَرِ . |
| مُبْلِسينَ | : آيِسينَ مِنْ نُزولِ ٱلمَطَرِ . |
| آثارِ رَحْمَةِ ٱللهِ | : آثارُ ٱلمَطَرِ مِنَ ٱلزَّرْعِ وَالنَّباتِ وَٱلثِّمارِ . |
| رَأَوْهُ مُصْفَرّاً | : رَأَوْا ٱلزَّرْعَ مُصْفَرّاً مِنَ ٱلرِّيحِ الحارِقَةِ . |

### التَّفسيرُ :

أَشارَتِ الآياتُ السَّابقةُ إلىٰ رَحْمةِ اللهِ بالمُؤْمنينَ ، ومِنْ ذلكَ هِدايتُهُمْ لِلدِّينِ القَيِّمِ ، وأَمْرُهُمْ

بالاستقامة عليه ، ودعوتهم إلىٰ العمل الصالح لينالوا حسن الجزاء والفضل من الله .

وتتابع هذه الآيات تقديم نماذج أخرىٰ من رحمة الله بالناس ، وتتحدث عن رحمتهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، ورحمتهم بالرياح والأمطار .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

من رحمة الله بالناس إرساله الرسل إليهم ، وإنزاله الكتب عليهم ، ليرشدوهم إلىٰ سواء السبيل ، لكن معظم الناس رفضوا تلك الرحمة ، فأوقع الله بهم عقابه .

وقد واسى الله رسوله محمداً ﷺ علىٰ ما يجده من تكذيب قومه ، وأخبره أنه ليس أول من ووجه بذلك ، وقال له : لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلىٰ أقوامهم ، فدعوهم إلىٰ الإيمان والتوحيد ، وقدموا لهم الآيات البينات الدالة علىٰ صدقهم ، ولكن معظم أقوامهم كذبوهم وكفروا بهم ، وبذلك حق عليهم أمرنا ، فأوقعنا بهم العذاب والهلاك ، وانتقمنا منهم بسبب إجرامهم وكفرهم ، ونصرنا الرسل وأتباعهم المؤمنين . وهٰذه هي سنتنا التي لا تتخلف : الانتقام من الكفار ، ونصر المؤمنين .

فأنت لست أول رسول كذبه قومه ، ولك في إخوانك الرسل السابقين أسوة ، فاصبر علىٰ تكذيب قومك ، حتىٰ نأتيك بالنصر والفرج .

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

تنتقل الآيات من الحديث عن رحمة الله بالناس بإرسال الرسل إليهم إلىٰ الحديث عن رحمته بهم بإنزال المطر عليهم ، وتتحدث الآية عن كيفية تكوين السحاب وإنزال الماء منه ، وقد بيّنت آية في الدرس السابق منافع الرياح .

إن الله هو الذي يسيّر الرياح بحكمته وقدرته وإرادته ، ويرسلها إلىٰ البلاد التي يريد إنزال المطر عليها ، فتحرك هذه الرياح السحاب الذي في السماء ، وتثيره وتهيجه بعد سكونه ، وتسوقه إلىٰ تلك البلاد ، ويجمع الله ذلك السحاب فوقها ، وينشره ويبسطه في السماء كيف يشاء ، ويجعله كثيراً متراكماً ، ثم يجعله قطعاً مختلفة ذات أحجام متنوعة ، منها الكبيرة ومنها الصغيرة ، ومنها الخفيفة ومنها السميكة ، ومنها المشبع بالرطوبة ، ومنها الخالي منها .

وعندما يريد إغاثة أهل تلك البلاد برحمته يأمر بإنزال المطر من ذلك السحاب المتجمع المتراكم، لتنزل قطرات الماء علىٰ الناس من خلاله، يراها كل من ينظر إليها وهي تتخللهُ لتصل إلىٰ الأرض.

وعِنْدَما يَرَىٰ النَّاسُ هٰذا المَطَرَ نازِلاً يَفْرَحونَ وَيُسرُّونَ وَيَسْتَبْشِرونَ ؛ لِمَا يَنْتُجُ عنْهُ منْ خِصْبٍ ورَخاءٍ ، فهُمْ بِحاجةٍ مَاسَّةٍ إلىٰ الماءِ والنّباتِ والزُّروعِ والثِّمارِ .

وقدْ كانوا قَبْلَ رَحْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ بذلكَ الغيْثِ وإنزالِه عَليْهِمْ مُبلسينَ آيسينَ قانطِينَ ، لاَ أَمَلَ لَهُمْ يَرْجونَه فِي المَوْسِمِ الزِّراعيِّ ، وَيَتوقَّعونَ الجَدْبَ والمَحْلَ والقَحْطَ . وبِذلكَ كانتْ فَرْحَتُهُمْ بذلك الغيثِ كَبيرةً .

ولاَ يعْرِفُ الاسْتِبْشارَ بالمَطَرِ علىٰ حَقيقتِه كمَا يَعْرِفُه المُزارِعونَ الّذينَ تَقومُ حَياتُهُمْ علىٰ ماءِ السَّماءِ ، ويَحْتاجونَ إلىٰ المَطَرِ لِمَواشيهِمْ وزُروعِهِمْ وأشْجارِهِمْ .

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

عَنْدَ نُزولِ المَطَرِ تَنْبُتُ النَّباتاتُ ، وتَخْرُجُ الزُّروعُ ، وتُثْمِرُ الأشْجارُ الثِّمارَ ، ويَفْرَحُ النَّاسُ ، ولِذَلِكَ يَدْعو اللهُ رَسولَه ﷺ وكلَّ مُؤْمِنٍ بَعْدَهُ إلىٰ النَّظَرِ فِي آثارِ هذهِ الرَّحْمَةِ الرَّبانيَّةِ ، ويَقولُ : انْظُرْ أيُّها الرَّسولُ ـ أنْتَ وكُلُّ مَنِ اتَّبعكَ ـ نَظْرَةَ تَدبُّرٍ وتَأَمُّلٍ ، ولاحِظْ آثارَ رَحْمةِ اللهِ بالنَّاسِ ، كيفَ جعَلَ إنْزالَ المَطَرِ رَحْمَةً بِهِمْ سَبباً لإحْياءِ الأرْضِ بَعْدَ مَوْتِها ، واخْضِرارِها ، بَعْدَ يَبَسِها ، وإخْراجِ النَّباتِ والأشْجارِ فِيها .

وجَعَلَتِ الآيةُ هٰذا دَليلاً علىٰ إحْياءِ المَوْتَىٰ يَوْمَ القيامَةِ ، فاللهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، فَهُوَ الّذي أَنْزَلَ المَطَرَ بِقُدْرتِهِ ، وأنْبَتَ بهِ الزَّرْعَ بِقُدْرتِهِ ، وهُوَ قادِرٌ علىٰ أنْ يُحيِيَ المَوْتَىٰ ويُخْرِجَهُمْ مِنْ قُبورِهِمْ لِيُحاسِبَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ بِقُدْرتِهِ ، وهُوَ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَّماءِ .

﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ .

الكفّارُ لا يَرْضَوْنَ بقدَرِ اللهِ ، فَهُمْ إذَا أنزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ المَطَرَ يَفْرَحونَ فَرَحَ بَطَرٍ وغُرورٍ ، وهُم إذا ابْتلاهُمْ بانْحِباسِ المَطَرِ يَيْأَسونَ ، وإذَا أخرَجَ لَهُمُ الزَّرْعَ ، ثمَّ أرْسَلَ عَليْهِ ريحاً ضارَّةً حارِقَةً ، فرأَوهُ قَدِ اصْفَرَّ ومالَ إلىٰ التَّلَفِ ، فإنَّهُمْ يَكْفرونَ فَضْلَ اللهِ ، ويُنْكِرونَ رَحْمَتَهُ ، ويَجْحَدونَ نِعْمَتَهُ ، فلاَ هُمْ يَشْكرونَ عِنْدَ السَّرَّاءِ ، ولاَ هُمْ يَصْبِرونَ عِنْدَ الضَّرَّاءِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ سُنَّةُ اللهِ المُطّرِدَةُ هِيَ نُصْرَةُ رُسُلِهِ بَعْدَ أنْ يُبَلِّغوا دَعْوَتَهُ إلى مَنْ أُرْسِلوا إليْهِمْ ، ويُقيموا عَليْهِمُ

الحُجَّةَ ، وعِقابُ أعدائِهِمُ الكافِرينَ .

٢ـ طَريقُ الدَّعْوةِ مَحْفوفٌ بالمَخاطِرِ ، وعلَىٰ الدَّاعيةِ الصَّبْرُ علىٰ التَّكذيبِ والإيذاءِ ، كما فَعَلَ المُرْسَلونَ .

٣ـ حَديثُ القُرْآنِ المُفَصَّلُ عَنْ كَيْفيةِ تَكْوينِ السَّحابِ وإنْزالِ المَطَرِ مِنْ خلالِهِ ، دَلَّ علىٰ أنَّه كَلامُ اللهِ .

٤ـ المُؤْمِنُ يَسْتَبْشِرُ بِرَحْمَةِ اللهِ بالْمَطَرِ والخِصْبِ . وعَلَيْهِ أنْ يَشْكُرَ اللهَ علىٰ هذهِ النِّعْمةِ .

٥ـ إحْياءُ الأرْضِ بالمَطَرِ دَليلٌ علىٰ إحْياءِ المَوْتَىٰ يَوْمَ القيامةِ .

٦ـ الكافِرُ لا يَصْبِرُ علىٰ البَلاءِ ، ولا يَثْبُتُ عِنْدَ المِحْنَةِ ، وهُوَ كَفورٌ جَحودٌ لِنِعْمةِ اللهِ ، بِعَكْسِ المُؤْمِنِ الشَّاكِرِ عِنْدَ الرّخاءِ الصَّابرِ عِنْدَ البلاءِ .




أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأُولَىٰ (رقم : ٤٧) سُنَّةً ربانيَّةً مُطَّرِدَةً ، ودَرْساً لِلدُّعاةِ إلىٰ اللهِ .

٢ـ كَيْفَ يُكوِّنُ اللهُ السَّحابَ ؟ وكَيْفَ يُنزِلُ المَطَرَ ؟ اسْتَخْرِجْ ذلكَ مِنَ الآيةِ الثَّانيةِ (رقم : ٤٨) .

٣ـ كَيْفَ تَجْعَلُ إنْزالَ المَطَرِ وإخْراجَ النَّباتِ دَليلاً علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٤ـ متَىٰ يَكونُ النَّاسُ مُبلِسينَ ؟ ومتَىٰ يَسْتَبْشِرونَ ؟ ولِماذا ؟

٥ـ مَا مَوْقفُ الكُفّارِ مِنَ اصْفرارِ زُروعِهِمْ بعدَما كانتْ خَضْراءَ يانِعَةً ؟ ومَا مَوْقفُ المُؤْمِنينَ مِنْ ذَلِكَ ؟




١ـ سجِّلْ في دفترِك الآيَةَ ( ٣٤ ) مِنْ سورةِ الأنْعامِ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ والأربعينَ ، وبيِّنِ انطباقَ السُّنَّةِ الرَّبانيَّةِ عَلَيْهَا .

٢ـ سجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ الآيَةَ ( ٥٧ ) مِنْ سورةِ الأعْرافِ الّتِي تَتَحدَّثُ عَنْ سَوْقِ الرِّياحِ المُبشِّراتِ لِلسَّحابِ الثِّقالِ ، واذْكرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهَا وبَيْنَ الآيةِ التّاسعةِ والخمسينَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ الصَّلاةِ الّتِي شَرَعَها اللهُ عِنْدَ انْحباسِ المَطَرِ .

## الدرس الثاني والعشرون

# سُورَةُ الرُّومِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

لاَ تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ : لاَ تُسْمِعُ ٱلْكُفَّارَ سَماعَ اتِّعاظٍ وَاعْتِبارٍ ، وعَنى بالمَوْتى هُنا الكُفّارَ الّذينَ ماتَتْ قُلوبُهُمْ .

ٱلصُّمَّ : ٱلذينَ تَعطَّلَتْ آذانُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعونَ .

ٱلدُّعاءَ : ٱلنِّداءَ .

ضَلالَتِهِمْ : كُفْرِهِم .

خَلقَكُم مِنْ ضَعْفٍ : خَلَقَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ ، وَهِيَ ضَعيفَةٌ .

ضَعْفاً وَشَيْبَةً : ضَعْفَ ٱلشَّيْخوخَةِ ٱلَّتي يَظْهَرُ فِيها ٱلشَّيْبُ .

يُؤْفكونَ : يُصْرَفونَ عَنِ الحَقِّ إِلَىٰ الباطِلِ .

### التَّفْسيرُ :

عَرَضَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ بَعْضَ صُورِ رَحْمَةِ اللهِ بالنَّاسِ ، ومنْها رَحْمَتُهُمْ بالرِّياحِ المُبَشِّراتِ ، وما يَنْتجُ عنها مِنْ غَيْثٍ وزُروعٍ وثِمارٍ ، وخِصْبٍ ورَخاءٍ ، وجَعَلَتْ ذلكَ دَليلاً علىٰ البَعْثِ وإِحْياءِ

المَوْتَىٰ ، وطالبَتْهُم بِشُكْرِ اللهِ علىٰ تِلْكَ النِّعَمِ .

وذَكَرَتْ هذهِ الآياتُ سَبَبَ إعْراضِ الكُفّارِ ورَفْضِهِمْ لِلْحَقِّ ، وعَدَمَ الاعتبارِ مِنَ الآياتِ الّتي يَرَوْنَها ، مَعَ أنَّهم مَخْلوقينَ مِنْ ضَعْفٍ ، وسَيندَمونَ يَوْمَ القيامَةِ علىٰ كُفْرِهِمْ .

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾ .

يُواسي اللهُ رسولَهُ ﷺ علَىٰ مَا يَلْقاهُ مِنْ إعْراضِ قَوْمِهِ وتَكْذيبِهِمْ له ، فَهُوَ لَمْ يُقَصِّرْ في دَعْوَتِهِمْ ، ولكنَّهُمْ رفضوا الدَّعْوَةَ عِناداً واستِكْباراً ، وقَدْ أغْلَقوا قُلوبَهُمْ وعيُونَهُمْ وآذانَهُمْ ، فَلَمْ يَتفاعَلوا مَعَ كلامِهِ ، ولَمْ يَسْتجيبوا لَهُ .

اعْتبرَتْهُمُ الآيةُ أمْواتاً في قُلوبِهِمْ وأرْواحِهِمْ ، مَعَ أنَّهُمْ يَعيشونَ حَياتَهُمُ المَادِيَّةَ المَعروفَةَ ، واعْتَبرَتْهُمُ الآيةُ صُمّاً ، لأنَّهُمْ لا يَتدبَّرونَ ما يَسْمعونَ مِنْ أصْواتٍ ، واعْتَبرَتْهُمْ عُمْياً ، لأنَّهُمْ لا يَعْتبرُون بمَا يُشاهِدونَ ، فبما أنَّ قُلوبَهُمْ وأَسْماعَهُمْ وأبْصارَهُمْ لا تَتَقَبَّلُ الحَقَّ ، ولا تَتفاعلُ مَعَهُ ، فكأنَّها مُعَطَّلَةٌ غَيْرُ مَوْجودةٍ ، مَعَ أنَّها تُؤَدِّي عَمَلَها الماديَّ المَعْروفَ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : لا تَحْزَنْ علىٰ إعْراضِ المُشْرِكين عَنْكَ ، بَعْدَ دَعْوَتِكَ لهُمْ ، فإنَّكَ لاَ تَسْتطيعُ أنْ تُسْمِعَ مَنْ ماتَتْ قُلوبُهُمْ ، فَحَجَبوها عَنْ سَماعِ الحَقِّ ، ولا تَسْتَطيعُ أنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ النِّداءَ والدُّعاءَ ، عِنْدَما يَتولَّوْنَ مُدْبِرينَ مُعْرِضينَ عَنْكَ ، لأنَّهُمْ لا يُريدونَ تَدبُّرَ ما تَقولُهُ لهُمْ ، ولا تَسْتطيعُ أنْ تَهْدِيَ العُمْيانَ وَتُرْشِدَهُمْ إلىٰ الحَقِّ ، وأنْ تُبْعِدَهُمْ عَنِ الضَّلالَةِ ، لأنَّهم أغْلَقوا عُيونَهُمْ ، فلا يُريدُونَ رُؤْيَةَ طريقِ الهُدَىٰ والخَيْرِ .

وهُمُ الّذينَ جَنَوْا علىٰ أنْفُسِهِمْ ، عِنْدَما أَغْلقوا قُلوبَهُمْ وآذانَهُمْ وعُيونَهُمْ عَنْ دَعْوَتِكَ ، فَرَفضوها عِناداً واسْتِكْباراً .

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾ .

الكفَّارُ كالمَوْتَىٰ والصّمِ والعُمْيِ ، فلاَ يَسْمعونَ الحَقَّ ، والَّذينَ يَقْدِرُ رَسولُ الله ﷺ علَىٰ إسْماعِهِمْ سَماعَ تدبُّرٍ واتّعاظٍ هُمُ الّذين فتَحوا قُلوبَهُمْ وعُقولَهُمْ ، وآذانَهُمْ وعُيونَهُمْ ، فَفَهِموا الدَّعْوَةَ ، وقَبِلُوها ، وتَفاعلُوا مَعَها ، وآمنُوا بالحَقِّ ، وأعْلَنُوا إسْلامَهُمْ ، واتّبعُوا النَّبيَّ ﷺ .

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝ ﴾ .

الكفَّارُ يَكْفرونَ عِناداً واسْتكباراً ، ويُشْركونَ باللهِ غَيْرَهُ ، معَ أنَّ الأدِلَّةَ علىٰ الوَحْدانيَّةِ كثيرةٌ ، ومِنْهَا الأدلَّةُ فِي أنْفُسِهِمْ ، والأَطوارُ الّتي مَرَّتْ بهَا حياتُهُمْ .

إنَّ اللهَ ـ وحْدَهُ ـ هوَ الّذي خَلَقَ الإنْسانَ ، وجَعَلَ حياتَه ، تَمُرُّ فِي أطوارٍ ومَراحِلَ مُتَعَدِّدَةٍ ، وهُوَ الّذي يَرْعاهُ ويَحْفَظُهُ فِي كُلِّ تِلْكَ الأطوارِ ، فَكَيْفَ يُشْرِكُ الكُفَّارُ بِهِ غَيْرَهُ ؟

تذكرُ الآيةُ خَمْسَ مَراحِلَ يَمُرُّ بها الإنسانُ فِي حَياتِه ، مُنْذُ حَمْلِهِ إلىٰ وَفاتِه :

ـ ضَعْفَهُ وهُوَ جَنينٌ في رَحِمِ أُمِّهِ : فاللهُ خَلَقَهُ مِنْ ضَعْفٍ ، وهُوَ النُّطفةُ ، الّتي حَوَّلَها اللهُ إلىٰ عَلَقةٍ ، ثُمَّ إلىٰ مُضْغَةٍ ، ثمَّ يُكَوِّنُ عِظامَهُ ، ويَكْسُوُه لَحْماً ، ويَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ ، ويبقَىٰ في رَحِمِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أشْهُرٍ .

ـ ضَعفَهُ وهُوَ طِفْلٌ : حَيْثُ يُخْرِجُهُ اللهُ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ ضَعيفاً مُحْتاجاً ، ويَرْعاهُ إلىٰ أنْ يَقوىٰ ويَشْتَدَّ .

ـ قُوّتَه وهُو فَتىً : قَويٌّ مُنْدَفِعٌ مُتحمِّسٌ ، كُلُّهُ طاقةٌ وحَيَوِيَّةٌ .

ـ قُوّتَهُ وهُوَ شابٌّ : ناضِجٌ واعٍ ، بَلَغَ سِنَّ الرُّجولةِ ، وغَايَتُهُ أرْبعونَ سَنَةً .

ـ ضَعْفَهُ وهُو عَجوزٌ شَيْخٌ ، ملأَ الشَيْبُ رأسَهُ ، والشَّيْخوخَةُ انْحدارٌ إلىٰ الطُّفولَةِ .

وأشارَ إلىٰ المَرْحَلَةِ الأُولَىٰ قولُه : ﴿الّذي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ، وإلىٰ المَرْحلةِ الثّانيةِ قولُه : ﴿ثمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ ، وإلىٰ المَرْحَلَةِ الثّالثةِ قولُه : ﴿قُوَّةً﴾ وإلىٰ المَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ قولُه : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ ، وإلىٰ المَرْحَلَةِ الخامِسَةِ قولُه : ﴿ضَعْفاً وشَيْبَةً﴾ .

فالإنْسانُ في مَراحِلِ حَياتِهِ الخَمْسِ فِي رِعايةِ اللهِ ، واللهُ عَليمٌ بِأَحْوالِهِ ، وقَديرٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ، لَيْسَ لهُ فِي ذلٰك ـ ولا فِي غَيْرِه ـ شَريكٌ .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

حياةُ النّاسِ في الدُّنْيا بِمَراحِلها المَذْكورَةِ لَيْستْ هِيَ النِّهايةَ ، فلاَ بُدَّ مِنْ أنْ يَأْتيَ يَوْمُ القيامَةِ ، وتَقومَ السَّاعةُ ، عندَ ذلكَ يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ أَحْياءً . ويُفَاجَأُ المُشْرِكونَ المُجْرِمونَ بهذَا البَعْثِ ، وقدْ كانُوا يُنْكِرونَهُ فِي الدُّنْيا ، فَيَحْلِفونَ باللهِ أنَّهُمْ مَا أقاموا فِي الدُّنْيا إلاّ ساعَةً مِنَ الزَّمانِ .

وقَصْدُهُمْ بذلكَ قِصَرُ الحَياةِ الدّنْيا . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات : ٤٦] . .

والمُجْرِمونَ الّذينَ حَلَفُوا ذَلِكَ اليَمينَ كانُوا في الدُّنْيا يُؤْفَكونَ ، ويُصْرَفونَ عَنِ الحَقِّ إلىٰ الباطِلِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ يُعطِّلونَ حَواسَّهُمْ بعدمِ تَدَبُّرِهِمْ واعتبارِهِمْ بِها ، فكأنَّها غَيْرُ مَوْجودةٍ .

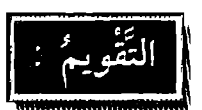
٢ـ المَوْتُ والصَّمَمُ والعَمىٰ يَرِدُ بالْمَعنَىٰ المَجازِيِّ ، وكُلُّ كافِرٍ مَيِّتٌ أَصَمُّ أعْمَىٰ بهذا الاعتبارِ .

٣ـ لاَ يَتفاعَلُ مَعَ ما يَسْمَعُ ويرَىٰ إلاّ المُؤمِنُ ، حَيْثُ يَنْتُجُ عنْ ذلكَ إسْلامُهُ وخُضوعُهُ للهِ .

٤ـ الإنْسانُ ضَعيفٌ عاجزٌ ، لا يَسْتَغْني عَنِ اللهِ فِي كُلِّ مَراحِلِ حَياتِهِ ، واللهُ يَرْعاهُ ويَحْفَظُهُ فيها .

٥ـ الدَّاعِيَةُ لا يَيأْسُ مِنْ إعْراضِ المَدعوِّينَ عنْهُ ، لأنَّه لَمْ يُقصِّرْ فِي دَعْوَتِهِمْ .

٦ـ الدُّنْيا قَصيرةٌ بالقِياسِ إلىٰ الآخِرَةِ ، فالكُفَّارُ يُقْسِمونَ أنَّهم لَمْ يَعيشوا فِي الدُّنْيا إلاّ ساعَةً .



## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما المُرادُ بالمَوْتِ والصَّمَمِ والعَمىٰ فِي آياتِ الدّرْسِ ؟

٢ـ لِماذا يَرْفُضُ الكُفَّارُ الحَقَّ ؟ اسْتَخْرِجِ الجَوابَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٣ـ مَنِ الّذي يَسْمَعُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ وماذا يَنْتُجُ عَنْ سَماعِهِ ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ مَراحِلَ حَياةِ الإنْسانِ الخمْسِ .

٥ـ اذْكُرِ اليَمينَ الّذي حَلَفَهُ الكفَّارُ في الآخِرَةِ ، وعَلَىٰ ماذَا يَدُلُّ ذلكَ ؟

٦ـ ما معنَى قولِه : ﴿كَذلِكَ كانوا يُؤفكونَ﴾ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ أوائلِ سورةِ البَقَرَةِ تَجْعَلِ الكافِرينَ صُمًّا بُكماً عُمْياً ، وسَجِّلْ آيةً أُخْرَىٰ تَجْعَلُ المُنافِقينَ صُمًّا بُكماً عُمْياً ، واذْكُرِ المُرَادَ بالصُّمِ والبُكْمِ والعُمْيِ في الآيتَيْنِ .

٢ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ أوائلِ سورةِ الحَجِّ تَتحدَّثُ عَنْ مَراحلِ تَطوُّرِ الجَنينِ فِي رَحِمِ أُمِّهِ ، وبَعْضِ مَراحلِ حَياتِهِ علىٰ الأرْضِ ، وكَيْفَ تَجْعَلُها دَليلاً علىٰ البَعْثِ ؟

# الدَّرسُ الثَّالثُ والعِشرون

## سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

### مَعاني المُفْرَدات :

| | |
|---|---|
| لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ ٱللهِ | : لَبِثْتُمْ فِي مَا كَتَبَهُ ٱللهُ فِي سابِقِ عِلْمِهِ وَقَضائِهِ . |
| مَعْذِرَتُهُمْ | : اعْتِذارُهُمْ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِيَوْمِ ٱلْقِيامَةِ . |
| يُسْتَعْتَبونَ | : يَطْلُبُ مِنْهُمُ العُتْبَىٰ ، وَالرُّجُوعَ إِلَىٰ ما يُرضِي ٱللهَ . |
| ضَرَبْنا | : بَيَّنا وَذَكَرْنا . |
| مُبْطِلُونَ | : مُتَّبِعونَ لِلْباطِلِ . |
| وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ | : لاَ بُدَّ مِنْ إِنْجازِ وَعْدِ ٱللهِ بِنَصْرِ ٱلحَقِّ . |
| لاَ يَسْتَخِفَنَّكَ | : لاَ يَحْمِلَنَّكَ عَلَىٰ ٱلخِفَّةِ وَالطَّيْشِ وَعَدَمِ ٱلصَّبْرِ . |

### التَّفسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عِنادَ الكُفَّارِ ، وعَدَمَ انْتِفاعِهِمْ بمَا يَسْمعونَ مِنَ الأدِلَّةِ ، وأنكرَتْ عَلَيْهِمْ شِرْكَهُمْ باللهِ ، مَعَ أنَّه هُوَ الّذِي خَلقَهُمْ ورعاهُمْ في مُخْتَلَفِ مَراحِلِ حياتِهِمُ الضَّعيفةِ .

وتَذْكُرُ هٰذه الآياتُ سوءَ مَوْقِفِهِمْ أذِلَّاءَ مُهانينَ يَوْمَ القيامَةِ ، كَما تَذْكُرُ إعْراضَهُمْ عَنِ القُرْآنِ

وآياتِهِ ، وتَدْعو الرّسولَ ﷺ ومَنْ مَعَهُ إلىٰ الصَّبْرِ علىٰ أذَى الأعْداءِ ، والثِّقَةِ بِوَعْدِ اللهِ ، واليَقينِ بِتَحقُّقِ النّصرِ فِي النّهايةِ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

كانَ الكُفّارُ فِي الدُّنْيا يُنْكِرونَ البَعْثَ والآخِرَةَ ، وعِنْدَما يَبْعَثُهُمُ اللهُ يَوْمَ القيامَةِ يُفاجَأونَ ويُدْهَشونَ ، ويَحْلِفونَ أنّهمْ مَا لَبِثوا فِي الدُّنْيا غَيْرَ ساعةٍ .

فَيَرُدُّ عليْهِمُ المُؤْمِنونَ ، الّذينَ آتاهُمُ اللهُ العِلْمَ والإيمانَ ، ويُخْبرونَهُمْ أنَّهُمْ عاشُوا حياتَهُمْ كامِلَةً كمَا قدَّرَها اللهُ ، فاللهُ قدَّرَ فِي عِلْمِهِ الأزَلِيِّ عُمْراً مُحَدَّداً لِلحَياةِ الدُّنْيا ، وقَدَّرَ لِكُلِّ إنْسانٍ فيهَا عُمْراً مُحَدَّداً أيضاً ، وعاشَ كُلُّ إنْسانٍ عُمْرَهُ الّذي حَدَّدُهُ اللهُ فِي كِتابِهِ ، وانْتَهَتِ الحياةُ الدُّنْيا الّتي حَدَّدَها اللهُ في كِتابِهِ أيْضاً .

وجاءَ اللهُ بِيوْم القيامَةِ ، وبَعَثَ النَّاسَ أحْياءً مِنْ قُبورِهِمْ ، وها هُم يَعيشونَ مشاهِدَ وأحْداثَ يَوْمِ القيامَةِ ، الّذي كانَ الكُفّارُ يُنْكِرونَه فِي الدُّنْيا .

وكأنَّ المُؤْمِنينَ يَقولون لِلْكُفّار : إنْ كُنتمْ في الدُّنْيا مُنْكِرينَ لِلْبَعْثِ ، فهَا هوَ يَوْمُ البَعْثِ الّذي أنْكَرْتُموهُ ، والواقِعُ خَيْرُ دَليلٍ ، فماذا سَتفعلونَ ؟

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ .

في يَوْمِ القيامةِ الّذي يُفاجَأُ الظّالِمونَ الكافِرونَ بهِ تَكونُ خَسارتُهُمْ كَبيرةً ، فإنَّهُمْ يُحاولونَ أنْ يَعْتذِروا عنْ كُفْرِهِمْ وجرائِمِهِمْ فِي الدّنْيا ، ولَكِنْ ذلكَ لا يُقْبَلُ منْهُمْ ، فلا يَنْفَعُهُمْ ، ولا يُطْلَبُ مِنْهُمْ إزالَةُ العَتَبِ عَليْهِمْ بالتَّوْبَةِ ، وإنْ قَدَّموا ما يُزيلُ العَتَبَ لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ ، لأنَّ الآخِرَةَ دارُ جَزاءٍ ، ولَيْسَتْ دارَ تَوْبَةٍ وعَمَلٍ ومَعْذِرَةٍ وعُتبَىٰ .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ .

لا يُقْبَلُ مِنَ الكُفّارِ عُذْرٌ ولا عُتبى يَوْمَ القيامَةِ ، لأنَّهُمْ فِي الدُّنْيا أعْرَضوا عَنِ القُرْآنِ وآياتِهِ وأمْثالِهِ ، فقدْ أقامَ اللهُ عليْهِمُ الحُجَّةَ فِي الدُّنْيا بِمَا ذَكَرَ لهُمْ في القُرْآنِ مِنَ الأمْثالِ ، الدَّالةِ علىٰ الحَقِّ ، المُقَرِّرةِ لِحقائقِ الإيمانِ مِنَ الوَحْدانيّةِ والنُّبوّةِ والبَعْثِ .

أصَرَّ الكُفّارُ علىٰ الكُفْرِ والتّكذيبِ عِناداً واسْتِكباراً ، ورَفضوا كُلَّ الآياتِ والأدِلّةِ الّتي قدَّمَها لهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ وعِندَما كانَ يأتيهم بالدّليلِ أوْ المُعْجزَةِ يُكذّبونَهُ ويَقولونَ لهُ ولأتْباعِهِ المُؤْمِنينَ : أنتُمْ لَسْتُمْ علىٰ الحَقِّ ، وما عِنْدَكُمْ لَيْسَ حَقاً ، فأنتُمْ مُتَّبِعونَ لِلْباطِلِ ، ومَا عِنْدَكُمْ كَذِبٌ وباطِلٌ .

وهُمْ بكلامِهِمْ هذا يَكونُونَ قَدْ جمعُوا بَيْنَ عَددٍ مِنَ الجرائِمِ ، منها : الكُفْرُ باللهِ ، واتّباعُ الباطِلِ ، والتّكذيبُ بالحَقِّ ، واتهامُ أَهْلِهِ بأنَّهُمْ علىٰ باطِلٍ .

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

الكفَّارُ باتِّهامِهِمْ لِلنَّبيِّ ﷺ وأَتْباعِهِ أَضرُّوا بأنفُسِهِمْ ، لأنَّهُمْ حَرَمُوا أنفُسَهُمْ مِنَ الإيمانِ والخَيْرِ ؛ وبِسَببِ هٰذا المَوْقفِ طَبَعَ اللهُ علىٰ قُلوبِهِمْ ، وهٰكذا يَطْبَعُ اللهُ علىٰ قُلوبِ الكُفَّارِ الآخَرينَ ، ويَحْجُبُها عنِ الفائدَةِ والعِلْمِ ، فيكونونَ جاهِلينَ وبذلكَ يَكْفُرونَ ويُكَذِّبونَ بالحَقِّ .

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

بِمُناسبةِ الحَديثِ عَنْ تَكْذيبِ الكُفَّارِ واتِّهامِهِمْ لِلنَّبيِّ ﷺ يَأْتي التَّوْجيهُ مِنَ اللهِ لَهُ بالصَّبْرِ والثَّباتِ ، والثِّقَةِ بالنَّصْرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وعَدَمِ الالْتِفاتِ لِما يَقولُهُ الكُفَّارُ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ولِكُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدَه : اصْبِرْ علىٰ أذىٰ الأعْداءِ ، واثْبُتْ علىٰ مَا مَعَكَ مِنَ الحَقِّ ، وتَابعْ تَبْليغَ رسالَتِكَ ، وثِقْ بوَعْدِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ وَعدَكَ النَّصْرَ علىٰ الأعْداءِ ، وَوَعْدُ اللهِ حَقٌّ آتٍ لا مَحالةَ ، لأنَّه سُبْحانَه لا يُخْلِفُ الميعادَ .

وَلا تَهْتَمَّ بِمَا يقولُهُ الكُفّارُ عَنْكَ ، فإنَّهُمْ كافِرونَ جاهِلونَ ، لا يُوقِنونَ بالحَقِّ ولا يَعْرِفونَهُ ، ولا تَحْمِلْكَ اتِّهاماتُهُمْ علىٰ الشَّكِّ أَو الخِفَّةِ أَوِ القَلَقِ أوِ الإحْباطِ .

وهٰكذا تُخْتَتَمُ السُّورةُ بالصَّبْرِ ، حتىٰ يأتيَ وَعْدُ اللهِ بالنَّصْرِ ، وهِيَ الَّتي بَدَأَتْ بِوَعْدِ اللهِ بِنَصْرِ الرُّومِ فِي بِضْعِ سِنينَ . فَيَتناسَقُ البَدْءُ والخِتامُ . ويَسْتقِرُّ في قَلْبِ المُؤْمِنِ اليقينُ بِتَحَقُّقِ وعْدِ اللهِ الصَّادِقِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ يُمْدَحُ المُؤْمِنُ بأنَه أُوتيَ العِلْمَ والإيمانَ لِتَصْديقهِ بِحَقائقِ القُرْآنِ والإسْلام .

٢ ـ الكُفَّارُ جاهِلونَ لا يَعْلمونَ ، ولِذَلكَ يُكذِّبونَ بالحَقِّ ، ويُنكرونَ الآخِرَةَ .

٣ ـ لا يُقْبَلُ مِنَ الكُفّارِ عُذْرٌ ولا عُتبىٰ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّهُمْ ضَيَّعُوا حياتَهُمُ الدُّنيا .

٤ ـ ذَكَرَ اللهُ أَمْثالاً مُتَعَدِّدَةً في القُرْآنِ ، ولاَ يَعْقِلُها ويَعيها إلاّ المُؤْمِنونَ العالِمونَ .

٥ ـ الكفّارُ يَتَّهمونَ الرَّسول وأَتْباعَه بأنَّهم مُبْطِلونَ ، ويُعْرِضونَ عَنْ كُلِّ الآياتِ عِناداً .

٦ـ لا يَفْقِدُ المُؤْمِنُ يَقينَه بِتَحقيقِ وعْدِ اللهِ ، ولا ثِقَتَهُ بِنَصْرِ اللهِ ، مَهْمَا طَالتِ الطَّريقُ واشْتَدَّ الأَذىٰ ، وازْدَادَ اسْتِخفافُ الأَعْداءِ وبَطْشُهُمْ .



أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا المُرَادُ بكتابِ اللهِ في قولِه : ﴿لَقَدْ لَبِثْتُم في كِتابِ اللهِ إلىٰ يَوْمِ البَعْثِ﴾ ؟ ومَا معنىٰ الجُمْلةِ ؟

٢ـ مَا الفَرْقُ بَيْنَ المَعْذِرةِ والاسْتِعْتابِ في قولِه : ﴿لا يَنْفَعُ الّذينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ ولا هُم يُسْتَعْتَبونَ﴾ ؟

٣ـ لِمَاذا يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلّناسِ في القُرْآنِ ؟ ومَا مَوْقِفُ الكُفّارِ مِنْها ؟

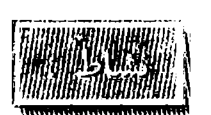
٤ـ متىٰ يَطْبَعُ اللهُ علىٰ قُلوبِ الكُفَّارِ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَرْبعَ جَرائِمَ صادِرَةٍ عَنِ الكُفَّارِ .

٦ـ مَا مَوْقِفُ المُؤْمِنِ مِنَ الوُعودِ الَّتي وَعَدَ اللهُ بِهَا المُؤْمِنينَ ؟ ولِماذا ؟

٧ـ مَا معنَى قولِه : ﴿ولا يَسْتَخِفَنَّكَ الّذينَ لا يُوقِنونَ﴾ ؟

٨ـ اذْكُرِ التَّناسُبَ بَيْنَ بدايةِ سورةِ الرُّومِ ونِهايَتِها .



١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ فُصِّلَتْ بمعنىٰ الآيةِ السّابعةِ والخَمْسينَ ، تُقَرِّرُ أَنَّ الكُفَّارَ في الآخِرَةِ لَيْسُوا مِنَ المُعْتِبينَ ، وبَيِّنْ سَبَبَ ذلكَ .

٢ـ تَذَكَّرْ ما كانَ يقولُهُ الكافِرونَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ اتِّهاماتٍ ، وسَجِّلْ خَمْسَةً مِنَ اتهاماتِهِمْ لَه ولِلْقُرْآنِ .

* * *

# الدَّرسُ الرَّابعُ والعِشرونَ

## سُورَةُ لُقْمانَ ـ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

### تعريفٌ بالسّورة :

سورَةُ لُقْمانَ مَكيّةٌ ، وآياتُها أربعٌ وثلاثونَ ، وسُمِّيتْ بهذا الاسْمِ لأنَّها تحدَّثَتْ عنْ لُقْمانَ الحكيمِ ، ووَعْظِه لابنه ، وتَعْليمِهِ لَهُ .

وتَتحدَّثُ السّورةُ عَنْ حَقائقِ العَقيدَةِ وأُصولِها ، بِهَدفِ إقْناعِ الكُفَّارِ بوَحْدانيَّةِ اللهِ ، وإبْطالِ الشِّرْكَ ، وإثباتِ النُّبَوةَ وحَقيقةِ الوَحْي ، وإثْباتِ البَعْثِ والآخِرَةِ ، وإقامَةِ الحُجَّةِ علىٰ الكُفّارِ حَوْلَها . وتَعْرِضُ الأدِلَّةَ والآياتِ الشَّاهِدَةَ لحقائقِ العَقيدَةِ ، مِنَ الكَوْنَ وما فيهِ مِنَ السَّمواتِ والأرْضِ ، واللّيْلِ والنَّهارِ ، ومِنْ حياةِ الإنْسانِ وخُضوعِهِ للهِ .

### معاني المفردات :

يُوقِنونَ : يُؤْمِنونَ إيماناً جازِماً لاَ شَكَّ فِيهِ .

لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ : كُلَّ كَلاَمٍ بَاطِلٍ يُلْهِي وَيَصْرِفُ عَنِ الحَقِّ كَالأساطِيرِ وَالغِناءِ .

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللهِ : لِيَصْرِفَ ٱلنَّاسَ عَنِ الحَقِّ .

عذابٌ مُّهِينٌ : عَذابٌ فيهِ إهانَةُ الكافِرِ وَإِذْلالُهُ .

وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً : أَعْرَضَ عَنْ آياتِ ٱللهِ مُتَكَبِّراً .

## التفسيرُ :

﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ ﴾ .

افتُتِحَتْ السّورةُ بالأحْرُفِ الثّلاثةِ المُقَطَّعةِ : ألفْ . لامْ . ميمْ . وذلكَ لِتَحدِّي الكفّارِ وإثْباتِ عَجْزِهِمْ ، وإثباتِ أنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ . كأنَّه يَقولُ لِلْمُشْرِكينَ : القُرْآنُ مُكَوَّنٌ مِنْ الحروفِ نَفْسِها الّتي تَنْطِقونَ بها ، فإذا لَمْ تُصَدِّقوا أنَّه مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فأْتوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، مُكَوَّنَةٍ مِنْ هذِه الأحْرُفِ .

والإشارَةُ إلىٰ الحُروفِ المُقَطَّعةِ . فآياتُ القُرْآنِ وجُمَلُها وكَلِماتُها مُرَكَّبَةٌ مِنْ هذهِ الحُروفِ وأَمْثالِها .

والقُرْآنُ هوَ الكتابُ الحَكيمُ ، لأنَّهُ كَلامُ اللهِ ، وكلامُ اللهِ كُلُّهُ حِكْمَةٌ وصِحَّةٌ وصوابٌ ، لا خَطأٌ فيهِ ولا خَلَلٌ ولا اضْطرابٌ .

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ .

القُرْآنُ كِتابٌ حَكيمٌ ، وهُوَ خِطابٌ لِلْعالَمينَ جَميعاً ، لَكِنْ لا يَهْتَدِي بهِ إلاّ المُؤْمِنونَ ، لأنَّ الكُفّارَ يُعْرِضونَ عنْهُ ويُكَذِّبونَ بما فيهِ .

القُرْآنُ هُدىً لِلْمُؤْمِنينَ ، يَهْديهِمْ إلىٰ الحَقِّ ، ويُنْقِذُهُمْ مِنَ الضّلالِ ، وهُوَ رَحْمةٌ مِنَ اللهِ بهِمْ ، يَرْحَمُهُمْ بآياتِهِ وتَشْريعاتِهِ وأَحْكامِهِ ، فعِنْدَما يَتَدبَّرونَهُ ويُطَبِّقونَ ما فيهِ يَسْعدُونَ بهِ ، ويَنالونَ رَحْمةَ اللهِ وفَضْلَهُ ، ويَبْتَعِدونَ عَنْ غَضَبِهِ وعِقابِهِ .

وهُمْ عندَما يَهْتَدونَ بهِ ، ويُنَفِّذونَ مَا فيهِ يَكونونَ مُحْسِنينَ ، يُحْسِنونَ في عباداتِهِمْ وأَعْمالِهِمْ وحياتِهِمْ ، يَعْبُدُونَ اللهَ كأنَّهُمْ يَروْنَهُ ، فإنْ لَمْ يروْهُ فإنَّهُ يراهُمْ ، ويُثيبُهُمْ اللهُ علىٰ إحْسانِهِمْ إحْساناً لأنَّه لاجَزاءَ للإحسانِ إلاّ الإحسانُ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ .

المُهْتَدونَ بالقُرْآنِ المُحْسِنونَ ، ظَهَرَ الإحْسانُ علىٰ أعمالِهِمْ وعِباداتِهِمْ ، حَيْثُ أحْسنوا في أدائِها ، وقَدْ ذَكَرتِ الآيَةُ الكَريمةُ بَعْضَ صِفاتِهِمْ :

إنَّهمْ مُحْسِنونَ في صَلاتِهِمْ ، يُقيمونَها بأَرْكانِها وسُنَنِها وهَيْئاتِها ، ومُحْسِنونَ في إيتاءِ الزَّكاةِ

المَفْروضةِ والصَّدَقةِ المُسْتَحَبَّةِ ، ومُحْسِنونَ في اعتقادِهِمْ وإيمانِهِمْ ، ولِذا يُوقِنونَ بِمَجيءِ الآخِرَةِ يَقيناً جازماً لا شَكَّ فيه .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

هٰذا ثَناءٌ مِنَ اللهِ علىٰ أُولئكَ الْمُؤْمِنينَ المُحْسِنينَ ، المُتَّصِفينَ بالصِّفاتِ الجَميلةِ ، حَيْثُ أخْبَرَ أنَهمْ مُهتَدونَ ، أخَذُوا مِنْهُ الكَثيرَ ، وتَمَكَّنُوا مِنْهُ ، وبذلكَ كانوا مُفْلِحينَ ، مُحَقِّقينَ لأهْدافِهِمُ الإيمانيَّةِ السَّاميةِ ، وهُمْ ـ وحْدَهُمُ ـ الفَائزونَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وهٰذا مَعْناهُ أنَّهُ لا فَلاحَ إلاّ بإحْسانِ العَمَلِ ، والاهْتداءِ إلىٰ الحَقِّ ، فالكافِرُ خاسِرٌ ضَالٌّ ، لا يُفْلِحُ ولا يَفوزُ ، لا فِي الدُّنيا ولاَ فِي الآخِرَةِ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

بَعْدَ الحَديثِ عَنِ المُؤْمِنينَ المُهْتَدينَ بالقُرْآنِ ، يَأْتِي الحديثُ عَنِ الكُفَّارِ المُعْرِضينَ عَنْهُ . هٰذا الفَريقُ مِنَ النَّاسِ يُعرِضونَ عَنِ القُرْآنِ ، ولا يَكْتفُونَ بِذلكَ وإنَّما يَشْتَرونَ ويَخْتارونَ كُلَّ ما يُلهِي مِنَ الحَديثِ ، كالأَساطيرِ والخُرافاتِ ، والحِكاياتِ المُضْحِكَةِ ، والغِناءِ والمُوسيقىٰ ، ويُقدِّمونَها لِلنَّاسِ ، لِيَشْغَلوهُمْ بِها ، ويَصْرفوهُمْ عَنِ الاسْتماعِ لِلْقُرْآنِ ، ويَصُدّوهُمْ عنْ سَبيلِ اللهِ ، ويُبْعدوهُمْ عَنِ الإيمانِ .

وعِنْدَما يَسْمعونَ آياتِ اللهِ يتَّخِذونَها هُزُواً ، حَيْثُ يَسْخرونَ منها ، ويَسْتَهْزِئونَ بِها ، ويُكَذِّبونَها ، وبِذلِكَ يَرْتَكبونَ جَرائِمَ مُتَعدِّدةً ، ما بَيْنَ ضَلالِهِمْ وإضْلالِهِمْ لِغَيْرِهِمْ ، واسْتِبْدالِهِمُ اللَّهْوَ الباطِلَ بالقُرْآنِ الحَقِّ ، واسْتِهْزائِهِمْ بالآياتِ .

هَؤلاءِ الكافِرونَ المُجرمونَ يَسْتَحِقُّونَ العَذابَ ، بِسَبَبِ جَرائِمِهِمْ ، وسَيكونُ عَذابُهُمْ مُهيناً لأنَّهمُ اسْتهانوا بآياتِ اللهِ ، والجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

هٰذا الّذي يَشْتَري لَهْوَ الحَديثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللهِ يُعْرِضُ عَنْ آياتِ اللهِ ، فعِنْدَما تُتْلىٰ عَلَيْهِ آياتٌ مِنَ القُرْآنِ يُدْبِرُ ويُعْرِضُ عَنْها ، بِعِنادٍ واسْتِكْبارٍ ، ويَتَظاهَرُ بِعَدمِ سَماعِها ، وكأنَّ في أُذُنَيْهِ ثِقَلاً حالَ دُونَ سَماعِهِ لهَا ، وذلكَ مِنْ تَكَبُّرِهِ وعِنادِهِ ، وإصْرارِه علىٰ رَفْضِ الحَقِّ .

وقَدْ هَدَّدَ اللهُ هٰذا المُتَكَبِّرَ المُعْرِضَ عَنِ الحَقِّ بالعَذابِ الأليمِ فِي الآخِرَةِ ، عِقاباً لَه علىٰ جرائِمِه .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يَهْتدِي بالقُرْآنِ ، ولا يَتعرَّضُ لِرَحْمَتِه إلاّ مَنْ فتحَ قَلْبَهُ لَهُ ، وهُمُ المُؤْمِنُونَ المُحْسِنونَ .

٢ـ الإحْسانُ صِفَةٌ أساسيَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ ، وتَعني إحْسانَ الأَعْمالِ والعباداتِ وإتْقانَها .

٣ـ الكُفَّارُ يَحْرِصونَ علىٰ إشْغالِ النَّاسِ باللّهْوِ واللَّعِبِ لِيَصدُّوهُمْ عَنِ الحَقِّ .

٤ـ كلَّ مَا أشْغلَ الإنْسانَ بالباطِلِ ، فَهُوَ مِنَ اللَّهْوِ المُحَرَّمِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَادَلالةُ وُجودِ الأحْرُفِ المُقَطَّعةِ في بداياتِ بَعْضِ السُّوَرِ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ ، الّتي اسْتَحقُّوا عَليْهَا الثَّناءَ منَ اللهِ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفاتِ الكُفّارِ القَبيحةِ وأعْمالَهُمُ الَّتي اسْتَحقُّوا بها العذابَ .

٤ـ سَجِّلْ أرْبعَ صُورٍ مُعاصِرَةٍ لِلَهْوِ الحَديثِ الَّذي يصدُّ أصْحابُهُ عنْ سَبيلِ اللهِ .

## نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِك تَعريفَ الإحْسانِ ، كمَا عَرّفَه رسولُ اللهِ ﷺ .

٢ـ سَجِّلِ الآياتِ الخَمْسَ الأُولىٰ مِنْ سورةِ البَقَرَةِ ، وقَارِنْ بَيْنَها وبَيْنَ الآيتينِ الرّابعةِ والخامسةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنَ المَجْموعَتيْنِ صِفَاتِ المُؤْمِنينَ .

* * *

# الدَّرسُ الخامِسُ والعِشرونَ

## سُورَةُ لُقمانَ ـ القِسْمُ الثَّاني

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

بِغَيْرِ عَمَدٍ : مِنْ دُونِ أَعْمِدَةٍ .

رَواسِيَ : جِبالاً ثَوابِتَ .

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ : لِئَلاَّ تَتَحَرَّكَ وَتَضْطَرِبَ بِكُمْ .

بَثَّ فِيهَا : نَشَرَ فِيها .

زَوْجٍ كَرِيمٍ : صِنْفٍ حَسَنٍ جَميلٍ نافِعٍ .

### التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ نَظْرَةِ المُؤْمِنينَ ونَظْرةِ الكافِرينَ لِلْقُرْآنِ ، وعَرَضتْ أهمَّ صِفاتِ المُحْسِنينَ المُهْتَدينَ بالقُرآنِ ، وذَكَرَتْ أفْعالَ الكافرينَ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ القُرْآنِ بإشْغالِهِمْ بِلَهْوِ الحَدِيثِ ، وهَدَّدتهُمْ بالعَذابِ المُهينِ الأليمِ .

وتُقَدِّمُ هذهِ الآيةُ صُورَةً لِحُسْنِ جَزاءِ المُؤْمِنينَ فِي الجَنَّةِ ، مُنَعَّمينَ مُخَلَّدينَ فِيها ، ثمَّ تَعْرِضُ دَليلاً كَوْنيًّا علَىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

يُخبِرُ اللهُ عَنْ حُسْنِ عاقبةِ السُّعَداءِ المُهْتَدينَ بالقُرْآنِ ومآلِهِمْ ، فقدْ كانُوا فِي الدُّنْيا مُؤْمِنينَ ، مُنَفِّذينَ لأحْكامِ القُرْآنِ ، حرِيصينَ علىٰ الإكْثارِ مِنَ الأعْمالِ الصَّالحةِ ، وهِيَ كَثيرةٌ تَسْتَغرِقُ أوْقاتَهُمْ كُلَّها .

وقَدْ وعَدَ اللهُ هٰؤلاءِ المُؤْمِنينَ حُسْنَ الجَزاءِ وجَزيلَ الثّوابِ ، ووَعْدُ اللهِ حقٌّ ، لأنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ ، ولِذلكَ يُنْجِزُ لَهُمْ وَعْدَهُ يَوْمَ القيامَةِ ، فَيُدْخِلُهُمْ جَنّاتِ النَّعيمِ ، يَنْعُمونَ فيها بِمُخْتَلَفِ أنْواعِ المَلَذّاتِ والمآكِلِ والمشارِبِ والمَلابِسِ والمَساكِنِ ، وهُمْ مُخَلَّدونَ فِي هذا النَّعيمِ الّذي لا يَنْفَدُ ، ولاَ يُغادِرونَهُ ، ولا يَنْقَطِعُون عنْهُ بالمَوْتِ .

واللهُ عَزيزٌ قَوِيٌّ ، فَعّالٌ لِمَا يُريدُ ، لا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ ، وهُوَ حَكيمٌ في فِعْلِهِ وشَرْعِهِ وقَدَرِه .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

اللهُ عزيزٌ حكيمٌ ، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، لا شَريكَ لَهُ في أُلوهِيَّتِه ورُبوبيَّتِهِ ، والدَّليلُ علىٰ ذلكَ هٰذا الكَوْنُ الكَبيرُ ، بمَا فيهِ مِنْ سَمواتٍ وأرْضٍ ، ونُجوم وكَواكبَ ، وجِبالٍ ودَوابَّ ، ونباتٍ ومَخلوقاتٍ . اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي خَلَقَ هٰذا ودَبَّرَهُ وأتْقَنَ صُنْعَهُ ، مِنْ دونِ شريكٍ أوْ مُعينٍ .

ـ خَلَقَ السَّمواتِ سَبْعاً طباقاً ورفَعَها بِغَيْرِ أَعْمِدَةٍ يَراها النّاسُ . وهذا الخَلْقُ على هذا النحو دَليلٌ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وكَمالِ قُدْرته . قالَ تعالَىٰ : ﴿ويُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ على الأرضِ إلاّ بإذْنِهِ﴾ [الحج : ٦٥] .

ـ وخَلَقَ اللهُ الأرْضَ ، وهَيأَها لِحَياةِ النَّاسِ ، وسَخَّرَها لَهُمْ ، وجَعَلَ فِيها الجبالَ رَواسيَ ، أَرْسَتِ الأرْضَ وثَقَّلَتْها ، لِئَلا تَميدَ وتتحرَّكَ ، وتَضْطِربَ بأهْلِها وتَهْتَزَّ ، فهِيَ تَحْفَظُ تَوازُنَ الأرْضِ ، بما فِيها مِنْ مُحيطاتٍ وبحارٍ وأنْهارٍ ويابِسَةٍ .

ـ بعدَما هيَّأَ اللهُ الأرْضَ لِلحَياةِ خَلَقَ المَخلوقاتِ الحَيَّةَ علَيْها ، خَلَقَها مِنْ ماءٍ ، ثُمَّ جَعَلَها تَتكاثَرُ وتَتناسَلُ ، وبثَّها ونَشَرَها علىٰ وجْهِ الأرْضِ ، وجَعَلَها دَوابَّ تَدُبُّ علىٰ وَجْهِ الأرْضِ ، منْها دَوابُّ البَرِّ كالحَيوانات والطُيورِ والزَّواحفِ ، ومنْها دَوابُّ البَحْرِ كالحيتانِ والأسْماكِ ، وكَفَلَ لهذِه الدَّوابِّ أرْزاقَها ، وقَدّرَ لهَا أعْمارَها ، وسَخَّرَها لِخِدْمةِ الإنْسانِ ، لِكَيْ تَسْتقيمَ الحياةُ علىٰ الأرْضِ .

أَنْزَلَ اللهُ الماءَ مِنَ السَّماءِ فأحْيا بِهِ الأرْضَ ، وأَنْبَتَ فيها النَّباتَ لِلدَّوابِّ ، والزُّروعَ والثِّمارَ

للإنسانِ ، وجعلَ النباتاتِ أزْواجاً وأَصْنافاً كَريمةً مُخْضَرَّةً جَميلةَ المَنْظَرِ ، وحَسَنَةَ الأشْكالِ والألوانِ والأزهارِ .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

وبَّخَ اللهُ المُشْرِكينَ بقولِه : هٰذا الّذي ذُكِرَ مِنَ المَخْلوقاتِ فِي السَّمواتِ والأرْضِ هُوَ خَلْقُ اللهِ وفِعْلُه وتَقديرُهُ ، خَلَقَهُ اللهُ بقُدْرَتِهِ وقُوَّتِهِ ، لَمْ يُشارِكْهُ في ذلكَ أحَدٌ ، لأنَّ كُلَّ ما سواهُ مَخْلوقٌ .

والآلِهَةُ الّتي عَبَدَها المُشْرِكونَ ماذا خَلَقَتْ لِتَكونَ آلِهَةً ؟ إنَّه لا يَصْلُحُ أنْ يَكونَ إلٰهاً إلاّ الّذي خَلَقَ ، والخالِقُ هُو اللهُ ـ وحْدَهُ ـ . إذنْ ما عَبَدَهُ المُشْرِكونَ مِنْ دونِه لَيْسَ إلٰهاً لأنَّه لَيْسَ خالِقاً! قالَ تعالَىٰ : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ . أَفَلا تَذَكَّرونَ﴾ [النحل : ١٧] .

وهٰذا معناهُ أنَّ المُشْرِكينَ ظالِمونَ لأنَّهُمْ جَعَلوا المَخْلوقَ إلٰهاً ، وهُمْ في ضَلالٍ واضِحٍ ، وجَهلٍ كبيرٍ ، وعَمىً وانْحِرافٍ ، وبِذَلكَ اسْتَحقُّوا عَذابَ اللهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يكونَ حَريصاً علىٰ الإكْثارِ مِنَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ ، وهيَ كَثيرةٌ تَمْلأُ عَلَيْهِ وَقْتَهُ .

٢ـ المُؤْمِنُ رابِحٌ مُفْلِحٌ فائِزٌ ، لأنَّهُ يُتعِبُ نَفْسَه في عُمُرِهِ المَحْدودِ في الدُّنْيا ، مُقابِلَ الخُلودِ فِي النَّعيمِ فِي الجَنَّةِ .

٣ـ خَلْقُ السَّماءِ فَوْقَنا ، وَرَفْعُها مِنْ دونِ أعْمدةٍ نَراها دَليلٌ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ وقُوَّتِهِ وعَظَمتِه وقُدْرَتِهِ .

٤ـ كلُّ كافِرٍ ضَالٌّ ظالِمٌ ، ولا ظُلْمَ أكْبَرَ مِنْ جَعْلِ شَريكٍ للهِ ، وعِبادةِ غَيْرِ اللهِ .

٥ـ الجِبالُ مَغْروزةٌ في باطِنِ الأرْضِ بأبْعادٍ تفوقُ ارْتِفاعَها فَوْقَ الأرْضِ مِمَّا قَلَّلَ اضْطراب القَارّات وحَرَكَتها وإلاّ لَما صَلُحَتِ الحَياة فَوْقَ ظَهْرِ الأرْضِ .




أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا حِكْمَةُ قَرْنِ الإيمانِ بالعَمَلِ الصّالحِ في غَالبِ الآياتِ ؟ ومَا الدَّلالةُ الّتي تَخْرُجُ بهَا منْ ذلكَ ؟

٢ـ المُؤْمِنونَ مُنَعَّمونَ فِي الجَنَّةِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ مَا معنَىٰ خَلْقِ السَّماءِ بِلا عَمَدٍ تَروْنَها ؟ ومَا الدَّلالةُ الّتي تَخْرُجُ بهَا مِنْ ذلك ؟

٤ـ اسْتَخرجْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ وَظيفةً لِلْجبالِ الّتي خَلَقَها اللهُ .

٥ـ مَا معنَىٰ قولِه : ﴿فَأَنْبَتْنَا فيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وإبْطالِ الشُّرَكاءِ لَهُ .

٧ـ وضِّحْ كَوْنَ المُشْرِكينَ ظالِمينَ وضالِّينَ .

## نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ خَمْسَةَ أَمْثِلَةٍ لِلْعَملِ الصَّالح فيمَا بَيْنَ المُؤْمِنِ وربِّهِ ، وخَمْسَةَ أَمْثِلَةٍ لِلَعْمَلِ الصَّالح يَنْفَعُ بهِ إخوانَهُ المُسْلِمينَ ، واكْتُبْ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ أخْبَرَ اللهُ في سورةِ النّبأِ أنّه جَعَلَ الجبالَ أَوْتاداً . سَجِّلِ الآيَةَ الّتي ذَكَرَتْ ذلكَ ، ثمَّ اذْكُرِ الفَرْقَ بَيْنَ كَوْنِها رَواسيَ وكَوْنِها أوْتاداً .

* * *

# الدَّرسُ السَّادِسُ والعِشرون

## سُورَةُ لُقْمانَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| ٱلحِكْمَةَ | : ٱلصِّحَّةَ وَالصَّوابَ مِنَ الأَقْوالِ وَالأَفْعالِ . |
| حَمِيدٌ | : ٱللهُ حَقيقٌ بالحَمْدِ . |
| يَعِظُهُ | : يَنْصَحُهُ وَيُذَكِّرُهُ بِالخَيْرِ . |
| وَصَّيْنَا ٱلإِنسانَ بِوالِدَيْهِ | : أَمَرْناهُ بِٱلإِحْسانِ إِلَىٰ والِدَيْهِ . |
| وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ | : ضَعْفاً عَلَىٰ ضَعْفٍ . |
| إِلَيَّ ٱلمَصِيرُ | : إِلَيَّ ٱلمَرْجِعُ يَوْمَ ٱلقِيامَةِ . |
| فِصالُهُ | : فِطامُهُ مِنَ الرَّضاعَةِ . |
| سَبيلَ | : طَريقَ . |
| أَنابَ إِلَيَّ | : رَجَعَ إِلَيَّ . |

## مَنْ هُوَ لُقْمَانُ ؟

تَتحدَّثُ آياتُ هٰذا الدَّرْسِ والّذِي يَلِيهِ عنْ قِصَّةِ لُقمانَ مَعَ ابنِه وهوَ يَعِظُهُ ، وأَخْبَرَنا اللهُ عنْه أنَّه آتاهُ الحِكْمَةَ ، فكانَ حَكيماً فِي أقوالِه وأفْعالِه ، وأدَّتْ حِكْمَتُه إلىٰ تَعميقِ إيمانِه باللهِ ، والإكْثارِ مِنْ ذِكْرِه وحَمْدِهِ وشُكْرِهِ ، ودَعْوةِ الآخَرينَ ونُصْحِهِمْ ، وأوَّلُ مَنْ وجّهَ لهُ لُقْمانُ نُصْحَه وَوَعْظَه ابنَه ، الّذي لَم نَعْرِفِ اسْمَهُ .

ولَمْ يُحَدِّثْنَا القُرْآنُ عَنْ تفاصيلِ حَياةِ لُقْمانَ ، فَلَمْ نعْرفِ الزَّمانَ والمكانَ الّذي عاشَ فيهِ ، ولَمْ نَعْلَمْ هَلْ كانَ نبيًّا أمْ مُجردَ حَكيمٍ مُؤْمِنٍ ناصِحٍ ، ولا نُثْبِتُ لَهُ مِنَ الأقوالِ إلاّ ما ذكرَتْه الآياتُ .

## التفسيرُ :

دَعَتِ الآياتُ السَّابقةُ إلىٰ توحيدِ اللهِ وعَدَمِ الشِّرْكِ بِهِ ، وَوَعَدَتِ المُؤْمنينَ الجَنَّةَ ، وهَدَّدتِ المُشْركين بالنَّارِ ، وأقامَتِ الأَدِلَّةَ علىٰ وحْدَانيّةِ اللهِ مِنَ السَّمواتِ والأرْضِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ وعْظِ لُقْمانَ الحكيمِ لابنِهِ ، وتُؤَكِّدُ علىٰ المَعانِي السَّابِقَةِ بأُسْلوبِ حكايةِ مَا قالَه لُقْمانُ لابنِه .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ أنَّه أعطَىٰ لُقْمانَ الحِكْمَةَ ، وهِيَ الصَّوابُ في الفَهْمِ والعِلْمِ ، والقَوْلِ والعَمَلِ ، وَوَفَّقَه اللهُ إلىٰ حُسْنِ العِلْمِ والعَمَلِ ، ودِقَّةِ الفَهْمِ والمَعْرِفَةِ ، وقَادَتْهُ حِكْمَتُه إلىٰ ذِكْرِ اللهِ وشُكْرِهِ .

ويَكونُ شُكْرُ اللهِ بالثَّناءِ عَليْهِ بالقَوْلِ الطَّيبِ الجَميلِ ، كمَا يكونُ باسْتخدامِ نِعَمِ اللهِ علىٰ الشَّاكرِ فيمَا يُرضِي اللهَ ، ومَنْ يَشْكُرُ اللهَ علىٰ ما أنْعَمَ بِهِ عليْهِ ، فإنَّما يَشْكُرُ لنفسِهِ ، ويُحَقِّقُ النَّفْعَ والخَيْرَ لِنفْسِهِ، ومَنْ لمْ يَشْكُرِ اللهَ، وجَحَدَ نِعَمَ اللهِ وكفَرَها وأنْكَرَها فهُو الخاسِرُ، لأنَّه يَجْنِي بذلكَ علىٰ نفسِهِ.

أمَّا اللهُ ـ سُبحانَه ـ فإنَّه لا يَنْفعُه شُكْرُ الشَّاكرينَ ، ولا يَضُرُّه جُحودُ الجاحِدينَ ، لأنَّهُ غنيٌّ عنْ عبادِه ، لا يُمْكِنُ أنْ يَضُرُّوهُ ، ولا يُمْكِنُ أنْ يَنْفعُوهُ ، وهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ والثَّناءِ .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

ومنْ آثارِ الحِكْمَةِ الّتي أعطاهَا اللهُ لِلُقْمانَ أنَّه تَوَجَّه إلىٰ ابنِهِ ناصِحاً واعظاً ، وقَدْ بدأَ مَعهُ

بالعقيدةِ ، فأمَرَهُ بتوحيدِ اللهِ ، ونهاهُ عَنِ الشّركِ وعِبادةِ غَيْرِ اللهِ ، وعَلّلَ ذلكَ بأنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظيمٌ ، وهوَ أَعْظمُ أصنْافِ الذنوبِ وأكْبَرُها ، لأنَّه يَجْعَلُ المَخْلوقَ الضَّعيفَ إلهاً معبوداً .

وقدِ اسْتَشْهَدَ رسولُ اللهِ ﷺ بقولِ لُقْمانَ علىٰ أنَّ الشِّرْكَ هُوَ أقْبَحُ أنواعِ الظُّلْمِ . فرَوَىٰ البُخاريُّ ومُسْلمٌ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ـ قالَ : لمَّا نزلَ قولُ اللهِ ﴿الذينَ آمَنُوا ولمْ يلبِسُوا إيمانَهم بظلمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأمْنُ﴾ [الأنعام : ٨٢] شَقَّ ذلكَ علىٰ أصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وقالُوا : أيُّنا لا يَظْلِمُ نَفْسَه ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : لَيْسَ هوَ كمَا تظنُّونَ ، إنَّما هوَ الشِّرْكُ ، أَلَمْ تسْمَعُوا مَا قالَ لُقمانُ لابنِه وهُوَ يَعِظُهُ : « لا تَشْرِكْ بالله ، إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ »(١) .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ وَصِيَّةَ لُقمانَ لابْنِه بِشُكْرِ اللهِ أَتْبَعَ ذَلِكَ بأنَّه وصَّى الإنْسانَ بوالِديهِ ، ممّا يَدلُّ على أنَّ هذا شَريعةٌ عَالَمِيَّةٌ عامَّةٌ .

وتَوْصيةُ الإنْسان بوالديه أَمْرٌ له ببرِّ والديْه وطاعَتِهما وأداءِ حُقوقِهما ، ولا سِيَّما الأُمُّ الّتي تَعِبَتْ علىٰ ابْنِها كثيراً ، وبِذَلِكَ كانَ فَضْلُها عَلَيْهِ كبيراً . فَقَدْ حَمَلَتْهُ وَهْناً علىٰ وَهْنٍ ، وكانتْ في أثناءِ حَمْلِها تَنْتَقِلُ منْ ضَعْفٍ إلىٰ ضَعْفٍ ، مِنْ آلامِ الحَمْلِ والوِحامِ ، إلى آلامِ الطَّلْقِ والوِلادَةِ والنُّفاسِ ، إلىٰ مَتاعبِ الرَّضَاعَةِ وما بَعْدَها مِنَ الرِّعايةِ والعِنايةِ . وهيَ تُرْضِعُ ابنَهَا في طُفولَتِهِ ، وتَفْطِمُهُ عندَما يَبْلُغُ العاميْنِ مِنْ عُمُرِهِ ، كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿والوَالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وقدْ أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنَ أنْ يَشْكُرَ لِربِّهِ إنْعامَهُ عَلَيْهِ ، وأنْ يَشْكُرَ لِوالِديْهِ تَربيتَهُما لهُ ، لأنَّهما مَصْدرُ الإحْسانِ إليهِ بَعْدَ اللهِ . وأخْبَرَهُ أنَّ مَصيرَهُ ومَرْجِعَهُ يَوْمَ القيامةِ إلىٰ ربِّه ، لِيُحاسِبَه علىٰ عَمَلِهِ ، فإنْ أَخْلَصَ لِرَبِّه وبَرَّ والديْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وإلاَّ عاقبَه اللهُ بالنَّارِ .

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

طاعةُ الوالديْنِ مُقيَّدةٌ بأنَّها طاعةٌ في المَعْروفِ ، فإنْ أَمراهُ بِمَعْصيَةِ اللهِ فلا طاعةَ لهُما ، وإنْ جاهَداهُ علَىٰ أنْ يُشْرِكَ باللهِ ، وحَمَلاهُ علَىٰ الكُفْرِ بهِ ، فإنَّه لا يُطيعُهما فِي ذلكَ لأنَّه لا طاعةَ لِمَخلوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالِقِ .

---

(١) أخرجه البخاري ( ٦٠ ) كتاب أحاديث الأنبياء ( ٤١ ) باب قوله ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ . حديث : ٣٤٢٩ . ومسلم في ( ١ ) كتاب الإيمان . ( ٥٤ ) باب صدق الإيمان وإخلاصه . حديث رقم : ١٢٤ .

ومَعَ عَدِمِ طاعةِ الوالدَيْنِ عِنْدَ أمْرِهما إياهُ بالمَعْصِيَةِ ، إلاّ أنّه مأمورٌ بمُصاحَبتِهما فِي الدُّنْيا بالمَعْروفِ والبرِّ والإحْسانِ ، وعَليْهِ أنْ يَسْلُكَ طَريقَ الحقِّ ، وأنْ يَسيرَ مَعَ المُؤْمنينَ الصَّالِحينَ ، المُنيبينَ إلىٰ اللهِ . وهُوَ يَعْلَمُ أنَّ مَرْجِعَ جَميعِ المَخْلوقِينَ يَوْمَ القيامةِ إلىٰ اللهِ ، حَيْثُ يُحاسِبُ الجَميعَ ، فيُثيبُ المُحْسِنَ مُقابلَ إحْسانِه ، ويُعاقِبُ المُسيءَ علىٰ إساءَتِه .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الحِكْمَةُ والمَعْرِفَةُ تَقومُ علىٰ ذِكْرِ اللهِ وحَمْدِهِ وشُكْرِهِ ، والّذي لا يَشْكُرُ اللهَ ليسَ عالِماً ولا حَكيماً .

٢ـ عاقِبَةُ الشُّكْرِ الحَسَنَةُ تَعودُ علىٰ صاحِبِها ، واللهُ لا يَنْفَعُهُ شُكْرُ شاكرٍ ، ولا يَضُرُّه كُفْرُ كافرٍ .

٣ـ علىٰ الأبِ أنْ يهتمَّ بتربيةِ أبنائِه وَوَعْظِهِمْ ونُصْحِهِمْ ، وأنْ يُنَشِّئَهُمْ علىٰ العقيدةِ والعبادةِ .

٤ـ الشّرْكُ باللهِ أعْظَمُ أنواعِ الظُّلْمِ وأَشدُّها قُبْحاً وسوءاً .

٥ـ البِرُّ بالوالدَيْنِ والإحْسانُ إليْهِما أساسيٌّ فِي الإسْلامِ ، ويأتِي بَعْدَ الإيمانِ باللهِ وعِبادتِهِ .

٦ـ علىٰ الإنْسانِ أنْ يُحْسِنَ لِمَنْ أحْسَنوا إليهِ ، وأنْ يَشْكُرَهُمْ علىٰ إنْعامِهِمْ وفَضْلِهِمْ ، وفِي مُقدِّمةِ هؤلاءِ الوالِدانِ .

٧ـ طاعةُ الوالدَيْنِ مُقيَّدةٌ بِعَدَمِ مَعْصِيَةِ اللهِ ، لأنَّه لاَ طاعةَ لِمَخْلوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالِقِ .

٨ـ وُجوبُ مُصاحَبَةِ الوالدَيْنِ في الدُّنْيا بالمَعْروفِ ، حتَّى لوْ كانا كافِرَيْنِ .




أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكرْ مَا تعرِفُه عنْ « لُقمانَ الحكيمِ » مِنْ خلالِ حَديثِ القُرْآنِ عنْهُ .

٢ـ حدِّدِ الصِّلةَ بَيْنَ الحِكْمةِ والشُّكْرِ ، مِنْ خلالِ آياتِ الدَّرْسِ .

٣ـ لِماذَا قَرَنَ اللهُ بيْنَ الأمْرِ بعبادَتِه والوَصِيَّةِ بالوالِدَيْنِ ؟

٤ـ مَا معنىٰ قولِهِ : ﴿حَمَلَتْهُ أمُّه وَهْناً علىٰ وَهْنٍ وفِصالُه فِي عامَيْنِ﴾ ؟

٥ـ متَى تَجِبُ طاعةُ الوالِدَيْنِ ؟ ومتَىٰ تَحْرُمُ ؟ ومَاذَا يَفْعَلُ مَعَهُما عِنْدَ حُرْمَةِ طاعَتِهِما ؟

**نَشاطٌ :**

١ـ اسْتَخرِجْ آيةً مِنْ أواخِرِ سورةِ فُصِّلَتْ ، وآيةً مِنْ أوائِلِ سورةِ الإسْراءِ ، تُقرِّرانِ معنَىٰ الآيةِ الثّانيةَ عشرةَ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ الأنْعامِ وآيةً مِنْ سورَةِ الإسْراءِ تَقْرِنانِ بَيْنَ الأَمْرِ بعبادةِ اللهِ والوَصِيَّةِ بالوالديْنِ ، واذْكُرِ الحِكْمَةَ مِنْ ذلكَ الجَمْعِ بَيْنَهُما .

* * *

# الدَّرسُ السَّابِعُ والعِشرونَ

## سُورَةُ لُقْمانَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ : وَزْنَ أَصْغَرِ شَيْءٍ ، كَوَزْنِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، وَٱلخَرْدَلُ نَباتٌ بذُورُهُ صَغيرَةٌ .

إِنَّ اللهَ لَطيفٌ خَبيرٌ : يَصِلُ عِلْمُهُ إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ خَفِيٍّ ، وَيُحيطُ عِلْمُهُ بِكُنْهِ ٱلأَشْياءِ وَحَقائِقِها .

مِنْ عَزْمِ ٱلأُمورِ : مِنَ ٱلأُمورِ العَظيمَةِ الَّتي أَوْجَبَها ٱللهُ .

لاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ : لاَ تُمِلْ خَدَّكَ عَنْهُمْ وَتُعْرِضْ بِوَجْهِكَ عَنْهُم تَكَبُّراً وَٱحْتِقاراً لهُمْ .

مَرَحاً : بَطَراً وَخُيَلاءَ .

مُخْتالٍ فَخورٍ : ٱلْمُتَبَخْتِرِ الَّذي يَمْشي بِخُيَلاءَ ، يَفْرَحُ وَيَتَباهَىٰ عَلىٰ ٱلنَّاسِ .

وَٱقْصِدْ في مَشْيِكَ : تَوَسَّطْ في ٱلمَشْيِ ، مِنْ دُونِ تَكَبُّرٍ أَوْ تَماوُتٍ وَاسْتِضْعافٍ .

وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ : اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ .

### التَّفسيرُ :

أَخْبَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ وَصِيةِ لُقْمانَ لابْنِهِ ؛ بالإيمانِ باللهِ وعَدَمِ الشِّرْكِ بهِ ، وعَنِ الوصيَّةِ بالوالدَيْنِ والإحْسانِ إليْهِما ، وعَدَمِ مُخالَفَتِهِمَا إلاّ إذا أمَرا بِمَعْصِيَةٍ .

وتُتابعُ هذهِ الآياتُ فَتَذْكُرُ التَّوْجيهاتِ الّتي وَجَّهَ لُقْمانُ ابْنَهُ إليها :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أخْبَرَ لُقْمانُ ابنَهُ عَنْ شُمولِ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيْءٍ في السَّمواتِ والأرْضِ ، سَواءٌ أكانَ صغيراً أمْ كبيراً . قالَ لهُ : إنَّ الحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ ، مَهْمَا صَغُرَتْ ، فإنَّ اللهَ يَعْلَمُها ، ولوْ كانتْ حَبَّةَ خَرْدلٍ ـ وهِيَ مِنْ أَصْغَرِ الأشْياءِ وزْناً ـ وكانتْ فِي أخفَىٰ مَكانٍ في الأرْضِ ، كأنْ تكونَ في جَوْفِ صَخْرَةٍ مُظْلِمَةٍ ، أوْ كانتْ في أعلَىٰ مَكانٍ في السَّمواتِ ، فإنَّ اللهَ يَعْلَمُها ، و قَادِرٌ على الإتْيانِ بها وإحْضارِها يَوْمَ القيامةِ ، ومُحاسَبَةِ صاحِبِها عَلَيْها .

واللهُ لَطيفٌ ، يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ مَهْمَا كانَ خَفِيًّا صَغيراً ، فلاَ تَخْفَىٰ عَلَيْهِ الأشْياءُ مَهْمَا دقَّتْ ولَطُفَتْ ، وهُوَ خَبيرٌ يَعْلَمُ كلَّ الأشْياءِ ، ظواهِرَها وبواطِنَها .

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

بعدَما أخْبَرَ لُقْمانُ ابْنَهُ عَنْ شُمُوْلِ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، أَمرَهُ بصالِحِ الأعْمالِ ، وعَظيمِ الصِّفاتِ ، قالَ لهُ : يا بُنيَّ أقِمِ الصَّلاةَ . وإقامَتُها بأنْ يُؤدِّيهَا مُخلصاً للهِ ، ويُحْسِنَ أداءَها بِفُروضِها وسُنَنِها ، ويُحافِظَ علىٰ أوْقاتِها ، ويَسْتَقيمَ على شَرْعِ اللهِ ، بَعْدَها ، ويَنْتَهِيَ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ .

ثم طَلَبَ مِنْهُ أنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بالمَعْروفِ ، وهُوَ كلُّ ما رَضِيَه اللهُ لِلْمُسْلمينَ وَأَمَرَهُمْ بِهِ ، مِنَ الأقوالِ والأفعالِ وَمَكارمِ الأخْلاقِ .

وفِي مقابِلِ ذلِكَ عليْهِ أنْ يَنْهىٰ النَّاسَ عَنِ المُنْكَرِ ، ويُحَذِّرَهُمْ منهُ ، وهُوَ كلُّ مَا أنْكَرَهُ اللهُ وحَرَّمَهُ مِنَ المَعاصِي والذُّنوبِ ، سَواءٌ أكانَ قَوْلاً أمْ فِعْلاً أمْ تَصرُّفاً أَمْ خُلُقاً .

وبمَا أنَّ الدَّاعيةَ الّذي يَأْمُرُ النَّاسَ بالمَعْروفِ ويَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ يَتعرَّضُ لأذَىٰ النَّاسِ فِي أقْوالِهم وأفْعالِهِمْ ، دعا لُقْمانُ ابنَهُ إلىٰ أنْ يَتزوَّدَ لِهذهِ المُهِمَّةِ بِزادِ الصَّبْرِ علىٰ كُلِّ ما يُصيبُه مِنَ الأذىٰ ، وذَلِكَ كي لا يَيْأَسَ أو يَجْبُنَ ، أوْ يَتوقَّفَ عَنِ القيامِ بالواجبِ .

وأخْبَرَ لُقْمانُ ابنَهُ أنَّ ما أمَرَهُ بهِ مِنْ إقامةِ الصَّلاةِ ، والأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، والصَّبْرِ علىٰ ما يُصيبُه ؛ هوَ مِنْ « عَزْمِ الأمورِ » ، وهِيَ الأُمورُ الّتي أَمَرَ اللهُ بها وأوْجَبَها ، وجَعَلَها فَرْضاً لا يُتخَلَّىٰ عَنْهُ ولا يُتْرَكُ .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ .

انتقلَ لُقْمانُ في تَوْجيهِهِ لابْنِه لِيَنْهَاهُ عَنِ التَّكبُّرِ والاخْتيالِ علىٰ النَّاسِ :

قالَ لهُ : إذَا كلَّمَكَ النَّاسُ أوْ قابلُوكَ فلاَ تُعْرِضْ بِوَجْهِكَ عَنْهُم تَكَبُّراً واحتقاراً ، وإذا كَلَّمتَهُمْ فلا تَفعَلْ ذلكَ وأنْتَ مُعْرِضٌ عَنْهُمْ . وَعَلَيْكَ أنْ تَكونَ مُتواضِعاً مَعَهُمْ ، سَهْلاً هيناً ليِّناً ، وقابلْهُمْ وأنْتَ مُنْبَسِطُ الوَجْهِ مُبْتَسِمٌ .

وعِنْدَما تَسيرُ فِي الأرْضِ لا تَكُنْ مُخْتالاً وبَطِراً ، تَتَبَخْتَرُ في مِشْيَتِك ، وتَتكبَّرُ علىٰ النَّاسِ ، فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ إنْسانٍ مُختالٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ ، فَخورٍ مُتكبِّرٍ علىٰ غَيْرِهِ .

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝ ﴾

بعدَ أنْ نَهىٰ لُقْمانُ ابنَهُ عَنِ المَشْيِ المُحَرَّمِ أرْشَدَهُ إلىٰ المَشْيِ الطَّيِّبِ ، والكلامِ الطَّيِّبِ .

المَشْيُ الطَّيِّبُ الجَيِّدُ الّذي يُحِبُّهُ اللهُ هُوَ المَشْيُ المُقْتَصِدُ ، وذَلِكَ بأنْ يَمْشِيَ الإنْسانُ مَشْياً مُتوسِطاً عَدْلاً هَيِّناً . كمَا قَالَ تعالَىٰ : ﴿وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الّذينَ يَمْشُونَ عَلى الأَرْضِ هَوْناً﴾ [الفرقان : ٦٣] .

وهٰذا معناهُ أنْ لاَ يكونَ الإنسانُ بطيئاً فِي مَشْيِه مُتَماوِتاً ، مُظْهِراً لِلزُّهْدِ ، ولا يكونَ سريعاً يَثِبُ في مَشْيِهِ وَثْباً .

كمَا أرْشَدَ لُقْمانُ ابنَهُ إلىٰ أنْ يكونَ صَوْتُه عِنْدمَا يَتَكَلَّمُ مُتوسِّطاً ، فلا يكونُ خافِتاً هَمْساً غَيْرَ مَسْموعٍ ، وَلا يَكونُ عالِياً شَديداً قاصِفاً ، فإنَّ شِدَّةَ الصَّوْتِ وارْتِفاعَهُ عَنِ الحاجَةِ تُؤذِي المُسْتَمِعَ ، وتَدُلُّ علىٰ الغُرورِ والاعْتدادِ بالنَّفْسِ .

وقدْ ذُمَّ رَفْعُ الصَّوتِ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ ، بأنْ شُبِّهَ بنهيقِ الحَميرِ ، وهٰذا فِي غايةِ القُبْحِ والذَّمِ والشَّناعَةِ ، وصَوْتُ الحميرِ عندَ نهيقِها مِنْ أبْغَضِ الأصْواتِ عِنْدَ اللهِ ، الّتِي يُنْكِرُها ويَكْرَهُها ، وأوَّلُ صَوْتِ الحَميرِ زَفيرٌ ، وآخِرُهُ شَهيقٌ! ولهٰذا هوَ قبيحٌ!

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ لَطيفٌ خَبيرٌ ، قَدْ أَحاطَ بكلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، لا يُضِيعُ مِثْقالَ حَبةِ خَرْدَلٍ منْ خَيْرٍ أوْ شرٍّ .

٢ـ علىٰ المُسْلِمِ أنْ يَحْرِصَ علىٰ القِيامِ بواجِبِه تِجاهَ إخْوانِهِ بِأَمْرِهِمْ بالمَعْروفِ ونَهْيِهِمْ عنِ المُنْكَرِ .

٣ـ الصَّبْرُ علىٰ ما يُصيبُ المُسْلِمَ خُلُقٌ عَظيمٌ ، وَزَادٌ كَبيرٌ لَهُ لِيَسْتَمِرَّ علىٰ القِيامِ بِدَعْوَتِهِ .

٤ـ المُتَكَبِّرُ ، المُخْتَالُ الفَخُورُ المُتَعالِي ، مَكْروهٌ عِنْدَ النَّاسِ ، بَغيضٌ عِنْدَ اللهِ .

٥ـ علىٰ المُسْلِمِ أنْ يُقابِلَ إخْوانَهُ بالابْتسامةِ والانْبساطِ وطَلاقةِ الوَجْهِ .

٦ـ المِشْيَةُ الجَيِّدَةُ هيَ المُتَوسطةُ المُقْتَصِدَةُ المُتَوازِنَةُ ، مِنْ دونِ بُطْءٍ مُتَثاقِلٍ ، ولاَ إسْراعٍ مُتلاحِقٍ .

٧ـ علىٰ المُسْلِمِ أنْ يَغُضَّ مِنْ صَوْتِه إذا كانَ عالِياً ، فالصَّوْتُ الحَسَنُ هوَ المُتوازِنُ بَيْنَ الخُفوتِ والشِّدَّةِ .

## التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ (رقم ٦) صُورةً لِشُمولِ عِلْمِ اللهِ ، وإحاطَتِهِ بكلِّ شَيْءٍ .

٢ـ بيِّنْ حِكْمَةَ قَرْنِ الآيةِ (رقم ١٧) بَيْنَ الصَّلاةِ، والأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، والصَّبْرِ.

٣ـ مَا معنَىٰ « عَزْمِ الأُمورِ » ؟ ومَا الأشْياءُ التي اعْتَبرَتْها الآيةُ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ ؟

٤ـ مَا الأَشْياءُ الَّتي نَهَىٰ لُقمانُ ابْنَهُ عنْها وذَكرَتْها آياتُ الدَّرْسِ ؟ ومَا معنَىٰ كُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنها ؟

٥ـ كيفَ يَكونُ القَصْدُ في المَشْيِ ، واسْتَدِلَّ على ذَلِكَ بآيةٍ أُخرىٰ مِنَ القُرْآنِ ؟

٦ـ مَا معنىٰ قولِه « واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ » ؟ ومَا مُواصفاتُ الصَّوْتِ المَقبولِ عِنْدَ اللهِ ؟

٧ـ لِمَاذا صَوْتُ الحَميرِ هُوَ أنْكَرُ الأَصْواتِ عِنْدَ اللهِ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ اسْتَخْرِجْ آيةً مِنْ سورَةِ الأَنْبياءِ بنفسِ معنَىٰ الآيةِ السّادسةَ عشرةَ ، تُقَرِّرُ أنَّ اللهَ يُحاسِبُ علىٰ مِثْقالِ مِنْ حبةِ خَردلٍ يَوْمَ القيامةِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَ الآيتيْنِ ، واكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِك .

٢ـ سجّلْ الآيةَ ( ١٨٦ ) منْ سورةِ آلِ عِمْرانَ ، واذْكُرْ مَوْضوعَها ، ثُمَّ اسْتَخْرِجْ منهَا أمرَيْنِ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ ، وَقارنْهُما بالأوامرِ في الآيةِ السّابعةَ عشرةَ .

٣ـ اذْكرْ آيةَ سورةِ الإسراءِ الّتي تَنهىٰ عنِ المَشْيِ في الأرْضِ مَرَحاً ، فمهمَا فَعَلَ فَلَنْ يكونَ بِطولِ الجِبالِ ، واذْكرْ وَجهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ الثّامنةَ عشرةَ ، واكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

# الدَّرسُ الثَّامِنُ والعِشرون

## سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ الخامِسُ

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

أَسْبَغَ : أَكْمَلَ وَتَمَّمَ .

نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَباطِنَةً : نِعَماً مَحْسُوسَةً وَنِعَماً مَعنَوِيَّةً غَيْرَ مَحْسُوسَةٍ .

وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ ٱللهِ : وَمَنْ يُفَوِّضْ أَمْرَهُ إِلَىٰ ٱللهِ ، ويُقْبِلْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ .

ٱلعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ : ٱلْحَبْلِ ٱلأَوْثَقِ ٱلْمَتِينِ .

عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدورِ : عَلِيمٌ بِحَديثِ النُّفوسِ الكَائِنِ فِي ٱلصُّدورِ .

نُمَتِّعُهُمْ قَليلاً : نَجْعَلُهُمْ يَسْتَمْتِعونَ بِعُمْرِهِمُ ٱلقَصيرِ فِي الدُّنْيَا .

نَضْطَرُّهُمْ : نُلْجِئُهُم وَنُلزِمُهُم .

عَذابٍ غَليظٍ : عَذابٍ ثَقيلٍ عَلىٰ الكُفَّارِ .

### التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ المَواعِظِ الَّتِي وَعَظَ بهَا لُقْمانُ ابنَه ، والتَّوجيهاتِ الّتي قدَّمَها له ، فِي العقيدةِ والعبادةِ والأَخْلاقِ .

وتَعودُ هَذِهِ الآياتُ لِلحَديثِ عَنِ الكُفَّارِ ، فَتذمُّهُمْ وَتُوَبِّخُهُمْ علىٰ شِرْكِهِمْ باللهِ ، وإعراضِهم عَنْ دِينِ اللهِ ، وتُهَدِّدُهُمْ بالعَذابِ الغَليظِ يَوْمَ القيامَةِ .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لِلنَّاسِ مُقرِّراً إياهُمْ بِمَا حَباهُمْ بهِ مِنَ النِّعَمْ الَّتي تُحيطُ بِهِمْ ، فَهُوَ قَدْ سَخَّرَ لَهُمْ كُلَّ مَا فِي السَّمواتِ ، مِنْ شَمْسٍ وقَمَرٍ ونُجومٍ ، وكُلَّ مَا في الأرْضِ مِنْ مياهٍ وبحارٍ وأنْهارٍ ، وزُروعٍ وثِمارٍ . وأتَمَّ عَلَيْكُمْ نِعمَهُ المَحْسوسةَ الظَّاهِرَةَ فِي الأبْدانِ والأمْوالِ والمُمْتَلَكاتِ ، كما أتَمَّ عَلَيْكُم نِعَمَهُ البَاطِنَةَ المَعْنويَّةَ كالإسْلام والعِلْمِ واليَقينِ والرِّضا والسَّعادةِ ، ونِعَمُ اللهُ علىٰ عبادِهِ لا تُحْصى ولا تُحْصَرُ . كمَا قالَ تعالىٰ : ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصوها إنَّ الإنسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

وَمُقْتَضى هَذه النِّعَمِ الَّتي يُشاهِدُها الإنسانُ في نَفْسِهِ ، وفي الأرْضِ مِنْ حَوْلِهِ ، وفي السَّماءِ التي فَوْقَهُ ، أنْ يَشْكُرَ اللهَ وَلاَ يَكْفُرَهُ ، وَيَعْبُدَهُ ولا يَعْصِيَهُ ، إلاَّ أنَّ كثيراً مِنَ النَّاسِ يَكْفرونَ ولا يُؤْمِنونَ ويُجادلونَ المُؤْمِنينَ بالباطِلِ ، زاعِمينَ أنَّ اللهَ لَهُ شُرَكاءُ ، وهُوَ فِي جدالِهِ لا يَتَّبِعُ دَليلاً ، ولا يَصْدُرُ عَنْ عِلْمٍ ، ولا يَنْطِقُ عَنْ هُدىً ، ولا يَجِدُ كِتاباً صَحيحاً يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ يُنيرُ لهُ طَريقَ الحَقِّ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

عندَما يدعُو المُؤْمنونَ هَؤلاءِ المُشركينَ المُجادِلينَ إلىٰ الإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ ، واتِّباع ما أَنْزَلَ مِنَ الوَحْيِ علىٰ رسوله ﷺ يَرْفُضونَ ذَلِكَ ، وَيُصِرُّونَ علىٰ تَقْليدِ آبائِهِمْ ، ويَقولونَ : لَنْ نَتَّبِعَكُمْ مَهْمَا قدَّمتُم مِنْ دَلائِلَ ، لأنَّنا نتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءَنا مِنَ الدِّينِ ، فهوَ وَحْدَه الدِّينُ الصَّحيحُ .

وقَدْ وبَّخَهُمُ اللهُ لِهذا التَّقليدِ الأعْمىٰ ، والمَوْقِفِ المَذْموم ، وأنْكَرَ عَلَيْهِم ذَلِكَ بقولهِ : هلْ يتَّبعونَ آباءَهُمْ بلاَ دَليلٍ ، حتَّىٰ لو كانوا مُتَّبِعينَ لِلشَّيْطانِ يَسيرونَ وراءَهُ بالباطِلِ ، ويُلبُّونَ دَعْوَتَهُ إلى الكُفْرِ والشِّرْكِ ، وهُوَ يَقودُهُمْ إلىٰ جهنَّمَ ، لِيُعذَّبُوا فيها عذاباً شَديداً في نارٍ مُسْتَعِرَةٍ .

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

إذا كانَ الكافِرُ يُقلِّدُ الآباءَ بالباطِلِ ، ويلبِّي دعوةَ الشيطانِ إلىٰ جهنَّمَ ، فإنَّ المُؤْمِنَ مُسْتَمْسِكٌ بالحَقِّ ، وقدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ اللهُ بقولِه : مَنْ يؤمِنْ باللهِ ، ويُخْلِصْ لهُ ، ويُسْلِمْ وَجْهَهُ إليهِ ، فَهُوَ الفَائِزُ المُوَفَّقُ المُفْلِحُ ، وهُوَ المُسْتَمْسِكُ بالحبالِ القَوِيَّةِ ، والمُتَعَلِّقُ بأوْثَقِ الوسائلِ والأعْمالِ المُوصِلَةِ إلىٰ

الجَنَّةِ ، ومَصيرُ المَخْلوقاتِ كُلِّها إلىٰ اللهِ يَوْمَ القيامَةِ ، فيعاقِبُ المُسيءَ بإساءَتِه ، ويُكَافِىءُ المُحْسِنَ بإحْسَانِه .

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

الرَّسولُ ﷺ كانَ يَفْرَحُ ويُسَرُّ عِنْدَما يَسْتَجيبُ لَهُ مَنْ يَدعوهُ ويَتْبَعُهُ ، ويُسْلِمُ وجهَه إلىٰ اللهِ ، وكانَ بالمُقابِلِ يَحْزَنُ عِنْدَما يَكْفُرُ بهِ الكافرونَ ويُعْرِضونَ عَنْهُ ، لأنَّه يُريدُ إنقاذَهُمْ مِنَ النَّارِ ، وهُمْ بإعْراضِهِمْ وكُفْرِهِمْ يَخْسَرونَ ، فكانَ يَحْزَنُ لَهُمْ .

ولِذلكَ واسَىٰ اللهُ رسولَهُ ﷺ بأنْ دَعاهُ إلىٰ عَدَمِ الحُزْنِ علىٰ الكُفَّارِ ، وقالَ لَه : لا تَحْزَنْ ولا تَغْتَمَّ لِكُفْرِ الكافِرينَ ، فإنَّهُمْ هُمُ الّذينَ يَخْسرونَ ، وأنْتَ لَمْ تُقَصِّرْ في دَعْوَتِهِمْ ، لكنَّهُمْ رَفضوا دَعْوَتَك عِنَاداً واسْتِكباراً .

ومَصيرُ هؤلاءِ الكافرينَ إلىٰ اللهِ ، حَيْثُ سَيَبْعَثُهُمْ يَوْمَ القيامةِ ، ويُنَبِّئُهُمْ بأعمالِهِمُ القَبيحةِ ويُحاسِبُهمْ عَلَيْها ، وقدْ كانَ عالِماً بِكُلِّ ما أَظْهَروهُ وأخْفَوْهُ في الدُّنْيا ، لأنَّهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدورِ ، فلاَ تَخْفىٰ عليهِ خافِيَةٌ .

وهؤلاءِ خاسرونَ لِدُنياهُم وآخِرَتِهِمْ ، لأنَّ حَياتَهُمْ في الدُّنيا قَصيرةٌ ، وأعْمَارَهُمْ فيها مَحدودةٌ ، سَرْعانَ ما تَنْتَهي ، وقدْ تمتَّعُوا في الدُّنيا بِشَهواتِها ومَلَذَّاتِها وزَخارِفِها ، ولَمْ يُؤْمِنوا باللهِ ، ولَمْ يُفكِّروا بالآخِرَةِ ، وانْتهىٰ تَمَتُّعُهُمْ فِي الدُّنيا بالمَوْتِ .

وفِي الآخِرَةِ يُعذِّبُهُمُ اللهُ فِي جَهَنَّمَ عَذاباً غَليظاً شَديداً شاقّاً ثَقيلاً ، يُلْجِئُهُمْ إليْهِ ويُلْزِمُهُمْ بهِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرْضَ مُسَخَّرَةً لبني آدَمَ ، وخَلَقَ بني آدَمَ لِيَعبدوهُ وَحْدَهُ .

٢ـ نِعَمُ اللهِ علىٰ النَّاسِ لا تُحصىٰ ، منْها الظَّاهِرةُ والباطِنَةُ ، ويَجِبُ عَلَيْهِمْ أنْ يَشكروهُ عَلَيْها .

٣ـ الكافِرُ يُجادِلُ فِي اللهِ بالباطِلِ ، ويُشْرِكُ بهِ ، ولا يَجدُ دليلاً نَقْليّا أَوْ عَقْليّاً يَعْتَمِدُ عليهِ .

٤ـ الكُفّارُ يُقلِّدونَ آباءَهُمْ تَقليداً أعمىٰ ، ويتَّبعونَهُمْ علىٰ الباطِلِ ، ويَتْرُكونَ الحَقَّ .

٥ـ علىٰ الإنْسانِ أنْ يَتَّبعَ الحَقَّ ، مَهْما كَانَ قائلُهُ ، وأنْ يَرْفُضَ كُلَّ ما يَتعارَضُ مَعَهُ ، مَهْما كانَ صاحِبُهُ .

٦ـ المُسْلِمُ هُوَ المُهْتَدِي البَصِيرُ ، والمُسْتَمْسِكُ بالعُرْوَةِ الوُثْقىٰ ، والفائِزُ عِنْدَ اللهِ .

٧ـ المُسْلِمُ يَحزَنُ وَيَتَأَلَّمُ لِكُفْرِ الكافِرِ وانْحرافِ العاصِي ، لأنَّ ذَلِكَ يَحْرِمُهُ مِنَ الفلاحِ .

٨ـ كُلُّ مَلَذَّاتِ الدُّنيا ومُتَعِها قَليلةٌ ، لأنَّها مَوْقوتَةٌ ، وتَنْتَهِي بِمَوْتِ صاحِبِها ، والمَتاعُ الباقِي فِي الجَنَّةِ .

## التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ أرْبعاً مِنْ نِعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ وأرْبعاً مِنْ نِعَمِهِ البَاطِنَة عَلَيْكَ .

٢ـ بِماذَا يَرُدُّ الكُفَّارُ علىٰ دَعْوةِ المُؤمِنينَ لَهُمْ إلىٰ اللهِ ؟ وعلَىٰ ماذا يَدُلُّ قَوْلُهُمْ ؟

٣ـ أـ مَا المُرادُ بإسلامِ الوَجهِ للهِ ؟ ب ـ وكَيْفَ يَكونُ الاسْتِمْساكُ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ ؟

٤ـ لِماذا يَحْزَنُ الرَّسولُ ﷺ علىٰ كُفْرِ الكَافِرينَ ؟ وما دَلالةُ ذلِكَ ؟

٥ـ اسْتِخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ (رقم ٢٤) دَلالةً تَرْبويةً نافِعَةً .

## نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأْ الآياتِ الأولىٰ مِنْ سورةِ الحَجِّ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا آيةً بَنصِّ القِسْمِ الثّانِي مِنْ هذهِ الآيةِ ﴿ومِنَ الناسِ . . . . . . ﴾ ، وسَجِّلِ الآيَةَ التي بَعْدَها ، ولاَحظِ التَّهديدَ الّذِي فيهَا .

٢ـ الآيةُ ( ١٧٠ ) منْ سورةِ البَقَرةِ بمعنىٰ الآيةِ الحاديةِ والعشرينَ . سَجِّلْها في دَفْتَرِك ، ثُمَّ لاحظِ الفَرْقَ بَيْنَ الآيَتيْنِ ، ووَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهُما .

* * *

# الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشرونَ

## سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ السَّادِسُ

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

يَمُدُّهُ : يَزِيدُهُ وَيُساعِدُهُ .

نَفِدَتْ : انتَهَتْ .

كَلِماتُ اللهِ : كَلامُ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

### التفسيرُ :

أَخبَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ رَفْضِ الكُفَّارِ اتِّباعَ الحَقِّ ، وجِدالِهِمْ في اللهِ بالباطلِ ، وذمَّتْهُمْ وَوبَّختْهُمْ ، وهَدَّدتْهُمْ بالعذابِ الغَليظِ .

وتُخْبِرُ هذهِ الآياتُ عَنْ إقرارِ المشْركينَ بأنَّ اللهَ هوَ الخالِقُ ، وهُمْ مَعَ ذلكَ يُشْرِكونَ بهِ .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)﴾ .

الكفَّارُ يُقِرُّون بأنَّ خالِقَ السَّمواتِ والأرْضِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُشْرِكونَ بهِ آلِهَةً أخرىٰ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولهِ ﷺ : إنْ سَأَلتَ هؤلاءِ المُشْرِكِينَ : مَنِ الّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ ؟ فَسَيُجِيبُونَ قائِلينَ : اللهُ وَحْدَهُ هوَ الّذي خَلقَهُما .

وهُمْ مُتناقِضونَ مَعَ أنفُسِهِمْ ، فَبالرَّغمِ مِنْ إقرارِهِمْ بأنَّ اللهَ ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ الخالِقُ ، فإنَّهُمْ يَعبدون غَيْرَه ، ويَجْعلونَ لهُ شُرَكاءَ ، وهُمْ يَعْتَرِفونَ أنَّهُمْ مَخْلوقونَ مَمْلوكونَ للهِ ، ولَكنَّهُمْ يَعْصونَهُ!

وقدْ أَمَرَ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَحْمَدَ اللهَ عِنْدمَا يَسْمَعُ جوابَهُمْ ، لأنَّه أقَامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ بِتَقْريرِهِمْ أنَّهُ الخَالِقُ ، فَالخَالِقُ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ دونَ سِواهُ .

وَمَعَ ذلكَ فأكْثَرُ المُشْرِكينَ لا يَعْلمون ما يجبُ للهِ منَ الوَحْدَانيَّةِ والخُضوعِ ، فيُشرِكونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، ويَعْبُدُوْنَهُمْ مِنْ دُوْنِهِ ، مَعَ اعْتِرافِهِمْ أنَّهُمْ مَخلوقونَ .

﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

إذا كانَ اللهُ هُوَ ـ وَحْدَهُ ـ خالِقُ السَّمواتِ والأرْضِ ، باعْتِرافِ المُشْرِكينَ أنْفُسِهِمْ ، فإنَّه ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ المَالِكُ لِلسَّمواتِ والأرْضِ وما فيهما ومَا بيْنَهُما ، المُتَصرِّفُ في خَلْقِهِ كما يَشاءُ . وَهٰذا مَعْناهُ أنَّهُ ـ وَحْدَهُ ـ الإلهُ الرَّبُّ المَعْبودُ ؛ فلاَ يَسْتَحِقُّ غَيْرُهُ الخُضوعَ والعِبادَةَ .

واللهُ الخَالِقُ المالِكُ هُوَ الغَنيُّ الحَميدُ ، غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ ما سِواهُ ، والمَخْلوقونَ مَمْلوكونَ للهِ ، فُقراءُ مُحْتَاجُونَ إليهِ ، وهُوَ المَحْمُودُ المُسْتَحِقُّ لِلثَّناءِ والشُّكْرِ ، لِما أنْعَمَ بِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

اللهُ الخالِقُ المالِكُ المَعْبودُ الغَنِيُّ الحَميدُ ، وَهُوَ مُتَكَلِّمٌ مَتَى شاءَ ، كَيْفَ يَشاءُ ، وكلامُه لا نِهايةَ لَهُ ، لأنَّ الكَلامَ مِنْ صِفاتِهِ القائِمةِ بذاتِهِ سُبحانَه وتعالَىٰ ، الّتي لَيْسَ لها بِدايةٌ ولا نِهايةٌ .

وَعَرَضتْ لنا الآيةُ صُورةً مُؤَثِّرَةً ، لِتَرْسيخِ هذهِ الحَقيقةِ في أذْهانِنا ، مِنْ أنَّ لا نِهايةَ لِكلماتِ اللهِ .

لِنَتصوَّرْ أنَّنا قَطَعنا جَميعَ أشْجارِ الأرْضِ مِنَ الغاباتِ والجِبالِ والسُّهولِ والوِدْيانِ ، وجَعَلْنا مِنْها أقْلاماً لِلْكِتابَةِ ، فَكَمْ سَيكونُ عِنْدنا مِنَ الأقْلام! ولْنَتصوَّرْ أنَّنا جَعَلنا البَحْرَ حِبْراً لِلكِتابَةِ ، وأمْدَدناه بِسَبْعَةِ أبْحُرٍ أُخْرَىٰ جَعَلْنا ماءَها حِبراً ، فَكَمْ سَيكونُ عِنْدَنا مِنَ الحِبْرِ!

ولْنَتصوَّرْ أنَّ المَخْلوقينَ جَميعاً شَرَعوا بكتابةِ كَلماتِ اللهِ الّتي يَتَكَلَّمُ سُبحانَه بها بِتلكَ الأقْلامِ ، مُسْتَخدِمينَ ذلكَ الحِبْرَ مِنَ البِحارِ الثَّمانيةِ!

ماذَا ستكونُ النَّتيجةُ ؟ سَوْفَ تَتكسَّرُ الأقْلامُ ، وَيَنْفَدُ وَيَنْتَهي حِبْرُ تِلكَ البِحارِ ، ولا تَنْفَدُ كَلماتُ اللهِ!

إنَّ كَلِمَاتِ اللهِ لا نِهايَةَ لهَا ، لأنَّ كلامَ اللهِ لَيْسَ لهُ بدايةٌ ولاَ نهايةٌ ، وكُتُبُ اللهِ الّتي أنزَلَها علىٰ رُسُلِهِ ، كالتَّوراةِ والزَّبورِ والإنْجيلِ والقُرْآنِ مَحْدودَةٌ مَحْصورَةٌ ، وهِيَ بَعْضُ كَلامِ اللهِ الّذي لا نِهايَةَ لهُ .

وبكلماتِهِ خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ ، وأَوْجَدَ الكَوْنَ وما فيهِ ، فهذا الكَوْنُ خُلِقَ بِعِلْمٍ ، وأُقيمَ بِحِكْمَةٍ .

واللهُ عَزيزٌ قَوِيٌّ ، لا يُعْجِزُه شَيْءٌ ، ولا يَغْلِبُهُ مَخْلوقٌ ، أَخْضَعَ المَخْلوقِينَ لَهُ ، وهُوَ حَكيمٌ في صُنْعِهِ وكَلامِهِ وقَدَرِهِ .

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

كلامُ اللهِ لا نِهايةَ لَهُ ، وعِلْمُهُ شامِلٌ لِكُلِّ شيءٍ ، وقُدْرَتُهُ مُطْلَقَةٌ ، يَفعَلُ مَا يَشاءُ ، وَلاَ يُعْجِزُه أيُّ شَيْءٍ ، وإِذَا أرادَ شَيْئاً فإنَّما يَقولُ لهُ كُنْ فيكونُ .

ولا بدَّ أنْ يُوقِنَ النَّاسُ بكلِّ ذلكَ ، ومِنْ ثمَّ يُؤْمنونَ بيومِ القيامَةِ ، ولا يَسْتغرِبونَ بَعْثَ النَّاسِ أحياءً بعدَ أنْ صارُوا تُراباً .

ولِذلكَ قالَ اللهُ لِلنَّاسِ : خَلْقُكُمْ جميعاً في الدُّنْيا ، وبَعْثُكُمْ جميعاً يَوْمَ القيامَةِ ، هَيِّنٌ سَهْلٌ علىٰ اللهِ ، هُو كَخَلْقِهِ لِنفسٍ واحِدَةٍ مِنْكُمْ ، وَكَبَعْثِهِ لِنَفْسٍ واحِدَةٍ ، الكُلُّ عِنْدَ اللهِ سَواءٌ ، الفردُ والمَجْموعُ ، يَستوي عِنْدَه الواحِدُ والجَماعةُ ، والقَليلُ والكَثيرُ .

كمَا قَالَ تعالَىٰ : ﴿إنَّما أَمْرُهُ إذا أرادَ شَيْئاً أَنْ يَقولَ لَهُ كُنْ فَيكونُ﴾ . [يس : ٨٢]

فمَنْ لا نَفادَ لِكَلماتِهِ ، ولا نِهايةَ لِعِلْمِهِ ، ولا تَحْديدَ لِقُدْرَتِهِ يَقولُ لِلْمَوتَىٰ يومَ القيامَةِ : كونوا فَيكونونَ أحياءً كما أرادَ اللهُ .

واللهُ سَميعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وبَصيرٌ بكلِّ شَيْءٍ ، يَسْمَعُ أَقْوالَ عِبادِه ، وَيَراهُمْ أينَما كانوا ، سَمْعُهُ وبَصَرُه بِهِمْ على كَثْرَتِهِمْ كَسَمْعِهِ وبَصَرِه بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ يَعْتَرِفونَ بوجودِ اللهِ ، وأنَّهُ الخالقُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالمُشْكِلَةُ عِنْدَهُمْ فِي وَحْدانيَّةِ اللهِ ، ولهٰذا يُشْرِكُونَ بهِ غَيْرَهُ مِنَ المَخْلوقِينَ .

٢ـ اللهُ الخالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، المالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، القادِرُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، وهٰذا مَعناهُ أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ .

٣ـ اللهُ يَتكلَّمُ مَتَى شاءَ ، كَيْفَ شاءَ ، وَقَدْ كَلَّمَ اللهُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ كما كَلَّمَ رَسولَنا ﷺ في الإِسْراءِ ، والقُرْآنُ كَلامُهُ وَخَلَقَ اللهُ الخَلْقَ بِكَلِماتِهِ .

٤ـ كلامُ اللهِ لاَ نِهايَةَ لهُ ، لأنَّه صِفَةٌ قائِمَةٌ بِذاتِ اللهِ .

٥ـ قُدْرَةُ اللهِ مُطْلَقَةٌ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلاَ يُعْجِزُهُ أيُّ شَيْءٍ ، وهٰذا مِنْ لَوازِمِ أُلوهِيَّتِهِ .

٦ـ الواحِدُ والجَماعةُ والقَليلُ والكَثيرُ سَواءٌ عِنْدَ اللهِ ، لأنَّهُ يقولُ لِلشيْءِ كُنْ ، فَيَكونُ .

٧ـ يَجِبُ وصْفُ اللهِ بكلِّ كَمالٍ ، وأنْ نُسَمِّيَهُ سُبحانَه بما سَمَّىٰ نفسَه مِنَ الأسْماءِ الحُسْنَىٰ ، فهوَ عَزيزٌ حَكيمٌ ، سَميعٌ بَصيرٌ ، غَنِيٌّ حَميدٌ .

## التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِمَاذَا أكْثرُ الكُفّارِ لا يَعْلَمونَ مَعَ أَنَّهُمْ يُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ هُوَ خالِقُ السَّمواتِ والأرْضِ ؟

٢ـ وَضّحْ الصُّورةَ الّتي رَسَمَتْها آياتُ الدَّرْسِ لِعدمِ انتهاءِ كَلِماتِ اللهِ .

٣ـ كَيْفَ تُوَفِّقُ بَيْنَ عَدَمِ نِهايَةِ كَلِماتِ اللهِ ، وبَيْنَ كَوْنِ كَلِماتِ القرآنِ وآياتِهِ مَحْصورَةً ، مَعَ أنَّه كَلامُ اللهِ ؟

٤ـ اقرأْ آياتِ الدَّرْسِ ، واسْتَخْرِجْ منهَا سِتَّةَ أسماءٍ للهِ ، وبيِّنْ معنَىٰ كلِّ اسْمٍ منها .

٥ـ كَيْفَ يَكونُ خَلْقُ النَّاسِ وَبَعْثُهُمْ كالنَّفْسِ الواحِدَةِ ؟ وعلَىٰ ماذا يَدُلُّ ذلكَ ؟



## نَشَاطٌ :

١ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ آخرِ سُورةِ الكَهْفِ بِمعنىٰ الآيةِ الخامسةِ والعشرينَ ، تُقَرِّرُ أنَّه لا نِهايةَ لِكَلماتِ اللهِ ، واذْكُرْ الفَرْقَ بَيْنَ الآيتيْنِ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ أَرْبَعَ آياتٍ أُخرَىٰ مِنَ القُرْآنِ مَبْدوءَةً بقولِه : « لَئِنْ سأَلْتَهم » تُقَرِّرُ أنَّ الكُفَّارَ عِنْدَما يُسأَلونَ عنْ خالِقِ السَّمواتِ والأرضِ يُجِيبُونَ أَنَّه اللهُ ، واكْتُبْهَا فِيْ دَفْتَرِك .

* * *

## الدَّرسُ الثَّلاثونَ

# سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ السَّابِعُ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

يُولِجُ : يُدْخِلُ .

سَخَّرَ : ذَلَّلَ وَأَخْضَعَ .

أَجَلٍ مُسَمًّى : وَقْتٍ مُحَدَّدٍ ، يَتَوَقَّفانِ عِنْدَ مَجيئِهِ ، وَهُوَ يَوْمُ القِيامَةِ .

الفُلْكَ : السُّفُنَ .

صَبَّارٍ : كَثيرِ الصَّبْرِ .

غَشِيَهُم : غَطَّاهُم وَعَلاهُم .

الظُّلَلِ : جَمْعُ ظُلَّةٍ، وهِيَ الّتي تُظَلِّلُ النَّاسَ وَتَحْجُبُ عَنْهُمْ ضَوْءَ الشَّمْسِ كالسَّحابَةِ وَالجَبَلِ .

مُقْتَصِدٌ : مُتَوَسِّطٌ فِي العَمَلِ الصَّالِحِ .

خَتَّارٍ : غَدَّارٍ .



التفسير :

تحدثتِ الآياتُ السَّابقةُ عنْ خَلْقِ اللهِ لِلسّمواتِ والأرْضِ ، ومِلْكِهِ لهُما ، وبَيَّنَتْ أنَّهُ لا نِهايةَ لِكَلماتِهِ ، ولاَ تحديدَ لِقُدْرَتِهِ ، فَهُوَ اللهُ الخالِقُ المالِكُ القادِرُ ، لا شَريكَ لَهُ .

وتتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ فِعْلِ اللهِ في كَوْنِهِ ، والحِكَمِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذَلِكَ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

مِنْ أَفْعالِ اللهِ الّتي تَحَدَّثَتِ الآياتُ عَنْها إيلاجُ النَّهارِ في اللّيْلِ ، واللّيْلِ في النَّهارِ وتَسخيرُهُ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وتَقديرُ جَريانِهِما .

يقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ولِكُلِّ مُتَدبِّرٍ منْ بَعْدِه ؛ أَلَمْ تُشَاهِدْ آيةً رَبّانيَّةً في تَعاقُبِ اللّيْلِ والنَّهارِ ، فاللهُ ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ الّذي يأْتِي بهِما ، يُدْخِلُ اللَّيْلَ في النَّهارِ ، ويَزيدُ فِيهِ ، فيكونُ اللّيْلُ طَويلاً والنَّهارُ قصيراً ، وذلكَ فِي الشِّتاءِ ، ويُدخِلُ النَّهارَ في اللَّيْلِ ، فيكونُ اللَّيْلُ قصيراً والنَّهارُ طويلاً ، وذلكَ فِي الصَّيْفِ .

وجَعَلَ اللهُ تَعاقُبَ اللَّيْلِ والنَّهارِ لِمَصْلَحةِ النَّاسِ علىٰ وجْهِ الأرض ، وسَخَّرَ لَهمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، يَسْتَفيدونَ مِنْ سَيْرِهِما ، ويُحَقِّقونَ مَصَالِحَهُمْ ومَنافِعَهُمْ ، وأخْضَعَ اللهُ هَذيْنِ الكَوْكَبَيْنِ الكَبيرَيْنِ لأَمْرِهِ ، وجَعَلَهُما يَجْرِيانِ وَيَسيْرانِ ، مِنْ دونِ تَوَقُّفٍ أوِ انْقِطاعٍ ، إلىٰ أَجَلٍ مُحَدَّدٍ لهُما ، وهوَ يَوْمُ القيامةِ ، حَيْثُ يَقْضي عَلَيْهِما ويُنْهي الحَياةَ الدُّنْيا .

واللهُ العالِمُ بكلِّ ما يَجْري في الكَوْنِ ، عَالِمٌ بِكُلِّ ما يَعْمَلُهُ النَّاسُ منْ خَيْرٍ أوْ شَرٍ ، وبمَا يُعْلِنونَهُ أوْ يُخْفونَهُ ، لا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خافِيَةٌ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

يُذَكِّرُنا اللهُ بآياتِه الكَوْنيةِ المُشَاهَدَةِ ، لِنَتَوصَّلَ مِنْ خلالِها إلىٰ تَوْحيدِه وعَدَمِ الشِّرْكِ بِهِ .

يَقولُ اللهُ : إنَّما يُظهِرُ اللهُ لكُم آياتِهِ ، ويُبَيِّنُ لَكُمْ عَجائِبَ قُدرَتِهِ وحِكْمَتِهِ ، لِتَسْتَدِلُّوا بها عَلَىٰ أَنَّهُ هُوَ الإِلهُ الحَقُّ ، لا شَريكَ لَهُ ، وهُوَ المُسْتَحِقُّ لِلعِبادَةِ ، وأنَّ كلَّ ما يَعْبُدُهُ الكُفَّارُ ويَدْعونَه مِنْ دونِه ، وَيَجْعَلونَه إلٰهاً شَريكاً لهُ باطِلٌ ، لَيْسَ إلٰهاً ولا مَعْبوداً .

وهٰذا مَعْناهُ أنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ ، تعالَىٰ على المَخْلوقِينَ ، فَلَمْ يُساوِهِ في عُلُوِّهِ أَحَدٌ ، وَهُوَ الكَبيرُ ،

لا يَقْرَبُهُ فِي كِبْرِيَائِهِ أَحَدٌ ، فَهُوَ العَلِيُّ الأَعْلَىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الكَبِيرُ الأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَكُلُّ ما سِواهُ خاضِعٌ لَهَ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝ ﴾ .

وفِي مُقابِلِ المُؤْمِنِ الصَّبّارِ الشَّكورِ ، الكافِرُ الخَتّارُ الكَفُورُ ، فالكُفّارُ يَلْجَؤونَ إِلىٰ اللهِ في الضُّرِّ ، ويَكْفُرونَ بِهِ عِنْدَ الرَّخاءِ .

فَقَدْ يُسافِرُ الكُفّارُ فِي البَحْرِ ، ويُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَمْواجَ البَحْرِ العاتِيَةِ الشَّديدَةِ ، فَتَغْشاهُم وتُحْدِقُ بِهِم مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وتُشْبِهُ فِي ارْتِفاعِها الجِبالَ والسَّحابَ ، عِنْدَ ذلكَ يَدعونَ اللهَ بِتَضرُّعٍ وإِلْحاحٍ ، ويُخْلِصونَ لهُ الدِّينَ ، ويُعاهِدُونَهُ علىٰ الاسْتقامةِ إنْ هُوَ نجّاهُمْ .

وعِنْدَما يُنَجِّيهِمْ إلىٰ البَرِّ سالِمينَ ، يَبْقىٰ قَليلٌ مِنْهُمْ علىٰ عَهْدِهِ مَعَ ربِّهِ ، يُوحِّدُهُ ويَعْبُدُهُ ، ويَكونُ مُقْتَصِداً مُتَوسطاً فِي عَمَلِهِ الصّالحِ والأَوْلَىٰ لَهُ أَنْ يَزيدَ مِنْهُ ، وَيَرْجِعُ كَثيرٌ مِنْهُمْ عَنْ عَهْدِهِ ، ويَكْفُرُ بربِّهِ ، ويجْحَدُ نِعْمَتَه ، ويُشْرِكُ بهِ غَيْرَهُ ، وبذلِكَ يَكونُ غدّاراً ناقِضاً لِلْعَهْدِ ، كَفوراً جاحِداً لِلنِّعْمَةِ . واللهُ لا يحِبُّ كلَّ غدّارٍ خائِنٍ كفورٍ جاحِدٍ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تَعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ مِنْ آياتِ اللهِ ، وعَلَىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَلْتَفِتَ لها ، ويَفيدَ منْها .

٢ـ نظَّمَ اللهُ حَرَكَةَ الشَّمْسِ والقَمَرِ والأَرْضِ والنُّجومِ وَقدَّرَها تَقْديراً ، وَجَعَلَها تَسيرُ بِدِقَّةٍ مُتناهِيَةٍ .

٣ـ اللهُ هُوَ الإِلهُ الحَقُّ ، والدَّلائلُ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَثيرةٌ ، وعِبادةُ غَيْرِه باطِلٌ وضَلالٌ .

٤ـ يُري اللهُ النَّاسَ آياتِهِ ، مِنْ خلالِ نِعَمِهِ وعَطاياهُ ورَحْمَتِهِ ، لَكِنْ لا يَلْتَفِتُ لَهَا إلاَّ المُؤْمِنُ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ المُتَقابِلَيْنِ : الصَّبْرِ علىٰ الشِّدَّةِ ، والشُّكْرِ علىٰ النِّعْمَةِ .

٦ـ الكافِرُ لا يَعْرِفُ اللهُ إلاّ عِنْدَ الشِّدَّةِ ، وهُوَ يَنْقُضُ عَهْدَه معه عِنْدَ الرَّخاءِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَرْبَعةَ دلائِلَ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وتَسْخِيرِهِ الكَوْنَ للإنسانِ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفتيْنِ مَحْمُودَتيْنِ لِلْمُؤْمِنِ ، فِي مُقابلِ صِفَتَيْنِ مَذْمومَتَيْنِ لِلْكافِرِ .

٣ـ مَا مَوْقِفُ الكُفَّارِ عِنْدَ الشِّدَّةِ ؟ ومَاذا يَفْعَلونَ عِنْدَ الرَّخاءِ ؟

٤ـ كَيْفَ يُولِجُ اللهُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ ؟ ومَتَىٰ ؟ وكَيْفَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ ؟ وَمَتَىٰ ؟

٥ـ سَجِّلْ فَائِدتَيْنِ تَخْرُجُ بِهِما مِنْ مَجيءِ النَّهارِ ، وفائِدتَيْنِ تَخْرُجُ بِهما مِنْ مَجيءِ اللَّيْلِ .

## نَشاطٌ :

١ـ اسْتَخرِجْ مِنَ القُرْآنِ ثَلاَث آياتٍ مِنْ سُوَرٍ أخرىٰ ، تُخْبِرُ عَنْ إيلاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهارِ وإيلاجِ النَّهارِ في اللَّيْلِ ، وسَجِّلْها في دفترك ، واسْتَخْرِجْ منهَا ثلاث دَلالاتٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الَّتي تُبَيِّنُ أَنَّ الكِبْرِيَاءَ للهِ وَحْدَهُ .

* * *

# الدرس الحادي والثلاثون

## سورة لقمان ـ القسم الثامن

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| اتَّقوا رَبَّكُمْ | : خافوا عَذابَ اللهِ . |
| لاَ يَجْزي | : لاَ يُغْني وَلاَ يَنْفَعُ . |
| لاَ تَغُرَّنَّكُمُ | : لاَ تَخْدَعَنَّكُمُ . |
| الغَرورُ | : الشَّيْطانُ يَغُرُّ الإنْسانَ وَيَخْدَعُهُ . |
| عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ | : اللهُ يَعْلَمُ وَقْتَ مَجيءِ السَّاعَةِ . |
| يُنَزِّلُ الغَيْثَ | : يُنَزِّلُ الماءَ مِنَ السَّحابِ رَحْمَةً وَغَيْثاً لِعِبادِهِ . |

### التفسيرُ :

أخبرتِ الآياتُ السَّابقَةُ عَنْ خُضوعِ الكَوْنِ للهِ ، وقَدَّمتِ الأدِلَّةَ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، وبيَّنتْ رَحْمَتَه بالنَّاسِ في إنْعامِهِ عَلَيْهِمْ وتَيسيرِ حياتِهِمْ .

ودَعَتْ هذهِ الآياتُ إلىٰ تقوىٰ اللهِ وخَشْيَتِه والخَوْفِ مِنْ عذابِهِ ، وعَرَضَتْ صُورَةً لأهْوالِ يَوْمِ القيامَةِ ، كيْ لا ينساها النَّاسُ ، ولا يَنْشَغِلوا بالدُّنْيا عَنْها .

وختَمَتِ السُّورةُ بآيةٍ جامعةٍ تُبيِّنُ عِلْمَ اللهِ الشّامِلَ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وذَكَرَتْ مَفاتِحَ الغَيْبِ الخَمْسةَ الّتي لا يَعْلَمُها إلاّ اللهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يَدْعو اللهُ النَّاسَ إلىٰ عَدَمِ الانْخِداعِ بالحَياةِ الدُّنْيا ونِسْيانِ الآخِرَةِ ، وعَلَيْهِم أنْ يَتذكَّرُوا يَوْمَ القيامةِ ، الّذي لاَ يَنْفَعُ فيهِ أحَدٌ أحَداً ، لِيَزْدادوا تقوىٰ وَخَشْيةً للهِ .

يَقولُ اللهُ لِلنَّاسِ جميعاً ، مُسْلِمينَ وكافِرينَ : يا أيُّها النَّاسُ اتقوا اللهَ ربَّكُمْ ، الّذي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، وتَقواكُمْ لهُ تَعني الازْدِيادَ مِنْ عِبادتِهِ وذِكْرِهِ ، وتَرْكَ ما حَرّمَه ، والحَذَرَ مِنْ عِقابه ، لِتَنالوا مَحَبَّتَه ورضْوانَهُ .

وعَلَيْكُمْ أنْ تَخْشَوْا يَوْمَ القيامَةِ ، وأنْ تَخافوا مِنْ أَهْوالِهِ ، فأهْوالُهُ مُخيفَةٌ تَجْعَلُ الأطْفالَ شيباً ، ولوْ أرادَ الوالِدُ أنْ يَفْدِيَ ابنَهُ أَوْ يَنفعَهُ ما اسْتطاعَ ، ولَوْ أَرادَ الابْنُ أَنْ يَفْدِيَ أباهُ أَوْ يَنْفَعَهُ ما اسْتَطاعَ ، فلا يُغني أَحَدٌ عَنْ أحَدٍ ، ولا يَنْصُرُ أحدٌ أحَداً ، ولا يَشْفَعُ أحَدٌ لآخَرَ إلاّ بإذنِ اللهِ . وكلُّ إنْسانٍ مَشْغولٌ بنفسِه عَنِ الآخرينَ ، والإنْسانُ يَفِرُّ مِنْ أقْرَبِ النَّاسِ إليهِ في الدُّنْيا .

ويَوْمُ القيامةِ آتٍ حَتْماً لأنَّ اللهَ أَرادَ ذَلِكَ ، وَوَعَدَ عِبادَهُ مَجيئَهُ ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ لا يَتَخلَّفُ ، والإنْسانُ يَوْمَ القيامَةِ إمَّا مُؤْمِنٌ مُثابٌ مُنَعَّمٌ في الجَنَّةِ ، وإمَّا كافِرٌ مُعَذَّبٌ فِي جهنَّمَ .

ويَدْعو اللهُ النَّاسَ إلىٰ عَدَمِ الاغْترارِ والانْخِداعِ بالحياةِ الدُّنيَا ، وعَدَمِ الانشغالِ بها عنِ الآخِرَةِ ، ونِسْيانِ الآخِرَةِ في غَمْرةِ الالْتِهاءِ بِها ، فَهِيَ زائِلَةٌ فانِيةٌ بالرَّغْمِ مِمّا فِيها مِنْ زينَةٍ ومتاعٍ وزَخارِفَ ، ومَنِ اغترَّ بهَا يَخْسَرُ خَسارةً بالِغَةً .

وعلىٰ النَّاسِ أنْ يَحْذَروا الشَّيْطانَ المُخادِعَ ، لأنَّه غرورٌ يَغُرُّ النَّاسَ ، ويَخْدُعُهُمْ بِوساوِسِهِ وأَمانِيهِ ، ويُزَيِّنُ لهُمُ المُخالَفَةَ ، ويُرغِّبُهُمْ فِي المَعْصِيةِ ، ويَخْدَعُهُمْ بِحِلْمِ اللهِ وإمْهالِهِمْ ، ويُؤَجِّلُ لهُمُ التوْبَةَ . كمَا قالَ تعالَىٰ عنْهُ : ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ، وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إلاَّ غُروراً﴾ [النساء : ١١٩-١٢٠] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

اللهُ مالِكُ الدُّنيا والآخِرَةِ ، أَمْرُهُ ماضٍ فيهِمَا ، لَيْسَ مَعَهُ شَرِيكٌ ، وقَدْ أحاطَ بكلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وجاءَتْ خاتِمَةُ السُّورةِ بَياناً لِعِلْمِ اللهِ الشَّامِلِ ، وتأكيداً لِقُصورِ الإنْسانِ وضَعْفِهِ . حَيْثُ ذَكَرتِ المَفاتِحَ الخَمْسةَ الّتي اخْتَصَّ اللهُ بها . فلا يَعْلَمُها أَحَدٌ غَيْرُه ولا يَقْدِرُ عليْهَا غَيْرُهُ .

ـ اللهُ ـ وَحْدَه ـ الّذي يَعْلَمُ متىٰ تقومُ السّاعَةُ ؛ حَيْثُ تَنتهي الدُّنْيا ، ويَجيءُ يَوْمُ القيامَةِ ، ولَمْ يُطْلِعْ علىٰ هٰذا مَلَكاً مُقرَّباً ، ولا نَبيًّا مُرْسلاً ؛ كَمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿لاَ يُجَلِّيها لِوَقتِها إلاَّ هوَ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

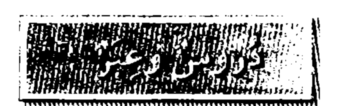
ـ اللهُ ـ وَحْدَه ـ الّذي يُنَزِّلُ الغَيْثَ ؛ فَهُوَ الّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ وَيَسوقُ السَّحابَ ، ويأْمُرُ بإنزالِ الغَيْثِ علىٰ عِبادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ ، ويُحيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، وإذَا مَنَعَه اللهُ فلاَ أحَدَ يَقْدِرُ علىٰ إنْزالِهِ مِنْ بَعْدِهِ .

ـ اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يَعْلَمُ مَا في الأَرْحام ؛ فَهُوَ الّذي يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ ، مِنَ الإنْسِ أَوِ الجِنِّ أوِ الدَّوابِّ ، ولا تَحْمِلُ الأُنْثىٰ إلاّ بأَمْرِهِ ، ولاَ يَحْفَظُ الجَنينَ فِي رَحِمِها إلاَّ هُوَ ، وهُوَ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يَعْلَمُ صِفاتِ ذلكَ الجَنينِ وطَبائِعَهُ وخَصائِصَهُ ، وَحدَّدَ لهُ مَعالِمَ شَخصيتهِ ورِزْقِهِ وأَجَلهِ ، وهُداهُ أوْ ضَلالَهُ ، وشَقاءَهُ وسَعادَتَهُ .

ـ اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يَعْلَمُ ماذا يَكْسِبُ كُلُّ واحِدٍ ؛ فهُوَ الّذي يُحَدِّدُ لِكُلِّ إنْسانٍ رِزْقَهُ ودَخْلَهُ في حياتِهِ ، وقَدَّرَ لهُ ذلكَ ، وبالرّغْمِ مِنْ أنَّ الإنْسانَ يَسْعىٰ ويأْخُذُ بالأسْبابِ ، ويَحْرِصُ ويَجْتَهِدُ ، إلاّ أنّه لا يُحَدِّدُ رِزْقَهُ بِكَسْبِهِ ، إنَّما الّذي يُحَدِّدُ ذلك اللهُ وَحْدَهُ .

ـ اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يَعْلَمُ أيْنَ يَموتُ كلُّ إنْسانٍ ؛ فَهُوَ الّذي يُحَدِّدُ لِكُلِّ إنْسانٍ أَجَلَهُ ، وقدَّرَ لَهُ عُمُرَهُ ، وإذَا جاءَ أجَلُهُ لا بدَّ وأَنْ يَموتَ ، وأَبْقَىٰ هٰذا مَخْفِيًّا عنْهُ ، فلاَ يَعْلَمُ إنْسانٌ أيْنَ أوْ كَيْفَ أوْ أَنّىٰ يَموتُ ، لأنَّ عِلْمَ ذلكَ عِنْدَ اللهِ .

وبِما أنَّ اللهَ اخْتَصَّ بالعِلْمِ بهذِهِ المَفاتِحِ الغَيْبِيّةِ الخَمْسَةِ فَهُوَ الّذي أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وهُوَ العَليمُ الخَبيرُ سُبْحانَه وتَعالَىٰ .



تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وُجوبُ الخَوْفِ مِنَ اللهِ وتَقْواهُ والخَوْفُ مِنْ عَذابِهِ والاسْتِعدادُ لِلِقائِهِ .

٢ـ التَّذكُّرُ المُسْتَمِرُّ لأَهْوالِ يَوْمِ القيامَةِ ، حَيْثُ لا يَجْزي أَحَدٌ عنْ أحَدٍ لِلاستقامةِ علىٰ طاعةِ اللهِ .

٣ـ عَدمُ الانْخِداعِ والاغْتِرارِ بالحَياةِ الدُّنْيا وزِينَتِها لأنّها غَرَّارةٌ تُنسي الآخِرَةَ .

٤ـ الحَذَرُ مِنَ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ وتَزيينِهِ ، وعَدَمُ الاسْتِجابَةِ لَه ، لأنّهُ لا يَعِدُ النَّاسَ إلاَّ غُروراً .

٥ـ مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهنَّ إلاّ اللهُ .

٦ـ مَهْما بَلَغَ الإنْسانُ مِنَ العِلْمِ فإنَّ عِلْمَهُ لا يَكادُ يُذْكَرُ أمامَ مَا يَجْهَلُهُ ويُخْفيهِ اللهُ عَنْهُ .



## التَّقْوِيمُ :

أَجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اشْرَحِ الصُّوُرَةَ الّتِي تَعْرِضُها الآيةُ لأهْوالِ يوم القيامةِ .

٢ـ مَنِ الَّذينَ تَغُرُّهُمُ الحَيْاةُ الدُّنْيا ؟ ولِماذا لا يَغْتَرُّ المُؤْمِنُ بها ؟

٣ـ مَا المُرادُ بِالغُرورِ في الآيةِ ـ بضمِ الغَيْنِ ـ ؟ ولِماذا التَحْذيرُ مِنْهُ ؟

٤ـ اذْكُرْ مَفاتِحَ الغَيْبِ المَذكورةَ فِي الآية الأخيرةِ ، واسْتَشْهِدْ لهَا بحديثِ رسول اللهِ ﷺ .

ـ كَيْفَ تُوفِّقُ بَيْنَ إنزالِ اللهِ الغَيْثَ ونَشْرَةِ الأحْوالِ الجَويَّةِ عَنِ الأَمْطارِ ؟

ـ كَيْفَ تُوَفِّقُ بَيْنَ عِلْمِ اللهِ بمَا فِي الأرْحامِ وتَعيينِ الأطبَّاءِ نَوْعَ الجَنينِ ذكراً أوْ أُنثىٰ ؟



## نَشاطٌ :

١ـ تَحدَّثتْ سُورةُ عَبَسَ عَنِ الصَّاخَّةِ ، حَيْثُ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إليْهِ . سَجِّلِ الآياتِ الّتِي تَحدَّثَتْ عَنْ ذلكَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا الأشْخاصَ الّذينَ يَفِرُّ مِنْهُمُ الإنسانُ ، وسَببُ ذلكَ .

٢ـ هذهِ المَفاتِحُ الخَمْسَةُ مَذكورةٌ مُجْمَلَةٌ في سُورةِ الأنْعام ، وفَسّرَ رَسولُ اللهِ ﷺ آيةَ سورَةِ الأنْعامِ بآيةِ سورَةِ لُقْمانَ . سَجِّلْ آيةَ الأنْعامِ المُتَحَدِّثَةِ عَنْ مَفاتِحِ الغَيْبِ ، ثمَّ سجِّلْ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ في تَفسيرِها بالآيةِ الرابعةِ والثلاثينَ .

٣ـ الغَيْنُ في آيةِ الدّرْسِ مَفتوحةٌ « الغَرور » بينَما هِي فِي آيةِ سورةِ النِّساءِ مَضْمومَةٌ « غُروراً » . ارْجِعْ إلىٰ أحدِ مَعاجِمِ اللُّغةِ ، وسَجِّلْ في دَفْتَرِك الفَرْقَ بَيْنَ الكَلِمَتَيْنِ .

* * *

# الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثون

## سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾




سورةُ السّجْدةِ مَكّيّةٌ ، وسُمّيتْ بهذا الاسْمِ لأنَّ إحدىٰ آياتِها أخبرتْ عَنْ سُجودِ المُؤْمنينَ للهِ .

وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَقرأُ سورةَ السَّجْدةِ في الرَّكْعةِ الأولىٰ مِن صَلاةِ فَجْرِ يَوْمِ الجُمُعةِ ، ويَقْرأُ في الرّكعةِ الثّانيةِ سورةَ الإنْسانِ .

ومَوْضوعُ السّورةِ تقريرُ حقائقِ العَقيدةِ ، وإثْباتُ وَحْدانيّةِ اللهِ ونُبوّةِ مُحمَّدٍ ﷺ واليومِ الآخِرِ ، وتُخْبِرُ عَنْ صِفاتِ المُؤْمنينَ ونَعيمِهِمْ ، وتَعْرِضُ نَماذجَ مِنْ أفْعالِ اللهِ في الوُجودِ ، تَدلُّ علىٰ قُدْرةِ اللهِ وحِكْمَتِهِ .

### معاني المفردات :

ٱلكتاب : ٱلقُرْآنِ .

لا رَيْبَ فيهِ : لا شَكَّ فِي أَنَّ ٱلقُرْآنَ كَلامُ ٱللهِ .

ٱفْتَراهُ : ٱخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ ٱلقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَنَسَبَهُ إِلىٰ ٱللهِ .

ٱلعَرْشِ : هُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوقاتِ ٱللهِ .

يَعْرُجُ إِلَيْهِ : يَصْعَدُ ٱلأَمْرُ إِلَيْهِ .

افْتُتِحَتِ السّورةُ بالأحْرُفِ المُقَطّعةِ ، ثمَّ قرّرتْ أنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ ، وردَّتْ علىٰ شُبُهاتِ الكُفّارِ ضِدَّهُ ، وعَرَضَتْ دَلائِلَ علىٰ وَحْدانيّةِ اللهِ ، مِنْ خَلْقهِ لِلسّمواتِ والأرْضِ واسْتِوائِه علىٰ العَرْشِ ، وتَدبيرِهِ أَمْرَ الكَوْنِ ، وعِلْمِهِ بكلِّ ما فيهِ .

﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾

هذهِ هي السُّورةُ السَّادِسَةُ المُفتَتَحَةُ بالأحْرُفِ الثّلاثةِ المُقَطَّعةِ : ألفْ . لامْ . ميمْ .

وهذهِ الحروفُ المُقَطَّعةُ في افْتتاحِ بَعْضِ السُّوَرِ لِتَحدِّي المُشْركينَ بالقُرْآنِ ، ومُطالَبَتِهِمْ بالإتْيانِ بمِثْلِهِ ، وعندَما يَعْجَزونَ عَنْ ذلكَ يَثْبُتُ أنَّ القرآنَ كَلامُ اللهِ .

وبَعْدَ الأحْرُفِ المُقطَّعةِ جاءَ تقريرُ حَقيقتَيْنِ : الأولى : أنَّ القُرْآن لَيْس فيهِ ما يُوجِبُ رَيْباً أيْ شَكّاً ، لأنْ أَخْبَارَهُ صِدْقٌ كُلُّها وأحْكامُهُ عَدْلٌ كُلُّها . والثّانيةُ : أنّه مِنْ رَبِّ العالَمينَ ، والحَقيقتانِ مُتَلازِمتانِ .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ ﴾ .

اللهُ يُقَرِّرُ أنَّ القُرْآنَ كلامُهُ ، لا رَيْبَ فِيهِ ، والكُفَّارُ لا يَأْخذونَ بكلامِ اللهِ ، وَيَزْعُمونَ أنَّ مُحَمَّداً ﷺ اخْتَلَقَهُ مِنْ عِنْدِهِ . والآيةُ تَذْكُرُ شُبْهَتَهُمْ ثمَّ تَنْقُضُها .

يقولُ اللهُ : بلْ إنَّ الكفَّارَ يَقولونَ زُوراً وبُهْتاناً : مُحَمَّدٌ اخْتَلَقَ القُرْآنَ ، وألَّفَهُ مِنْ عِنْدِهِ ، ونَسَبَهُ إلىٰ اللهِ كَذِباً وافْتراءً .

ويواسِي اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ ويَرُدُّ تُهْمَةَ الكُفَّارِ الباطِلَةَ ، وَيقولُ لَهُ : إنَّ القُرْآنَ هُوَ الحَقُّ مِنْ ربِّك ، أَوْحىٰ بِهِ إليكَ ، فالكُفَّارُ كاذِبونَ ظالِمونَ فِي اتِّهامِهِمْ لَكَ .

واللهُ جَعَلَكَ نَبيًّا رسولاً ، وأنْزَلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ ، لِتُنْذرَ العالَمينَ وتُخَوِّفَهُمْ العَذابُ ، وتَبدأ بإنْذارِ قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وهُم لَمْ يأتِهِمْ رَسولٌ مِنْ قَبْلِكَ ، ولَعلّهُمْ يَقبلونَ دَعْوَتَكَ ، ويُؤَثِّرُ فيهم إنْذارُكَ ، فَيُؤمِنونَ ويَهْتدونَ إلىٰ طريقِ الحَقِّ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ ﴾

بَعدمَا أثْبَتَ اللهُ النُّبوّةَ والرِّسالةَ ، وأنَّ القُرْآنَ كلامُهُ ، وأنَّ رَسولَهُ نَذيرٌ لِلعالَمينَ ، ذَكَرَ أَساسَ

دَعْوَتِهِ ﷺ لِلنّاسِ ، فَعَلَيْهِ أنْ يَبْدأَ بالدَّعوةِ إلىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، ويُقيمَ الدَّلائلَ علىٰ ذَلِكَ .

إنَّ اللهَ هوَ الخالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَبَدأَ خَلْقَ السَّمواتِ والأَرْضِ مِنَ العَدَمِ ، وأَوْجَدَهُما فِي سِتَّةِ أيامٍ ، واللهُ أعْلَمُ بِمقدارِ هذه الأَيّامِ ، فإنهُ مِنَ الغَيْبِ الّذي لا نَعْلَمُهُ .

واللهُ خَلَقَ عَرْشَهُ ، وهُوَ أعْظَمُ مَخْلوقاتِهِ واسْتَوَىٰ عَلَيْهِ ، اسْتواءً يَليقُ بِعَظَمتِهِ سُبحانَهُ ، وَلاَ نَعْرِفُ كَيْفيَّةَ اسْتوائِهِ لأنَّنا لا نُحيطُ عِلماً باللهِ ، ولا تُدْرِكُهُ أبْصارُنا .

واللهُ لَهُ الأَمْرُ والحُكْمُ ، يَتولَّىٰ أُمورَ النَّاسِ ، ولَيْسَ لهُم مِنْ دُونِه وَلِيٌّ يلِي أُمورَهُمْ ويَنْصُرَهُمْ ، ولا شَفيعَ لهُم عِنْدَ اللهِ ، إلاّ بإذنِهِ سُبْحانَه ، واللهُ هُوَ الوَليُّ والنّاصِرُ والمُعينُ .

وعلىٰ النَّاسِ أنْ يَتذَكَّروا هَذهِ الحَقيقةَ ، ويَتدبّرُوها ويَتَّعِظوا بِها ، لِيُؤْمِنوا باللهِ وحْدَهُ .

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ﴾ .

اللهُ هُوَ الخالِقُ للسَّمواتِ والأرْضِ ، وهُوَ المَلِكُ لهما ، يَقومُ عليْهِما ، ويُدبِّرُ الأَمْرَ فيهما ، ويَتَنزَّلُ أمْرُهُ مِنْ أعلىٰ السّمواتِ إلىٰ أقصىٰ تُخوم الأرْضِ ، وتُنَفِّذُ المَلائِكَةُ أمْرَ اللهِ في تَدبيرِ الأرْضِ ومَا فيها ، ثُمَّ يَصْعَدُ إليهِ سُبحانَه أثَرُ أمْرِهِ وتَنفيذُهُ ، تَصْعَدُ بهِ الملائِكَةُ .

وتُرْفَعُ الأُمورُ المُتَعَلِّقةُ بالمَخْلوقينَ في الدُّنْيا ، صغيرُها وكبيرُها ، إلىٰ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ لِيَفْصِلَ فيها ، ويَحْكُمَ فِي شَأْنِها ، ويُحاسِبَ أصْحابَها ، ويَكونُ ذلكَ يَوْمَ القيامةِ ، حَيْثُ يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ ويُحاسِبُهُمْ ، ويُثيبُهُمْ أوْ يُعاقِبُهُمْ ، ويَوْمُ القيامةِ مِقدارُه ألفَ سَنَةٍ مِنْ أيام الدّنْيا الّتي نَعُدُّها في حَياتِنا .

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ .

اللهُ الّذي يَبْدَأُ أمْرَ المَخلوقين علىٰ الأرْضِ وحَياتَهُمْ ، عالِمٌ بِجميعِ الأشْياءِ ، يَعْلَمُ كلَّ ما غابَ عَنِ الأبْصارِ مِمَّا يَجْهَلُهُ النَّاسُ ، ويَعْلَمُ ما هُوَ مشاهَدٌ تُشاهِدُهُ الأبْصارُ .

واللهُ هوَ العزيزُ ، الّذي غَلَبَ كلَّ شَيْءٍ وقهَرَهُ وأَخْضَعَه لَهُ ، وهُوَ الرَّحيمُ يَرْحَمُ عِبادَهُ ، ويُنْعِمُ علَيهِم ويُعْطيهِمْ ، ويُنَظِّمُ حَياتَهُمْ ويُدَبِّرُ أُمورَهُمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ الكفَّارُ جاهِلونَ سُفهاءُ ، ولِذلَكَ لا يُصدِّقونَ اللهَ ، فاللهُ يُقرِّرُ أنَّ القُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدهِ ، وهُمْ يَقولونَ : مُحَمَّدٌ افترىٰ القُرْآنَ ونَحنُ مُرتابونَ فيه .

٢ـ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرْضَ فِي سِتَّةِ أيامٍ ، وهُوَ قادِرٌ علىٰ خَلْقِها في لَحْظةٍ ؛ ولَعَلَّ في هٰذا دَعوةً لنا إلىٰ التَّأنّي فِي العَمَلِ وإتقانِه .

٣ـ اسْتوىٰ اللهُ علىٰ عَرْشِهِ ، بمَا يَليقُ بجَلالِهِ ، ولا نَعْرِفُ كَيْفيَّةَ اسْتوائِهِ ، وعَلَيْنا الإيمانُ والتَّصْديقُ بهِ .

٤ـ اللهُ يُدَبِّرُ الأمْرَ علىٰ الأرْضِ ، ويُنَظِّمُ حياةَ النَّاسِ ويُحاسبُهُمْ يَوْمَ القيامةِ .

٥ـ الأيامُ الغَيْبيَّةُ تَتفاوَتُ في طولِها عِنْدَ اللهِ ، فهُناكَ يَوْمٌ بألْفِ سَنَةٍ ، وهناكَ يَوْمٌ بخمسينَ ألفَ سَنةٍ .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا دَلالةُ الكَلامِ عَنِ القرآنِ بَعْدَ الحُروفُ المُقَطَّعةِ « ألم » ؟

٢ـ كَيْفَ تُوَفِّقُ بيْنَ إنذارِ الرَّسولِ ﷺ لقومِهِ وعُمومِ رسالَتِهِ لِلْعالَمينَ ؟

٣ـ مَا المُرادُ بالأيامِ السِّتَّةِ الَّتي خَلَقَ اللهُ بها السَّمواتِ والأرْضَ ؟

٤ـ اذكُرْ معنَىٰ الآيةِ الخامِسَةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

## نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِك أسْماءَ السّوَرِ المُفْتَتَحةِ بالأحْرُفِ الثّلاثةِ : « ألم » .

٢ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ الشُّعراءِ يَأْمُرُ اللهُ فِيها رَسولَه بإنْذارِ عَشيرَتِهِ الأَقْرَبينَ ، وآيةً مِنْ سورَةِ سَبأٍ يُخْبِرُه بأنَّه رَسولٌ لِكافّةِ النَّاسِ ، ثمَّ اجْمعْ بَيْنَ الآيتينِ .

٢ـ اكتُبْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورَةِ المَعارجِ ، تُخْبِرُ أنَّ طُولَ ذَلِكَ اليَوْمِ خَمسونَ أَلْفَ سنةٍ ، ثمَّ اجْمعْ بَيْنَها وبين الآيةِ الخامسةِ ، وأزِلِ التّعارُضَ بَيْنَهما . بعدَ مُراجَعَتِك لِبعضِ كُتُبِ التَّفسيرِ .

## تَعَلَّمْ :

سُئِلَ الإمامُ مالِكٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عنْ معنَىٰ قولِه تعالَىٰ : ﴿ثمَّ اسْتوَىٰ علىٰ العَرْشِ﴾ فقالَ : الاسْتواءُ مَعْلومٌ ، والكَيْفُ مَجْهولٌ ، والإيمانُ بِهِ واجِبٌ ، والسُّؤالُ عَنْه بِدْعَةٌ . .

# الدرس الثالث والثلاثون

## سورة السجدة - القسم الثاني

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

### معاني المفردات :

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ : أَتْقَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ .

نَسْلَهُ : ذُرِّيَّتَهُ .

سُلالَةٍ : نُطْفَةٍ مُسْتَلَّةٍ مَأْخوذَةٍ .

مَاءٍ مَهِينٍ : ماءٍ ضَعِيفٍ ، وَهُوَ المَنِيُّ .

سَوَّاهُ : صَوَّرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ ٱلإِنْسَانِيَّةِ المُتَناسِقَةِ .

ضَلَلْنا فِي ٱلأَرْضِ : بَلينا وَصِرْنا تُراباً ، وَتَحَلَّلَتْ أَجْسادُنا .

خَلْقٍ جديدٍ : نُبْعَثُ أَحْياءً مَرَّةً ثانِيَةً .

يَتَوَفَّاكُم : يَقْبِضُ أَرْواحَكُم .

تُرْجَعونَ : تُبْعَثونَ يَوْمَ القِيامَةِ .

### التفسير :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنْ خَلْقِ اللهِ لِلسَّمواتِ والأَرْضِ ومَا بيْنَهُما ، وتَدبيرِهِ لِلْحَياةِ علىٰ الأَرْضِ وتَنظيمِها ، وعِلْمِهِ بكلِّ شَيْءٍ فهُو عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ .

وتَحدَّثُ الآياتُ عَنْ خَلْقِ اللهِ للإنسانِ ، وأطوارِ هٰذا الخَلْقِ .

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ .

اللهُ خالِقُ السَّمواتِ والأرْضِ ، عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه ، وأحْكَمَهُ وأتْقنَهُ ، فَجاءَ هٰذا المَخْلوقُ علىٰ أحْسَنِ صورَةٍ ، وأفْضَلِ شَيْءٍ ضَبْطاً وتَقْديراً . ويبدو هٰذا فِي خَلْقِ السَّماءِ ونُجومِها وكَواكِبِها ، وخَلْقِ الأرْضِ وجبالِها وأنهارِها وأشْجارِها ، وخَلْقِ الإنْسانِ وتَصويرِهِ وتَقديرِهِ .

كلُّ ما خَلَقَهُ اللهُ فَهُوَ مُحكَمٌ مُتْقَنٌ ، مُرَتَّبٌ مُنَظَّمٌ ، لأنَّه لا خَطأَ ولا نقصَ فِي مَا يَفعلُهُ اللهُ ، ولا تفاوتَ ولا تناقُضَ في مَا يَخلُقُه اللهُ .

واللهُ الَّذي أحْسَنَ وأتْقنَ خَلْقَ كلَّ شيءٍ ، فَعَلَ ذلكَ بالإنسانِ ، حَيْثُ خَلَقَهُ فِي أحْسَنِ تقويمٍ ، وفضَّلَهُ علىٰ باقِي المَخْلوقاتِ ، وجَعَلَهُ خَليفةً في الأرْضِ .

وأوَّلُ إنْسانٍ مَخلوقٍ هُو آدَمُ أبُو البَشَرِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وقدْ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طينٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فيهِ مِنْ روحِهِ فَصارَ حيًّا بإذنِ اللهِ .

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ .

بعدَ أنْ خَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ طينٍ ، وخَلَقَ لهُ زَوْجَهُ حَوَّاءَ ، زَوَّجَ الرِّجالَ مِنَ النِّساءِ ، وجَعَلَهُمْ يتكاثرُونَ ويَتناسَلونَ عَنْ طريقِ التَّزاوُجِ .

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ .

وَنَفَخَ اللهُ في الإنْسانِ مِنْ روحِهِ ، فَصارَ إنْساناً حَيّاً . وَأَنْعَمَ اللهُ على الإنْسانِ بالحَواسِّ لِتَيْسيرِ حياتِهِ ، وقيامِهِ بوَظيفتِهِ ، فَمَنَحَهُ الأُذُنَ لِيَسْمَعَ بِها ، وَمَنَحَهُ العَيْنَ لِيَرى بِها ، وَمَنَحَهُ الفُؤادَ والقَلْبَ لِيُفكِّرَ وَيَعِيَ وَيَتَدَبَّرَ ويَعْتَبِرَ .

والأَصْلُ في المَخْلوقينَ أنْ يَعْتَرِفوا للهِ بالفَضْلِ والمِنَّةِ فَيَحْمدوهُ وَيَشْكُروهُ وَيَعْبُدوهُ وَيَذْكُروهُ ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلوا تِلكَ النِّعَمِ في ما يُرْضي اللهَ .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ .

المُشْرِكون يَكْفرونَ بالبَعْثِ ، وقَدْ حَدَّثنا اللهُ أنَّهُمْ يتَساءلُونَ مُتعجِّبينَ مُنْكِرينَ ، ويَقولونَ أإذا صارَتْ أجْسامُنا تُراباً ، وتَحَلَّلَتْ وامْتَزجَتْ بِتُرابِ الأرْضِ ، هَلْ مِنَ المَعْقولِ أنْ تَعودَ أجْسَامُنا حَيَّةً ، وأنْ نَعودَ خَلْقاً جَديداً ، وأنْ نَكونَ أحْياءً كما كُنَّا فِي الدُّنيا ؟

وهُمْ فِي سُؤالِهِمُ الإنكاريِّ هٰذا يُنْكِرونَ قُدْرَةَ اللهِ المُطْلَقَةَ علىٰ فِعْلِ مَا يشاءُ ، ويَكْفُرونَ بالبَعْثِ

ويَوْم القِيامةِ ، ويُنْكِرونَ لِقاءَ اللهِ لِلْحِساب ، وهٰذا كقولِه تعالَىٰ : ﴿فقالَ الكافِرونَ هَذا شيْءٌ عَجيبٌ. أإذا مِتْنا وُكُنَّا تُراباً ذَلكَ رَجْعٌ بَعيدٌ﴾ [ق : ٢-٣] .

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

هٰذا رَدٌّ مِنَ اللهِ علىٰ المُشْرِكينَ في إنْكارِهِمُ البَعْثَ ، يَأْمُرُ فيهِ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ أنْ يقولُ لهُمْ : لِماذا تَسْتبعِدُونَ وتُنْكِرونَ البَعْثَ ، واللهُ هُوَ الّذي خَلقَكُمْ ، وَجَعلَ لَكُمْ عُمُراً مُحَدَّداً فِي الدُّنْيا ، وعِنْدَ حُلولِ آجالِكُمْ يَأْمُرُ مَلَكَ المَوْتِ بِقَبْضِ أرْواحِكُمْ ، فَيتوفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ ، وهُوَ المُوكَّلُ بِقَبْضِ أرْواحِكُمْ .

ولَيْسَ المَوْتُ هُوَ نِهايةُ كُلِّ شيْءٍ ، فإنَّ اللهَ سَيَبْعَثُكُمْ أحْياءً يَومَ القِيامةِ ، ويُعيدُكُمْ إليهِ ، لِيُحاسِبَكُمْ علىٰ أعْمالِكُمْ ، فَيُجازي المُحْسِنَ بالجَنَّةِ ، ويُعاقِبُ المُسيءَ بالنَّارِ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أصْلُ النّاسِ واحِدٌ ، فَكُلّهُمْ لآدَم ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ ، وهُمْ يَتفاضلونَ بالتَّقْوى .

٢ـ تَكاثُرُ النّاسِ في الأرْضِ بَعْدَ آدَمَ بالزَّواجِ .

٣ـ اللهُ حَكيمٌ في فِعْلِهِ ، وقَدْ أحْسَنَ كلَّ شيءٍ خَلقَهُ وَأتْقَنَهُ ، فلاَ تَفاوُتَ ولاَ تناقُضَ ولاَ خَطأَ في خَلْقِهِ .

٤ـ خَلقَ اللهُ الإنْسانَ وسَوّاهُ وَمَنَحَهُ الحواسَ ، وحَفِظَهُ ورعاهُ في كُلِّ مَراحلِ حَياتِهِ .

٥ـ علىٰ الإنْسانِ أنْ يَشْكُرَ اللهَ علىٰ ما آتاهُ مِنَ النِّعَمِ .

٦ـ عُقولُ الكُفَّارِ ضَيِّقةٌ ولِهذا يَسْتَبْعِدونَ البَعْثَ والحَياةَ بَعْدَ أنْ كانوا تُراباً .

## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَنِ الإنْسانُ الّذي خَلقَهُ اللهُ مِنْ طينٍ ؟ ومَنِ الّذي خَلقَهُ مِنْ نُطْفةٍ مِنْ ماءٍ مَهينٍ ؟

٢ـ كَيْفَ أحْسَنَ اللهُ خَلْقَ الإنْسانِ ، واسْتَشْهِدْ علىٰ ذلكَ بآياتِ سورةِ الانْفِطارِ .

٣ـ مَا الواجِبُ عَلَيْكَ تِجاهَ النِّعَمِ الّتي أنْعَمَ اللهُ بِها عَلَيْكَ ؟

٤ـ مَا معنىٰ قولِ المشركِين : إذا ضللنا فِي الأرضِ إنا لفِي خلقٍ جديدٍ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ .

## نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك الآيتَيْنِ ( ٣ـ٤ ) مِنْ سورةِ المُلْكِ ، واذْكرِ الشَّبَهَ بَيْنهُما وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ ، ومَا معناهُما بإيجازٍ ؟

٢ـ اسْتَخرجْ مِنْ سورةِ الانْفطارِ ثَلاثَ آياتٍ تَتَحدَّثُ عَنْ خَلْقِ الإنْسانِ وتَسويتِهِ وتَصويرِهِ ، وَبيِّنِ الخُطُواتِ الأرْبَعِ الّتِي مَرَّ بهَا خَلْقُ الإنْسانِ ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِك .

* * *

## الدرس الرابع والثلاثون

# سورة السجدة - القسم الثالث

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

### معاني المفردات :

| | |
|---|---|
| نَاكِسوا رُؤُوسِهِمْ | : يَخْفِضونَ رُؤوسَهُمْ وَيُطَأْطِئُونها خَجلاً وَخِزْياً . |
| فَٱرْجِعْنا | : فَرُدَّنا وَأَعِدْنا إِلَىٰ ٱلحياةِ ٱلدُّنْيا . |
| مُوقِنونَ | : مُؤْمِنونَ ٱلآنَ بِيَوْمِ ٱلقِيامَةِ لِدَرَجَةِ ٱليَقينِ . |
| لآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها | : وَفَّقْنا كُلَّ نَفْسٍ لِلإيمان . |
| حَقَّ ٱلقَوْلُ مِنِّي | : ثَبَتَ قَضائِي وَوَجَبَ . |
| ٱلجِنَّةِ | : ٱلجِنِّ . |
| نَسِيناكُمْ | : تَرَكْناكُم مُعَذَّبينَ فِي جَهَنَّمَ . |
| عَذابَ ٱلخُلْدِ | : عَذابَ جَهَنَّمَ الدَّائِمَ وأَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ فيهِ . |
| تَتَجافَىٰ جُنوبُهُمْ | : تَتَنَحَّى وَتَرْتَفِعُ جُنوبُهُمْ عَنِ الفراشِ . |
| المَضاجِعِ | : الفُرُشِ الَّتِي يَضْطَجِعونَ وَيَنامونَ عَلَيْها . |
| قُرَّةِ أَعْيُنٍ | : نَعيمٍ تُسَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ . |



تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنْ خُضوعِ الإنْسانِ للهِ ، مُنْذُ ميلادِهِ إلى وَفاتِهِ ، ومَعَ ذلكَ يَسْتَبعِدُ الكُفَّارُ مَجيءَ يَوْمِ القيامةِ .

وتَتحدَّثُ هٰذه الآياتُ عَنْ مَصيرِ كُلٍّ منَ المُؤْمِنينَ والمُجْرِمينَ فِي الآخِرَةِ .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

كانَ الكُفَّارُ فِي الدُّنْيا يُنكِرونَ مَجيءَ يَوْمِ القيامَةِ ، وعِنْدَما يُبْعَثونَ فِي الآخِرَةِ ، ويَرَوْنَ أَحْداثَ يَوْمِ القيامَةِ يُصابونَ بالخِزْيِ ، ويَطلبونَ العَوْدَةَ لِلدُّنْيا لِيُؤْمِنُوا ويَعْمَلوا الصّالحاتِ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : لوْ رأَيْتَ مَشْهَدَ الْمُجْرِمينَ الكُفّارِ يَوْمَ القيامةِ لَرأيْتَ أَمْراً عَجيباً ، فإِنَّهُمْ سَيوقَفونَ بَيْنَ يَدَيْ ربِّهِمْ لِيُحَاسِبَهُمْ ، وسَيُنَكِّسونَ رُؤوسَهُمْ ويَخْفِضونَهَا خِزياً وذُلاً ونَدامَةً ، وسَيقولونَ : يَا رَبَّنَا ، لَقَدْ كُنَّا في الدُّنْيا نَكْفُرُ بِكَ ونَعْصيكَ ، لِكنَّنا الآنَ نَسْمَعُ قولَكَ ونُطيعُ أَمْرَكَ ، بَعدَمَا أَبْصَرْنَا ورأَيْنا أَحْدَاثَ يَوْمِ القيامةِ ، ونَحْنُ نادِمونَ علىٰ ما عَمِلْنَاهُ فِي الدُّنْيا مِنْ جرائمَ ، فأَرْجِعْنا يَا ربُّ إلىٰ الحياةِ الدُّنْيا ، لِنَعْمَلَ الأعْمالَ الصّالحةَ الّتي تُرْضيكَ . ونَحنُ الآنَ مُوقِنونَ بأنَّ يَوْمَ القيامَةِ حَقٌّ ، وأنَّكَ ـ وحْدَكَ ـ رَبُّ العالَمِينَ ، القادِرُ علىٰ إحْياءِ النّاسِ وإماتَتِهِم وبَعْثِهِمْ .

وهمْ كاذبونَ في تَعهُدِهِمْ بالإيمانِ والاسْتقامةِ ، فَلوْ اسْتجابَ اللهُ لهُمْ وأعادَهُمْ لِلدُّنْيا لعادُوا لِلْكُفْرِ مِنْ جديدٍ .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

لَوْ شاءَ اللهُ أنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ جَميعاً مِنْ دونِ اخْتيارٍ لَفَعَلَ ، ولَخَلقَهُمْ مُؤْمِنينَ بالإكْراهِ والاضْطرارِ ، لَكنّهُ أرادَ أنْ يكونَ إيمانُ النَّاسِ فِي الدّنْيا باخْتيارِهِمْ ، فمَنْ أَرادَ الإيمانَ واخْتارَهُ فإنَّ اللهَ يُوَفِقُهُ إليْهِ ويُعينُهُ عَلَيْهِ ، ومَنْ رَفَضَ الإيمانَ فإنَّ اللهَ يُضِلُّهُ ويَطْمِسُ علىٰ قَلْبِهِ .

وقَضاءُ اللهِ النّافِذُ أنَّه يَجْزِي المُؤْمِنَ بالجَنَّةِ ، ويُعاقِبُ الكافرَ بالنّارِ ، وقَدَّرَ أنْ يَمْلأَ جهنَّمَ يَوْمَ القيامَةِ مِنْ كُفَّارِ الإنْسِ والجِنِّ ، الّذينَ رَفَضوا الإيْمانَ واخْتاروا الكُفْرَ .

﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

يملأُ اللهُ جَهنَّمَ مِنْ كُفارِ الإنْسِ والجِنِّ ، وعِنْدَما يَكونُونَ مُعَذّبينَ فِيها يُقالُ لَهُم مِنْ بابِ الذَّمِّ والتَّوبيخِ : ذُوقُوا هٰذا العَذابَ فِي النَّارِ ، بِسَبَبِ تَكْذيبِكُمْ بِيوْمِ القيامَةِ وإنكارِكُمْ وقُوعَهُ ، وهٰذا أدَّى إلىٰ تَناسِيكُمْ لَهُ ، وتَرْكِكُمُ الاسْتعدادَ لهُ ، وارْتِكابِكُمْ لِلْمُحَرَّماتِ والمَعاصِي ، ولِذَلكَ سَيُعامِلُكُمُ اللهُ مُعامَلَةَ النَّاسِي ، بأنْ يَتْرُكَكُمْ مُعَذَّبينَ فِي جَهَنَّمَ ، تَذوقُونَ عذابَها الدَّائِمَ ، مُخَلَّدينَ فيهِ ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وتَكْذِيبِكُمْ وَسُوءِ عَمَلِكُمْ .

والنِّسيانُ بمعنَىٰ عدمِ التَّذكُّرِ ، والسَهْوُ نَقْصٌ يُنَزَّهُ اللهُ عَنْهُ ، فهوَ عَالِمٌ بكلِّ شَيْءٍ ، لا ينسَىٰ شيئاً ، ونِسْيانُه لِلكُفّارِ فِي جهنَّم بمعنَىٰ تركُهُمْ مُعَذَّبينَ فيها إهانةً واحْتقاراً لَهُمْ . قالَ تعالَىٰ : ﴿وَمَا كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ [مريم : ٦٤] .

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ .

بعدَ الحديثِ عنْ عَذابِ الكُفَّارِ فِي النَّارِ يأتِي الحَديثُ عَنِ المُؤْمِنينَ أَصْحابِ الجَنَّةِ ، وعنْ عِبادَتِهِمْ فِي الدُّنيا .

يَقولُ اللهُ : المُؤْمنونَ الّذينَ يُؤْمِنونَ ويُصَدِّقونَ بآياتِ القُرْآنِ ، هُمُ الَّذينَ عندَما يُوعَظونَ ويُذَكَّرونَ بهَا يَسْتَمِعونَ ويَسْتَجيبون لها ، ويَخِرُّونَ ساجِدينَ للهِ ، مُسَبِّحينَ حامِدينَ للهِ ، يقولُونَ : سُبحانَ اللهِ وبِحَمْدِه ، مُتَذَلِّلينَ خاضِعينَ لَهُ ، لا يَسْتكبِرُونَ عنْ عبادَتِه وطاعَتِهِ .

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

ومِنْ أوْصافِ هَؤلاءِ المُؤْمنِينَ الصَّالِحينَ أنَّهم يُصَلُّونَ صَلاةَ التَّهَجُّدِ فِي اللَّيْلِ ، حَيْثُ تَتجافي جُنوبُهُمْ عَنْ فُرُشِهِمْ ومَواضِعِ نَوْمِهِمْ بمعنى تَتَباعَدُ ، فَيَهْجُرونَ النَوْمَ والرَّاحةَ ، ويُبادِرونَ إلى الصَّلاةِ ، يَدْعونَ ربَّهُمْ ويَتَضرَّعونَ إليْهِ ، ويَخافونَ عَذابَه ، ويَطْمَعُونَ فِي جَنَّتِه وثوابِهِ .

وخَارِجُ الصَّلاةِ يُحْسِنونَ إلىٰ عِبادِ اللهِ المُحْتاجِينَ ، ويُنفقونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الأمْوالِ والأَرْزاقِ الّتي أنْعَمَ اللهُ بِها عَلَيْهِمْ .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

هَؤلاءِ المُؤْمِنونَ الصَّالحونَ العابِدونَ للهِ فِي الدُّنيا يَنالونَ عِنْدَ اللهِ أحْسَنَ الجَزاءِ ، حَيْثُ أَعَدَّ اللهُ

لَهُمْ مِنَ النَّعيمِ مَا لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ ، وأَخْفاهُ عَنِ المَخْلوقِينَ ، وَحَفِظَهُ لهُمْ جَزاءً علىٰ حُسْنِ أَعْمالِهِمْ فِي الدُّنْيا ، ويُعطِيهِمْ إِيَّاهُ لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ وتَسْعَدَ أَنْفُسُهُمْ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

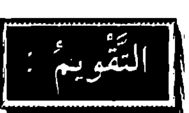
١ـ الكفَّارُ يَغشاهُمُ الذُّلُّ والخِزْيُ يَوْمَ القيامةِ لأنَّهُم رَفَضوا الإيمانَ .

٢ـ لو شاءَ اللهُ لَهَدى النّاسَ جَميعاً ، ولكِنَّهُ عَرَّفَهُمُ الهُدَى ودَلَّهُمْ عَليْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ومِنْهُم مَنْ كَفَرَ ، ومِنْهُم أَهْلُ الجَنَّةِ ومِنْهُم أَهلُ النّارِ .

٣ـ مَنْ تَرَكَ شَرْعَ اللهِ وغَفِلَ عَنْ لِقائِهِ يُعاقِبُهُ اللهُ بالإِهْمالِ والتَّرْكِ فِي العَذابِ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يَخْضَعَ للهِ ، ولاَ يَكونَ مِنَ المُسْتَكْبِرينَ ، وعِنْدَمَا يُذَكَّرُ بآياتِ اللهِ يُسارِعُ بالسُّجودِ للهِ .

٥ـ المُؤْمِنُ حَريصٌ علىٰ قِيامِ اللَّيْلِ ومُناجاةِ اللهِ ، وهَجْرِ الرَّاحَةِ ولَذَّةِ النَّوْمِ ؛ طَلباً لِما عِنْدَ اللهِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا الّذي يَطْلُبُهُ المُجْرِمونَ يَوْمَ القيامةِ ؟ ولِماذا ؟ وهَلْ هُمْ جادُّونَ صادِقونَ فيهِ ؟

٢ـ مَا الفَرْقُ بَيْنَ الجَنَّةِ ـ بفتحِ الجيمِ ـ والجِنَّةِ ـ بِكَسْرِ المِيمِ ـ ؟

٣ـ بِمَاذا تُفَسِّرُ قَوْلَ اللهِ لِلْكُفارِ : « إِنَّا نسيناكُم » ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَرْبعةَ أَعْمالٍ صالِحَةٍ يَعْمَلُها المُؤْمِنونَ في الدُّنيا .

٥ـ سَجِّلِ الحَديثَ فِي مَا أَخْفَىٰ اللهُ لِلْمُؤمنينَ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ فِي الجَنَّةِ .

## نشاط :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سُورةِ الأنْعامِ آيتَيْنِ تُخبرانِ عَنْ طَلَبِ الكُفَّارِ العَوْدةَ لِلدُّنيا ، ولَكِنَّهُمْ لَوْ أُعيدُوا لَعادُوا لِلْكُفرِ ، واذْكُرْ وجهَ الشَّبَهِ بَيْنَهما وبَيْنَ الآيةِ الثانيةَ عشرةَ ، واكْتُبْ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِك .

٢ـ اكْتُبْ فِي دَفْتَرِك السُّنَّةَ النَّبويَّةَ المَندوبَ عَمَلُهَا عِنْدَ قراءةِ آيةِ السَّجْدَةِ أَوْ سَماعِهَا .

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سورةِ الذَّارياتِ الآياتِ الّتي تُثْني علىٰ المُؤْمنينَ لِتَهَجُّدِهِمْ واسْتِغفارِهِمْ وصَدَقِتِهِمْ علىٰ المُحْتاجِينَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّادسةَ عشرةَ ، واكْتُبْ ذلكَ فِي دَفْتَرِك .

٤ـ سجِّل الحديثَ الّذِي يَذْكُرُ أنَّ اللهَ أعَدَّ لِلْمُؤْمنينَ ما لمْ ترَ عَيْنٌ ، ولَمْ تَسْمعْ أُذُنٌ ، ولَمْ يَخْطُرْ علىٰ قَلْبِ بَشَرٍ .

* * *

## الدَّرْسُ الخَامِسُ والثَّلاثونَ

# سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

### معاني المُفْرَداتِ :

كَانَ فاسِقاً : كانَ كافِراً ، خَارِجاً عَنْ شَرْعِ اللهِ .

لاَ يَسْتَوونَ : لاَ يَتَساوىٰ المُؤْمِنونَ مَعَ الكافِرينَ .

جَنَّاتُ المَأْوىٰ : جَنَّاتُ الإِقامَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لاَ ارْتِحالَ عَنْها .

نُزُلاً : تَكْريماً وَضِيافَةً .

مَأْوَاهُمُ النَّارُ : إِقامَتُهُمُ الدَّائِمَةُ فِي النَّارِ ، وَلاَ ارْتِحالَ لَهُم عَنْها .

العَذَابِ الأَدْنَىٰ : العذابِ الأَقْرَبِ وَهُوَ عَذابُ الدُّنْيا .

العَذابِ الأَكْبَرِ : عَذابِ جَهَنَّمَ العَظيمِ الدَّائِمِ .

### التفسيرُ :

ذكَرتَ الآياتُ السَّابِقةُ بَعْضَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَفْعَلُها المُؤْمِنونَ ، مِنْ سُجودٍ وتَهَجُّدٍ وتَضَرُّعٍ وتَصَدُّقٍ ، وتَكْريمِ اللهِ لَهُم بالنَّعيمِ العظيمِ فِي الجَنَّةِ .

وتُبيِّنُ هذهِ الآياتُ عَدَمَ المُساواةِ بَيْنَ المُؤْمِنين والفاسِقينَ الكافِرينَ ، لا فِي الصِّفاتِ ولاَ فِي الأعْمالِ ، ولاَ فِي المَصيرِ .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

النَّاسُ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : مُؤْمنٌ باللهِ ورَسولِه ، مُطيعٌ للهِ ، مُنَفِّذٌ لأمْرِهِ ، مُسْتقيمٌ علىٰ طاعتِه ، وكافِرٌ باللهِ ورَسولِه ، فاسِقٌ خارِجٌ عَنْ طاعَةِ ربِّهِ ، مُكَذِّبٌ بالحَقِّ ، مُرْتَكِبٌ لِلْمُحرَّماتِ .

هلِ المُؤْمِنُ مِثْلُ الفاسِقِ ؟ وهلْ يَستوِي الرَّجُلانِ ؟

الجوابُ بالنّفيِ ، إنَّهما لا يَسْتوِيانِ ، لا فِي الصِّفاتِ ولا فِي الأفْعالِ ، ولا فِي الشُّعورِ ، ولا فِي الدُّنْيا ، ولا فِي الآخِرَةِ .

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

لا يستوي المُؤْمِنونَ والكُفَّار في الآخِرَة ، فالمُؤْمِنونَ يُكْرِمُهُمُ اللهُ بإدْخالِه جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنهارُ ، ويَجْعَلُها مأوىً لهُم ، فيهَا قُصورُهُمْ وغُرَفُهُمُ الّتي يَأْوُونَ إليْهَا ويُقيمونَ فيها .

وهذِهِ الجَنَّاتُ نُزُلٌ لَهُمْ وتكريمٌ ، وجَزاءٌ وثَوابٌ ، مُقابِلَ أعْمالِهِمُ الحُسْنىٰ الصَّالحةِ الّتي كانوا يَعْملُونَها فِي الدُّنْيا ، وهُمْ خالِدونَ فِيها ، يَسْتَمتِعونَ ويَتلذَّذونَ ويَتَنعَّمونَ .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ز

وإذَا كانَ المُؤْمِنونَ مُنَعَّمينَ فِي الجَنَّةِ فإنَّ الكَافِرينَ الفاسِقينَ مُعَذَّبونَ في النَّارِ ، وإذا كانتِ الجَنَّةُ مَأْوىً لِلْمُؤمِنينَ يُقيمُونَ فيها ، فإنَّ النَّارَ مأوىٰ الفاسِقينَ ، يَأْوُونَ إليْها ويُقيمونَ فيهَا مُعَذَّبينَ .

وعِنْدَمَا يُصَبُّ عَليْهِمُ العَذابُ فيهَا يُحاولونَ أنْ يَخرجوا منها لِينجوا مِنَ العَذابِ ، وكلَّما حاوَلوا أَعادَتْهُمْ ملائِكَةُ العَذابِ فيهَا بالرَّغمِ عَنْهُمْ ، فلاَ خُروج ولا نَجاةَ ولا موتَ لهُم فيها ولاَ حياةَ .

وعندَما يُعادون إلىٰ جهَنَّمَ ، يُقالُ لهُم : ذوقوا عَذابَ النَّارِ وتَحَمَّلوهُ واحْترِقوا بهِ ، هٰذا العَذابُ الّذي كُنْتُمْ تُكَذِّبونَ بهِ في الدُّنْيا ، وَكُنتُم تُنكِرون مَجيئَهُ وَوقوعَهُ ، فماذَا تَقولون الآنَ ؟ وهٰذا القَوْلُ يُقالُ لهُم مِنْ بابِ التَّوبيخِ والتَّأنيبِ ، لِيزدادوا حَسْرَةً .

قالَ الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : واللهِ إنَّ أيْديَهُمْ لَموثَقَةٌ ، وإنَّ أرْجُلَهُمْ لَمُقَيَّدَةٌ ، وإنَّ اللّهبَ لَيَرْفَعُهُمْ ، وإنَّ المَلائِكةَ لَتَقْمَعُهُمْ .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

الكفَّارُ مُعذَّبونَ في النَّارِ عذاباً مُؤَبَّداً ، لأنَّهُمْ أصَرُّوا علىٰ الكُفْرِ ، وماتوا عَليْهِ ، وقَدْ أخْبَرَ اللهُ أنَّه سَيُعذِّبُهُم عَذاباً آخَرَ مِنْ قَبْلِهِ ، وذلكَ فِي الدُّنْيا .

سَيُذيقُ اللهُ الكُفَّارَ والعُصَاةَ عَذاباً فِي الدُّنْيا ، يَتَمَثَّلُ فيمَا يُوقِعُهُ بهِمْ مِنَ الآفاتِ والمَصائِبِ والشَّدائِدِ ، كالمَرَضِ والجُوعِ والفَقْرِ والغَمِّ والأَلَمِ والقَتْلِ والجَدْبِ ، وغَيْرِ ذلكَ مِنْ صُوَرِ الابْتِلاءِ وأَنْواعِهِ .

وهٰذا العَذابُ هُوَ العذابُ الأدنىٰ ، وهُوَ عذابُ الدُّنْيا وهُوَ الأَقَلُّ والمُحَدَّدُ ، يُعذبُهُمْ اللهُ بهِ مِنْ أجْلِ أنْ تَسْتَيْقِظَ قُلوبُهُمْ ، فَيَرْجِعوا إلىٰ الإيمانِ والاسْتقامةِ ، ويَتخلَّوْا عنِ الكُفْرِ ، فإنْ لَمْ يَرْجِعوا إلىٰ الحَقِّ ، فإنَّ اللهَ سَيَصُبُّ عَلَيْهِمُ العذابَ الأَكْبَرَ فِي جَهَنَّمَ ، الَّذي لنْ يخرُجوا مِنْهُ أَبداً .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

الكافِرونَ مُعَذَّبونَ العَذابَ الأَدْنَىٰ والعَذابَ الأَكْبَرَ لأنَّهم ظَالِمونَ مُجْرِمونَ مُعْرِضونَ عنْ آياتِ اللهِ ، ويُقرِّرُ أنَّه لا أحَدَ أَشَدُّ وأَقْبَحُ ظُلْماً مِنْ ذلكَ الظَّالِمِ الَّذي يُذَكِّرُهُ الأنْبياءُ والصَّالِحُونَ والعُلَماءُ بآياتِ رَبِّهِ القُرْآنيَّةِ ، الدَّالَّةِ علىٰ الحقّ ، ولَكِنَّه يُعْرِضُ عنْها ويَتْرُكُها ويَتناساها ، كأَنَّهُ لا يَعْرِفُها ، ويَبقَىٰ علىٰ كُفْرِهِ وإجْرامِهِ وضَلالِهِ .

واللهُ مُنْتَقِمٌ جَبَّارٌ ، يَنْتَقِمُ مِنَ المُجْرِمينَ الظَّالمينَ ، ويُعَذِّبُهُمْ بِسَبَبِ ذلكَ ، فَيكونُونَ قَدْ خَسِروا الدُّنْيا والآخِرَةَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الأَصْلُ عَدَمُ مُساواةِ الفاسقينَ بالمُؤْمِنينِ ، وعَدَمَ تَفْضيلِ الفاسِقينَ علىٰ المُؤْمنينَ ؛ لأنَّ المُؤْمنينَ هُمُ الأَكْرمُ والأَفْضلُ عِندَ اللهِ ، وَيجبُ أنْ يَكونُوا هٰكذا عِنْدَ عبادِ اللهِ .

٢ـ المُؤْمِنونَ مُخَلَّدونَ في نَعيمِ الجَنَّةِ جَزاءً وثَواباً لَهُمْ علىٰ أعْمالِهِمُ الحَسَنةِ فِي الدُّنْيا .

٣ـ النَّارُ مأوَىٰ الكُفّارِ ومُسْتَقرُّهُمْ ، لا يَخْرُجُون منهَا ، ولا يُفتَّرُ عَنْهُمْ عَذابُها .

٤ـ كانَ الكُفَّارُ يُكذِّبونَ بعذابِ النَّارِ فِي الدُّنْيا فَعُذِّبُوا به ، وصَدَّقَ بهِ المُؤْمِنونَ فأنجاهُمُ اللهُ منهُ .

٥ـ يُعَذِّبُ اللهُ الكُفَّارَ العَذابَ الأَدْنَىٰ فِي الدُّنْيا ، المُتَمَثِّلَ فِي المَصائِبِ والشدَّائدِ ، فإنْ آمَنوا واسْتَقاموا نجَوْا مِنَ العَذَابِ الأَكْبرِ فِي الآخِرَةِ ، وإلاّ عُذِّبوا فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٦ـ الظُّلْمُ دَرجاتٌ أَقْبَحُها التَّكذيبُ بآياتِ اللهِ والإعراضُ عَنْها .

٧ـ اللهُ عادلٌ في انْتقامِهِ مِنَ الكُفَّارِ ، لأنَّهُ يُعاقِبُهُمْ علىٰ ذُنوبِهِمْ ، ويُوقِعُ بِهِمْ نَتائجَ جرائِمِهِمْ .



## التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا لا يَسْتوِي المُؤْمِنونَ والكافِرونَ ؟ اذْكُرْ آيتيْنِ تُقرّرانِ ذَلِكَ .

٢ـ حَدِّدِ الفَرْقَ بَيْنَ مأْوىٰ المُؤْمِنينَ ومأوىٰ الكافِرينَ في الآخِرَةِ .

٣ـ ماذَا يُفْعَلُ بالكُفّارِ عِنْدَ محاوَلتِهمُ الخُروجَ مِنَ النَّارِ ؟ وماذا يُقالُ لهُمْ عندَ ذلكَ ؟

٤ـ ما المُرادُ بالفاسِقينَ والمُجْرِمينَ المَذْكُورينَ في آياتِ الدَّرْسِ ؟ ومَا معنَىٰ كلٍّ مِنَ الكَلِمَتَينِ ؟

٥ـ يُعَذِّبُ اللهُ الكفَّارُ بعذابَيْنِ ، اذْكُرْهُما ، وحَدِّدْ صِفَةَ كلٍّ مِنْهُما ، ومَثِّلْ لِكُلٍّ واحِدٍ .

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ (رقم : ٢٢) أعْمالَ الكُفّارِ القَبيحةِ الّتي اسْتَحقُّوا بها عَذابَ اللهِ .



## نَشاطٌ :

١ـ حقيقةُ عدم تَساوِي المُؤْمِنينَ والفَاسِقينَ وَرَدتْ فِي سُوَرٍ عِدَّةٍ . اسْتَخْرِجْ آيةً تُصَرِّحُ بذلكَ فِي سورةِ الجاثيةِ ، وآيةً أُخرَىٰ فِي سورةِ الحَشْرِ ، واكْتُبْهمَا فِي دَفْتَرِك .

٢ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ الحَجِّ تُقَرِّرُ أنَّ الكُفَّارَ يُعادونَ إلىٰ جَهَنَّمَ كُلَّما أَرادُوا الخُروجَ منْها ، وبَيِّنْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ العشرينَ .

* * *

# الدَّرسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

## سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسمُ الخامِسُ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

### مَعاني المُفْرَداتِ :

| | |
|---|---|
| آتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتابَ | : آتَيْنا مُوسَى التَّوْراةَ . |
| فِي مِرْيَةٍ | : فِي شَكٍّ . |
| جَعَلْناهُ هُدًى | : جَعَلْنا فِي التَّوْراةِ أَسْبابَ الهِدايَةِ . |
| يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ | : يَقْضِي بَيْنَهُمْ . |

### التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ عَدَمِ المُساواةِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ والفاسِقينَ ، وتَتَحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والتَّوارةِ والأَئِمةِ الصَّالِحينَ مِنْ بَنِي إسْرائيلَ .

وتُبيِّنُ الآياتُ الصِّلةَ بَيْنَ موسَىٰ ومُحَمَّدٍ ـ عليْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ والْتِقاءَ التَّوراةِ والقُرْآنِ علىٰ الحَقِّ ، وقيامَ الأئمةِ مِنْ بَنِي إسْرائيلَ بالدَّعوةِ إلىٰ الهُدىٰ .

وهيَ تَهْدِفُ إلىٰ تَثْبيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِه علىٰ الحَقِّ ، فَلَهُ فِي موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أُسْوةٌ ، ولِلصَّحابةِ فِي أئِمةِ بَنِي إسْرائيلَ قُدْوَةٌ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ رَسولَه مُحَمّداً ﷺ أنه آتَى موسَى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ التَّوْراةَ ، وجَعَلَها هُدىً لِقَوْمِهِ ،

ويَدعوهُ إلىٰ عَدَمِ الشَّكِّ فِي لِقاءِ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلاَمُ ـ والالْتِقاءِ مَعَهُ علىٰ الحَقِّ ، واتِّفاقِ القرآنِ مَعَ التَّوْراةِ علىٰ تَوْحيدِ اللهِ .

وقَدِ الْتَقَىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلاَمُ ـ في لَيْلةِ المِعْراجِ ، حَيْثُ رَحَّبَ بهِ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلامِ ـ في السَّماءِ السادِسةِ ، وجَرَىٰ بَيْنهُما حِوارٌ حَوْلَ الصَّلواتِ ، الَّتي فَرَضَها اللهُ علىٰ المُسْلِمينَ .

والتقَىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلاَمُ ـ في الدَّعْوَةِ ، واتَّفقَ مَعَه فِي الحَقِّ ، فكلاهُما رَسولٌ بَعَثَه اللهُ ، وكِلاهُما أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ كِتابَه ، وكِلاهُما دَعا إلىٰ الإيمانِ والعَقيدةِ ، وكِلاهُما واجَهَ أَذَىٰ الكافِرينَ .

وإِذَا كانَ موسَى ـ عليْهِ السَّلاَمُ ـ قدْ ثَبَتَ وَصَبرَ فَنَصَرَهُ اللهُ ، فلاَ بدَّ وأَنْ يَثْبُتَ رسولُ اللهِ ﷺ وَيَصْبِرَ لِيَنالَ نَصْرَ اللهِ .

والكِتابُ الَّذِي أَنْزَلَه اللهُ علىٰ مُوسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ هُوَ التَّوْرَاةُ ، جَعَلَهُ اللهُ هُدَىً لبنِي إِسْرائيلَ ، وأَمَرَهُمْ بالالْتِزامِ بمَا فيهِ ، وتَطبيقِ أَحْكامِهِ . لِكنَّهُمْ حرَّفُوهُ ، وأَضافوا لهُ كلامَ أَحْبارِهِمْ ، ولَكِنْ لا يجوزُ لنا العَمَلُ بهِ لِتَحْريفهِ ونَسْخِ اللهِ لَهُ بالقُرْآنِ .

والتَّوْراةُ المَوْجودةُ الآنَ بَيْنَ أَيدِي اليهودِ ـ العَهْدُ القديمُ ـ لَيْستْ هُدىً ، وإِنَّما هِيَ مُحَرَّفَةٌ ، مَمْلوءَةٌ بأكاذيبِ الأَخْبارِ .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

جَعَلَ اللهُ التَّوْراةَ هُدىً لبنِي إِسْرائِيلَ ، ومَنِ اهْتدَى بِها مِنْهُمْ كانَ مِنَ المُفْلِحينَ ، ومَنْ رَفَضَ الاهْتِداءَ بها كانَ مِنَ الخاسِرينَ .

وجَعَلَ اللهُ بنِي إِسْرائِيلَ أَئِمَةً في الخَيْرِ ، وقَادةً يَدْعونَ قَوْمَهُمْ إلىٰ الإيمانِ والاهْتداءِ والاسْتقامَةِ ، وقامَ هَؤلاءِ الأَئِمَّةُ المُصْلِحونَ بِواجِبِهِمْ فِي الدَّعْوَةِ إلىٰ اللهِ ، والأَمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وكانُوا أَئِمَةً دُعاةً بأَمْرِ اللهِ وإِذْنهِ ، وتَوفيقِهِ وعَوْنِهِ .

وهمْ لَمْ يَصيروا أئِمَةً هُداةً إلاّ بَعدَما صَبَروا ، كما أَمَرَهُمُ اللهُ ، صَبروا علىٰ طاعةِ اللهِ ، وعلَى تَرْكِ مَا حَرَّمَ اللهُ ، وعلَى مَشَقَّةِ الدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ ، وجَاهَدوا أَنْفُسَهُمْ ، وقوُّوا هِمَمَهُمْ وعزائِمَهُمْ ، وبِذلكَ أَدَّوا واجِبَهُمْ .

وهٰذا تَوْجيهٌ لِلصَّحابةِ ، أَنْ يَقْتدوا بالأَئِمةِ الصَّابرينَ الدُّعاةِ مِنْ بنِي إِسْرائِيلَ ، فَيَصْبِروا ويَثْبُتوا ويدعُوا إلىٰ اللهِ ، لِيَكونوا أئِمَةَ هُدَىً ، يَهْدُونَ النَّاسَ بِدَعْوَتِهِمْ إلىٰ اللهِ .

لقدْ دَلَّتِ الآيَةُ المُسْلِمينَ علىٰ طريقِ الإمامةِ في الدِّينِ ، إنَّها الصَّبْرُ واليَقينُ ، فَمَنْ لَمْ يُحقِّقِ الصَّبْرَ والتَّقوىٰ لَنْ يَنالَ الإمامَةَ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ﴾ .

ماذا فَعَلَ بَنو إسْرائيلَ بَعْدَ ذَلِكَ بأحْكامِ التَّوراةِ ؟ وبِمَا سَمِعوا مِنْ كلامِ أَئِمَّتِهِمُ الدُّعاةِ الهُداةِ ؟

مِنْهُمْ مَنِ اسْتجابَ لَهُمْ ، واسْتقامَ علىٰ شَرْعِ اللهِ ، فكانَ مِنَ المُفْلِحينَ الفَائِزينَ ، ومنْهُم مَنْ رَفَضَ دَعْوَتَهُمْ ، واتَّبعَ هَواهُ ، فَضَلَّ عَنِ الهُدىٰ ، وكانَ مِنَ الخاسِرينَ .

وقد اخْتَلَفَ اليَهودُ فِي دينِهِمْ ، مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الحَقُّ ، وانقَسَموا إلىٰ شِيَعٍ وأحْزابٍ مُخْتَلِفَةٍ ، كُلٌّ مِنْها يزعمُ أنَّه علىٰ الحَقِّ ، ويُكَفِّرُ غَيْرَهُ .

وَيُهدِّدُ اللهُ هٰذهِ الفِرَقَ والأحْزابَ المُخْتَلِفَةَ بالحِسَابِ والعَذابِ يَوْمَ القيامةِ ، حَيْثُ سَيَبْعثُهُمْ جمَيعاً ، ثُمَّ يُحاسِبُهُمْ علىٰ أعْمالِهِمْ فِي الدُّنْيا ، وسَيَحْكُمُ ويَفْصِلُ بَيْنَهم ، ويُبَيِّنُ لهُمُ الحَقَّ فيما اخْتَلَفُوا فيهِ مِنْ مَسائِلِ الدِّينِ ، فَيُثِيبُ مَنْ كانَ علىٰ صَوابٍ ، ويُعاقِبُ مَنْ كانَ علىٰ خَطأٍ وضَلالٍ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَجِبُ الإيمانُ بأنَّ التَّوْراةَ مُنَزَّلَةٌ علىٰ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ولَكِنَّ اليَهودَ حَرَّفوها بَعْدَ ذلكَ .

٢ـ التقَىٰ مُحَمَّدٌ بموسَىٰ ـ علَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ حَقيقةً فِي لَيْلَةِ المِعْراجِ ، والْتَقَىٰ مَعَهُ علىٰ أُصولِ الدِّينِ ، واتَّفَقا علىٰ الحَقِّ ، لأنَّ الأَدْيانَ والرِّسالاتِ تَتَّفِقُ علىٰ الأُصولِ .

٣ـ الأَئِمَّةُ نَوْعانِ : أَئِمةُ هُدًى يَدْعونَ إلىٰ الخَيْرِ ، وأَئِمةُ ضَلالٍ يَدْعونَ إلىٰ النَّارِ .

٤ـ لا تُنالُ الإمامَةُ فِي الدِّينِ إلاّ بالصَّبْرِ واليَقينِ والدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ .

٥ـ يَقْتدِي الدُّعَاةُ بالأنْبياءِ وبِأَئِمةِ الهُدَىٰ مِنَ السَّابقينَ ، فَيَثْبُتونَ عَلى الحَقِّ .

٦ـ التزامُ شَرْعِ اللهِ يَجْمَعُ بَيْنَ النَّاسِ علىٰ الحَقِّ ، ومُخَالَفَتُه تُؤَدِّي إلىٰ الفُرْقَةِ والنِّزاعِ والخِلافِ .

٧ـ لَنْ يَتِمَّ إنْهاءُ الخِلافِ إلاّ يَوْمَ القيامةِ ، حَيْثُ يَحْكُمُ اللهُ بَيْنَ المُخْتَلِفينَ ، فَيُثِيبُ مَنْ كانَ علىٰ حَقٍّ ، ويُعاقِبُ مَنْ كانَ علىٰ باطِلٍ .



## التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ أيْنَ الْتَقَىٰ مُحَمَّدٌ بمُوسَىٰ ـ عليْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ حَقيقةً ؟ وأيْنَ الْتقَىٰ معَه فِي الدِّينِ ؟

٢ـ كانتِ التَّوْراةُ هُدًى لِبنِي إسْرائيلَ ؟

٣ـ الأَئِمَّةُ نَوْعانِ . اذْكُرْهُما ، وَمثِّلْ لِكُلٍّ نَوْعٍ بمثالٍ .

٤ـ الإمامَةُ في الدِّينِ لها شَرْطانِ ؛ اذْكُرْهُما ، واسْتَخْرِجْهُما مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٥ـ متَىٰ يَتِمُّ إنهاءُ الخِلافِ بَيْنَ المُخْتلِفينَ ؟ وكَيْفَ ؟

٦ـ مَاذَا تَقولُ فِي العَهْدِ القَديمِ المَوْجودِ عِنْدَ اليهودِ ؟ وهَلْ هُمْ مُؤْمِنونَ مُهْتَدونَ ؟ ولِماذا ؟



## نَشاطٌ :

١ـ اقرأ الآياتِ ( ٧٥ـ٧٩ ) مِنْ سورةِ البقرةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهَا الأدِلَّةَ علىٰ تَحْريفِ اليَهودِ للتَّوْراةِ ، واكْتُبْها فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأْ الآيَةَ ( ١٨٦ ) مِنْ سُورةِ آلِ عِمْرانَ ، واسْتَخْرِجْ مِنهَا تَوْجيهَ اللهِ لِلمُسْلِمينَ ، لِيَصْبِروا ويتَّقُوا ، واذكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ الرابعةِ والعشرينَ ، واكْتُبْ ذلكَ في دَفْتَرِك .

٣ـ اقْرأ الآياتِ ( ١٢ـ١٤ ) مِن سورةِ المَائِدَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا الخلافَ بَيْنَ فِرَقِ اليَهودِ والنَّصارَىٰ ، وَما بَيْنَها مِنْ عَداوةٍ وبَغْضاءٍ إلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ ، واكْتُبْ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِكَ .

* * *

## الدرس السابع والثلاثون

# سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

## مَعانِي المُفْرَداتِ :

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ : أَوَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ .

القُرُونِ : الأُمَمِ السَّابِقَةِ .

الأَرْضِ الجُرُزِ : الأَرْضِ الَّتِي لاَ تُنْبِتُ . والجُرُزُ : هُوَ القَطْعُ وَالإِزالَةُ .

الفَتْحُ : الفَصْلُ بِالحُكْمِ .

يَوْمَ الفَتْحِ : يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيْثُ يَفْصِلَ اللهُ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِهِ .

وَلاَ هُمْ يُنظَرونَ : وَلاَ يُؤَخَّرونَ وَلاَ يُمْهَلونَ .

أَعْرِضْ عَنْهُمْ : اتْرُكْهُمْ وَلاَ تُبالِ بِتَكْذِيبِهِمْ .

وَانْتَظِرْ : وَانْتَظِرِ النَّصْرَ أَوْ تَعْذيبَ الأَعْداءِ .

## التَّفسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ إِثْباتِ الوَحْدانيَّةِ والنُّبوَّةِ والبَعْثِ ، وأَقامَتِ الأَدِلَّةَ علىٰ ذلك .

وتَحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ ذلِكَ باعْتبارِها خاتِمَةً لِلسورةِ ، وتَلْخيصاً لِمَوْضوعاتِها ، إِنَّها تَلْفِتُ

أَنْظارَ المُشْرِكينَ إلىٰ الأدِلَّةِ منْ واقعِ حياتِهِمْ ، الدَّالةِ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وَتَرُدُّ علىٰ اسْتِبعادِ الكُفَّارِ لِلْبَعثِ وكُفْرِهِمْ بهِ .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

تدعُو الآيةُ الكُفَّارَ إلىٰ مُلاحظةِ آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقينَ ، والاعْتبارِ بذلكَ ، وتُنْكِرُ عَلَيْهِمْ عَدَمَ فِعْلِ ذلكَ ، وتَتساءلُ : أوَلَمْ يَتبيَّنْ لِهَؤلاءِ الكُفَّارِ المُكَذِّبينَ إهْلاكُ الأقْوامِ السّابقينَ الكثيرينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، الّذينَ كفرُوا وكَذَّبوا رُسُلَهُمْ ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ ودمَّرَهَمْ ، وبَقِيتْ آثارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ شَاهِدةً عَلَيْهِمْ ، وهُمْ يَمْشونَ فِي تِلْكَ المَساكِنِ ، ويُشاهِدونَ تِلْكَ الآثارَ ؛ كَمَساكِنِ وآثارِ عادٍ وثمودَ ومدينَ وقومِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ .

وفِي تِلْكَ المَساكنِ والآثارِ آياتٌ ودَلائِلُ وَعِبَرٌ ، يَراها النَّاسُ فَيتَّعظونَ ويَعْتَبِرونَ وَيُؤْمِنونَ ، أفلاَ يَسْمَعُ الكفَّارُ آياتِ القرآنِ الّتي تَتَحدَّثُ عنْ ذلكَ فَيَعْتَبِرُونَ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

تَلْفِتُ الآيَةُ السَّابِقَةُ أنْظَارَ الكُفَّارِ إلىٰ مَصارعِ السَّابقينَ لِمَعْرِفَةِ قُوَّةِ اللهِ وقُدْرتِهِ علىٰ إهْلاكِ أعْدائِهِ ، وتَلْفِتُ هذهِ الآيَةُ أنْظارَهُمْ إلىٰ دَليلٍ آخَرَ مِمَّا حَوْلَهُمْ ، يَدُلُّ علَىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ وقُدْرتِهِ ورَحْمَتِهِ .

تقولُ الآيَةُ : أوَلَمْ يُشاهِدِ الكُفَّارُ الأَرْضَ حَوْلَهُمْ تَكونُ مَيِّتَةً يابِسَةً جَافَّةً ، لا نَباتَ فيها ، فَيَسوقُ اللهُ إليْها الماءَ عَنْ طريقِ السَّحابِ والمَطَرِ ، فَيُحيِيها بَعْدَ مَوْتِها ، ويُخْرِجُ بِهِ النَّباتَ والزَّرْعَ ، وتُثْمِرُ بِهِ الأشْجارُ ، فَيَأْكُلونَ مِنْهُ الزَّرْعَ والحَبَّ والثَّمَرَ ، ويُطْعِمونَ أنْعامَهُمُ النَّباتَ والعَلَفَ .

أفلاَ يُشاهِدونَ هٰذا ، ويَعْتبرونَه دَليلاً علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، وعَلىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامَةِ ؟ فمَنْ أَحْيَا الأرْضَ بالنَّباتِ قَادرٌ علىٰ إحْياءِ النَّاسِ مِنْ قُبورِهِمْ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

لمْ يَلْتَفِتِ الكُفَّارُ إلىٰ دَلالةِ إحْياءِ الأرْضِ المَيتةِ بالماءِ ، وإخْراجِ النَّباتِ ، علىٰ قُدْرَةِ اللهِ علىٰ إحْياءِ المَوْتَىٰ ، وبَعْثِ النَّاسِ يَوْمَ القيامَةِ ، واسْتَمَرُّوا علىٰ إنْكارِ البَعْثِ .

وعندَما يُخْبِرُهُمُ المُؤْمِنونَ عَنْ يَوْمِ البَعْثِ ، ويُسْمِعُونَهُمْ آياتِ القُرْآنِ الّتِي تَتَحدَّثُ عَنْهُ ويُهدِّدونَهُمْ بالعذابِ ، يَزْدادُ الكُفَّارُ تَكْذيباً وإنْكاراً ، ويَقولونَ لَهُمْ باسْتبعادٍ : مَتَىٰ يأتِي يَوْمُ

القيامَةِ ، الّذي تَزْعُمونَ أنَّ اللهَ يَفْتَحُ بَيْنَنا وبَيْنَكُم ، يَفْصِلُ ويَحْكُمُ ويَقضِي ، إنْ كُنتُمْ صادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ وإيمانِكُمْ بهِ ؟

ويَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنينَ أنْ يُجيبوا الكُفَّارَ قَائِلينَ ، يَوْمُ الفَتْحِ قادِمٌ لا مَحالَةَ ، وعِنْدَما تَرَوْنَ مشاهِدَهُ وأهْوالَهُ سَتؤْمِنونَ ، لَكِنَّ إيمانَكُمْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ ولَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ ، لأنَّه جاءَ فِي غَيْرِ وقْتِهِ . وعِنْدَما تَطْلُبونَ العَوْدَةَ لِلدُّنْيا لِتُؤْمِنوا وتُصْلِحوا ، لَنْ يُسْتَجابَ لَكُمْ ، ولَنْ يُؤَخَرَ العَذابُ عَنْكُمْ!

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ .

الكفَّارُ يُنْكِرونَ يَوْمَ الفَتْحِ فِي الآخِرَةِ ، مَعَ أنَّه آتٍ ، ويُوَجِّهُ اللهُ رَسولَه ﷺ إلىٰ أنْ يَتْرُكَ الكُفّارَ ، ولاَ يُبالِي بهِمْ ، ويَستمرَّ علىٰ دَعْوَتِه وتَذكيرِهِ .

يقولُ اللهُ لهُ : أعْرِضْ عَنِ الكُفّارِ بَعْدَ دَعْوَتِهِمْ ، وَلا تُبالِ بِتكذِيبِهِمْ ، ولاَ تُشْغِلْ نَفْسَكَ بِهِمْ ، ولا تَتوقَّفْ عَنِ الدّعْوةِ .

وانْتَظِرِ الفَتْحَ والنَّصرَ عَلَيْهِمْ ، فإنَّ اللهَ سَيَنْصُرُكَ ، ويَهْزِمُهُم أمَامَكَ ، وهُمْ يَنْتَظِرونَ أنْ تَموتَ أَوْ تُقْتَلَ . قال تعالَى : ﴿أَمْ يَقولونَ شَاعِرٌ نَتَربَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنونِ . قُلْ تَرَبَّصوا فإنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصينَ﴾ [الطور : ٣١-٣٢] .

ونَتيجةُ الانْتِظارِ هِيَ النَّصْرُ مِنَ اللهِ لِلْمُؤْمنينَ ، والهَزيمةُ والإذْلالُ لِلْكَافِرينَ ، وفِي الآخِرَةِ الثَّوابُ والجَزاءُ لِلصَّالِحينَ ، والعِقابُ والعَذابُ لِلْكافرينَ .

## دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مُشاهَدَةُ آثارِ المُعذَّبين السَّابِقينَ تَقودُ إلىٰ العِبْرةِ والعِظَةِ عِنْدَ المُؤْمِنينَ .

٢ـ مِنَ الأدِلَّةِ علىٰ وحْدانيَّةِ اللهِ والبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ خُروجُ النَّباتِ بَعْدَ المَطَرِ .

٣ـ الكفَّارُ يُطْمَسُ علىٰ قُلوبِهِمْ فَلا يَلْتَفِتونَ لِلدَّلائلِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، ولاَ يَعْتبرونَ بما جرَىٰ .

٤ـ الكُفّارُ يَتهكَّمونَ بالمُؤْمِنينِ ، ويَسألونَهم أسْئِلةً تَهَكُميَّةً يَسْتبعِدونَ بِها حقائقَ العَقيدةِ .

٥ـ يَوْمُ القيامَةِ هوَ يَوْمُ الفَتْحِ ، لأنَّ اللهَ يَحْكُمُ ويَفْصِلُ بَيْنَ المُؤْمِنينَ والكُفَّارِ .

٦ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يُعْرِضَ عَنِ الكُفَّارِ بَعْدَ دَعْوَتِهِمْ ، فلاَ يَنْشَغِلُ بِهِمْ ، ولاَ يَتأَثَّرُ لِشُبهاتِهِمْ .

٧ـ علَىٰ المُؤْمِنِ الصَّبرُ والثَّباتُ علىٰ الحَقِّ ، وانْتظارُ الفَرَجِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فإنَّ دِينَ اللهِ ظاهِرٌ بإذنِ اللهِ .




أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ أربعَ عِبرٍ ودَلالاتٍ تَخْرُجُ بِها عِنْدَ نَظَرِكَ فِي آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابِقينَ .

٢ـ لِماذا لا يَعْتَبِرُ الكُفَّارُ بما يَرَونَ ويَسْمَعونَ ؟

٣ـ كيفَ تَجْعَلُ المَطَرَ والزَّرْعَ دَليلاً علىٰ البَعْثِ ؟

٤ـ لماذا سُمِّيَ يَوْمُ القيامَةِ يَوْمَ الفَتْحِ ؟

٥ـ متىٰ يُعْرِضُ الدَّاعيةُ عَنِ الكُفَّارِ ؟ ولِماذا ؟

٦ـ مَا الّذي يَنْتَظِرُهُ المُؤْمِنونَ ، ومَا الّذي يَنْتَظِرُهُ الكافِرُونَ مِنَ الصِّراعِ بيْنَهما ؟ وَلِمنِ العَاقِبةُ ؟

## نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ أسْماءَ سِتَّةِ مَواقعَ أَثَرِيةٍ في بلادِ الشَّامِ ، واذْكُرْ خَمْسَةَ مَظاهِرَ للْعِظَةِ والاعْتبارِ يُمْكِنُ أنْ تُؤْخَذَ مِنْهَا ، واكْتُبْ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ سَجِّلِ الآيتينِ ( ٢٨ـ٢٩ ) مِنْ سورةِ الأَنْعامِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ الثّامنةِ والعشرينَ .

* * *

# المَراجعُ


١ـ تفسيرُ القرآنِ العظيم .

**الحافظُ عمادُ الدّينِ : إسماعيلُ بنُ كثيرٍ الدِّمشقيِّ .**

٢ـ في ظلالِ القرآنِ .

**سيد قطب .**

٣ـ تفسيرُ المَراغيِّ .

**لأحمدَ مصطفَىٰ المَراغِيِّ .**

٤ـ التفسيرُ الوسيطُ .

**مجمعُ البحوثِ الإسلاميةِ ـ القاهرةُ .**

٥ـ تيسيرُ الكريمِ الرحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنَّانِ .

**لعبدِ الرحمنِ بنِ ناصرِ بنِ سعدِي .**

٦ـ التفسيرُ المنيرُ .

**الدكتور وهبة الزحيلي .**

٧ـ الجَامعُ لأحكامِ القرآنِ .

**أبو عبدُ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ القرطبيُّ .**

٨ـ أنوارُ التنزيلِ وأسرارُ التأويلِ .

**لناصرِ الدّينِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ البيضاويِّ .**


* * *